# قصة الكنيسة القبطية

وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية
التى أسسها
## مار مرقس البشير

الكتاب السادس (ب)

بقلم
إيريس حبيب المصرى

مكتبة المحبة

# قصة الكنيسة القبطية

وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التى أسسها

## مار مرقس البشير

بقلم

إيريس حبيب المصرى

## الكتاب السادس

من عام ١٩٢٨ حتى ١٩٥٢ م

مكتبة المحبة

# نيلسون مانديلا

في حملة تبلغ ١٢ مليون توقيع

لرئيس أركان

## نيشان العزل

من

القاهرة فى ١ اكتوبر ١٩٨٤

## المؤرخة الفاضلة الاستاذة أيريس حبيب المصري

أطيب التحيات و بعد فلقد تلقيت بخالص الشكر سفركم الجامع عن قصة الكنيسة القبطية والتى تكرمتم بأهدائه الى مكتبة معهدى وتصفحته وأعجبت فيه لأمور كثيرة فى مقدمتها العناية بترتيبه وتنسيقة ثم الدقة فى تقصى ماحواه من معلومات و بيانات عن تاريخ المسيحية فى مصر التى هى جزء من تاريخنا القومى الذى يحق لجميع المصريين أن يفخروا و يعتزوا به . ثم بعد ذلك ماحواه من مراجع بمختلف اللغات والتى تعتبر فى ذاتها ثروة تاريخية وعلمية منقطعة النظير. وأخيراً أسجل أعجابى على روح البحث وتقصى حقائق الأمور من مختلف المصادر بهذه الهمة والمثابرة والتى امتدت عبر فترة طويلة من سنى عمرك أسال المولى عز وجل أن يطيلها فى خدمة الخير والدين

وأنى أذ اضيف هذه الموسوعة الدينية الى مكتبة معهدى أشعر بأنها قد عملت على سد فراغ كبير فيها جزاك الله عنا كل الخير.

وختاما أرجو أن تتقبلوا خالص الشكر والتقدير،

مدير معهد بحوث البردى

د . مهندس

حسن رجب



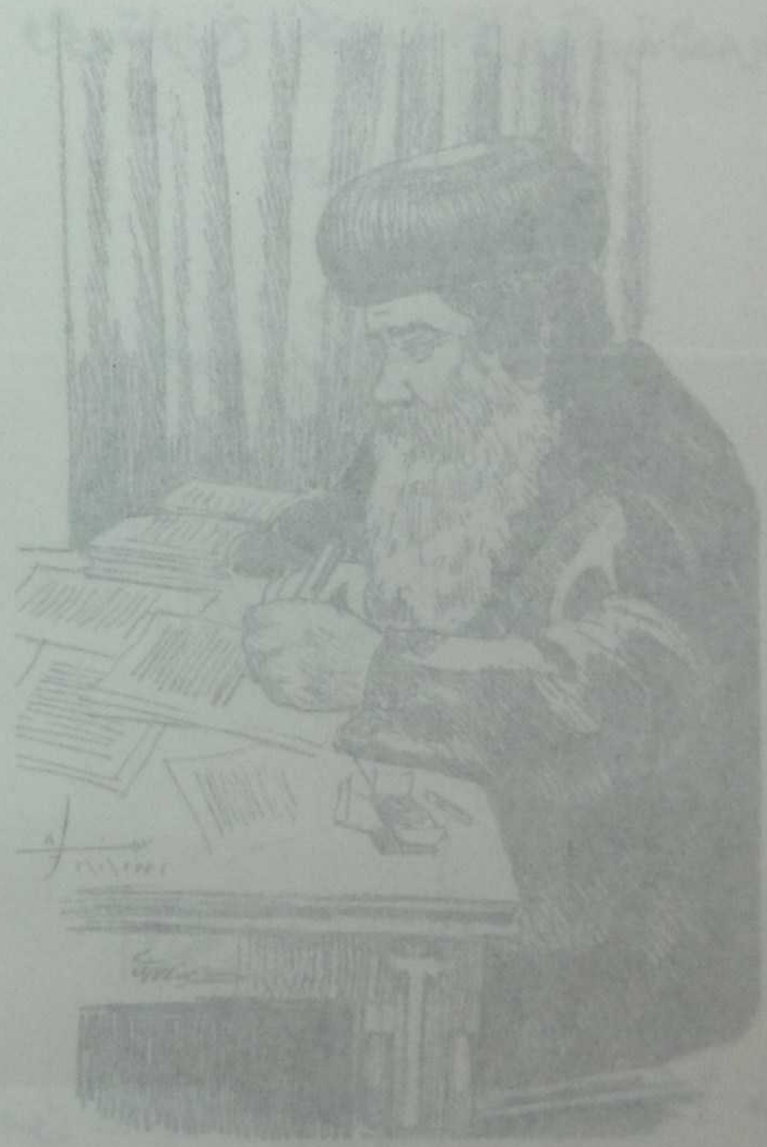

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ولا تجعلوا نارها تحرق بل اجعلوها نورًا يضيىء . وعَلى بَرَكة الله سيرُوا فى طريقكم وهذه يدى فى أيديكم تساهم فى العَمَل : يَدٌ قوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب ولكن لأنها يد مصرىّ يؤمن بمصريته

فاروق الأول

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ولا تجعلوا
نارها تحرق بل اجعلوها نورًا يضيء
وعلى بركة الله سيروا فى طريقكم
وهذه يدى فى أيديكم تساهم فى العمل
يدٌ قوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب
ولكن لأنها يد مصرىّ يؤمن بمصريته
فاروق الأول

# الشعلة الملكية المقدسة وحملة المشاعل

## تاريخ وشعار وميثاق

## رسالة الوطنية المصرية فى تطورها الجديد

---

حينما كانت مصر تحت حكم الملك فاروق كان يقام مهرجان يعرف « بمهرجان المشاعل » . وفى هذا المهرجان كان العداؤن من الشباب يحملون الشعلة من القاهرة الى الأقصر . فيحملها العداء الأول ويجرى بها الى الجيزة حيث يتسلمها منه زميل له . وهذا بدوره يسلمها لثالث — وهكذا . وكان هؤلاء الشباب — لحماستهم — يتبارون فى السرعة ليوصلوا الشعلة من العاصمة الحديثة الى عاصمة الفراعنة فى أقصر مدة . وفى الأقصر يضعونها على سارية عند مدخل طريق الكباش فتظل تشتعل الى أن تنطفىء من ذاتها .

تحريراً فى ١٦ / ١ / ١٩٨٤ ،

**الأستاذة الفاضلة ايريس حبيب المصرى**

سلام من رب السلام ،

لقد أسعدت بمراجعة الجزء السادس من قصة الكنيسة القبطية . وفى الحقيقة يمتاز هذا الجزء بروح المعاصرة ، فالكاتبة تطل علينا من خلال السطور كعنصر ايجابى يشترك أحيانا فى دفع عجلة التاريخ نحو الأفضل أو يقف كشاهد صارخ على بطلان حركة التاريخ .

ولقد نجحت الكاتبة فى صياغة وتحويل بعض الحوادث شديدة الانحراف التى لا تطيقها الأذن الى معلومة تاريخية تحدد بأمانة وجه الكنيسة فى تلك الحقبة الزمنية البائسة .

كما أمتدح الكاتبة فى نزولها الى أركان الكنيسة البعيدة سعيا وراء قصة حياة مشرقة لبعض قامصة الوجه القبلى المغمورين ذوى القداسة العاطرة مما يعطى حركة الكنيسة نوعا من التوازن لكى تبقى الكنيسة القبطية غنية بالروح على كل حال ان لم يكن برؤسائها فبخدامها الأمناء .

و يكفى هذه الحقبة فخرا نشاط الكلية الاكليريكية فى محيط الكنيسة الكلى وابراز شخصية مديرها الفذ حبيب جرجس (١٩١٨ــ١٩٥١ ) وما تركه من أثر خالد .

كما أنبه ذهن القارىء الى الدور الأيجابى الذى شغلته الكنيسة فى صميم سياسة البلاد ممثلا فى أشخاص كثيرين كان أبرزهم بلا جدال حبيب المصرى باشا الذى أنشأ مصلحة الضرائب بل ولعل أروع فصول هذه الحركة السياسية حضور الكنيسة فى البرلمان فى لجنة الحريات وسرد وقائع الجلسة المنعقدة فى يونية ١٩٥٣ حيث تبرز الكنيسة كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه فى تشريع القوانين التى تمس مستقبل الكنيسة والشعب ككل .

انى أهنىء الكاتبة على دقتها المتناهية فى تتبع وتسجيل كافة الحركات حتى الصغيرة

منها مما جعل الكتاب على مستوى التسجيل الوثائقى ورفعته الى مصاف المراجع العلمية التى يعتد بها .

واذ أدعو للكاتبة بطول العمر أتمنى للكنيسة أن تستمر قصتها خصبة وفعالة تستمد قوتها من ينابيع الروح العليا ،،

المخلص

القمص متى المسكين



**مقدمة:** قبل البدء فى تتبع انسياب الأحداث الكنسية نورد للقراء — كمقدمة — بعض ملاحظات أبداها دكتور وليم سليمان فى مقال له بعنوان « انتخاب البطريرك والتراث الديمقراطى المصرى ، نشره فى مجلة الطليعة التى صدرت فى أغسطس سنة ١٩٧١ (ص ٦٧ — ٧٥) قال :

١ — ليس من شك فى أن خلو مثل هذا المركز السامى يثير تطلعات جهات كثيرة . أفرادا ومؤسسات . كما ان مخططات عديدة داخلية وخارجية تجد فى الوصول الى هذا الكرسى فرصة سانحة لتقريب الوصول الى أهدافها . ومن هنا كان لابد من اليقظة الشديدة كى لا يصل الى هذا المركز الا الجدير . القادر على تمثيل هذه الكنيسة العريقة ، المقدر لمسئوليته تجاهها وتجاه وطنه ، إن البطريرك لم يعد رئيسا دينيا وحسب ولكنه شخص له وزنه فى الحياة المصرية وعلى الصعيد العالمى (١) . ويلاحظ فى هذا الصدد أنه لم يصدر عن أى واحد من المرشحين برنامج من أى نوع — بل أن المفاضلة بينهم تجرى على مستوى شخصى ، دون مقارنة بين برامج يقدمها المرشحون يوضحون فيها مواقفهم من المشاكل العديدة التى تحتاج الى الدراسة والوصول الى آراء محددة فيها .

ب — ونقطة البداية فى كل نظام يوضع لاختيار الشخص المناسب هى الحرص على مبادىء القانون الكنسى التى يحترمها أبناء الكنيسة ، وهى المبادىء التى تصدر فى حقيقة الأمر عن احترام الإرادة الشعبية ، وأقامت من أجل حماية هذه الإرادة البناء القانونى ولقد ثبت أن البابا الذى يأتى من خلال النظام السليم المستقر يكون أقدر على كسب احترام الجماهير والتأثير فيها .

ونحن نعتقد أنه من الممكن التوفيق بين مختلف الاعتبارات إذا أدخلنا التعديلات الآتية على النظام القائم :

١ — يُحترم مبدأ أرتباط الأسقف بابيارشيته فلا يسمح بترشيح من تعلو درجته على درجة قمص دون تفرقة بين نوع من الأساقفة وآخر ، مع إلغاء قيد مدة الرهبنة الذى لا تعرفه القوانين الكنسية .

---

(١) ليسمح لى كاتب المقال أن أقول بأن البابا الاسكندرى — مع كونه لم ينشغل بالسياسة العالمية كما فعل غيره من رؤساء الكنائس الغربية — كان له وزنه فى الحياة المصرية وعلى الصعيد العالمى من البداية . ولولا ذلك لما تكتل ضده رئيسا الكنيستين الغربيتين مع امبراطوريها فى مجمع خلقيدون سنة ٤٥١ م .

٢ــ يزاد عدد الناخبين من الاسكندرية والقاهرة ــ مدينتى كرسى البابا ــ بحيث يشمل القادرين على إبداء رأيهم ، و يكون تحديدهم بصفاتهم لا بالتعيين بأسمائهم . فهؤلاء الناخبون هم جماهير ايبارشية البابا الأصلية . وفى نفس الوقت هم يمثلون صفوة الجماهير الشعبية فى البلاد . أما باقى الايبارشيات فإن النظام القائم يمكن أن يكون مقبولاً لتمثيلهم ضمن جمعية ناخبى بابا الاسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية .

٣ــ يقتصر تطبيق القرعة على حالة تساوى عدد الأصوات التى حصل عليها جميع المرشحين (١)

جـــ يجب أن يستبعد من المرشحين أى شخص له ارتباط بمنظمة معينة ذات وزن فى توجيه النشاط الدينى أو السياسى . وخصوصا إذا كانت هذه المنظمة عالمية ويحتل المرشح فيها مركزا فى أعلى مستوياتها القيادية . الأفضل هنا ــ والحتمى ــ أن يكون رئيس الكنيسة فى مركز الرقابة والتوجيه بحيث لا يجلس داخل أجهزة المنظمة كعضو مثل باقى الاعضاء ، ويخضع رأيه لما يراه هؤلاء ، وهم يأتون من كل أنحاء العالم . فليس من شك فى أن الوضع السليم يقتضى أن تبعث الكنيسة الى هذه المنظمات العالمية بمندوب عنها يتفاوض و يتباحث و ينشط ثم يقدم تقريره الى السلطات الكنسية العليا لترى فى شأن ما تم الرأى المناسب دون ارتباط سابق أو المشاركة مقدما فى اتخاذ تلك القرارات المعروضة . ولهذا يتعين أن يكون المرشح للبطريركية بعيدا عن أن يكون جزءا من أجهزة القيادات لهذه المنظمات العالمية ، بل يكون تعبيرا صادقا عن أصالة كنيسة مصر واستقلالها .

د ــ وإننا نثق فى أن دراسة التراث الديمقراطى ــ بل والفكر الاجتماعى ــ فى الكنيسة القبطية ، واحترامه وتطويره ــ هذا كله يساهم مساهمة فعالة فى تقدم الحياة الديمقراطية على مستوى الوطن . لقد كان الإنسان المصرى يجد ذاته و يشعر بمشاركته فى حياة بلاده من خلال نشاطه داخل هذه المؤسسات الشعبية ، فى وقت حرم فيه من المشاركة فى حكم بلاده ، وأبعد عن الحياة السياسية العامة . إن تطوير هذا التراث الذى ظهر وعاش على مستوى الوطن إنما هو ترقية لأعمق ما فى الإنسان المصرى ، وإعداد له للمهمة العظمى التى عليه أن ينهض بها أزاء بلاده .

---

(١) كتبنا فى عام ١٩٦٦ نقول : « إن اللائحة الأخيرة التى وضعت لانتخاب البطريرك لا تتفق مع التراث القبطى الصحيح وهى تحول بين الشعب وإبداء رأيه فى انتخاب راعيه لأنها تقصر جمعية الناخبين على عدد جدا من الأشخاص يعين جزءا كبيرا منهم الحكومة والاساقفة . هذا فضلا عن تكريسها لمبدأ الصدفة فى الاختيار إذ تجعل الكلمة الأخيرة فى ذلك للقرعة . [ ! ] »

مقال : تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى ، الطليعة ، ديسمبر ١٩٦٦ ، هامش ٦٥ ص ٩٠ . كتاب : الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ، ص ٣٥ .



وفى نفس الوقت فإن الخبرة التى تكتسبها الجماهير من ممارستها الديمقراطية داخل المؤسسات الشعبية والسياسية والدستورية والدينية هى خبرة متكاملة ، خصوصا فى وقت أصبح فيه كل إنسان فى مصر مطالبا و يطالب بأن يكون له رأى محترم فى كل ما يمس الحياة على هذه الأرض ، وحين تتعمق فى نفس المصرى المفاهيم السليمة لمسار الحياة السياسية والاجتماعية فى بلاده ، و بقدر ما تتأصل مبادىء الوحدة الوطنية التى لا تفرق بين المصريين بسبب العقيدة أو الدين ويحس بها كل فرد فى حياته اليومية ــ بقدر ما يكون العمل الجماهيرى فى جميع المجالات مستندا الى الوعى والخبرة ، ووضوح الرؤية ، قادرا على أن يختار قيادات كل المؤسسات اختيارا سليما ، يؤدى الى مزيد من التقدم والفاعلية .

**ملحوظة :** فى صيف سنة ١٩٧٢ أراد بعض أعضاء مجلس الكنائس العالمى الأمر يكيين أن يضغطوا على الشعب اليونانى ليختار بطريركا له الرجل المرشح من هذا المجلس . ولكن اليونانيين ــ لأصالة وطنيتهم ولأصالة ديمقراطيتهم رفضوا الا أن يختاروا من يرتضونه هم . وقد شاء الله أن أعرف هذا الموضوع من بعض الصديقات الأمر يكيات حين كنت فى نيو يورك فى ذلك الصيف .

٨١ــ وسرت موجة من الحزن والأسى حملها النيل الوفى من أسوانه الى اسكندريته ، إذ تأمل القبط الفترة القصيرة التى قضاها البابا مكاريوس الثالث على السدة المرقسية . نعم كانت قصيرة فى عدد الأيام ولكن ما كان أقساها على القلب المرهف والنفس الوادعة ! لقد عاشها البابا الجليل من بدايتها الى نهايتها فى توجع وحسرة وندم . وذلك العصر الذى تطلعت اليه النفوس الوفيرة متوقعة أن يكون عصر بناء وتهيئة للمستقبل ، راجية أن يكون أكثر ضياء تبدل الى فترة حالكة الظلام ! ... وطوى الأب الروحانى السفر وسلمه الى صاحبه : ذهب الى رب الكنيسة ليتلاقى معه وجهاً لوجه . وليس من شك فى أنه وجد ذراعى الآب مفتوحتين فاحتضنتاه ومسحت من عينيه كل دمعة ....

أما الشعب المحزون فكان ينتظره مزيد من الحزن . ومزيد من الوجع . ومزيد من خيبة الأمل .

٨٢ــ ولكن الحزن فى مثل هذا الموقف يجب ضغطه لمواجهة المسئولية . لذلك أودع الرجال حزنهم فى أعماق القلب وتجمعوا معاً ليتدارسوا الخطوات الواجب اتخاذها . فعقد المجمع المقدس والمجلس الملى اجتماعاً مساء ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ برياسة الأنبا يوساب مطران جرجا . وفى هذا الاجتماع أعلن المنياوى باشا وكيل المجلس آنذاك اتفاقه مع زملائه على اختيار القائمقام

البطريركى من بين المطارنة الذين يميلون الى حصر الانتخاب البابا وى فى الرهبان. وبعد مناقشة قصيرة بين الآباء والأبناء قرر الجميع اختيار الأنبا اثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا لهذه المسئولية. وعلى ذلك أرسل وكيل المجلس الملى خطاباً الى دولة رئيس الوزراء أبلغه فيه النتيجة، وطلب اليه استصدار أمر ملكى باعتمادها.

٨٣ ــ وعلى الفور بدأت الحملات الدعائية، وكأن القوم شربوا من نهر النسيان (١) حتى لكأن البابا يؤنس ال ١٩ لم يعلن فى مختلف المناسبات ندمه ووخز ضميره! وكأن البابا مكاريوس لم يجرع كأس الآلام حتى الثمالة! بل كأن الست عشرة سنة التى بدأت منذ نياحة البابا كيرلس الخامس وانتهت بنياحة الأنبا مكاريوس الثالث قد انمحت من السجلات! ولكن لاغرابة فى ذلك فالغرض يعمى ويصم، ومن لم يمنحه الله عصمة القديسين لا يستطيع تحاشى الزلل مهما كانت مكانته الكهنوتية. بل إن رب المجد قد علمنا فى مثل الغنى ولعازر أنه ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون. (٢) وهكذا عاد بعض المطارنة يساندهم عدد من أعضاء المجلس الملى الى المناداة بحق المطران فى أن يصبح البابا. وليس من شك فى أنه لو سئل أحدهم. هل تسمح للرجل بأن يتزوج بأكثر من امرأة لأكد إجابته بالنفى وهو مندهل من هذا السؤال، ولكن هذا هو ما أعلنه الرسل الأطهار عندما حرموا الأسقف (أو المطران) أن يتطلع الى أسقفية أخرى أو يجمع بين أسقفيتين. ولهذا السبب أيضا كرر لنا فادينا الحبيب قوله: «من له أذنان للسمع فليسمع» (٣). ولكن أين الآذان وسط صخب الدعايات؟ وأين السمع عند من جرفتهم أغراضهم الخاصة؟

والذى نقرأه فى تاريخنا هو أن غالبية الذين وصلوا الى السدة المرقسية كانوا ينزوون ويحاولون التهرب من مرشحيهم عملاً بقول الرسول: «ولا يأخذ أحد هذة الكرامة بنفسه بل المدعو من الله كهرون» (٤). وهم قد كانوا ــ فى الوقت عينه ــ على وعى تام بالمسئولية العظمى الملقاة على خليفة مار مرقس. فكان تواضعهم يجعلهم يتوارون قدر الإمكان. على أن الذين ارتضوا بأن يحيدوا عن القانون الأصيل الذى يحصر الترشيح فى الرهبان الذين لا تزيد كرامتهم الكهنوتية عن القمص قد ارتضوا فى الوقت عينه أن ينسوا وصية بولس الرسول و ينسوا

---

(١) فى الأساطير اليونانية نهر يسمونه «ليثى» يجعل كل من يشرب منه ينسى كل شىء!

(٢) لوقا ١٦: ٣١

(٣) متى ١١: ١٥، ١٣: ٩ و ٤٣، مرقس ٤: ٩ و ٢٣، ٧: ١٦، لوقا ٨: ٨، ١٤: ٣٥

(٤) عبرانيين ٥: ٤، والطبعات الصادرة عن الكنائس الرسولية تورد هذه الآية كما أوردناها. أما كلمة «وظيفة» المستعملة فى الطبعة العربية فلا تعبر عن عطية إلهية وإنما تعبر عن ترتيب إنسانى. والكهنوت كرامة وليس وظيفة لأنه منحة



أيضا التواضع الذى تعلموه من رب المجد ومن رسله الأطهار. وهكذا روج البعض منهم لأنفسهم، والذين لم ينادوا مباشرة بترشيح أنفسهم اتخذوا من دعايات الآخرين شعاراً لهم وتعاونوا معهم فى الإنفاق على هذة الدعايات (١).

٨٤ ــ وهكذا عاد الإخوة وعلى رأسهم الآباء الى التعارك! وكانت المعركة ملتهبة من البداية. ذلك لأن الذين عاشوا أحداث التحزب والتخاصم انقسموا الى فريقين: فريق تملكته الرغبة فى أن يعود الى القوانين الرسولية الاصيلة ليستتب السلام؛ وفريق سيطرت عليه شهوة الحكم الذى كان مستمتعاً به وأصابه الذعر لئلا يضيعه فعاود النداء بانتخاب المطارنة. ولكى يدرك القارىء الى أى مدى ذهب الفريق الثانى عليه أن يعرف أن ابراهيم لوقا والمنياوى أيام مناصرتها للأنبا مكاريوس أعلنا فى غير استحياء أن الأنبا يوساب لايصلح لأن يكون «قيا» فى كنيسة (٢). ورددوا هذه الدعاية وغيرها لمدة ستة وتسعة شهور ونصف ــ هى الفترة ما بين نياحة الأنبا يؤنس وفوز الأنبا مكاريوس بالباباوية. ولم تمضى على هذه الأقاويل غير ستة ونصف وستة عشر يوما حتى كان الأنبا يوساب قد تحول من عدم صلاحيته كقرابنى الى عظمته الروحية التى تؤهله لأن يصير الخليفة المرقسى ال ١١٥!

وخلال كل هذه المحاولات المكثفة عهد أغلبية المجلس الملى الى حبيب المصرى بنشر بيان على الشعب ليوقفه على جلية الأمر. وبالفعل أرسل للصحف البيان المطلوب، واليكم نصه:

## بيان
## من المجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس

أما وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بناءً على ما عرضه على جلالته رئيس حكومته السنية بأصدار لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك فقد أصبح فى يد الأقباط الأرثوذكس وحدهم ممثلين فى مندوبيهم المعينين فى اللائحة اختيار بطريركهم بمحض إرادتهم وتمام حريتهم بغير أى تدخل من أية هيئة، لا مرجع لهم فى ذلك الا ضمائرهم وتاريخهم وتقاليدهم ومصلحة كنيستهم. ولا شك فى أنهم يدركون حق الأدراك خطورة المسؤولية الملقاة على

---

(١) أرجو من القراء الكرام أن يتمعنوا بهدوء فيما سجلته عن هذه الفترة لأننى عشت هذه الأحداث بكل عنفوانها، وأكتبها حبا فى كنيستى العريقة وسعيا الى تنوير أذهان الأجيال المقبلة، على رجاء العودة الى تقاليدنا الأصيلة التى أثبت الاختبار حكمتها. وأؤكد فى الوقت عينه أننى كنت أحس أننى أمشى على الأشواك وأنا أكتبها.

(٢) القيم فى التعبير الكنسى هو خابز القربان أو القرابنى.

عواتقهم و يدركون أن المصلحة العامة تقتض منهم أن يواجهوا هذه المسؤولية فى عزم ، ورجولة ، ونزاهة ، وصلابة فى الحق ، واستمساك بقوانين كنيستهم وتقاليد آبائهم ، وأن يحتفظوا باستقلالهم الكامل فى الرأى فلا يتأثرون بأى مؤثر من صداقة أو مجاملة ، وأن يحذروا صنوف الدعاوات المغرضة وأن يرتقوا بهذه المسألة الخطيرة عن مستوى الأهواء والمطامع .

وقد وصلت الى المجلس شكاوى عدة من تدخل بعض الكهنة فى شؤون الترشيح ، ومن جعلهم دور العبادة مركز للدعاوة ، ومن تورطهم للناخبين عند قيد أسمائهم لأجل الحصول على توقيعاتهم تزكيةً لمن يؤيدونه . ولما كانت مثل هذه التصرفات إن صحت مخالفة لواجبات الكاهن وكرامته وهى من غير شك من الوسائل غير المشروعة فإن المجلس الملى العام قد اتخذ كل ما يلزم من التدابير للمحافظة على حرية الأنتخاب وقرر إخلاء الغرف المعدة لقيد أسماء الناخبين والأماكن المحيطة بها من أى شخص لا صفة له فى عملية القيد . كما طالب المجلس الى حضرة صاحب النيافة القائمقام البطريرك بأن يمنع الكهنة جميعا من التدخل فى حرية الانتخاب بالتجائهم الى أساليب غير مشروعة للتأثير فى حرية الناخبين و بوجه خاص من استخدام سلطة رتبهم أو كنائسهم للترويج لمرشح معين أيا كان المرشح ، ومعاقبة من يثبت عليه الخروج عن هذا النهى .

كذلك اتصل بعلم المجلس من مصادر محترمة أن بعض من يروجون لترشيحات معينة و يعرضونها على الناخبين للتوقيع عليها بلغ من رغبتهم فى تأييد مرشحهم بجميع الوسائل أن خالفوا الأمانة وأكدوا للناخبين أن الترشيح للكرسى البطريركى مفروغ منه ومتفق على المرشح له بين المجلس الملى العام وجميع الهيئات التى يعنيها الأمر . وأن التزكية المعروضة لا تعدوا أن تكون إجراء شكليا محضا . فوقع الكثيرون منهم عن حسن نية وتصديقا لما قيل لهم .

والمجلس الملى يرى من واجبه أن يسارع الى التصريح بأن كل ما زعمه بعض الزاعمين من الاتفاق على مرشح معين من جانب المجلس أو من أية هيئة من الهيئات غير صحيح إطلاقا . ويكفى لنقضه من أساسه أن اللائحة قد فوضت أمر الترشيح للناخبين دون غيرهم ، وأنه إذا كان هذا الترشيح مما يكفى فيه اتفاق بعض الهيئات أو الجماعات لما كانت ثمة حاجة الى إصدار اللائحة .

و يصرح المجلس الملى العام بأنه الى الآن لا يناصر مرشحا معينا ولا يحارب مرشحا معينا . بل يكل الأمر الى ذمة الناخبين وضمائرهم وشرفهم . وكل ما دار عليه البحث فى المجلس هو مسألة مبدئية هى ما اذا كان يجب أن يكون المرشحون من الرهبان حتما أو أنه يجوز كذلك أن يكونوا من المطارنة . وقد رأى المجلس قبل أن يبدى فى المسألة رأيا نهائيا واستكمالا للبحث أن يعهد الى لجنة من أعضائه فى زيارة الأديرة ومعرفة حالة الرهبان فيها وعلى الأخص الرهبان



الذين شهد الكثيرون من بعض حضرات الآباء المطارنة ومن أفاضل أبناء الشعب ممن اختلطوا بهم وعرفوهم حق المعرفة بتقواهم وعلمهم وصلاحيتهم لتولى الكرسى البطريركى فيما إذا اقتضت إرادة الله أسناده الى أحدهم . ومتى تمت هذه الزيارات فإن المجلس الملى العام سيتقدم الى الأقباط بنتيجة بحثه و يعرض عليهم آرأه على سبيل النصيحة لأن فى عنقه نحو أمته واجب التنوير والإرشاد . وللناخبين بعد ذلك أن يتصرفوا فى الأمر بما توحيه عليهم حكمتهم ، والله المسؤول أن يرشدنا جميعا سواء السبيل ،،،

٨٥ــ فلقد نفذ الحريصون على التقاليد الوعد الذى ورد فى البيان بأن ذهب البعض منهم الى الأديرة كما كان يفعل بعض أجدادهم . كذلك تناقشوا مع نيافة الأنبا أثناسيوس لأنه كان ابرز المناصرين للرهبان . و بالفعل تقدم عدد من الآباء المطارنة بأسماء الرهبان الذين توسموا فيهم صلاحيتهم لهذه الكرامة العظمى .

ثم حدث ما كان يمكن اعتباره إعلانا إلهيا لو أن البصائر كانت متفتحة ــ وهو أنه كانت توجد آنذاك جمعية باسم « أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية » ــ ومقرها ٤ شارع بستان المقسى بالفجالة . وكان من أهم ما يشغل بال هؤلاء « الابناء » نشر اللغة القبطية بمختلف الوسائل ، وتعميم الخدمة الشماسية فى روائها . فدأبوا على وضع برامج لزيارة الكنائس المختلفة حيث يخدمون فيها كشمامسة مدربين .

وكان من أعضاء هذه الجمعية رجل حاز الدرجات العلمية مع التعمق فى العلوم الكنسية اسمه وديع سعيد . وقد عاش هذا الرجل متبتلاً مكرسا نفسه لخدمة الكنيسة فى محبة وتفان . وكان فى الوقت عينه من كبار موظفى الحكومة . فكان يرجع من مكتبه الحكومى الى الجمعية حيث يظل الى الصباح التالى . وكثيراً ما اشتاق الى الحياة الديرية ، ولكن زملاءه « أبناء الكنيسة » كانوا يلحون عليه بالبقاء . إذ من غيره سيبذل الجهد الجبار الذي يبذله هو؟ أليس راهباً بالمعنى الحقيقى وإن لم يكن عائشا فى الدير؟ وبهذا الإلحاح الجماعى حالوا دون تنفيذه رغبته فى ترك العالم . والواقع أن إلحاحهم كان فى محله ــ فكم من راهب عاش وسط ضجيج العالم منحته النعمة الالهية البركة والهدوء النفسى فمكنته من الرهبنة الأصيلة دون أن يلحق بدير؟ أما فى هذه الفترة بالذات ، فترة خلو الكرسى الباباوى ــ فإنهم رحبوا بتنفيذ رغبته فى أن يلتحق بدير القديس العظيم أنبا مكارى الكبير . و بذلك حقق وديع سعيد ما كانت تتطلع إليه نفسه منذ سنوات فأصبح الراهب داود المقارى .

واندفع زملاؤه بقوة محبتهم له وتقديرهم إياه الى إصدار نشرات كلها فرح وتهليل . ولكن

هذه الصيحة المتهللة كانت السلاح الذى شهره خصومهم فى وجه الرجل الهادىء الرزين وفى وجه مريديه . فردوا عليهم قائلين للشعب بأنه لم يدخل الدير حباً فى الرهبنه وانما دخله طمعاً فى الرياسة العليا . وليس ذلك فحسب بل إن المجلس الملى ــ فى أول جلسة له بعد ترهبن داود المقارى ــ أعلن بأنها غير شرعية ، متحديا بذلك أنبا إبرآم مطران البلينا ورئيس الدير وكل الآباء الذين وافقوا على رهبنته واشتركوا فى الصلاة عليه !

وهنا يحق لنا أن نتساءل : كيف أجاز العلمانيون لأنفسهم الحق فى رفض رهبنة أقرها الآباء ؟ ثم أيضا : كيف يدعى إنسان لنفسه الحق فى عدم الاعتراف برهبنة غيره ونحن نعرف يقينا أن الرهبنة هى تجاوب النفس الإنسانية لدعوة جاءتها من فاديها ؟ ألم يقل لنا رب المجد بأن هناك خصياناً خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله (١)؟

بعد كل هذه التساؤلات بقى علينا أن نعرف أن القانون الرسولى الذى سارت بموجبه كنيستنا أباح انتخاب العلمانى المتبتل الذى لم يدخل الدير إطلاقا للباباوية فى حين أنه حرمه تحريما قاطعاً على المطارنة والأساقفة . (٢)

إلا أن الذين ظلوا على ولائهم للقوانين التى تسلموها أباً عن جد استمرواهم أيضا فى بذل أقصى ما يستطيعون من جهد . فلم يأبهوا لقرار المجلس الملى وأعلنوا اعترافهم برهبنة دواد المقارى كما أعلنوا فى الوقت عينه ترشيحهم إياه للسدة المرقسية . وكان حبيب المصرى الزعيم بين العلمانيين المناصرين له . واستمر الفريقان فى مساجلاتهما التى كانت تتصاعد فى حدتها يوما بعد يوم لغاية ساعة الانتخاب .

وكان ابراهيم لوقا والمنياوي قد دبرا الخطة على إنجاح الأنبا يوساب بأية وسيلة . ولما كان الثانى وكيلاً للمجلس الملى فإنه كان يستلم بطاقات الانتخاب التى ترد الى الدار الباباوية سواء لانتقال أصحابها الى الدار الباقية أو لتغيير حدث فى عناوينهم . وهذه البطاقات التى لم يستلمها أصحابها والتى أعيدت الى أولى الأمر وزعها المنياوى بالاتفاق مع ابراهيم لوقا على أشخاص لا تجيز لهم لائحة الانتخاب أن يشتركوا فيه . وبالطبع كان هؤلاء جميعا من أعوانهم المضمونين . ولوجوب السرد الدقيق يجب أن يعرف القارىء أن مئة وثمانين بطاقة قد أعيدت

(١) متى ١٩ : ١٢

(٢) راجع ما جاء بصدد الجمع المسكونى الثانى فى حـ ١ ف ٤٢٣ ــ ٤٢٤ ، وما جاء عن البابا ميخائيل الأول فى حـ ٢ ف ٤٧٩ ــ ٤٨٢ ، وبعض ما دار قبيل انتخاب الأنبا مكاريوس الثالث فى ف ٤٧ من هذا الجزء ، والسجل الوارد فى آخر سيرة الأنبا كيرلس الخامس فى حـ ٥ من هذا الكتاب .



ووزعت بهذه الطريقة المعيبة . ثم إنهم هم بالذات لم يتورعوا عن الاعتراف بهذا الواقع أثناء مشاجراتهم مع الأنبا يوساب بعد أن فاز بالكرسى المرقسى !

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى طلبا من أعوانهما الساكنين على مقربة من الدار الباباوية أن يستضيفوا من يمكنهم ليلة الانتخاب ليستطيعوا الوصول الى مقر الانتخاب بسهولة .

ثم حدث أن إضرابا عاما فى كل وسائل المواصلات وقع فى يوم الانتخاب . وكان لإبراهيم لوقا صديق حميم فى الجيش هو الأمير الاى (١) باسيلى صدقى ، فطلب منه أن يستحضر ما يلزمهم من لوريات الجيش لنقل مؤيدى الأنبا يوساب فقط . وبالفعل تم له ما يريد .

وبهذه الوسائل مجتمعة فاز المطران الجرجاوى بالسدة المرقسية ــ ومع ذلك لم يفز إلا بأغلبية مئة وثمانين صوتا !

٨٦ ــ وهنا يفور داخل النفس سؤال يفرض المواجهة : سؤال محير للكثيرين سؤال هو: هل هذه إرادة الله ؟ وإن لم تكن إرادته فلماذا سمح بما جرى ؟ إذن وجب أن نحاول تفحص الإجابة . إن الله فى حكمته اللامدركة قد منح الانسان حرية الاختيار ، بمعنى أنه حين أوصى آدم وحواء بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لم يقم بينهما أى حاجز غير وصيته . فهل كان الله يريد سقوطهما ؟ طبعاً لا : فهو الذي يريد أن الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (٢) . ولكنه يريد من الإنسان أن يختار بمحض إرادته من غير إقحام . ولأن الله أحب الانسان حتى بذل ابنه الوحيد لأجل افتدائه فقد أعطاه حق الاختيار حتى لو اختار طريق الشر .

ولنذكر مثلا آخر أقرب الى حالتنا تلك التى جرت سنة ١٩٤٦ . لقد عاش بنو إسرائيل تحت حكم القضاة الذين كان يقيمهم لهم ربهم . وحينما تولى صموئيل النبى رعايتهم جاءوه يوماً طالبين إليه أن يمسح لهم ملكا . وغضب صموئيل وأفهمهم أن طلبهم هذا خروج عن طاعة الله . فماذا قال له الله ؟ أمره بإقامة ملك مؤكداً له : إنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا (٣) . فقبل الله تحقيق طلبهم مع أنه رفض له تعالى .

ولماذا نذهب بعيداً ؟ إن فادينا الحبيب حين بكى على أورشليم قال فى توجعه : « ... كم مرة أردت ... ولم تريدوا ... » (٤) إذن فقد أعطانا الله الأمثلة على أن الناس كثيراً ما

(١) هذه الرتبة العسكرية أصبح اسمها الآن « عميد » .

(٢) اتيموثيوس ٢ : ٤

(٣) راجع ١ صموئيل ٨

(٤) متى ٢٣ : ٣٧

يسيرون فى طريق لا يريده ، ومع ذلك فهو يسمح لهم بالعمل وفق إرادتهم المضادة لإرادته .

فما الفرق بين الإرادة والسماح ؟ لقد فسر أحد الآباء هذا الفرق لسيدة مازالت على قيد الحياة بقوله : « أتاك ابنك الشاب ذات ليلة وقال لك سأسهر مع بعض أصدقائى . وكان البرد ليلتذاك شديداً والمطر يهطل . فقلت له : « يا ابنى — أجل السهر الى ليلة أخرى لأنى أخشى أن تصاب بالانفلونزا إن سهرت الليلة ؟ ولكنه أصر على الخروج . فهل تستطيعين منعه بالقوة ؟ طبعاً لا . فتركته يخرج على الرغم من أنك لا تريدين خروجه . إذن فقد سمحت له بالخروج فقط . وهذه هى معاملة الله لنا . ان يعلمنا و يوجهنا . فإن أطعناه فعلنا إرادته . وإن عصيناه احترم حريتنا وسمح لنا بذلك » .

.... ليعذرنى القارىء لهذا الإسهاب الذى لابد منه . لأن القلق والتوتر والأحداث الموجعة التى أصابت الكنيسة من مايو سنة ١٩٤٦ إلى نوفمبر سنة ١٩٥٦ لا يمكن أن تكون مما أراده الله . لقد سمح له المجد لرؤساء شعبه أن يتصرفوا تبعا لأغراضهم الخاصة ولإرادتهم الشخصية لعلهم يرجعون الى نفوسهم كالابن الضال و بالتالى يرجعون الى أبيهم الرؤوف المتحنن ... و بعد هذا الإسهاب نعود الى متابعة الأحداث .

٨٧ — لقد رأت عينا « اقلاديوس » النور فى قرية دير النغاميش (١) (مركز البلينا) حوالى سنة ١٨٧٥ . وكان أبواه متواضعين ولكنها خائفا الله . فوجهاه منذ نعومة أظفاره التوجيه المسيحى . واستجابت روحه لهذا التوجيه فحفظ المزامير كما سعى الى معرفة كل ما يستطيعه عن الكنيسة وتعاليمها وطقوسها . ولدأبه على هذا السعى استطاع أن يعى الكثير وهو لم يزد على الخامسة عشرة . وعند ذاك غمره شوق الى الرهبنة فذهب الى عزبة دير الأنبا أنطونى ببوش . وهناك تولاه الشيوخ بالرعاية لما لمسوه فيه من غيرة وذكاء . و بعد سنتين من هذه الحياة ألبسوه الاسكيم باسمه الأصلى بعد أن أخذوه الى الدير فى الصحراء الشرقية . وفى رحاب أبى الرهبان وجد الفرصة متسعة لإشباع رغبته فى المعرفة : فكان يقضى الساعات الطو يلة غارقاً فى مخطوطة قديمة أو كتاب تاريخى أو تعاليم الآباء ولما كان البابا الوقور كيرلس الخامس محباً للعلم — كما سبق ذكره — عطوفاً على الرهبان أرسل يطلب الراهب اقلاديوس الأنطونى حالما سمع عنه . ولما التقى به وحادثه سر من يقظته وسرعة إدراكه لذلك أرسله ضمن الرهبان الذين بعث بهم الى أثينا ليتلقى مزيداً من العلم هناك (٢) . فلم يتضلع من العلوم اللاهو تيه فقط بل برع أيضا فى اللغتين

(١) من نعمة الله على هذه القرية الصغيرة أن وُلد بها ثلاثة من أحبار الكنيسة فى أواخر القرن التاسع عشر وهم : ١ — الأنبا يوساب ، الأنبا كيرلس مطران الامبراطورية الاثيوبية ، الأنبا ايساك مطران كرسى الفيوم . وقد ترهبن ثلاثتهم فى دير أبى الرهبان .

(٢) راجع ف ٤٧ من جزء هذا الكتاب .



اليونانية والفرنسية فكان يجيدهما باللسان و بالبيان . ومما زاد فرح البابا كيرلس الخامس أن الراهب اقلاديوس لم يحمل معه الشهادة العلمية وحسب بل حمل معها أيضا رسالة من مدير مدرسة ريزاريوس — التى تعلّم بها — بأدبه الجم وجده واجتهاده . وكان ذلك سنة ١٩٠٢ . وما إن عاد الى وطنه حتى عينه رئيس دير الأنبا أنطونى لفوره وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة . فظل فى عمله هذا الى سنة ١٩٠٥ إذ أرسل الأنبا تيموثيئوس مطران القدس يطلبه وأسند إليه وكالة الدير ببافا . وخدم فى تلك المدينة التى تلقن فيها بطرس الرسول أن ما طهّره الله لا يدنسه إنسان (١) . خدم بأمانة ومثابرة خمس سنوات رأى الأنبا تيموثيئوس بعدها أن يقيمه رئيساً عاما على أديرة القبط بالقدس وسائر بلاد فلسطين . وفى هذه الفترة استخدم القمص اقلاديوس معرفته باليونانية لتوثيق العلاقة بين كنيسته الأم والكنيسة التى تلقى عنها العلم . كذلك استخدم اللغة الفرنسية فى التفاهم مع رؤساء الكنائس المختلفة التى تزخر بهم الأراضى المقدسة . ولقد أعجب الجنرال ستورس الحاكم الانجليزى للقدس آنذاك بمجهوداته الى حد جعله يكتب الى صديقه مرقس باشا سميكه (٢) يثنى الثناء المستطاب عليه و بخاصة على حسن تصرفه فى معالجة الأمور .

٨٨ — ثم شغر كرسى جرجا والبلينا سنة ١٩٢٠ فرأى البابا كيرلس الخامس أن خير من يشغله هو الراهب اقلاديوس الأنطونى . إلا أن عائلة البطارسة — وهى أكبر عائلة فى البلينا — أعربت عن رغبتها فى فصل مدينتهم عن جرجا ليكون لهم مطرانهم الخاص . فأقرهم البابا الوقور على رغبتهم . وتقديراً منهم لقداسته قدموا الدار اللازمة لسكنى المطران وكل ما تستلزمه المطرانية الناشئة من مصروفات . و بناءً على هذا الوفاق رسم البابا كيرلس مطرانين : أحدهما اقلاديوس الأنطونى على جرجا باسم الأنبا يوساب فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ، وثانيهما الراهب فيلوثيئوس المقارى على البلينا باسم الأنبا ابرآم فى ٣ مارس سنة ١٩٢١ .

وما إن تسلّم الأنبا يوساب مسئولية رعاية شعب جرجا حتى بدأ بافتقاده ليعرف مدى احتياجاته بالضبط . و بعد هذا الافتقاد الراعوى بنى المدارس الأولية (٣) والابتدائية والثانو ية . ثم شيّد كنيسةً فخمة بنى الى جانبها الدار المطرانية . وفوق هذا كله فقد انشغل بمصالحة العائلات المتخاصمة ، كما انشغل بتوضيح العقيدة الأرثوذكسية .

٨٩ — ثم آل الكرسى المرقسى الى الأنبا يؤنس . و بعد أن استقرت به الأمور قرر أن يقوم بزيارة افتقادية لاثيوبيا ، وأن يستصحب معه بعض إخوته المطارنة . فوقع اختياره على الأنبا

(١) أعمال ١ : ٩ — ١٦

(٢) شغل عدة مناصب حكومية كما كان عضواً بالمجلس الملى ومديراً للمتحف القبطى

(٣) حينما كان التعليم الابتدائى والثانوى بمصروفات أنشئت المدارس الأولية للتعليم المجانى .

لوكاس مطران قنا وقوص (١) والأنبا يوساب . وكان هذا الاختيار من توفيق الله لأن كليهما يتكلمان الفرنسية بطلاقة ــ وهى اللغة الأجنبية التى كان يستعملها الاثيوبيون ــ فقد كانا ضمن الرهبان الذين أوفدهم البابا الوقور كيرلس الخامس للاستزادة من العلم فى أثينا . وكان الأنبا يوساب بالذات معروفاً للاثيوبيين عن طريق خدمته بالقدس ، وحينما طالبوا الأنبا يؤنس برسامة مطران لهم اقترحوا أن يكون المطران الجرجاوى . ولكن الأنبا يوساب هو الذى رفض اقتراحهم معتذراً لهم بأن القوانين الرسولية التى حافظت عليها الكنيسة القبطية لا تبيح نقل أسقف من كرسى الى آخر . (٢)

ولقد كانت الزيارة الباباوية فى يناير سنة ١٩٣٠ ، وفى أبريل من السنة عينها تنيّحت الامبراطورة زاوديتو فانتقل العرش الاثيوبى الى الملك تفرى . ولكى يصبح هذا الملك الامبراطور الشرعى المقبول من الشعب يجب أن يتوجه مندوب عن البابا المرقسى فيمسحه بالزيت المقدس قبل وضع التاج على رأسه . ولما كان واضع التاج هو وحده الذى يستطيع سحبه فإن الأباطرة الاثيوبيين لم يستأمنوا على تتويجهم الا البابوات المرقسيين . فانتدب الأنبا يؤنس ال ١٩ الأنبا يوساب ليسافر الى اثيوبيا و يشترك مع الأنبا كيرلس مطرانها فى إقامة شعائر التتويج التى تمت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ . وبهذا التتويج أصبح الملك تفرى الامبراطور هيلاسلاسى .

٩٠ ــ ولما فاز الأنبا يوساب هلل ابراهيم لوقا والمنياوى لهذا الفوز زاعمين أنهما سيصولان ويجولان مع الخليفة المرقسى الجديد كما فعلا مع سابقه ، و بخاصة لأنهما تصوراه ضعيف الإرادة وبالتالى ينجحان فى تسييره تبعاً لإرادتهما ! ألم يبذلا الجهد حتى أوصلاه الى الرياسة العليا ؟! كذلك تخيلا أنه تعوزه الدراية الكافية فيما يتعلق بالشئون الإدارية والمالية . وفاتهما ــ كما يفوت للآن على غيرهما ــ أن الله يعطى فهماً وحكمة من عنده للمسئولين عن كنيسته (٣) حتى إن تناسوا القوانين الكنسيه ماداموا لم يتناسوا الارتكان عليه . وكان المنياوى مازال وكيلاً للمجلس

(١) كان ذا صوت عذب شجى ، كما أن البابا الوقور كيرلس الخامس قدمه لسعد زغلول حينما طلب اليه هذا الزعيم الشعبى الكبير أن يعين من ينوب عنه فى عضوية مجلس الشيوخ ( الشورى ) .

(٢) هنا يحق لنا أن نتعجب ــ فهذا المطران متعلم ، وهو على وعى بالقوانين الكنسية الى حد أنه رفض أن يترك ايبارشيته ليكون مطرانا على اثيوبيا التى كانت من غير شك أكبر مكانة عالمية من جرجا . هذا كان سنة ١٩٢٩ . فما الذى جعله يرشح نفسه للباباوية ويسعى جهده فى الوصول إليها بعد ذلك بخمس عشرة سنة ! ؟ أليست الباباوية أسقفية أيضا ؟ ألا تتطلب من المطران المقيم بها أن يترك شعبه للمسئولية الجديدة ؟ والأهم من هذا كله ــ أليست الشعائر التى تقام لرسامة البابا هى التى تقام لرسامة الأسقف ؟

(٣) يحفل تاريخ كنيستنا الأمثلة العديدة عن الحكمة التى قابل بها آباؤنا رؤساء هذا العالم مشتين قول رب المجد ( متى ١٠ : ١٨ ، مرقس ١٣ : ١١ ، لوقا ٢١ : ١٤ ــ ١٥ ) . ونكتفى هنا برجاء القارىء أن يعود الى ف ٤٣ من سيرة البابا الوقور كيرلس الخامس والهامش ( ١ ) التابع لها ــ وذلك فى جزء من هذا الكتاب .



الملى فسعى لدى الأنبا يوساب واستصدر منه أمراً بتعيين القمص إبراهيم لوقا وكيلاً عاما للبطريركية . وهكذا كانت البداية بالنسبة لهما بداية أدخلت الطمأنينة على قلبيهما . واستكمالاً للوصول الى جعل سيطرتهما عليه من دون منازع أخذا يعملان على إقصاء كل من تحوم حوله شبهاتهم بحجة أن هؤلاء هم بطانة السوء . ولم يعملا حساباً لإمكانية الفشل زعماً منهما أن الفوز سيلازمهما حتما ! ألم ينجحا فى السيطرة على البابا الجليل مكاريوس مع أنه كان ذا شخصية جبارة ؟ فكيف يفشلون فى السيطرة على البابا يوساب وهو فى زعمهم ضعيف الإرادة ؟ وبهذا الغرور المتزايد تزايد استبدادهما ...

وفوجئا بإصرار الأنبا يوساب على الرفض البات لتسليمهما إدارة الأوقاف و بتصميمه الأكيد على أن هذه الإدارة من حق رؤساء الأديرة ! لقد تولوها من البداية وظلت تحت إدارتهم تتزايد حجما ودخلا ــ فلماذا يتسلمانها الآن ؟

واستعملا مع قداسته الحجة عينها التى جرحا بها عزة البابا الجليل مكاريوس : أليساهما اللذان أوصلاه الى الكرسى الباباوى ؟ ولولاهما لفشل ! ولكن جهدهما ضاع عبثا . فذكراه بأن سلفه العظيم قد وافقهما وأعطاهما موافقته كتابة موقعا عليها منه . أجابهما إنه غير مرتبط بوثيقة وقع عليها غيره . وهذا التصميم من قداسة البابا قابلاه بمزيد من التعنت و برفع القضايا ضده أمام المحاكم المدنية . على أن نعمة الله ظهرت فى أن كل قضية رفعاها ضده جاء الحكم فيها ضدهما ! ومع ذلك لم يرتدعا !

ولما أعيتهما الحيل سحب المنياوى أموال البطريركية المودعة فى البنك وتجاسر على إيداعها فى بنك آخر باسمه الخاص ! وفى هذا العمل رُفعت دعوى ضده أمام مجلس الدولة فأصدرت حكمها لصالح البطريركية.

و بأزاء كل هذا الفشل المتلاحق سعيا الى استفزاز بعض المجالس الملية الفرعية ضد مطارنتهم ! وهنا أيضا فشلوا . لأنه حتى الذين أطاعوهما وجدوا مقاومة من الشعب ــ هذا الشعب الذى عاش خلال المحن تحت رعاية آبائه فانسابت هذه الرعاية فى دمائه انسياب الحياة نفسها . فلما جاء دوره عبّر عن عرفانه لهم بمساندتهم ضد من يريدون إضعاف كرامتهم .

ومن الموجع حقا أنه على الرغم من الفشل الذريع استمر المنياوى بمساندة ابراهيم لوقا فى خطة التهجم على الآباء وإشاعة أقاويل عنهم يندى الجبين لمجرد ذكرها ! ولقد فاتهما أن السهام التى يطلقونها ضد الآباء يستطيع خصومهما أن يردوها الى صدورهم ! وهذا الارتداد للسهام نجده واضحاً فى ما يلى :

## « سرخة » .... مودرن !

عندما نشرت جريدة مصر منذ أيام أن جناب القمص ابراهيم لوقا وكيل البطريرك قد رفض أن يتقاضى مرتباً عن أعماله فى الوكالة ، كان بعزمنا أن ننقل عنها هذا الخبر مشاركة لها فى الاشادة بمآثر الأب المحترم . ولكن ظريفاً ممن يعرفون جنابه استبعد صحة هذا الخبر واستمهلنا ريثما يأتينا بوثيقة تدل على أن خبراً كهذا بعيد التصديق . وأيد كلامه بأن تحت يده خطاباً بعث به القمص ابراهيم لوقا إلى أحد الأعيان بمناسبة عيد الميلاد و يطلب فيها ارسال « معايده » كعادته فى كل سنه .

وإلى جانب هذا الكلام صورة زنكوغرافية للخطاب المشار إليه .

والآن سؤال نوجهه إلى جناب الأب المحترم وهو :ـــ

الديه ما يطعن فى صحة هذا الخطاب وصحة التوقيع ؟ وثم سؤال آخر أما يرى جنابه أن فى طبعه هذا الخطاب ما يدل على أن لديه عشرات منه وانه اعتاد ارسالها إلى الخيرين فى المواسم والأعياد ؟

وسؤال ثالث أليس فى طلبه هذه المعايده « لشخصه الكريم » ما ينفى كل ظن أو احتمال بأنها إعانه للكنيسة أو لأية مؤسسة خيرية يرعاها جنابه ؟

ثم ماذا يعنى « بالجولة الواسعة » المذكورة فى خطابه أيعنى بها « سرحة » كتلك السرحات التى يقوم بها بعض وكلائه من الكهنة لجمع المعلوم فى المواسم والأعياد ، ونحن نعلم أن عملا كهذا كان موضع انتقاده دائما .

والآن ، وبعد هذا كله ، أيصر جنابه على صحة ما نشرته الجريدة المشار إليها من أنه تنازل عن مرتبه فى منصب الوكالة ؟

هذه أسئلة نرجو أن نتلقى عنها جوابا يبعث الطمأنينة فى نفوس أصدقائه المعجبين به والملتفين حوله .

وختاماً ندعو لجنابه بأن يزيده الله من نعمه ، ويجعل أيامه كلها .. أعياداً ومواسم ...

« الديدبان »



مصر الجديدة فى ٦ يناير سنة ١٩٤٦

حضرة

سلاماً وتحية واحتراماً ارجو لكم من الرب بركة وصحة وسلاماً لخادم الرب حق عليك ايها الحبيب لمناسبة عيد الميلاد المجيد وكنت أود ان أمر بنفسى لأقدم تهانى بالعيد السعيد واتقبل شخصياً ما تسمح به نفسكم الكريمة لهذه المناسبة السعيدة ولكن الوقت يضيق عن القيام بمثل هذه الجولة الواسعة واكون شاكراً لو تفضلتم بارسال المعايدة التى ترغبون تقديمها لشخصى الضعيف . اما قيمتها فمتروكة لتقديركم السليم والرب يباركم ويمتعكم بكل هناء وسلام وكل عام وانتم بخير تام ،

المخلص

القمص ابراهيم لوقا

جناب الآب الموقر القمص ابراهيم لوقا

ارجو قبول المبلغ المرفق بهذا وقدره _____

لمناسبة عيد الميلاد المجيد ،

التوقيع

الاسم والعنوان : _____

_____ (١)

(١) « الأنوار » ـــ الأحد ١٢ مسرى سنة ١٦٦٢ ـــ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٦ ، واثباتاً للواقع أقول إن أبانا القمص متى المسكين ـــ عند مراجعته لهذا الجزء ـــ اقترح عدم تسجيل هذا الخطاب . على أن القمص ابراهيم لوقا قد تسبب فى الكثير من الأذى للكنيسة كما هو واضح للقراء ، ولا يزال مشايعوه للآن يجعلون منه « بطلا » ، لذلك تركت هذا الخطاب كشاهد على بعض ما أتاه الكاهن الذى كان خادماً للكنيسة التى تحمل اسم الكاروز العظيم بمصر الجديدة .

٩١ــ ولم يكن القلق من نصيب الكنيسة فقط بل إنه عمّ مصر كلها أيضا ــ فقد تفشت الكوليرا فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ بعد أن كان المصريون قد نجحوا فى تطهير بلادهم منها تماما مدة خمس وأربعين سنة . وبما أنها ظهرت أول ما ظهرت فى منطقة القناة ، وبما أن الجيش الانجليزى كان قد اضطر تحت ضغط المقاومة المصرية الى الجلاء عن مصر فلم تبق غير بقية منه فى محافظات القناة ، فقد أشار أصبع الاتهام إليهم . ولقد بذلت السيدات المصريات جهود الجبابرة للقضاء على هذا الوباء بأسرع ما يمكن ونجحن بحمد الله (١) .

ثم اجتمع أعضاء الاتحاد النسائى المصرى برياسة السيدة هدى شعراوى وتداولن معاً ، وبعدها أرسلن نداءً الى هيئة الأمم (بالفرنسية) (٢) وترجمته كما يلى :

١ــ إن أول من ظهر عليه المرض هم العمال بالثكنات الانجليزية فى التل الكبير .

٢ــ حالما ظهر المرض على حسن خير الله وعلى ابنه فى ٢٠ سبتمبر طردت القوات الانجليزية جميع العمال المصريين ــ وعددهم أربعة آلاف وثمانية مئة ــ من غير تفكير فى صحتهم ولا فى مصيرهم .

٣ــ ولم تكتفِ السلطات الانجليزية بالتخلى عن هؤلاء العمال من غير معونة ولا مأوى وبالتالى بالحكم عليهم بالموت المحقق ، بل إنها لم تكلف نفسها إخطار السلطات المحلية بظهور الكوليرا لتتخذ الإجراءات الضرورية لمنع تفشى الوباء . فالسلطات الانجليزية لم تقترف إثما ضد أفراد معينين فحسب وإنما أوقعت نفسها أيضا تحت عبء مسئولية خطيرة نحو الشعب المصرى الذى يتساقط منه يوميا عدد متزايد ــ مسئولية أمام العالم كله الذى لن يلبث حتى يحس بردود فعل عنيفة .

٤ــ وجيش الاحتلال البريطانى يتهرّب من كل تفتيش صحى وإدارى بعدم خضوعه للوائح الدولية التى تحتّم تفتيش كل المسافرين تفتيشا تقوم به السلطة المحلية . وبهذا التصرف الشاذ سهّلت التجارة بالمخدرات .

٥ــ وإن الأطباء الأخصائيين والمؤسسات الصحية فى العالم كله ــ فى اجتماعهم بجنيف ــ قد وصلوا الى أن وباء الكوليرا قد أثير فى مصر وأن « أغلب الظن أن إثارته قد جاءت من مصدر للعدوى مستورد من الهند » حيث أن هذا المرض من الأمراض المتوطنه هناك .

ومما تقدّم نقرر أن وجود جنود بريطانيين فى مصر ليس إهدار للكرامة القومية المصرية فقط ، بل إنه خطر مستديم على الحياة وعلى الأمن فى وادى النيل .

---

(١) فى خطاب المصرى ف ٢٢

(٢) الأصل الفرنسى وارد فى آخر الكتاب مع الملاحق



لهذا فنساء مصر يناشدن الرأى العام العالمى ، وعلى الأخص هيئة الأمم المتحدة التى قدّمت كل ما يمكن من معونة مادية ومعنوية فى هذه المحنة القاسية ــ يناشدنها الى معاونتها على التحرر من الاحتلال البريطانى الذى لا يعوق الانطلاق السياسى والاقتصادى والاجتماعى فقط بل هو أيضا سبب مستمر للاضطراب ولتهديد المستقبل .

٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧

هدى شعراوى

رئيسة الاتحاد النسائى المصرى

٩٢ــ كذلك حدث فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٦ أن أصدر محمد كامل مرسى باشا وزير العدل بيانا عن ترقيات رجال النيابة والقضاء أشار فيه الى نسبة الأقباط فيها وقد أثار هذا البيان النفوس حتى لقد قال البعض إن وزيراً مسئولا يعترف فى بلاغ رسمى بأن الحكومة تسير على مبدأ التفرقة بين المواطنين ــ كأن الأقباط والمسلمين ليسوا أمة واحدة !

ولقد شاء قداسة البابا يوساب أن يعبّر عما أصابه وأصاب أولاده من ألم لهذا البيان فطلب الى حبيب المصرى أن يرد عليه . وطوعاً للإرادة البابوية وضع مذكرة ضافية فى هذا الموضوع ضمّنها الكثير من الأمثلة التاريخية عما أداه القبط من خدمات لوطنهم الحبيب مصر . ثم أوضح خطورة بيان وزير العدل على وحدة الأمة المصرية ، وطالب رئيس الوزراء بإصدار بيان يصحح فيه موقف الوزير . وقد رفع صورة من هذه المذكرة الى جلالة الملك مكرراً ما قاله فى خطابه الى رئيس الوزراء بأن يكون المصريون أمة واحدة وصفا واحداً . (١)

ومن نعمة الله أن استجاب المسئولون آنذاك لهذا الطلب .

٩٣ــ على أن الله يخترق بنوره العجيب كل ظلمة ــ ففى فترة القلق هذه بدا شعاعه بأن انتدب وهيب جورجى (٢) مدرس الدين بالكلية القبطية بالخرطوم ليقوم برحلة فى أنحاء السودان ليتفقد فيها بصفة خاصة الأماكن غير المطروقة وليقف بنفسه على الحالة الروحية للقبائل التى كانت حتى ذلك الوقت بدائية وثنية . فقضى فى هذه الرحلة ما يقرب من ثلاثة أشهر عاش خلالها بين هذه القبائل ــ وهى قبائل الشلوك والدنكا والهدندوة ونيام نيام . فدرس فى معيشته معهم حالتهم الروحية والاجتماعية كما ركز على الحياة العائلية . وبعد هذه الدراسة المُعاشة وضع

---

(١) جريدة الأنوار عدد ٦ اكتوبر سنة ١٩٤٦ ــ وهذه الجريدة كانت أسبوعية تصدرها جمعية أبناء الكنيسة تحت إشراف الراهب القس داود المقارى .

(٢) هو الآن دكتور وأستاذ فى الكلية الاكليريكية بالأنبا رويس .

تقريراً مفصلاً عن كل ما اختبره ، ورفع هذا التقرير الى قداسة البابا والى أعضاء المجلس الملى العام فى منتصف سبتمبر سنة ١٩٤٦ . وقد رأت جريدة « الأنوار » نشر هذا التقرير لأهميته ولكى يعرف القبط الجهود التى يبذلها الباباوات المرقسيون فى خدمة شعبهم المتناثر فى بقاع مختلفة . وقد نشرت هذا التاريخ فى ثلاث مقالات تباعاً ابتداء من ٢١ سبتمبر .

وبترابط الأفكار فى الذهن رأى المسئولون عن الجريدة وجوب العمل على تزويد القبط بمعرفة أوسع عما تؤديه الكنيسة فى السودان . فأخذت تنشر أخبار هذا القطر الشقيق من حين الى حين ، ومثل هذا النشر كان نعمةً ألهمهم الله إياها حتى لا يقول أحد ما سمعنا (١) عن اهتمام الكنيسة القبطية بربيبتها السودانية . ومن هذه الأخبار المفرحة خبر تكريس كنيسة فى شندى باسم الشهيد العظيم مارجرجس ، وقد وصف المراسل هذه الكنيسة بقوله :

لقد تم إنشاء هذه الكنيسة الحديثه على أحسن طراز وعلى موقع يُعد من أحسن المواقع بمدينة شندى ، تقع عند مدخل المدينة وعلى محطة السكة الحديد بها لا يفصلها عن فناء المحطة الا شارع عرضه ١٥ متراً . ولذلك فهى أول ما تقع عليه عين المسافر سواء كان متجها شمالا الى حلفا أو جنوبا الى الخرطوم إذ تطالعه هذه الكنيسة بلونها الأبيض الناصع وقبتها المرتفعة الفضية التى تتلألأ مع نور الشمس فتخطف الأبصار و ينشرح لها قلب المرء و ينطلق لسانه بالتمجيد لأسم الخالق العظيم .

تم أضاف المراسل أن نيافة المطران ــ الأنبا باخوميوس ــ قصد الى مدينة شندى يوم الخميس ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وقضى يوم وصوله واليومين التاليين فى تفقد شعبه يصحبه راعيهم القس ابراهيم عبد الله وجمع من الشمامسة والشعب . وفى مساء السبت ذهب الراعى والرعية ــ جميعا الى الكنيسة حيث بدأ الأنبا باخوميوس صلوات التكريس . و بالطبع قضى الشعب المتهلل مع راعيه الليل كله فى الصلوات والتسبيح التى وضعها لنا الآباء لمثل هذه المناسبة فلما انبثق فجر يوم الأحد ٢١ ديسمبر أقام نيافة المطران قداساً حبريا كان القمة للشعائر المقدسة التى استغرقت الليل كله . فكانت هذه الصلوات والتسابيح بداية البهجة لشعب شندى الذى منحته النعمة الالهية أن يرى حلماً من أحلامه قد تحقق .

ولقد كانت هذه الأخبار استمراراً فى خطة الراهب القس داود المقارى التى يهدف منها الى توعية الشعب القبطى . إذ أنه منذ أن نشر تقرير وهيب جورجى وَالىَ نشر أخبار مختلف الأنشطة

(١) هذا التعبير قاله مؤلفو كتاب « الأنبا مكاريوس الثالث » عند تحدثهم عن اثيوبيا !



الكنسية فى السودان . ومن هذه الأنشطة ما كان قد قدمه عن مدارس الأحد فى العدد الصادر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٦ :

تلقت « الأنوار » من مراسلها بالعطبرة الرسالة التالية :ــ

يقول سليمان الحكيم ــ رب الولد فى طريقه فتى شاخ لا يحيد عنه ( ام ٢٢ : ٦ )

فقد انشئت بعطبره مدارس الأحد للبنين فيجتمع طلبتها فى فصول مدرسة الأقباط المصرية وقد تمجد اسم الرب فزاد عددهم الى درجة ١٢٠ مقسمين الى خمسة فصول تلقن اليهم دروس الدين بواسطة حضرات الأفندية : صموئيل حنا . رزق الله بولس . موريس سمعان . موريس قلدس . وهيب برسوم . خليل أمين . نظير غبريال . متى توفيق . تحت إشراف جناب الأب الورع القمص يوسف قزمان راعى كنيسة العذراء مريم و يعاونهم حضرة ناظر المدرسة ومعلم الكنيسة فريد تكلا ( فى الألحان والأناشيد )ــ ومما يسرنا ان هذه الهيئة تعمل بهمة لا تعرف الكلل فى روح هادىء مضحين بكل أوقاتهم فى سبيل هذه المدرسة .

صورة تلاميذ مدارس الأحد للبنين ( القسم الثانوى )

ولم يكن نصيب الفتيات أقل من نصيب الأولاد فى هذا الشأن فقد أنشئت مدرسة الاحد للبنات .

و يسرنى أن أسجل بكل فرح ذلك النجاح الباهر الذى أحرزته تلك المدرسة تحت اشراف جناب الأب الورع القمص يوسف وحضرة سكرتيرة الجمعية الآنسة وداد فاخورى والقائمات بخدمة التدريس هن حضرات الأوانس : سنيه أيوب.نظيره أرمانيوس . هناء عبد المسيح . وهيبه فهمى .

وقد نشطت مدارس الأحد للبنات والبنين فأقيمت عدة حفلات دينية لمناسبات شتى وفى هذه الحفلات جنى شعب عطبره الكريم ثمارها بمئات الايات التى حفظها الفتيان والفتيات ورددت فى هذه المناسبات ووزعت الجوائز للتشجيع والآن يعدون العدة للاحتفال بانتهاء العام الدراسى .

صورة تلميذات مدارس الاحد ( أحد فصول الروضة )

وقد خصص ظهر كل يوم أحد لاجتماع الفرقتين لتفسير كلمة الله مؤيدة بأشرطة الفانوس السحرى وتوزيع دروس مدارس الأحد لجمعية افتقاد القرى القبطية بأسيوط ( التى لها الفضل الأكبر فى هذه المدرسة لامدادها بالصور والدروس والهدايا باختلاف أنواعها ) .

وأولاد اليوم هم رجال المستقبل وبنات اليوم هن أمهات الغد فكلنا نرجو أن يكون مستقبل بنيننا وبناتنا أفضل مما نحن فيه وأسعد حالا منا فلا تتحقق هذه الامنية إلا إذا غرسنا فى الطفل المبادىء القويمة وعودناه الأخلاق السجية الكريمة فما علينا إلا أن نضع نصب عيوننا مدارس الاحد وتشجيعها ــ وفق الله الجمعيتين الى ما فيه خير الكنيسة ،

مدارس الأحد
لطيف توفيق
بعطبره ( سودان )

ويجب أن لا ننسى ــ ونحن فى صدد الحديث عن الجهود البنّاءة ــ أن نعود الى مصرنا الحبيبة فنذكر استمرار هذه الجهود وبعض الثمار التى واتتها . ومن هذه الجهود أن جمعية السيدات



القبطية لتربية الطفولة ( ١ ) قد انتشرت مدارسها وتصاعد نشاطها . ومن هذا النشاط أن كل مدرسة كانت تقدم حفلة تختتم بها العام الدراسى ( ٢ ) . وفى ١٣ يوليو سنة ١٩٤٧ أقامت مدرسة السيدة العذراء بمهمشة حفلتها السنوية المعتادة التى كانت تلك السنة تحت رعاية الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا . وقد رأى ناظر المدرسة ( ٣ ) ومعاونوه أن تكون هذه الحفلة اختتاما للسنة وافتتاحاً لجريدة يصدرها تلاميذ المدرسة وتلميذاتها ، فوزعوا العدد الأول من جريدتهم هذه « الحصاد » على الحاضرين فى الحفلة إذ قد طبعوا فى آخرها برنامج حفلتهم . وللقارىء صورة هذا العدد الأول :

٦ بؤونه سنة ١٦٦٣ ش العدد الأول السنة الأولى ١٣ يونية سنة ١٩٤٧ م

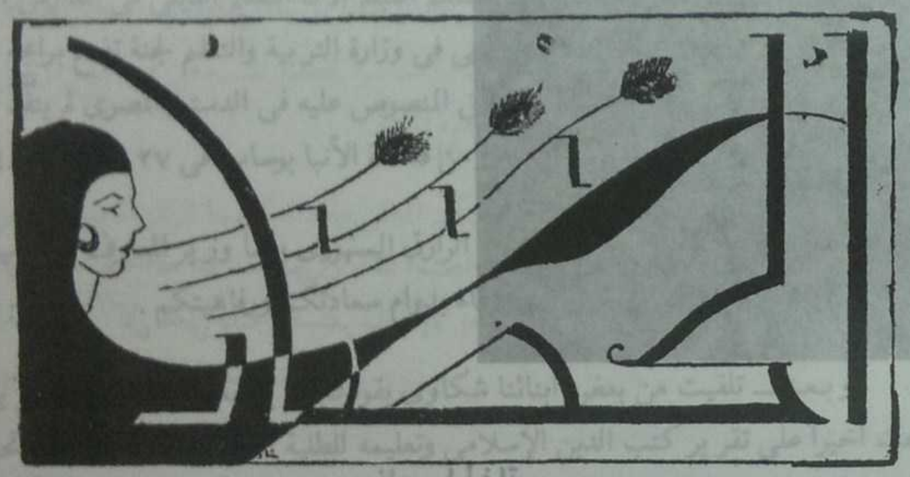


فقَالَ لهم إن الحصاد كثير اما الفعله فقليلون اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده لو ١٠ :

( ١ ) راجع ف ٣١ ــ فى سيرة الأنبا يؤنس الـ ١٩

( ٢ ) راجع أيضا ما جاء عن إحدى هذه الحفلات فى ف ٣٦ ( ٩ ) بصدد الحديث عن الأنبا تيئوفيلس مطران الكرسى الأورشليمى .

( ٣ ) هو الآن القمص ميخائيل داود راعى كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج ــ وهى الكنيسة التى كان للراهب القس داود المقارى النصيب الأوفر فى بنائها .

## صحيفة مدرسة مهمشة القبطية

### إهداء الصحيفة

إلى التى كان لها الفضل الأكبر فى افتتاح المدارس القبطية وتدعيمها : صاحبة الفضل السيدة الجليلة مدام نجيب باشا غالى رئيسة جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة تقدم هيئة تحرير الحصاد باكورة إنتاجها اعترافا بغامر فضلها و بيض يديها

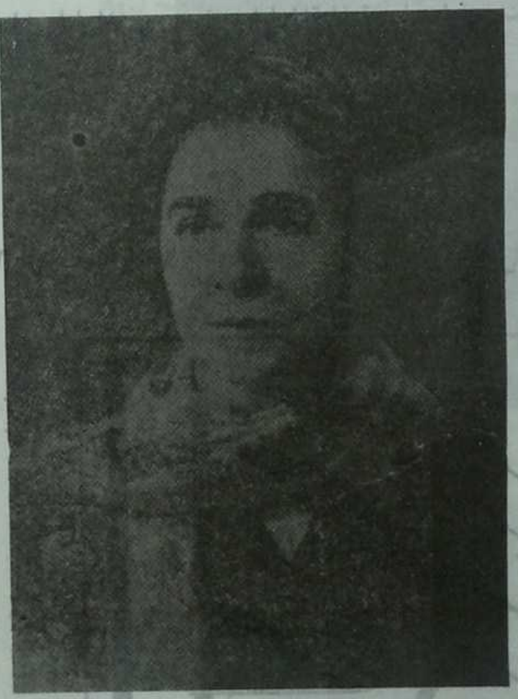

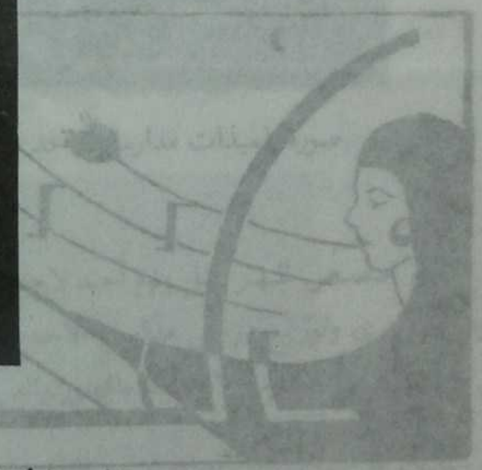

### برنامج الحفلة

١ــ صلاة من حضرة صاحب النيافة الانبا كيرلس مطران أثيوبيا
٢ــ لحن الافتتاح مارن اونه : فرقة الألحان
٣ــ رواية الشهيد بروكوبيوس : وضع ميخائيل افندى داود تمثيل تلميذات وتلاميذ المدرسة
٤ــ كلمة المدرسة ..... : ميخائيل افندى داود ناظر المدرسة
٥ــ كلمة متخرج ..... : التلميذ سمير مسعد احد متخرجى المدرسة
٦ــ رواية نقل جبل المقطم .. : وضع نظيم افندى عبد المسيح
٧ــ كلمة نظيم افندى عبد المسيح : مفتش الدين بالجمعية
٨ــ كلمة تلميذه ..... : عايده ابراهيم . تلميذة بالمدرسة
٩ــ نشيد أبانا أنت ..... : فرقة الألحان



١٠ــ رواية إقامة إبنه يايرس : وضع نظيم افندى عبد المسيح وميخائيل افندى داود
١١ــ كلمة الجمعية ..... : سعادة حبيب بك جورجى
١٢ــ كلمة ..... : لصاحب السعادة حبيب المصرى باشا
١٣ــ توزيع الشهادات باليد الطاهرة لصاحب النيافة المطران وتوزيع الجوائز باليد الكريمة مدام نجيب باشا غالى
١٤ــ لحن الختام ــ فرقة الألحان بالمدرسة
١٥ــ صلاة من حضرة صاحب النيافة المطران
١٦ــ زيارة المعرض

٩٤ــ و يستمتع القبط هذه الأيام بالكثير من حقوقهم غير عارفين بالجهود التى بذلها آباؤهم فى سبيل الحصول عليها . فمثلا يتعلم القبط الآن التعليم الدينى فى المدارس الحكومية والمدارس الحرة . وأصبح للدين المسيحى فى وزارة التربية والتعليم لجنة تضع برامجه للدراسة والكتب المقررة على التلاميذ . وهذا الحق المنصوص عليه فى الدستور المصرى لم ينفّذ و يستقر نهائيا إلا نتيجة لجهود الخطاب التالى الصادر من قداسة الأنبا يوساب فى ٢٧ نوفبر سنة ١٩٤٨ :

حضرة صاحب المعالى المفضال عبد الرازق السنهورى باشا وزير المعارف العمومية :
نحى معاليكم أطيب التحية مع الدعاء بدوام سعادتكم ورفاهيتكم .

وبعد ــ تلقيت من بعض أبنائنا شكاوى يقولون فيها إن بعض المدارس الأميرية والحرة درجت أخيراً على تقرير كتب الدين الإسلامى وتعليمه للطلبة المسيحيين فيها . وعندما تحل حصة الديانة الإسلامية و يطلب هؤلاء الطلبة الإذن لهم بالانصراف يُمنعون من ذلك ويُجبرون على البقاء فى حجرة الدرس . و بلغ الأمر ببعض هذه المدارس أنها تلزم الطلبة المسيحيين بتأدية الامتحان فى مادة الديانة الإسلامية ، وتحسب لهم درجات فيها ، و بعضها يضع جوائز تمنح للطلبة الذين يتفوقون فى دروس هذه المادة من المسيحيين . ولا يخامرنا ريب فى أن أمثال هذه التصرفات الصادرة عن بعض المدارس أو بعض مدرسى الديانة الإسلامية لا تقع موقع الرضى من نفس معاليكم خاصة ، ومن نفوس كبار الرؤساء فى وزارة المعارف عامةً ، لما تحتوى عليه من اعتداء صارخ على الحرية الدينية التى كفلها الدستور لجميع رعايا المملكة . ومعاليكم أحرص الناس على احترام هذه الحرية علاوة على أن قانون التعليم الحر يحرّم على المدارس تعليم التلميذ فيها ديننا غير دينه ولو رضى ذووه بذلك ، فبالأولى التلميذ الذى لا يرضى ذووه بتعليمه دينا غير دينه .

إن الدين هو الينبوع العذب الذى نستقى منه مكارم الأخلاق ، والأساس المكين الذى ينبنى عليه تكوين المواطن الصالح . فكم يكون جميلا بوزارة المعارف لو أنها عادت الى النظام الذى كان متّبعا فى سنوات ماضية وهو تمكين الطلبة القبط ــ وهم من الرعايا المصريين ــ من تلقى دروس ديانتهم إذا توفر فى كل مدرسة خمسة عشر طالبا على القليل يطلبون هذا التعليم . إنها إن فعلت هذا أتمّت المساواة بين أبناء هذا الوطن الواحد ، وأتاحت للجميع تكافؤ الفرص فى هذه المادة الحيوية ، وخدمت البلاد أجل خدمة .

حبذا لو تلقينا كلمة يستريح لها خاطرنا فى هذا الشأن تنبئنا بأن لواء الحرية الدينية فى التعليم لا يزال خفاقا ، وأن الوزارة تقوم من نفسها ومن عطفها حارساً عليه حتى لا يجرؤ عابث على العبث به .

واقبلوا ياصاحب المعالى الوزير المفضال جزيل سلامنا ودعواتنا ،

يوساب
بنعمة الله بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ومن نعمة الله أن السنهورى باشا استجاب لنداء قداسة البابا ، ولكن الحرية الدينية المتعلقة بتعليم كل طفل دينه لم تستقر نهائيا إلا بعد جهود تالية . ومن هذه الجهود خطاب آخر للبابا الاسكندرى نفسه هذا نصه :

حضرة صاحب المعالى الأستاذ القدير أحمد مرسى بدر بك

وزير المعارف حفظه الله

نحى معاليكم أطيب التحية مع أصدق الدعاء وبعد ــ لقد كان للنهضة المباركة التى أخذتم معاليكم فى العمل عليها والسير إلى الأمام بها بإرشاد حضرة صاحب الجلالة المليك المفدى ألا وهى تعميم الدرس الدينى فى جميع مراحل التعليم الأثر الطيب فى نفسنا وفى نفوس جميع محبى تقدم الوطن المحبوب .

وإنه ليسرنا أن ننتهز هذه الفرصة فنبدى لمعاليكم ما سبق أن وجهناه لحضرتى صاحبى المعالى السنهورى باشا وعلى أيوب بك فى مذكرات مستفيضة حوت ما أيده معاليها من ضرورة تعليم الدين المسيحى للطلبة المسيحيين أسوة بإخوانهم المسلمين ، والسير به جنبا إلى جنب . وكان



لتصريح معاليها ما ارتحنا له وقابله جميع أفراد رعايا جلالة الملك القبط بالتقدير والدعاء لحضرة صاحب الجلالة الملك المفدى ولحكومته الرشيدة كما كان للنص الرسمى ــ بعدم تعليم أى طالب دينا غير دينه ولو رضى ذووه أكبر مطمن وأكبر رادع للجميع .

وحيث أن العام الدراسى أوشك على الابتداء لذلك رأينا أن نوفد لمعاليكم حضرة صاحب النيافة الأنبا يؤانس مطران كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا الذى أنبناه عنا للتفاهم مع معاليكم على الخطة اللازمة والتعليمات التى ترونها معاليكم فى شأن تدريس الديانة المسيحية لجميع الطلبة وجعلها مادة اساسية وما تقررونه معاليكم نحو مدرسى الدين المسيحى وانتقائهم .

وإننا ياصاحب المعالى مع ثقتنا الكبيرة فى معاليكم وتقديرنا لوطنيتكم الرشيدة وغيرتكم نحو تقدم وطنكم المحبوب وماضيكم الناصع البياض لخير العنصرين وتآلفهما . كل هذا يجعلنا على تمام اليقين بجعل الدين المسيحى مادة أساسية للطلبة المسيحيين فى جميع مراحل التعليم وأن تتفضلوا بإخطارنا بما تتخذوه نحو مدرسى هذه المادة .

أيّدكم الله بروح من عنده ونفع بكم الوطن وأمد حكومتنا الرشيدة بعنايته وتوفيقه فى ظل جلالة الملك المحبوب .

وتقبلوا تحياتنا ،

بابا الاسكندرية (١)
بطريرك الكرازة المرقسية

٢١ مسرى سنة ١٦٦٥
٢٧ اغسطس سنة ١٩٤٩

(ختم)

---

تم بدأت إمكانية استغلال أرض الأنبا رويس للخدمة العامة تداعب أفكار المسئولين لسعة مساحتها ولكرامة القديس الذى تحمل اسمه . فأرسل قداسة البابا الخطاب التالى أعضاء المجلس الملى العام :

---

(١) مجلة « الحق » ــ عدد سبتمبر سنة ١٩٤٩ ــ ص ٨ ــ ٩

**حضرة صاحب السعادة الفاضل والابن المبارك حبيب المصرى باشا**
**عضو المجلس الملى العام**

**باركه الرب**

بعد منحكم البركات الرسولية وامدادكم بصالح الأدعية الخيرية نتعشم أن تكونوا سعادتكم فى أتم صحة وأكمل عافية وهنا .

و يسرنا أن نرى سعادتكم فى القصر البطريركى فى الساعة الرابعة من مساء يوم الاثنين المقبل إن أحب الرب وعشنا ٢ بشنس ١٦٦٤ الموافق ١٠ مايو ١٩٤٨ للتشاور فيما يقتضيه الأمر لتنفيذ مشروعات أرض دير القديس الأنبا رويس التى تدعو الله عز وجل أن تكلل إن شاء الله بالنجاح بفضل آراء سعادتكم الصائبة ومجهوداتكم الطيبه

ونعمة الرب تشملكم و يده تحفظكم ولعظمته تعالى الشكر دائما ، ( ١ )

سكرتير عام المجلس

٩٥ــ على أن سنة ١٩٤٩ تميزت بنشاط فى حقل جديد ــ هو حقل جنوب افريقيا .

فقد وصل للأنبا يوساب خطاب من بعض الوطنيين وكاهنهم يقولون فيه إنهم من سلالة قبطية و يرغبون فى العودة الى الكنيسة الأم . وكان هناك راهب اسمه القمص أيوب بدأ حياته الرهبانية فى دير الأنبا بيشوى ثم غادره والتحق بدير أول النساك . وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية . ثم انتدب ليرعى شعب راس غارب . ولما تولى الأنبا يوساب الرياسة العليا اتخذ من القمص أيوب أحد سكرتيريه ، وعهد اليه أيضا بأمانة المكتبتين البطريركيتين فى القاهرة والاسكندرية ( ٢ ) . فلما جاءت رسالة الافريقيين استجاب لهم البابا المرقسى بأن أوفد اليهم القمص أيوب . فنشرت مجلة الحق الخبر التالى :

---

( ١ ) تحقق افتتاح المعهد العالى للدراسات القبطية فى الدور الثانى للمبنى الضخم المقام على أرض الأنبا رويس مقابل الكنيسة التى تحمل اسم هذا القديس العظيم ــ وذلك فى فبراير سنة ١٩٥٤ كما سيتضح للقراء حين يصلون الى ف ١١١

( ٢ ) وقد نلت بركة معرفته فى هذه الفترة فسهل لى الاطلاع فى المكتبة أحيانا واستعارة الكتب أحيانا أخرى . ومن أشيق الكتب التى تكرم فسمح لى باستعارتها مخطوط له غلاف سميك من الجلد ، عنوانه : « الدرة اليتيمة والجوهرة الكريمة بعبادة سليمة له مستقيمة » ومن المؤسف أنه رغم الغلاف الجلدى فالفصول الثمانية الأولى من الكتاب مفقودة ! والكاتب غير معروف ، وقد يكون اسمه ورد فى الأجزاء التى ضاعت ، وهو يحاول أن يوضح وجوب التصاق الانسان بالله والعمل بما يرضيه . كذلك لا يحمل الكتاب أى تاريخ فقد يشير الى الاهتداء لصاحبه .



## سكرتير خاص حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم

لمناسبة سفر جناب الأب القمص أيوب الأنبا بشوى سكرتير خاص غبطة البابا المعظم إلى جنوب أفريقيا قد تفضل غبطته فأصدر أمره باختيار جناب الأب التقى القمص متى جندى المحرقى ( ١ ) سكرتيراً خاصا لغبطته علاوة على عمله المنوط به وجنابه معروف بسعة إطلاعه العلمى فهو الكاتب والواعظ فضلا عن أنه من الحاصلين على دبلوم كلية الرهبان اللاهوتية بحلوان هذا العام وكان ترتيبه الأول .

والحق إذ تهنىء جنابه بثقة غبطة البابا المعظم ترجو له توفيقا فى منصبه الجديد

وقد سافر القمص أيوب من الاسكندرية يوم ٣١ أغسطس ، ووصل الى ميناء « ڤالدان » يوم ٣ سبتمبر ، ومنها الى چوها نسبرج فى اليوم عينه . وقد قضى عشرة شهور متنقلابين مختلف الجهات المحيطة بتلك المدينة . وهذه الفترة الأولى كانت فائضة بالجهاد والثمار الحلوة مما جعل الجميع يستبشرون خيراً . ووجد المندوب الباباوى أن عدد الراغبين فى الانضمام الى كنيسة مارمرقس يبلغ ثلاثمائة الفاً .

ومما يجب ذكره أنه على أثر ذهاب القمص أيوب للتعرف على شعب جنوب أفريقيا

أصدر غبطة البطريرك أمراً بابوياً بتعيين ثلاثة من الرهبان المثقفين المتضلعين فى اللغات الأجنبية وذلك ليكون منهم « مكتب الاتصالات الخارجية » و بدأ المكتب فعلا بترجمة كتب الطقوس والقداس والعقائد للغة الانجليزية لفائدة شعب كنيسة جنوب أفريقيا . ( ٢ )

وعاد القمص أيوب بعد هذه الدراسة « على الطبيعة » وقدم للبابا الجليل تقريراً وافيا . وقد تزاحم محبو الكنيسة للسؤال عنه وعما تم فى تلك البلاد السحيقة ( ٣ ) . و بالطبع قصد اليه بعض رجال الصحافة القبطية فكان أهم ما استفسروا عنه مايلى :

١ــ هل يمكننا معرفة عدد الجالية الأرثوذكسية هناك ؟ وممن انحدروا ؟ ــ لا أستطيع

---

( ١ ) رسم فيما بعد مطرانا لأخميم باسم الأنبا بطرس

( ٢ ) مجلة مار جرجس ــ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ص ٢٢ ــ ومرة أخرى نرى أن نشاط كنيسة مارمرقس الرسول فى البلاد الأفريقية بدأ منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة : فى باباوية الأنبا يوساب الثانى .

( ٣ ) هنا أيضا يفرحنى أن أقول إننى كنت ضمن من نالوا بركته

الرد على السؤال الأول بالتدقيق لأننى لم أقم بإحصائهم بعد . والمسيحيون هناك من مختلف المذاهب ، أما الأرثوذكس فنحدرون أصلاً من أقباط مصر نزحوا الى هناك .

٢ــ ما الحافز الذى استثار رغبتهم فى الانضمام إلينا ؟ ــ سأعطيك إجابتهم حرفيا وهى ليس من العيب أن نرجع الى أمنا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فنعمل ما عمله الابن الضال برجوعه الى أبيه ؟

٣ــ ما حالة الشعب هناك اجتماعيا وصناعيا وزراعيا ؟ ــ إنهم مجدون مثقفون منظمون . وهم يحبون السيد المسيح . وإجمالاً فهم متوسطو الثروة يعمل الكثير منهم فى المناجم وفى المصانع . ولا يوجد فيهم من يتكاسل أو يركن الى الخمول . ثم إنهم لم ينسوا الزراعة . وصحافتهم على جانب كبير من التقدم ، وتصدر باللغة الانجليزية فى ثلاثين صفحة . ولا يسعنى إلا أن أكرر شكرى لما نشرته عن شخصى الضعيف . والحق أنهم كرماء أسخياء .

٤ــ معذرة فى السؤال ــ من الذى قام بتكاليف الرحلة ؟ ــ إن كل التكاليف من جيب قداسة البابا المعظم حفظه الله . أما المجلس الملى فلم يقبل أن يساهم بشىء إطلاقاً .

وخلال جولاته الراعوية بعث بمقال الى مجلة الايمان كتبه أحد أولاده الأفريقيين ، ووعد أن يكتب غيره ، واليكم هذا المقال الأول :

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد الدائم إلى الأبد آمين

## الإيمان الأرثوذكسى

الترجمة بقلم حضرة الأستاذ الأديب نبيه نصر

إنه لشىء حبيب أن أكتب إلى إخوتى الأطهار بجنوب أفريقيا بصدد الايمان الأرثوذكسى الذى ورثناه عن آبائنا القديسين « الإيمان الذى تسلموه عن الآباء الرسل تلاميذ سيدنا يسوع المسيح .

فلقد قاسى معلمنا مرقس البشير وآباؤنا البابوات ( باباوات القبط ) المشاق والآلام على يد المناصبين والهراطقة وأعداء البيعة . وما كانت هذه الصعاب لتحولهم عن محبة سيدهم المسيح ولا عن الأمانة الحسنة والإقرار بالإيمان المقدس لتؤازرنا صلواتهم آمين .



بنعمة سيدى يسوع المسيح أكتب باختصار بصدد الإيمان المستقيم ، معتمداً على الصلوات الدائمة التى يقدمها القديسون ، والشهداء ، والسواح والرهبان .

يقوم الإيمان الأرثوذكسى على كل الحق ، لذا كانت المبادىء القويمة أساس كنيستنا القبطيه . إن كلمة أورثوذكسى يونانية ، معناها طريق مستقيم فلنضرب أمثلة لتوضيح ذلك بصدد المباركة العذراء القديسة مريم أم الإله فيمكن أن نعقد المقارنة بين المعتقد القويم والمعتقدات الأخرى فينكر البروتستانت بتوليتها بعد ولادة سيدنا . ولا تذكر المباركة مريم فى صلواتهم إطلاقاً أما الباباويون ( الكاثوليك ) فيعبدون القديسة مريم .

ولكننا كأرثوذكس نكرم ونمجد القديسة مريم كما ينص الانجيل .(١)

وقد رأى قداسة الأنبا يوساب ــ نتيجة للتقرير الذى تسلمه ــ أن يرسم القمص أيوب أسقفا باسم الأنبا مرقس ــ وهكذا عاد للخدمة مزودا بالكرامة الكهنوتية العليا . وسرت موجة من الفرح داخل قلوب محبى الكنيسة ، فعبّرت « الايمان » عن هذا الفرح بالخبر التالى :

شهدت محطة القاهرة يوم الأربعاء ٦ سبتمبر الماضى احتفالا رائعا فاض بمظاهر الفرح والبهجة لمناسبة سفر نيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس أسقف جنوب أفريقيا ونيجريا إلى مقر كرازته الجديد . وكان يحف به حضرات الآباء الأحبار الأجلاء أنبا يؤانس مطران الجيزة وأنبا ثاوفيلس مطران دير السريان والأنبا باخوميوس مطران عطبرة ولفيف كبير من حضرات الآباء الكهنة نذكر منهم جناب القمص متى جندى سكرتير غبطة البابا وجناب القمص بطرس جرجس مندوب جمعية الايمان القبطية وجناب القمص بولس شنوده رئيس الكاتدرائية الكبرى وكثير من الشمامسة وأراخنة الشعب الذين كان يبدو عليهم إحساس الفخر لهذا الفتح الجديد الذى يعد نصراً للكنيسة و يبشر بعودة مجدها القديم فى ظل غبطة البابا المعظم الأنبا يوساب الثانى حفظه الله والذى سيسجل له التاريخ هذه المفاخر بمداد من النور « فعلى الطائر الميمون » أيها المبعوث الأمين الكريم . (٢)

وسرت موجة الفرح من مصر الى جنوب افريقيا إذ قد تلقى شعب تلك البلاد أسقفه الجليل بمظاهر البشر والحبور

---

(١) عدد ديسمبر سنة ١٩٤٩ ــ ص ١٦٣

(٢) عدد اكتوبر سنة ١٩٥٠ ص ٤٥

• فأقام الشعب القبطى بجنوب افريقيا حفلة تكريم دينية باهرة للانبا مرقس أسقفهم الجديد حضرها ٢٠٠٠ نفس ، وقد ظهر فى هذا الحفل العظيم اخلاص الشعب الكريم لكنيستهم وفرحهم بزعيمهم الدينى .

• ينضم الى الكنيسة القبطية بجنوب افريقيا يوميا عشرات الأعضاء ومن هؤلاء الأعضاء المستر جورج مارتن من مدينة ايثاتون وهو رجل واسع الثراء ، وقد تبرع ببناء كنيسة على نفقته الخاصة ــ وفى ايثانون هذه كنيستان أقام نيافة الأسقف فى احداهما قداساً حافلا فى الشهر الماضى

• استصدر نيافة الأنبا مرقس تصريحاً من بلدية چوهانسبرج ببناء كنيسة فى دار المطرانية ، وسيضع حجر الاساس فى القريب العاجل . وقد أدخل تليفوناً بدار المطرانية ورقمه ٣٥٩٥٤٣ أما عنوان نيافته الجديد فهو

Headquarters of the Coptic Orthodox Church in the union of South Africa
(١) 27 Mokel Albertville - Johanesburg

ولو أن القارىء تمعن هذه الأحداث لأدرك أننا نجنى اليوم ثمار الماضى : سواء منها الحلوة والمرة . والثمرة الخاصة بما بُذل من جهود فى سبيل استعادة الصلة ببعض الشعوب الافريقية بدأت حلوة ولكن لم يستطعم حلاوتها حقا إلا الذين عاشوا تحت رعاية الأنبا كيرلس السادس ثم الأنبا شنودة الثالث ، لذلك وجب علينا حين تفرح قلوبنا بما نراه أو نسمع عنه من أنشطة كنسية أن نذكر أنفسنا بتوجيه رب المجد لرسله الأطهار حين نبههم الى أن آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم . (٢)

ويبدو أن هذا الفرح قد استثار عدو الخير فقرر أن يستبدله بالحزن ! ذلك أن الأنبا مرقس اضطر الى العودة بعد سنة من الخدمة لأن الإذن بالإقامة الذى منحته إياه حكومة جنوب افريقيا كان مؤقتا ، ورفضت إعطاءه حق الإقامة المستديمة على الرغم من وساطة قداسة البابا ووزير الخارجية المصرية . ولما عاد الى القاهرة حاول التفاهم مع السفير ولكن حكومته ( جنوب افريقيا ) رفضت كل الوساطات وكل منطق ! وزادت على رفضها تصريحها بأن لها الحق فى عدم تجديد الإذن فى أى وقت ، بل لها أيضا الحق فى قطع المدة المجددة متى شاءت ! وخلال كل هذه المفاوضات التى لم تنقطع إطلاقا والتى قامت بها البابا وية ومعاونوها رأى الأنبا مرقس أن يقضى

(١) اظهر الغلاف لجنة الكنائس ، كيپ ١٦٦٧ ديسمبر سنة ١٩٥٠
(٢) يوحنا ٤ : ٣٨



بعض الوقت فى رحاب الأنبا بيشوى . وبعد زيارته للدير الذى بدأ فيه عهد الرهبنة قرر العودة الى القاهرة . فقام فجر الأربعاء ٢ يوليو سنة ١٩٥٢ فى سيارته الخاصة التى كان يقودها بنفسه . ولكن الأمر الموجع الذى مازال غامضا الى الآن هو أنه وجد مضروباً بالرصاص داخل السيارة قبل أن يصل الى الطريق العام ! (١)

على أننا نعرف من تاريخ كنيستنا المجيدة أن الذى يسقط هو حامل الشعلة فيتلقفها بدوره حامل يقف من خلفه . فقد رأينا مراراً كيف أنه حينما كان يسقط الصف الأول يتخذ الصف الثانى مكانه مباشرة ويحمل رسالته . وهكذا ظلت الشعلة المقدسة مرفوعة عالياً من جيل الى جيل . وهذا ما حدث بصدد كنيسة جنوب افريقيا التى مازالت الكنيسة القبطية تواليها بالرعاية الى الآن .

٩٦ــ على أن هذه الجهود البناءة وإن أدخلت شيئا من العزاء على القلوب إلا أنها لم تفرحها فرحاً خالصا . ذلك لأنها تحققت فى جو تلبدت غيومه وتكاثفت حتى كادت أن تحجب الرؤيا ! فالتنابذ بين قداسة البابا وبين معظم أعضاء المجلس الملى يتزايد باستمرار . وليس ذلك فحسب بل لقد زعم البعض منهم أن لهم الحق فى أن يعزل كاهنا أو يصدر حرما على أسقف ! متجاهلين أن سلطان الحل والربط قد منحه الفادى الحبيب للرسل وخلفائهم الذين هم الأساقفة ! وسرى هذا الزعم منهم الى بعض أعضاء المجالس الفرعية فحدثت مصادمات فى عدد من الإيبارشيات ! ومما ضاعف البلاء أن البابا الذى اعتاد الشعب اعتباره الرئيس الفعلى له سلم مقاليد أموره ــ الخاصة والعامة ــ الى خادمه المدعو ملك . وكان هذا الخادم قد لازمه منذ أن صار مطرانا على كرسى جرجا . وفى بداية خدمته كان هادئا مطيعا مما جعل الحبر الجليل يرتاح اليه الى درجة أنه استصحبه الى القاهرة حين تحول عن مطرانيته الى البابا وية . وظل ملك يعمل بهدوء وبشاشة فى أول سنى البابا وية ثم وجد أن البابا الجليل مقصد الجميع فبدأ يتعظم ويتعالى كأنه هو صاحب سلطة واستساغ هذا التعالى فأخذ يملى شروطه على كل من له طلب عند سيده . وازداد انتفاخاً باستعماله السيمونية (٢) . فكلما جاء شعب كنيسة بالمرشح الذى يريدونه كاهنا لهم يفرض عليهم المبلغ الذى يريده شخصيا كى يوصلهم الى مقابلة قداسة البابا . ولم يفعل ذلك مع الكهنة فقط بل زاده أضعافا مع الأساقفة والمطارنة . وكلما رضخ أصحاب الطلب تضاعف

(١) لم يُعرف بالضبط ماذا حدث لأن التحقيق لم يستطع أن يصل الى معرفة القاتل فقيّد الجريمة ضد « مجهول » . ويقول أصدقاء المطران الجليل أن بعض الطامعين عرفوا أنه ربح نمرة سباق الدربى ــ وقيمتها مائة ألف جنيه سترلينى فقتلوه ليستولوا على المال . أما القمص صموئيل تاوضروس السريانى ( سامحه الله ) فيقول « إنه قلع أوتاد خيمته بيده » . والعلم بالحقيقة عند عالم الخفايا ــ تاريخ باباوات الكرسى الاسكندرى : ١٨٠٩ــ ١٩٧١ للقمص صموئيل ــ ص ١٦٧ ــ ١٦٨
(٢) هى أخذ المال مقابل الرسامة الكهنوتية ــ أعمال ٨ : ١٥ ــ ١٦

المبلغ المطلوب ممن يأتى بعده . وهو ــ بهذا التصرف ــ لم يبتز الأموال فقط بل أقام من نفسه حاجزاً بين الشعب وبين راعيه الأول أيضا . وضج الناس وارتفعت شكواهم من دون جدوى . وذهب بعض الآباء المطارنة الذين لهم دالة خاصة عند الأنبا يوساب وحاولوا التفاهم معه على إبعاد خادمه صوناً لكرامته . ولكن حتى هذا التفاهم الأخوى ضاع أدراج الرياح ! ولما تفاقم الخطب رأى وزير الداخلية أن يتداركه فأمر بالقبض على ملك وإبعاده الى جرجا . إلا أن هذا الإجراء أغضب الأنبا يوساب الذى اعتبره ماسا بحريته الشخصية ! وهكذا أعيد ملك وعاد الى مسلكه الأول بأكثر بشاعة ! وازدادت بشاعته الى حد أنه أصبح حديث الصحف والمجلات ــ ولكنه لم يتناقص على الرغم من هذا كله .

٩٧ ــ وكان قد حدث أنه بعد مرور ثلاثة عشر شهرا على ارتقاء الأنبا يوساب السدة البابا وية ، ظل الخلاف خلالها يتفاقم يوماً بعد يوم بينه وبين الوكيل العام للبطريركية الى أن قدم الأخير استقالته من الوكالة فى ١ يوليو سنة ١٩٤٧ . ويبدو أن هذه الاستقالة كانت بإيعاز من بعض الأصدقاء لأنها قبلت فوراً ــ بل ولم يتلق القمص ابراهيم لوقا رداً كتابيا عليها ولا حتى كلمة شكر واختار قداسة البابا لساعته القمص سيداروس غالى راعى كنيسة السيدة العذراء بمسرة وكيلا عاما بدلاً من الوكيل المستقيل (١) .

٩٨ ــ وهذا التغيير وان أعطى الأنبا يوساب شيئا من الراحة إلا أن المنياوى وكتلته ظلوا على خطة التنابذ . وزادوا على ذلك بأن تقدم أحدهم يقترح بتعيين كاهن أنجليكانى ( انجليزى ) ليعلم اللغة اليونانية فى الكلية الاكليريكية ، زاعماً بأنه لا يوجد قبطى يستطيع أن يقوم بهذا العمل ! وثار حبيب جرجس ومعلموه وطلبته وقدموا ردهم ، وفيه رشحوا يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى بدلاً من هذا الانجليزى موضحين مؤهلات مرشحهم . ثم قالوا فى نهاية ردهم إنهم يفضلون عدم تعلم اللغة اليونانية على تعلمها من إنسان سيستعملها لبلبلة عقيدتهم الأرثوذكسية . وقد ساندهم فى موقفهم أعضاء المجلس «الأحرار» وبالطبع وجدوا فى البابا الجليل سنداً كالصخرة . واستثار الموقف الرأى القبطى العام الى حد أن « المنياويين » اضطروا الى التقهقر ، وأسندت الوظيفة الى يسى عبد المسيح الأرثوذكسى الغيور والبحاثة الكبير الذى ترك للكنيسة عدداً وافراً من الكتب الأصيلة والمترجمة فى مختلف الدراسات القبطية (٢) .

---

(١) الأنوار ١٦ يوليو سنة ١٩٤٧

(٢) ولما كانت أصالة الانسان تقتضى اعترافه بفضل معلميه ومرشديه فإنه يسعدنى هنا أن أسجل بأن يسى عبد المسيح كان أول من علمنى اللغة القبطية وفحص الآباء ونعالجهم من النصوص الأصلية . كذلك علمنى كيفية البحث والتفتيش فى الكتب . فأرفع شكرى وتقديرى لفضله الى روحه فى علياتها .



والأغرب من هذا أن الأسقف الانجليزى المعين فى القاهرة لرعاية الانجليز فى الشرق الأوسط ذهب مع أحد مشايعى المنياوى لمقابلة قداسة البابا وعرض عليه أن يرسم أسقفا انجليزيا للأقباط فى السودان ! ولقد أغضب هذا العرض الأنبا يوساب غضباً أخرجه عن هدوئه الطبيعى فأنتهر الأسقف الانجليزى ورفيقه القبطى بحدة قائلا : « لماذا ؟! أليس بين القبط رهبان تؤهلهم روحانيتهم وكفاءتهم لهذه الكرامة ؟ إنكم حتى وأنتم فى أوج جبروتكم لم تجسروا على هذا الطلب ! فابعدوا عن هذه الكنيسة العريقة ! »

والحق أننا بأزاء هذين الموقفين نشكر الله الحارس الأوحد للكنيسة القبطية الذى بروحه القدوس يلهم الآباء والأبناء أيضا فى أصعب المزالق فيحفظهم فى سلام وسلامة .

٩٩ ــ وكانت مدارس الأحد قد بدأت فى عهد البابا الوقور كيرلس الخامس بهمة الخادم الأمين حبيب جرجس . ولقد آزرت نعمة الله العاملين فيها فأخذت تنمو سنة بعد سنة . ثم تشكلت لجنة عليا بالاكليريكية لتنظم برامج الدراسة وتعاون المتطوعين والمتطوعات على العمل فى هذا الحقل الواسع الخصيب . فتضاعف نمو المدارس وأخذت تمتد من القاهرة الى غيرها من المدن . وبلغ نموها حداً جعل المسئولين عنها يقيمون مؤتمراً عاما سنة ١٩٤١ اشترك فيه خمسمائة مدرس ومدرسة ــ ولو أن جميعهم كانوا من القاهرة . ولقد اتفقوا بالإجماع على مواصلة السعى لتعميم هذه المدارس ومضاعفة الجهود . وقد نجحوا بحمد الله فيما استهدفوه .

وفى بداية السنة عينها التى اعتلى فيها الأنبا يوساب السدة المرقسية ، وقبل اعتلائه إياها بخمسه شهور تقريبا ــ أى فى ٢١ كيهك سنة ١٦٦٢ ( ١ يناير سنة ١٩٤٦ ) ــ بلغت مدارس الأحد يوبيلها الفضى . وكانت خلال هذه السنوات الخمس وعشرين من عمرها صورة حية مقروءة من الجميع فى أشخاص معلميها وطلبتها بفضل حبيب جرجس منشئها وراعيها . إنها كانت آنذاك معينا مخلصا للرعاة ، عملت على تثبيت العقيدة الأرثوذكسية الصميمة فى القلوب . فنشرت الكتب والنبذات ، وهيأت الفرص للرحلات الى الكنائس والأديرة ، كما أقامت المؤتمرات والندوات والمعارض .

وفى تلك السنة أنشأت مجلة شهرية تحمل اسمها « مدارس الأحد » . ومن نعمة الله أن المجلة مازالت تصدر بانتظام . إلا أن الأنبا كيرلس السادس رأى أن يطلق على هذا الفرع من النشاط الروحى العملى اسم « مدارس التربية الكنسية »

تم اقترح أحد المشتغلين بمدارس الأحد تكوين لجنة عامة من السيدات للإشراف على نشاط هذه المؤسسة فيما تقدمه للبنات لكى توجه هذه اللجنة الشابات المتطوعات توجيها يتفق

والعقيدة الأرثوذكسية الأصيلة . كما اقترح أن يكون لجميع الفروع نظام موحد و برنامج ثابت يسير الكل بمقتضاه (١) .

ثم رأت اللجنة العليا أن هناك شباباً لم تتح لهم الفرصة للالتحاق بمدارس الأحد . وتعويضاً لهم عن ذلك ألفت ما أسمته بجامعة الشباب القبطى ، وأعدت برامج لهم تبعاً لأحدث أساليب الخدمة : روحيا وثقافيا ورياضيا . وقد حلت بركة الله على هذا العمل أيضا فنما وصار شجرة عظيمة ممتدة الأغصان

كذلك نشطت اللجنة العليا منذ سنة ١٩٤٧ فى اصدار الكتب والنشرات المتضمنة لشرح المناهج وكيفية التدريس . والى جانب هذا النشاط التعليمى ثابرت على نشر الصور والبطاقات ووسائل الايضاح والسجلات ، كما أعدت الهدايا المتنوعة لتوزيعها فى شتى المناسبات .

وعلى الرغم من كل المشاكل القائمة بين قداسة البابا و بين بعض رجاله فقد وجد لديه متسعاً من الوقت ليوجه رسالتين خاصتين بمدارس الأحد : الأولى الى حبيب جرجس والثانية الى كل واحد من كهنة القاهرة . أما الأولى فهذا نصها :

حضرة الأستاذ الفاضل والابن المبارك حبيب بك جرجس مدير الكلية الاكليريكية ونائب الرئيس العام لمدارس الأحد باركه الرب ــ

بعد منحكم البركات وصالح الدعاء ، بنعمته تعالى تكونون بخير .

نظراً لما لاحظناه من أن مدارس الأحد فى حاجة قصوى الى رعاية شديدة وإشراف قوى مع إدارة موحده لتكون قوة فعالة لخير الكنيسة ونهضتها .

لذلك رأينا أن نوجه نظر بنوتكم الى الاجتماع بحضرات من تختارونهم معكم لتكونوا لجنة عليا خاصة تحت رياستنا للبحث فى كل ما يجب للعناية بهذه المدارس التى هى قبلتنا الوحيدة

(١) اكتفى كاتب المقال بإمضاء ر . ص . ، راجع مجلة الأنوار فى ٢٩ هاتور سنة ١٦٦٣ ( ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ) ص ٨ . وقد نقد الاقتراح الثانى ولم ينقد الأول ! و يؤسفنى أن أقول إن الصور التى أخذ يشيع توزيعها على تلاميذ هذه المدارس مستوردة ودخيلة ، بل إن منها عدداً غير قليل يتنافى مع تعليم الأسفار الإلهية و بالتالى مع عقيدتنا الأرثوذكسية . فمثلا صورة السيد المسيح وعلى صدره ( من فوق ثيابه ) قلب يحيط به الشوك وقد رفع أصبعين من يده اليمنى الى فوق من أوضح هذا التنافى . فالاناجيل وأعمال الرسل والرسائل والرؤيا ــ جميعها ــ لم تشر الى اكليل الشوك إلا على رأس الفادى الحبيب ، كما أن الأصبعين إشارة الى فصل الطبيعة الإلهية عن الطبيعة الانسانية فى حين أن يوحنا الحبيب يعلمنا أن « الكلمة صار جسداً » ــ وهذا هو التعليم الذى تتمسك به كنيستنا القبطية معلنة أنه ــ له المجد ــ « جعل من الاثنين واحداً » . فليتنا نطبع صورنا بأنفسنا بدلاً من استيرادها ــ صارخين الى رب الكنيسة أن يرشدنا فى جميع الأنشطة الكنسية



لنبنى على أساسها جيلاً قويا فى الإيمان راسخا فى العقيدة الأرثوذكسية ومبادئها القويمة .

ومع انتظارنا ملاحظات نبوتكم وما تقررونه فى هذا الشأن تجدونه مع صورة خطاب وجهناه لحضرات أبنائنا كهنة كنائس القاهرة للعلم .

ونعمة الرب تشملكم ولعظمته تعالى الشكر دائما .

تحريراً بالقاهرة فى ٩ برمهات سنة ١٦٦٤ ( ختم ) يوساب الثانى

١٨ مارس سنة ١٩٤٨

وقد ألحق البابا الجليل صورة من الرسالة الثانية بالرسالة التى بعث بها الى حبيب جرجس ــ وهذا نصها :

حضرة الابن المبارك .... راعى كنيسة ... باركه الرب ــ

بعد منحكم البركات وصالح الدعاء .

لا يخفى على بنوتكم أن التربية الدينية هى أكبر العوامل فى تغيير الأخلاق وتجديد الحياة الروحية .

لذلك رأينا أن نوجه أنظار بنوتكم الى العناية بمدارس الأحد التى يُدرّس فيها الدين . وإنا لعلى ثقة تامة فى أن بنوتكم وقد وضعتم على عاتقكم مسئولية رعاية النفوس الثمينة لابد وأن تسهروا لئلا تختطف من يدكم إذا أغفلتم رعايتها و ياويل الراعى الذى يغفل عن رعيته فتتبدد وسنراقب بنفسنا ما تبذلونه من جهود فى تعهد هذه المدارس وتنميتها . كما ونشدد عليكم أن يكون إلقاء دروس الأحد فى حضوركم ليرى الأطفال كاهنهم وأباهم الروحى فى وسطهم مباركا لهم . وعليكم أن تقدموا لنا تقريراً فى كل شهر عن هؤلاء الأطفال وعدد حضورهم الى الكنيسة وكيفية تعليمهم وأسماء من وقع عليهم اختياركم لاعطائهم الجوائز التشجيعية .

ونعمة الرب تشملكم ولعظمته تعالى الشكر دائما . (١)

تحريراً بالقاهرة فى ٩ برمهات سنة ١٦٦٤ ( ختم ) يوساب الثانى

١٨ مارس سنة ١٩٤٨

(١) عن « الدليل العام للأقباط المسيحيين فى الشرق » ــ الطبعة الأولى القاهرة سنة ١٩٥٠ ــ يقدمه عادل سامى : جامعى ــ صحافى ، ص ٧٩ ــ ٨٦

ومن التوجيهات البناءة لتلاميذ مدارس الأحد تلك التى وردت فى مقال بعنوان « العيادات الكنسية » ، نقتطف منها مايلى : « ... لئن كان تاريخ العيادات النفسية العلمية لا يرجع الا إلى بضع عشرات من السنوات ، فإن الروح القدس قد أسس فى كنيستنا المحبوبة المقدسة ألوفا من العيادات النفسانية منذ ألفين من السنين ولازالت هذه العيادات تعمل عملها الى الآن . وقد نظّمت الكنيسة عمل هذه العيادات ، وأوضحت مؤهلات أطبائها ، ووضعت المؤلفات القيمة فى التطبيب النفسانى ...

وان اختلفت هذه العيادات الكنسية عن مثيلاتها العلمية فالاختلاف راجع الى أن عمل العيادات الكنسية أوسع وأشمل (١) من عمل العيادات الأخرى . فعمل العيادة النفسية الحديثة يقتصر على جانب واحد من عمل العيادة الكنسية الشاملة التى أنقذت ملايين عديدة من النفوس فى مختلف الأزمان والبلاد . وهذه العيادات موجودة فى كل كنيسة . والطبيب فيها هو الكاهن . وقد حتّم الروح القدس بأن يكون لكل بيت مسيحى ، بل لكل فرد فيه ، طبيب نفسانى أى أب روحى ، أو مرشد وراع . وجعلت الكنيسة هذا الطبيب النفسانى فى الاعتراف جزء رئيسيا من سر التوبة ومن حياة الفرد الروحية . ولم يكن يسمح لكل كاهن فى العصور الأولى بممارسة هذا السر بل كان قاصراً على الشيوخ المختبرين المحنكين منهم . كما تحتم أن يكون للزوجين أبو اعتراف واحد كى يستطيع إرشادهما نحو المزيد من التآلف والتفاهم ....

وان كان الكاهن هو الذى يغسل الطفل بحميم المعمودية ، ثم يمنحه بعد ذلك مباشرة موهبة الروح القدس بسر الميرون المقدس ، ثم يعطيه سائر الأسرار المقدسة ، فهو يمارس تطبيب المؤمن بسر الاعتراف .... الاعتراف إذن شكوى وعلاج وغفران . وهو لا يكون كاملاً ولا يؤدى الغرض الذى قصد اليه الرب ، إلا إذا قام به الكهنة المقتدرون . فالمهمة الأولى للكنيسة هى أن « تصنع » قديسين ، ولن يمكن أن يتيسر لها ذلك إلا إذا جلس أولادها أمام معلمى الايمان ، يسمعون منهم و يتعلمون و يقتدون بحياتهم العملية و يستوحونها ... ولقد صار وجود المعلم ، تقليداً للآباء . فكل واحد منهم له معلمه الذى يدربه و يرعاه .... وقوانين الرسل تأمر كل شخص بأن يختار معلمه ... (٢)

---

(١) يسعدنى تسجيل الحدث التالى ــ منذ سنوات عديدة أقيم مؤتمر لخادمات التربية الكنسية فى كنيسة السيدة العذراء بسموحة (الاسكندرية) . وعقب إحدى الاجتماعات جاءتنى شابة تقول : « أصابنى منذ أسابيع نوع من الانهيار العصبى فقصدت الى الدكتور الجو يلى الطبيب النفسانى . و بعد أول جلسة قال لى : « يا ابنتى أنت تنتمين الى كنيسة تؤمن بسر الاعتراف . فاذهبى الى القمص مينا اسكندر راعى كنيسة مار مينا بفلمنج لأنه سيعالجك روحيا ونفسيا مجانا ، بينما سأعالجك أنا نفسانيا فقط بالأجر . فعملت بنصحه وقصدت الى أبينا مينا واتخذته أبا اعترافى . و بالفعل أشعر الآن بسلام عجيب » . ومما يزيد هذه الشهادة روعة صدورها عن مواطن مسلم .

(٢) راجع مقال « العقيدة الأرثوذكسية على ضوء التفكير الحديث » فى مجلة مدارس الأحد يوليو سنة ١٩٤٧ ص ١٥ ــ ١٨ ، « سر الاعتراف » بالمجلة عينها عدد فبراير سنة ١٩٤٨ ص ١ ــ ٤



وإن تاريخ مدارس الأحد فى هذه الحقبة يوضح لنا أنه متى كان الإنسان العامل مخلصا متفانياً فإن نعمه الله تؤازره وتمنحه أن يأتى بثمار كثيرة . فما حدث أن بعض الخدام اجتمعوا فى مؤتمر دعا اليه القمص جرجس بطرس راعى كنيسة مار جرجس بجزيرة بدران فى يونيو سنة ١٩٥١ . ومن هذا المؤتمر خرجت الدفعة الأولى لخدمة قرى القليوبية والمنوفية والجيزة . وقد اتبع المسئولون خطة السيد المسيح فى اختيار سبعين وإرسالهم اثنين اثنين للعمل معاً . فلما وجد العاملون أن الحصاد كثير عقدوا مؤتمراً ثانيا فى الكنيسة عينها وتحت رعاية كاهنها فى أوائل اغسطس من السنة التالية . وقد ألقى عليهم القمص بطرس كلمة فائضة بالحنان الأبوى و بالتشجيع الروحى . فامتلأ الجميع فرحاً وحماساً لخدمة إخوتهم القرويين .

واستكمالاً لهذا العمل البناء قرر الخدام أن يجتمعوا مساء الثلاثاء من كل أسبوع فى الكنيسة عينها تبركاً بالشهيد العظيم مار جرجس ليتداولوا معاً فيما يستطيعون تقديمه لنمو هذه النبتة الصغيرة وازدهارها (١)

١٠٠ ــ كذلك نال الآباء الكهنة من تعسف الكتلة المنياوية ما نالوا . فلما ضاقت بهم السبل كتبوا رسالة الى البابا الجليل يتبثّونه آلامهم . وقد رأى القمص يوحنا افرآم ( وكيل عام البطريركية آنذاك ) أن يبعث بصورة من شكواهم الى حبيب المصرى لمناقشتها مع زملائه أعضاء المجلس الملى العام . وها هى الرسالة :

**حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا يوساب الثانى الجالس بنعمة الله بابا و بطريرك الكرازة المرقسية ورئيس المجلس الملى العام**
**أدام العلى سلامته ومتعنا بشريف رئاسته**

بكل خضوع ومحبة وطاعة البنوة يتقدم الى سدتكم الرسولية أولادكم كهنة كنائس القاهرة وضواحيها التابعون للبطريركية والذين أرغمتهم ظروف الحياة أن يفزعوا إلى أبيهم المشفق ومدبرهم الأمين .

سيدنا ــ لم يعد خافياً ما يعانيه الشعب فى هذه الأيام من الضيق بسبب غلاء المعيشة . هذا الغلاء الذى لم يعد يحتمل فضج منه الغنى والفقير وهبت كل طوائف الأمة وطبقات الشعب تطالب بتحسين حالهم سواء منهم موظفو الحكومة أو البنوك أو الشركات . وقد نظر المسئولون بعين الشفقة إلى عدالة المطالب فأجيبت إلا نحن الفئة المغلوبة على أمرها لم يفكر أحد فى امرنا وتغاضى أعضاء المجلس الملى العام عن النظر إلى مطالبنا . ولولا ما بنا من ضيق ما كنا نود أن

---

(١) مجلة الايمان فبراير سنة ١٩٥٢ ص ٤٧٣ ــ ٤٧٤

نشعر غبطتكم بما نعانيه من قسوة المعيشة حتى لا تتأثر نفسكم الوديعة بسبب حالتنا . فمن مدة صرخنا فقالوا أمرنا باسترجاع ما استقطع من مرتباتكم بسبب إعسار البطريركية وانتهى الأمر إلى حد القول فقط .

والآن وقد طفح الكيل رأينا أن نلتجىء إلى غبطتكم راجين شمولنا بعطفكم الأبوى والإشارة لا برد المستقطع فقط وقد أصبح ضئيلا بل بإجراء تحسين شامل لمرتباتنا يسد حاجتنا و يزيل كربتنا لكى نعيش ويحيا أولادنا ونصون كرامة عائلا تنا إذ لا يرضى غبطتكم وأنتم الأمين الساهر على راحتنا أن يحرم أولادنا من ضرور يات الحياة و يظهرون بين زملائهم بما لا يليق وما تتطلبه منهم معاهد التعليم من كساء نظيف وأدوات وغيرها مما لا يخفى على غبطتكم . وهل يرضيكم وحضرات أعضاء المجلس أننا ونحن خدام إيمانهم وأمناء عقيدتهم أن نسير بين الأجانب وعامة الشعب بثياب رثة ومظهر غير لائق مما يحط بكرامتنا وكرامة الطائفة . وهل يرضى غبطتكم و يرضيهم أن تضطر ناهذه الحال إلى السكنى فى منازل لا تناسب مراكزنا .

إننا نناشد ضمائرهم الحية وعواطفهم المسيحية أن لا يظنوا بنا السوء فيشيحوا بوجوههم و يرفضوا طلباتنا ، وألا يعاملونا بما يثير فينا كوامن الشعور و يبعث فى قلوبنا روحاً غير روح المحبة التى ينبغى أن تتمكن بيننا و بينهم . ولكى يتركوا لنا أمر التفرغ لخدمتنا وتأدية رسالتنا دون أن تتعثر فى البحث وراء مطالب الحياة .

يخجلنا أن نذكر لغبطتكم احتفاظا بالكرامة أن مرتبات ٩٠٪ منا لم تصل الى مرتبات السعاة والفراشين . وهذا وضع لا ترضاه غبطتكم والحمد لله فى عهدكم السعيد قد تضاعفت إيرادات البطريركية ، أما مرتباتنا فما زالت باقية على عهدها لم تتغير مع تقادم الزمن عليها إلا ما كان منها للبعض بطريق الاستثناءات البغيضة .

وحيث أن الحالة قد أصبحت لا تحتمل صبراً . لهذا جئنا رافعين التماسنا إلى أبينا لينظر الينا بعين الأبوة الرحيمة فيعمل على ما فيه راحتنا واسعادنا فى عهده السعيد . مبتهلين إلى العز يز القدير أن يبقى لنا و يديم علينا ر ياستكم ناعماً بموفور الصحة وكمال الراحة والطمأنينة على كنيستكم مسروراً بنجاح شعبكم الموكول أمر رعايته إلى حكمتكم وسداد رأيكم .

وتفضلوا غبطتكم بقبول خضوعنا وطاعتنا وتحياتنا ،

حضرة صاحب السعاده حبيب حنين المصرى باشا عضو المجلس الملى العام أتشرف بأن أقدم لسعادتكم . صورة طبق الأصل من العر يضة المرفوعة من قسوس كنائس مصر لحضرة



صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا يوساب البطر يرك بصفته رئيس المجلس الملى العام . للنظر فيها بروح العطف والمحبة مع عظيم الشكر ،

عن مجلس الاكليروس (١)

يوحنا أفرام

فبراير سنة ١٩٥١

١٠١ — وفى بداية سنة ١٩٥٠ بدأت تحركات من جهتين مضادتين لبعضهما : المجلس الملى من جانب ووز ير الداخلية من الجانب الآخر . ذلك لأن دورة المجلس كانت على وشك الانتهاء . ولم يكن المنياوى وكتلته ير يدون إجراء انتخابات جديدة خوفاً من أن يفشلوا فيها هذه المرة . فأخذوا يؤجلون موعدها . وهنا رأى وز ير الداخلية أن يتدخل فى الموضوع واقترح أن يعيّن بنفسه مجلساً مؤقتا يشرف على إجراء الانتخابات ثم ينتحى بعد ذلك لمن ينتخبهم الشعب . ولكن المشروع الذى قدمه أثار غضب القبط على الرغم من تبرمهم بالمنياوى ومشايعيه . لأن هؤلاء الرجال — على الرغم من كل تصرفاتهم قد وصلوا الى عضو ية المجلس بالانتخاب . أما أن يأتى غيرهم بالتعيين من وزارة الداخلية فهو افتئات على حق الشعب القبطى . وعلى ذلك اجتمع أعضاء مجلس الشيوخ ( الشورى ) القبط مع أعضاء المجلس الملى بالبطر يركية وتناقشوا معاً فى الموقف فى ١٢ مارس سنة ١٩٥٠ . وعلى أثر الاجتماع قابل مندوب جر يدة الأهرام حبيب المصرى وأخذ منه الحديث التالى :

اننا مازلنا مصرّين على ان القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ أوجب استمرار المجلس الملى العام فى تأدية أعماله الى أن يتم انتخاب المجلس الجديد وتعتمد نتيجته ، وان القانون افترض بقاء المجلس بعد انتهاء مدته ، ولم يقرر وجوب انقضاء وظيفته حتما بانقضائها ، بدليل انه نص على هذه الحالة بالذات ، وأوجب على المجلس الاستمرار فى عمله ، وقد حدث أكثر من مرة فى تار يخ المجلس أن بقى قائما بعد انتهاء مدته .

وحدث أن طلب غبطة الأنبا يوساب البطر يرك نفسه الى المجلس اتخاذ قرارات معينة بعد انقضاء مدته ، مما يدل على أنه يعتبره قائما . ولم يحدث أن طلب الأب البطر يرك ، بوصفه رئيسا للمجلس ، قبل الآن ، المبادرة الى إجراء الانتخاب الجديد ، وقد كان من حقه أن يفعل ذلك ، وأن يدعو المجلس الى الاجتماع لهذا الغرض .

(١) من المؤلم أن الإنصاف لم يكن غير جزئى على الرغم من الجهود التى بذلت .

## وظيفة المجلس يتولاها المنتخبون

يضاف الى ذلك أن القاعدة العامة هى ان وظيفة المجلس الملى لا يصح أن يتولاها الا اشخاص منتخبون من الشعب ولا شك ان اعضاء المجلس الملى الحالى اقرب الى تحقيق هذه القاعدة الاساسية من اشخاص يؤتى بهم من طريق التعيين . و يكفينا أن نحيل هذا الموضوع الى التقرير القيم الذى وضعته فى سنه ١٩٢٧ لجنة العدل فى مجلس النواب برياسة رفعة النحاس باشا وسكرتيره المغفور له محمد صبرى أبو علم باشا ، فقد اثبت هذا التقرير نظريتنا كاملة . وللحكومة فى حالة استمرار المجلس ان تنتدب من جانبها من تراه لرقابة عمليات القيد والانتخاب .

## الاعتراضات على المشروع

واستطرد المصرى باشا فقال : إن هناك اعتراضات على المشروع المعروض الآن على مجلس الشيوخ ، إذ جعل الهيئة المنصوص عليها فيه مؤلفة من أربعة وعشرين عضوا ، اى بنفس العدد الأصلى للمجلس الملى العام ، مما يشعر بانها هيئة دائمة معينة حلت محل مجلس منتخب . وتخويل الهيئة المذكورة جميع اختصاصات المجلس الملى العام ، فلم تقصر وظيفتها على إجراء الانتخابات ، وعدم تقييدها بمدة موقوته ، مما يترتب عليه جواز بقائها الى أجل غير مسمى .

## ضرورة تعديل المشروع

وقد سأل مندوب « الاهرام » سعادة المصرى باشا عما إذا كان المجتمعون قد استقر رأيهم على تنفيذ خطة معينة ، فأجاب سعادته : بأنه إذا كان لابد من استصدار المشروع المعروض على مجلس الشيوخ ، فإنه يقتضى تعديله على الوجه الذى يحفظ حقوق الشعب القبطى كاملة ، وعدم المساس بها او الانتقاص منها .

## مقترحات لتعديل القانون

وقد اتخذ المجتمعون قرارات وقعوا عليها وأبلغوها الى الجهات المختصة وأهمها : أن ينص فى مشروع القانون على تحديد اختصاص الهيئة المذكورة بحيث تكون وظيفتها مجرد إجراء الانتخابات للمجلس الجديد ، ومباشرة الأعمال المستعجلة التى لا تحتمل اى تأخير ، مع تحديد مدة معينة لاتمام هذه الانتخابات بحيث تتم فى ستين يوما ، على أن يخول للهيئة المشار اليها تقصير مواعيد القيد والطعن عند الاقتضاء واختيار أعضائها من فئات معينة من الأقباط الأرثوذكس على وجه الحصر ، فيكونون من الوزراء والمستشارين والقضاة الحاليين أو السابقين ، وجعل عدد أفراد الهيئة



اثنى عشر عضوا على الأكثر ، على أن ينص فى المشروع على أن يكون اجتماعها صحيحا بحضور خمسة منهم

## اجتماع أخر بجمعية التوفيق

وتلقينا برقية من سعادة حبيب المصرى باشا بوصفه رئيسا لجمعية التوفيق القبطية الكبرى فى القاهرة تشير الى الاجتماع الذى عقد فى دارها بعد ظهر أمس ، وحضره كثيرون من كبار رجال الاقباط البارزين ، وقرروا الاصرار على الاحتفاظ بحقوق الشعب وعلى أن مشروع القانون المعروض على مجلس الشيوخ بإجازة تعيين هيئة غير منتخبة من الشعب لتتولى اختصاصات ممثلى الشعب تخالف القانون ، وتنتقص من حقوق الشعب التى حرصت الوزارة الوفدية فى سنة ١٩٢٧ على صيانتها (١)

على أنه مما يؤسف له أن كل الجهود التى بذلها القبط ضاعت سدى ، وجاء مجلس ملى معيّن من الحكومة !

وهنا أيضا يلحّ علىّ سؤال إلحاحاً يضطرنى الى مواجهته : ترى هل كان هذا هو العقاب الإلهى الذى لا يستطيع إنسان أن يتجنبه الا بالتوبة ؟ ومادام المخطئون لم يتوبوا فلابد أن تأخذ عدالة الله مجراها . ولقد أعلمتنا كلمة الله أن قضاءه يبدأ بأهل بيته (٢) . فكل من يعد نفسه من أهل بيت الله عليه أيضا أن يجلس ويحسب النفقة (٣) . وقد يعترض البعض بأن العقاب شمل الشعب كله . نعم إن هذا صحيح ولكن الله — منذ بداية الخليقة وعلى استمرار الحياة علّمنا أن الإنسان مرتبط بأخيه الإنسان . فقد أخطأ آدم وحواء فشمل عقابهما كل أنسا لهما . كذلك شمل الفداء جميع من قبلوه هم وذراريهم . وهذه الحقيقة يجب أن تتغلغل فى وعينا وفى لاوعينا : إننا مترابطون ترابط أعضاء الجسد الواحد كما علمنا بولس الرسول (٤) وكل مرة نسينا أو تناسينا هذا الواقع الذى أسس الله عليه الحياة والإنسانية دفعنا الثمن .

ولقد علّقت مجلة الايمان على هذا الواقع كما يلى : ... أجمع الرأى العام القبطى على الدفاع عن سلطان الكنيسة وهيبتها وكرامة رجالها بالوقوف الى جانب قداسة البابا والآباء

---

(١) الأهرام فى ١٣/٣/١٩٥٠ — ترى لو أن الذين أنشأوا المجلس الملى كانوا قد بدأوا بدءه حسنا ، فهل كان يتعرض المجلس لكل هذه المتاعب ؟

(٢) ١ بطرس ٤ : ١٧

(٣) لوقا ١٤ : ٢٨

(٤) اكورنثوس ١٢ : ١٤ — ٢٦

المطارنة . فان شذّ شخص ( مهما بلغت مكانته الاجتماعية ) بأن خرج على سلطان الكنيسة فإن للأب البطريرك وللمجمع ان يتخذوا الإجراءات الكنسية والقانونية ضده . واستناداً الى سلطة الكنيسة أصدر الأنبا يوساب أمره بحل المجلس الملى . وأرسل خطاباً الى وزير الداخلية يبلغه فيه هذا الأمر . والسبب فى هذا الحل يرجع الى أسباب عديدة أهمها : مناداة قداسة البابا وأصحاب النيافة المطارنة ورؤساء الأديرة برفع القضايا عليهم ، استثارة الرهبان ضد آبائهم ،تعقيد المشكلة الاثيوبية وبالتالى مضاعفة التوتر القائم بين المسئولين فى الكنيستين ....

ومما يجب تسجيله أن الحكومة ومجلس الدولة قد ساندا الآباء إذ قد أفتى مجلس الدولة ببطلان القضايا المرفوعة من وكيل المجلس الملى وزملائه ضد قداسة البابا وضد الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة ... » (١)

ولما كان من عمل الصحفى المتيقظ متابعة الأحداث ، فقد استطاع أحد مكاتبى « الايمان » أن ينشر المقال التالى ولو أنه لم يشأ أن يوقّع عليه بإمضائه :

## نتائج السياسة المنياوية

نجح سعادة المنياوى باشا وأنصاره فى أن يهيمنوا على سياسة المجلس الملى ، و يوجهوها كما أرادوا من أول الدورة الماضية إلى نهايتها ، لا لأنهم كانوا أغلبية مطلقة فى المجلس ، ولكن لتضامنهم المدهش . فقد تكتلوا معا ، واتحدوا على تنفيذ سياستهم ، وملخصها جمع السلطة الكنسية كلها فى يد زعيمهم ، فكانوا يتفقون قبل الجلسات العامة خارج المجلس فى عيادة سعادة وكيل المجلس ، أو فى مدرسة الأقباط الكبرى على القرارات التى يتخذونها . وقلما كانوا يفشلون فى إملاء إرادتهم على المجلس ، ولم تتخذ هذه القرارات بالأغلبية المطلقة ، بل كانت فى معظم الأحيان تقرر بالترجيح ، أى بانضمام سعادة رئيس الجلسة إلى أنصاره طبقا للاتفاق السابق بينهم ، وكانت النتيجة لهذه السياسة العرجاء ، أن فشل المجلس فى دورته الماضية فشلا ذريعاً ....

فقد قوبل أعضاء المجلس فى أول الدورة بالتصفيق ، وقصائد المديح والثناء ، وودعوا ، فى نهايتها بالتقريع واللوم . واستقبلوا فى أول جلساتهم بالترحيب من غبطة رئيس المجلس الذى عقد عليهم الآمال الكبار ، وطردوا فى نهاية الدورة من دار المجلس وأغلقت أبوابه وراءهم بالشمع

(١) مجلة الإيمان فى عددها الصادر عن شهر برمهات سنة ١٦٦٦ مارس سنة ١٩٥٠ ص ٣٠٥ ــ ٣٠٨



الأحمر ، وأراد المنياويون أن يحصلوا على كل شىء فخسروا كل شىء . وذلك لطريقة الاستفزاز والتهور التى اتبعها سعادة وكيل المجلس ، وعاونه فيها أنصاره الكرام .

فلم يحدث فى تاريخ المجلس أن اتخذته إحدى الكنائس الاجنبية مطية لتنفذ سياستها فى الكنيسة القبطية ، وتتغلغل فى أمورها الروحية إلا فى هذه الدورة فقد اتخذه اسقف انجلترا قنطرة لينفذ سياسة دولته وكنيسته التقليدية بجر الكنيسة القبطية فى عجلة كنيسة انجلترا ، فعن طريق متطرفى المجلس الملى تقدم الأسقف الانجليكانى الى المتنيح الأنبا مكاريوس يعرض عليه أن يعين قسيساً انجليكانياً أسقفاً للكنيسة القبطية فى السودان . فلما أنكر عليه غبطته هذا الطلب ، الح وألحف الى أن ثار البطريرك رحمه الله حتى كف عن طلبه .

ولم يحدث فى تاريخ المجلس الملى أن اتفق بعض أعضائه على تعيين قسيساً انجليكانياً مدرسا فى الكلية الاكليريكية ليعلم طلبتها الأرثوذكسيين ــ اكليروس المستقبل فى الكنيسة القبطية ــ فلما قاومهم زملاؤهم ، ووقف فى وجههم المجمع المقدس ، أرادوا أن يفرضوا هذا القسيس بالقوة على المدرسة فاضطر نصف أعضاء المجلس أن يستقيلوا إزاء هذا التهور والعناد العجيب

ولم يحدث فى تاريخ المجلس ، ان قاضى وكيله غبطة رئيس المجلس ، و بطريرك الكرازة المرقسية ليمنعه من بناء دار للمكتبة فى قصره . و يقاضيه لكى يرغمه على وضع الكنائس القبطية تحت الحراسة ، وفى كنف وزارة الشئون الاجتماعية .

ولأول مرة فى تاريخ المجلس يأمر سعادة وكيله بمنع الطعام عن القصر البطريركى الأمر الذى قابله الرأى العام القبطى بالاستهجان والاشمئزاز ، فقد كتب سعادة قلينى فهمى باشا خطاباً للاب البطريرك يقول فيه : بلغنى ما اشمأزت منه نفسى جدا ، وظننت أن العمل الذى عمل فى منع تقديم الطعام للقصر البطريركى عمل صادر عن جنون ، يوجب احتقار من عمله ، وأمر معيب جداً ومخجل بل وموجب للعار »

ولأول مرة يقدم وكيل المجلس على سحب رصيد البطريركية و يضعه فى بنك مجهول وفى حسابه الخاص ، فلما ابلغت النيابة ، سحبه مرة أخرى وأخذ يبنى به مبنى للمدارس القبطية ، فى الوقت الذى وضعت فيه هذه المدارس فى يد وزارة المعارف وأصبحت أميرية بجملتها .

(١) فى عددها الصادر عن شهر بؤونه سنة ١٦٦٦ ــ يونيو سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٦٢ ــ ٣٦٥

ولأول مرة يستحكم الخلاف بين المجلس وغبطة رئيسه ، و يعرض هذا الخلاف أكثر من مرة على مجلس الدولة « و يقضى مجلس الدولة فى كل مرة بخطأ المجلس ، و بسلامة موقف الاب البطريرك ، و يقضى أخيراً بعدم وجود المجلس قانونا لانتهاء مدته .

١٠٢ ــ ولقد كان ذكرى مرور تسعة عشر قرناً على استشهاد القديس بولس رسول الأمم فى منتصف مايو سنة ١٩٥١ . فرأى الآباء اليونانيون الاحتفاء بهذه الذكرى العطرة مدى ثلاثة أيام : من ١٥ ــ ١٨ مايو، لأنهم أول شعب بين الأمميين نال بركة هذا الرسول العظيم . ولهذه المناسبة أرسلوا الدعوة الى مختلف الكنائس الأرثوذكسية . فلما وصلت الى قداسة الأنبا يوساب تعاطف مع الداعين إذ عادت به الذكرى الى أيام دراسته بينهم . فقرر إيفاد صاحبى النيافة الأنبا توماس مطران الغربية والبحيرة ، والأنبا يؤنس مطران الخرطوم لينوبا عن قداسته وعن الكنيسة المصرية فى هذا الاحتفال . وبما أنه كان قد تعلم فى أثينا فقد كان له أولاد روحيون من اليونانيين المقيمين فى مصر . ولشدة اهتمامه بهذه المشاركة فى ذكرى فيلسوف النصرانية دفع مصاريف السفر للمطرانين وللخواجة ينى ( أحد هؤلاء الأولاد الذين أشرنا اليهم ) من جيبه الخاص ــ وهو قد أرسل هذا اليونانى ليكون مترجما للحبرين الجليلين . ولقد رحّب الآباء اليونانيون بهما كل الترحيب وأنزلوهما ضيوفاً على الكلية اللاهوتية . فكانت فرصة مواتية للتعارف والتقارب بين الإخوة .

كذلك رحّب بهما كل من السفير والقنصل العام المصريين ترحيبا مليئا بالمودة والتآلف . فكانت فرصة حلوة رأى فيها كل من حضروا هذه الاحتفالات العظمى مدى التآخى بين مسلمى مصر وأقباطها . ( ١ )

١٠٣ ــ ومما يجب ذكره باستمرار هو أن الكاتدرائية المرقسية بالاسكندرية هى أول كنيسة بُنيت فى أرض مصر . و يرجّح البحّاثة الانجليزى بطلر أنها أول كنيسة بنيت فى العالم المسيحى كله . وحينما أقيمت فى بداية الأمر كان الكاروز العظيم مازال « يجاهد الجهاد الحسن و يستكمل السعى ( ٢ ) . فالمرجّح أنها شيدت سنة ٦٥ فى المكان عينه الذى تقوم فوقه الآن . وبالطبع احتاجت أحيانا الى الترميم وأخرى الى إعادة بنائها بعد هدم القديم تماما . وقد ظلت هذه الكنيسة والدار البابا وية المقابلة لها المقر الرئيسى لخلفاء مار مرقس الواحد منهم بعد الآخر الى أن قرر الأنبا خريستودولس ( البابا ٦٦ ) الانتقال الى العاصمة قريبا من الحكام المدنيين ( ٣ ) . ومع أن البابا أصبح يعيش فى القاهرة إلا أنه مازال « بابا الاسكندرية » لذلك

( ١ ) عظة الآباء عدد ١ من السنة ٢١ ــ توت ١٦٦٨ ( سبتمبر سنة ١٩٥١ ) ــ ص ٣٠ ــ ٣٣

( ٢ ) ٢ تيموثيوس ٤ : ٧

( ٣ ) راجع سيرته فى ف ٣ من هذا الكتاب



اعتنى البابا وات عناية خاصة بكتدرائية الكاروز المحبوب التى تحوى رأسه المبجّل الى الآن ( ١ ) .

وقد لاحظ قداسة الأنبا يوساب أن جدران هذه الكتدرائية فيها تصدّع ، فرأى من الأصوب هدمها واعادة بنائها . وتم هذا العمل بالفعل ، وقام البناء الجديد جميلاً شامخا . وفى ليلة الأحد ٣٠ بابة سنة ١٦٦٩ ( ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٢ ) احتفل البابا الجليل بتكريس الكتدرائية الجديدة واختتم هذه الصلوات بالقداس الإلهى صباح الأحد . وقد اشترك مع قداسته فى الصلوات أصحاب النيافة مطران اثيوبيا وأسقف هرر وأسقف أورشليم مبعوثو الامبراطور هيلا سلاسى الى جانب المطارنة المصريين . كذلك حضر عدد كبير من كبار المواطنين تشاركاً منهم معنا ، يتقدمهم مندوب رئيس الجمهورية محمد نجيب ( ٢ ) يصحبه محافظ الاسكندرية وحكمدارها .

ولما انتهت الصلوات المقدسة تتابع ثلاثة من المتكلمين كان أولهم القمص جرجس ابراهيم راعى كنيسة الملاك ميخائيل بطوسون . وقد أشار فى حديثه الى الروابط الوثيقة التى تربط الشعب الاثيوبى بالكنيسة الأم و بالكاروز الشهيد مار مرقس الأفريقى المولد . ثم قدم الشكر لمندوبى الحكومة .

ولما كان البابا الجليل قد أرسل خطابا الى هيلاسلاسى يخبره فيه بموعد تكريس الكتدرائية ، لم يكتف هذا العاهل بإرسال مندوبين بل أرسل معهم الهدايا التالية : إكليل من الذهب من صنع جواهرجية اثيوبيين ، كأس ومستير ( أى ملعقة ) وصينية لخدمة الذبيحة المقدسة ، صليب من الذهب لدورة الحمل ، درج بخور وشورية وسبعة ملابس كهنوتية .

وقد بعث البابا الجليل برده رداً يفيض بالشكر والمودة للامبراطور اختتمه بما يأتى : « .... وإننا نضرع الى الله القدوس أن يديم جلالتكم مجداً وفخراً للأرثوذكسية ولكنيسة مار مرقس العظيم ، وأن يمنحكم عمراً طويلا وصحة تامة ، وأن يفرح قلبكم بدوام ازدهار اثيوبيا وسلامة شعبها المبارك .

ختاما بركة الرب عليكم ونعمة الروح القدس فلتكن مع جلالتكم . آمين »

ومن نعمة الله أنه فى الأحد الأول من نوفمبر ــ ٢ منه ــ وهو الأحد السابق على تكريس الكتدرائية المرقسية بالاسكندرية ، تم تكريس كنيسة جديدة كل الجدة فى القنطرة شرق . وفى

( ١ ) راجع سيرته فى الفصل الأول من ف ١ من هذا الكتاب

( ٢ ) حدث فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن قام الجيش بثورة أطاح بها الملك فاروق وأعلن مصر جمهورية . ولما كان اللواء محمد نجيب أكبر ضباط الثورة سنا ورتبة عسكرية أقاموه رئيساً للجمهورية الناشئة . ولكن رياسته لم تدم غير بضع شهور آلت بعده الى جمال عبد الناصر .

ختام الشعائر المقدسة وقف جرجس حنين رئيس الجمعية الخيرية القبطية بتلك المدينة وألقى قصيدة نقتطف منها البيتين الآتيين :

يـابـيـعـة الـفـادى الأمين أفـيـقـى ... قـد أشـرق الـنـور الـبهـى عـلـيـك
أنـوار فـاديـك أنـارت وجـهـك ... فـلـتشكرى رب السماء باريك .....

١٠٤ــ كان الاثيوبيون قد عبّروا عن رغبتهم فى تحقيق عدة مطالب أولها رسامة مطران اثيوبى يكون مساعداً للأنبا كيرلس فى حياته ثم يتولى رياسة الكنيسة بعد نياحة المطران القبطى ــ هذا إن شاء الله أن يمد فى حياته ، أو اثيوبى آخر إن سبق فانتقل الى العالم العلوى قبل أن يرقد الأنبا كيرلس ولو أن الطلب اقتصر على هذا لكان من الممكن تنفيذه . ولكن الاثيوبيين طالبوا برسامة ثلاثة أساقفة أيضا غير الذين سبقت رسامتهم ، فيقومون هم والمطران برسامة الكهنة والأساقفة ــ بل والمطران الرئيسى أيضا . وكان الاثيوبيون قد تقدموا بهذه المطالب الى الأنبا مكار يوس الذى أوفد اليهم مندوبيه برياسة الأنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية . وعلى أثر عودتهم ازداد الموقف تعقيداً لأن القمص ابراهيم ( الذى كان وكيلا عاماً للبطريركية ) استطاع أن يحصل على الرسالة السرية التى كان الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا قد بعث بها الى البابا الاسكندرى . وعلى الرغم من كهنوت ابراهيم لوقا ومن معرفته بالسرية التامة للاعتراف ، وعلى الرغم من أن رسالة نيافة المطران كانت موجهة للبابا شخصيا حتى أن أحداً من المطارنة لم يطلّع عليها ــ على الرغم من هذا كله أطلع ابراهيم لوقا المنياوى على هذه الرسالة ، وهو بدوره خان عهد الأمانة بصفته وكيلا للمجلس الملى المفروض أنه حريص على العلاقة بين الكنيستين المصرية والاثيوبية ــ وذلك بأن نشر الرسالة على صفحات الجرائد ! ( ١ )

ووسط تصاعد الأزمة واشتدادها انتقل الأنبا مكار يوس الثالث الى الأخدار السماوية فأرجىء البت فى الموضوع الى أن يأتى البابا الجديد . وخلال الشهور الأولى من باباوية الأنبا يوساب تبادل هو والامبراطور الاثيوبى الخطابات تمهيداً لاستئناف المفاوضات بهدف الوصول الى حل يرضي الطرفين . بل لقد تدخلت الحكومة المصرية سعياً وراء حل يصون العلاقات بين الكنيستين و يوثق الروابط بين البلدين .

وخلال كل هذا الأخذ والرد أرسل الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا فى شهر مايو سنة ١٩٤٦ مذكرة الى قداسة البابا والى الآباء المطارنة مذكرة كان أهم ما فيها هو : « .... تقرر أخيراً رسامة خمسة أساقفة اثيوبيين واثنين مصريين ... فهل تثبتّم من إخلاص وعقيدة كل

( ١ ) راجع ف ٦٨ ــ ابتداء من « وفى يونيو سنة ١٩٤٤ أوفد البابا مكار يوس .... »



الرهبان الذى جاءوكم لرسامتهم ؟ وهل لاحظتم القرار الذى صدر من المجمع فى عهد المتنيح الأنبا مكار يوس بخصوصهم وهو أنه ينبغى اختيارهم من رُهبان الأديرة الخارجة عن أديس أبابا حتى لا يكونوا قد تأثروا بالمؤثرات الدخيلة ؟ فإن من بين من حضروا من يقطن أديس أبابا باستمرار وهو مِلكّتو ، علاوة على أنه مرسوم بيد الأسقف الذى أقامه الطليان ومن قواد الحركة الانفصالية .... كان قد تقرر أيضا أن يختار الرهبان بموافقة الامبراطور والامبراطورة ــ فهل جاءتكم هذه الموافقة ؟ .... يفكر البعض فى أن يكون هناك قائمقام مطران ــ فما هو اختصاصه أثناء وجود المطران أو أثناء غيابه ؟ و بأية رتبة سيكون ؟ وما هى صلته بالأساقفة وصلته بالمطران ؟ ومن أى جنس سيكون ؟ كل هذا يحتاج الى تفكيركم الناضج .

ولى ثقة عظمى فى كبير همتكم أن تفكروا فى هذه الأشياء وفى غيرها لنؤدى واجبنا على أكمل وجه من ناحية ابنتنا اثيوبيا ، ولنحافظ على التراث الذى تركه لنا الأجداد لنسلمه ــ لا ناقصا بل كاملاً ــ الى الأحفاد .

ونعمة الرب تشملنا جميعا ولله الشكر دائماً ، ( ١ )

ثم سافر القمص ابراهيم لوقا والمنياوى ــ على حساب الكنيسة ــ الى أديس أبابا ليقابلا الامبراطور هيلا سلاسى و يتفاوضا معه فى مطالب شعبه وفى مدى إمكانية استجابة الكنيسة القبطية لهذه الطلبات . و بينما هما هناك زار مندوب « الأنوار » نيافة الأنبا كيرلس الذى كان مقيما آنذاك بالطابق العلوى من المنزل الملحق بمبنى الاكليريكية بحى المهمشة ( ٢ ) ــ رغبة منه فى إجراء حديث صحفى معه . فأجابه بأن ظروفه دقيقة للغاية وتمنعه من أن يتحدث الى الصحافة ، لأن الصمت فى هذا الموقف خير من الكلام . و بعد الإلحاح تمكن الصحفى من استقاء بعض المعلومات . ومما جاء فى هذا الحديث : هل اتصل المبعوثان المصريان بنيافتكم قبل سفرهما الى أديس أبابا وهل أخذا رأيكم فيما يجب عمله ؟ ــ لم يتصل بى أحد . ولم أفاتح فى مشكلة الحبشة إطلاقا كأنى لم أكن مطرانا للحبشة ! بل إننى لم أعلم بسفر سعادة الدكتور المنياوى باشا والقمص ابراهيم لوقا إلا من الصحف ومن الزوار المترددين علىّ ... ( ٣ )

( ١ ) الأنوار فى ١٤ أبيب سنة ١٦٦٢ ( ٢١ يوليو سنة ١٩٤٦ ) ص ٩ ، و٢١ أبيب ( ٢٨ يوليو ) ص ٤ ــ ٥ . ويجب أن لا يغيب عن البال أنه بعث بهذه المذكرة بعد إبعاده عن عاصمة كرسيه على أثر العاصفة التى أثارها إفشاء الرسالة السرية ــ فهو والحالة هذه كان مازال على وعى بمسئوليته نحو الاثيوبيين وعلى حرص بأمانته نحو الكنيسة الأم .

( ٢ ) راجع ف ٣٧ من سيرة البابا كيرلس الخامس

( ٣ ) وهذا التجاهل من أوضح الأدلة على مدى الرغبة الجامحة التى استولت على هذين الرجلين الى حد جعلها يتناسيان أن المسألة الخطيرة هى مسألة العلاقة بين الكنيستين المصرية والاثيوبية وليست مسألة الإطاحة بشخص المطران للسيطرة على الكرسى الأسقفى فى اثيوبيا !

وبعد صمت تخللته كلمات قليلة قال نيافة المطران : « إننى قد طلبت قسيساً من البطريركية ليساعدنى فى القداس فى اثيوبيا فلم يجب طلبى بل ضرب به عرض الحائط ! أيفعل كهذا نرجو الخير للكنيسة القبطية ؟ .... لا شك فى أن التقصير فى كل هذا مرده الى ولاة الأمور فى البطريركية .... » (١)

وعاد المندوبان الى القاهرة . وبينما هما منشغلان بإعداد التقرير الذى سيرفعانه الى قداسة البابا قابل أحد الصحفيين وكيل المجلس الملى العام الذى أدلى اليه بحديث مختصر اختتمته بما يلى :

وذكر سعادة الدكتور المنياوى باشا أن الجريدة الرسمية لأثيوبيا وجهت إليه انتقادات مرة بل مريرة ووصفته بدكتاتور الأقباط وتهكمت عليه كثيراً إلى أن قالت « ولسنا نعلم إذا كان المنياوى باشا الذى فرض دكتاتوريته على الأقباط يستطيع أن يفرض هذه الدكتاتورية على أثيوبيا أيضاً ! » ثم تكلمت عن النزاع بينه وبين البطريرك الراحل وطلبت اليه بطريقة لاذعة أن ينهى النزاع بينه وبين المجلس الملى والبطريرك أولا ثم يوجه نظره شطر اثيوبيا ، ولا يخفى أن هذه الجريدة الرسمية لاثيوبيا ، وتوجيه هذه الطعنات اللاذعة منها لوكيل المجلس الملى العام القبطى فيه مغزى كبير.

ومن المؤلم أن المنياوى تصرف تصرفاً شخصيا فرديا بالاتفاق مع القمص ابراهيم لوقا كما يتضح من الخبر التالى :

... ولكن اتصل بنا أن خمسة من أعضاء المجلس الملى العام قدموا استجواباً عن كيفية سفر سعادة المنياوى باشا والقمص إبراهيم لوقا إذ أن المجلس الملى لم يعلم شيئاً عن هذا الموضوع إلا من الصحف ، التى ذكرت أن جلالة الإمبراطور طلب بواسطة وزارة الخارجية المصرية حضور المنياوى باشا شخصياً إلى أديس أبابا وهو قول لا يطابق الواقع . إذ أن وزارة الخارجية المصرية أبلغت غبطة البطريرك أن جلالة إمبراطور أثيوبيا يرغب فى استئناف المفاوضات و يرجو إيفاد بعثة بحيث تمثل المجلس الملى العام وغبطة البطريرك ، فاختار غبطة البطريرك جناب القمص إبراهيم لوقا وكيله لهذه المهمة . ولكن سعادة المنياوى باشا لم يعرض الأمر على المجلس ، و يقول الأعضاء المستجوبون أن مسئولية فشل المفاوضات إنما ترجع إلى سوء اختيار المفاوضين . (٢)

(١) الأنوار فى ٥ مسرى سنة ١٦٦٢=١١ أغسطس سنة ١٩٤٦ — ص ١١.

(٢) نشرت الأنوار أخبار المفاوضات والرسائل المتبادلة فى أعدادها : ٥ مسرى ص ١٠ — ١١ و ١٦ — ١٧ ، ٣ نسى (٨ سبتمبر) ص ١٦ — ١٩ ، ١٢ توت (٢٢ سبتمبر) ص ١٦ ، ١٩ توت سنة ١٦٦٣ (٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦) ص ١٧ — ٢٠. على أن غبطة البابا لم يوجه المنياوى على هذا التصرف بل حتى لم يوجه اليه كلمة لوم !



وبعد هذا الفشل تبادلت الكنيستان الوفود والرسائل ، وتم الاتفاق بينهما على النقط التالية :

١ — يختار مطران اثيوبى بعد انتقال الأنبا كيرلس الى بيعة الأبكار.

٢ — يحضر الراهب المختار الى مصر ليرسمه البابا المرقسى.

٣ — يكون لهذا المطران الحق فى رسامة الأساقفة الضروريين لاثيوبيا على أن يرسلهم أولاً الى بابا الاسكندرية ليتفاهم معهم و يوافق على رسامتهم.

٤ — يُعيَّن مندوب باباوى ليقيم فى أديس أبابا و يكون بمثابة « ضابط الاتصال » بين الكنيستين (١).

ومع أن كل هذه الطلبات قد استجيبت إلا أن الاثيوبيين كانت لهم مطالب أخرى رفضتها الكنيسة القبطية إذا استشف الآباء سرعة انفصال الكنيسة الاثيوبية عن أمها إن هم قبلوا تلك المطالب . ولكن الاثيوبيين ظلوا على إلحاحهم ، وبالتالى ظلت المفاوضات تتوقف تارة وتستأنف أخرى الى نهاية عهد البابا كيرلس السادس سنة ١٩٧١.

ثم وجد المسئولون الاثيوبيون فرصة سانحة حينما كانت مصر فى حاجة الى تعضيد قضيتها السياسية فى مجلس الأمن ، فاشترطوا استجابة طلبها كما يتضح من الخبر التالى :

## صوت اثيوبيا فى مجلس الأمن

ترغب الحكومة المصرية فى كسب صوت اثيوبيا إلى جانبها فى مجلس الأمن ، فدارت مفاوضات بين الحكومتين لهذا الغرض انتهت بأن قبلت الحكومة الاثيوبية التصويت إلى جانب مصر على شرط أن تتم رسامة الأساقفة الاثوبيين دون أخذ أى تعهد عليهم واجابة المطالب الأخرى التى سبق أن تقدم بها جلالة الامبراطور إلى غبطة البطريرك.

(١) راجع تفصيلات المحادثات التى جرت بين الكنيستين من سنة ١٩٢٦ — ١٩٥٣ فى مقال للدكتور مراد كامل نشره بالفرنسية فى مجلة جمعية الآثار القبطية — العدد الرابع عشر (سنة ١٩٥٠ — ١٩٥٧) صدر فى القاهرة سنة ١٩٥٨ — ص ١ — ٢٢ :

Murad Kamil - «La hlerniére Phase des Relations Historiques entre l'Eglis Copte d'Egypte et Celle d'Ethiapie»

الأنوار فى ١٤ أبيب سنة ١٦٦٢ (٢١ يوليو سنة ١٩٤٦) ص ٩ ، ٢١ أبيب (٢٨ يوليو) ص ٤ — ٥ و ١٠ ، ٢٨ أبيب (٤ أغسطس) ص ١٠ — ١١ ، ٥ مسرى (١١ أغسطس) ص ٣ و ١٠ — ١١ و ١٦ — ١٧ ، ١٢ مسرى (١٨ أغسطس) ص ٩ ، ٣ نسى (٨ سبتمبر) ص ١٨ — ١٩ ، ١٢ توت سنة ١٦٦٣ (٢٢ سبتمبر) ص ١٦ ، ١٩ توت (٢٩ سبتمبر) ص ١٧ — ٢٠

وقد أوفد صاحب الدولة النقراشي باشا مندوبا من قبله حيث قابل غبطة البطريرك وطلب اليه قبول المطالب الاثيوبية فى سبيل نجاح القضية المصرية ، وأن رئيس الوزراء يأمل أن يضحى غبطة البطريرك كما ضحى الأقباط فى الماضى فى سبيل كسب قضية بلادهم ، وأن الأقباط وقد بذلوا دماءهم ذوداً عن حياض أرض وادى النيل فلا يبخلون اليوم بأية تضحية أخرى . وقد انتدبت الحكومة المصرية سعادة الأستاذ سابا حبشى باشا للقيام بهذه المهمة ، فقابل غبطة البطريرك فزوده بكتاب إلى جلالة الامبراطور بمدى ما يمكن قبوله من المطالب الاثيوبية (١)

وبعد هذا النضال المستمر قرر الأنبا يوساب ومجمعه استجابة المطالب الاثيوبية على شرط أن تظل الكنيستان مرتبطتين ، وأن يحضر الراعى الاثيوبى الأول الى القاهرة لينال بركة الرسامة من يدى الجالس على السدة المرقسية . ولما كان الامبراطور هيلاسلاسى ورجال كنيسته وحكومته من المعتزين بكاروزنا وبالتاريخ الطويل الذى يربط بينهم وبين كنيسة مصر فقد وافقوا على هذا الشرط . وعلى ذلك أقام البابا المرقسى قداساً على جانب كبير من الروعة يوم الأحد ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٨ احتفالاً برسامة خمسة من الأساقفة الاثيوبيين : أولهم الأنبا باسيليوس أسقف شوا التى تقع أديس أبابا ضمنها . وقد اشترك مع قداسة البابا فى تأدية الشعائر المقدسة ستة من المطارنة القبط وعدد غير قليل من كهنتهم . وما إن انتهى القداس الإلهى حتى تقدم الأساقفة الاثيوبيون ــ واحداً فواحداً ــ الى الأنبا يوساب وأقسموا له يمين الولاء وتلقوا منه نصائحه الأبوية .

وفى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم عينه أقام قداسة البابا حفلة غداء تكريماً لهم ، دعا إليها عدداً من رجال الكنائس المختلفة ومن كبراء الدولة . وحالما أخذ كل مقعده تقدم سفير اثيوبيا الى الأنبا يوساب ورفع اليه الهدايا التى بعث بها الامبراطور هيلاسلاسى وهى : الوشاح الأكبر من نيشان « سلاسى » ( أى الثالوث ) ورصيعته الذهبية ، وهو أرفع وسام اثيوبى ، حلة باباوية موشاة بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة .

وفى صباح اليوم الثالث أقام الأساقفة الاثيوبيون قداساً إلهيا فى الكاتدرائية المرقسية بلغتهم الخاصة وألحانهم القومية . ولما انتهوا من هذه الصلوات المقدسة سافروا الى الاسكندرية ليتبركوا بزيارة كنيسة الكاروز العظيم ومدينته التى استشهد فيها ولينالوا بركة رفاته المقدسة . وبعد نوال هذه البركات العظمى تقابلوا مع الخليفة الخامس عشر بعد المائة للكاروز الشهيد

(١) الأنوار ٢٢ بؤونة سنة ١٦٦٣ ( ٢٩ يونيو سنة ١٩٤٧ ) ص ٤



وأخذوا منه الإذن فى العودة الى بلادهم . فنحهم بركته الرسولية وكرر عليهم نصائحه وتمنى لهم سفراً مريحاً وحياة مليئة بالخدمة (١) .

١٠٥ ــ كذلك يجب أن تذكر الأجيال القادمة فى تتاليها بأن الجيش البريطانى ظل مرابطاً على ضفتى القناة بحجة الدفاع عن حرية الملاحة الدولية بعد أن اضطرته الثورات الشعبية الى الإجلاء عن أرض مصر . فاستمر المصريون فى نضالهم . تارة بالعنف وأخرى بشىء من المسالمة . وفى يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ أقيم سرادق كبير فى ميدان الاسماعيلية ( التحرير ) وتقرر أن يقوم الشعب بمظاهرة صامته تطوف شوارع القاهرة وميادينها وتنتهى عند هذا السرادق . فأصدر البابا يوساب تعليماته الى رجال الاكليروس بالاشتراك فى هذه المظاهرة ، وأرسل هذه التعليمات الى « الأهرام » فنشرتها فى عددها الصادر يوم ١٠ منه ، وقد جاء فى آخرها : « ... قال غبطته إن قبط مصر كانوا دائما فى مقدمة الصفوف فى الجهاد والتضحية . وكان بعض رجال الاكليروس من قادة الثورة سنة ١٩١٩ . كما أن دماء القبط اختلطت بدماء مواطنيهم المسلمين فى معركة الحرية والاستقلال وارتوت أرض مصر بها .

ثم نشرت جريدة « المصرى » وصفاً لما جرى تحت عنوان : « رجال الدين مسلمين وأقباط يتقدمون المظاهرات الصامتة » ــ وقد قالت فيه : « أوفد غبطة البابا الأنبا يوساب بطريرك الأقباط الأرثوذكس صاحبى النيافة الأنبا توماس مطران الغربية والبحيرة والأنبا يؤنس مطران الجيزة والقليوبية على رأس لفيف من رجال الاكليروس بملابسهم الرسمية حيث اشتركوا فى المظاهرة . ومما يُذكر أن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حمروش كان متأبطا ذراع الأنبا توماس أثناء سير المظاهرة . فكان منظراً رائعاً دل على اتحاد عنصرى الأمة وتضامنها فى الشدائد » .

« ثم وصل الجميع الى السرادق . وما هى إلا دقائق معدودات حتى وصل رفعة مصطفى النحاس باشا فصافح الحاضرين : كلاً بدوره ... وفى لحظة قومية رهيبة ارتفع صوت المذيع يعلن على الملأ تعانق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومندوب غبطة البطريرك مباركة للوطن فى يومه وللشعب فى جهاده . فلم يسع الجموع الزاخرة الصامتة إلا أن تطأطىء خشوعاً لهذا الشعور الكريم وهذا الاندماج العظيم » .

ولقد جرت مظاهرات مماثلة فى مختلف أنحاء مصر . وكانت كلها صورة على التآلف والتعاطف المتبادلين بين القبط والمسلمين (٢) .

(١) مجلة الايمان ــ العدد الأول للسنة الثامنة عشرة ــ توت سنة ١٦٦٥ ( سبتمبر سنة ١٩٤٨ ــ ص ٤٠ ــ ٤١

(٢) الأهرام فى ١٠ و١٥ نوفمبر سنة ١٩٥١ ، المصرى فى ١٥ منه ، الايمان العدد الرابع من السنة الحادية والعشرين هاتور سنة ١٦٦٧ ( ديسمبر سنة ١٩٥١ ) ص ١٥٧ ــ ١٥٨

ولما حققت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تحويل مصر من ملكية الى جمهورية أكد رجال الثورة أن الدين لله والوطن للجميع ، فالمواطنون متساوون فى وطنيتهم . وتأييداً لهذا التآخى الحلو أرسل اللواء محمد نجيب ــ رئيس الجمهورية آنذاك ــ بطاقة التهنئة بعيد الميلاد رمزاً لهذا التآلف . فنشرتها مجلة الايمان مع برقية الشكر التى بعث بها القمص بطرس جرجس رداً على الرئيس فى عددها الصادر عن شهر طوبة سنة ١٦٦٩ ( فبراير سنة ١٩٥٣ ) :

هذا رسم البطاقة التى بعث بها اللواء أركان حرب الرئيس محمد نجيب إلى جمعية الإيمان القبطية بشبرا بمناسبة عيد الميلاد المجيد ، ويرى فى الرسم تصميما رائعاً لشعار العهد الجديد المثلث الأركان ( الاتحاد . النظام . العمل )

وقد تركت هذه البطاقة أثراً عميقاً فى القلوب .

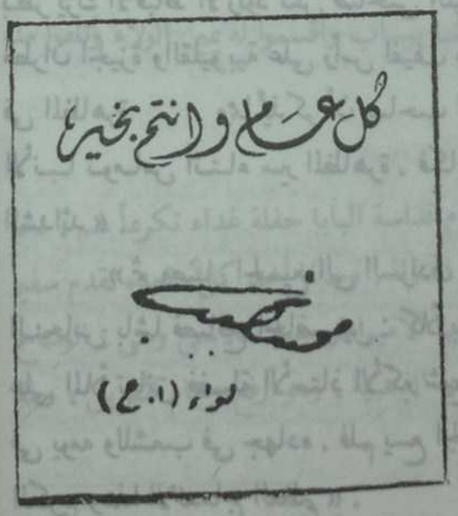


نص برقية الشكر التى بعثت بها الجمعية إلى الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب رداً على تهنئته الخالصة :

الرئيس أركان حرب اللواء محمد نجيب . جمعية الإيمان القبطية ومعاهدها بشبرا تتقدم إلى منقذ الوطن بوافر الشكر وأخلص التمنيات لتفضله بتهنئتها بعيد الميلاد المجيد وترجو الله



صادقة ليوفقكم للرفعة البلاد وبناء مجدها فى ظل العهد الجديد عهد الإتحاد والنظام والعمل ،

١٠٦ ــ إن الاكليريكية للكنيسة هى بمثابة العمود الفقرى الذى ينتصب به الجسم . وكلنا يعرف ما كان لمدرسة الاسكندرية من الأثر البعيد على الفكر المسيحى والعقيدة الأرثوذكسية فى مختلف البلاد . ثم تناوبت الخطوب بلادنا فأصابت الكنيسة بالضرورة : بل إن الخطوب على الكنيسة كانت مضاعفة . ومن النتائج الأسيفة للأحداث العاصفة أن أغلقت هذه المدرسة التى ظل نورها وهّاجا خمسة قرون . واستمرت الكنيسة من غير مدرسة اكليريكية قرونا طويلة يتسلم خلالها الخلف عقيدته تسليما مباشراً من السلف . ثم وصل البابا الوقور كيرلس الخامس الى السدة المرقسية فرأى وجوب استعادة الكنيسة لاكليريكية تغذى الأبناء بتعاليم الآباء وتؤهلهم لأن يكونوا رعاة معلمين . وهكذا أعيد افتتاح هذه المدرسة الحيوية فى ٢٩ نوفبر سنة ١٨٩٢ .

وسارت هذه المدرسة سيراً حثيثا بهمة الساهرين عليها . ولكن عدو الخير لا يستريح إن لم يقم العثرات فى سبيل كل مجاهد للوصول الى الكمال المسيحى . وهو يستعمل شتى الوسائل : فأحيانا تأتى العثرات من الخارج وأخرى من الداخل . ويتسلى فى فترات بالجمع بين الطريقتين ! ففى ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٦ استثار بعض أعضاء المجلس الملى العام الى التفكير فى إيفاد بعثة من الشباب لتلقى العلم فى إحدى الاكليريكيات الانجليزية . والتعليم فى حد ذاته مرغوب فيه . ولكن من الخطورة بمكان إرسال شاب غير متعمق فى عقيدته الارثوذكسية الى مدرسة تلقنه تعاليم مغايرة لهذا العقيدة . فلماذا لا يذهب الى مدرسة أرثوذكسية ؟ ألم يوفد البابا كيرلس الخامس سبعة رهبان للدراسة فى أثينا ؟ وحينما عادوا ووصلوا الى مراكز قيادية علموا الشعب على الحرص التام فيما يتعلق بالعقيدة التى تسلمها من الآباء .

وبالطبع عارض قداسة البابا يوساب هو ومجمعه هذا الرأى . وهكذا دب الخلاف بين الهيئتين العليتين فى الكنيسة . ولقد قيل أن صاحبى الاقتراح فى المجلس استمعا الى نصيحة القمص ابراهيم لوقا الذى أسدى هذا النصح من غير أن يعرضه على البابا الذى أقامه وكيلا عاما للبطريركية ! ( ١ )

( ١ ) الأنوار فى ٢٨ أبيب سنة ١٦٦٢ ( ٤ أغسطس سنة ١٩٤٦ ) ، وبالطبع سرى الخلاف من هاتين الهيئتين الى الشعب . ومما يحزّ فى النفس أن الذريعة التى كان يتذرع بها الراغبون فى هذه البعثة أن قداسة البابا والآباء المطارنة يعارضون الفكرة لأنهم جهلاء فيقاومون العلم ! والأمر من هذه الدعاية الباطلة أن وُجد بين القبط من صدقها ! بل مازال يصدقها !

ومن عناية الله بكنيسته أن فشلت هذه المحاولة وتراجع المنادون بايفاد شباب الى اكليريكية انجليزية .

على أن الفشل دفع بعدو الخير الى استثارة أخرى هى أن الذين طالبوا بالبعثة واضطروا الى العدول عنها اقترحوا تعين كاهن انجليزى لتدريس اللغة اليونانية القديمة فى الاكليريكية ، زاعمين أنه لا يوجد قبطى يعرف هذه اللغة ! فاجتمع حبيب جرجس بأساتذته وأصدروا بيانا وقعوا عليه بالإجماع نقتطف منه مايلى : « ... وقد صرنا حيارى فى هذه الاجراءات المتتالية لإدخال روح الثقافة الانجليزية فى الاكليريكية ... ولا يغنى أن يقال إن هذا الراعى الأسقفى لا يدرّس غير اللغة اليونانية القديمة ... لأن هذه اللغة هى لغة الانجيل وأصل علم اللاهوت ... فلا شك فى أنه يمكن أن تُؤوَّل النصوص تأويلا خاصاً ... ومع شعورنا بأهمية اللغة اليونانية نسائل المجلس الملى لِمَ لم يتجه فى ذلك وجهة أخرى ؟ وهو يعلم أن بالكلية الاكليريكية أستاذاً — هو يسى عبد المسيح — يقوم بتدريس هذه اللغة ، وهو كفء قدير ، وله خبرة واسعة بتدريسها ، كما أنه ملمّ بعدة لغات أخرى ، وسبق له أن درسّ بالجامعة المصرية القديمة اللغات الثلاث : اليونانية القديمة والقبطية الصعيدية والهيروغليفية ... ونحن كمسئولين أمام الله وأمام الكنيسة فى كل الأجيال نأبى كل الإباء أن يقوم بتدريس هذه المادة أحد رعاة الكنيسة الأسقفية ... إننا نؤمن أن رجال مجلسنا حريصون على قبطيتهم وحريصون على إيمانهم وعقيدتهم وحريصون بالتالى على أن يحفظوا للاكليريكية استقلالها الدينى ... إننا جد مؤمنين بحقنا فى هذه القضية وهى قضية الكنيسة القبطية وقضية العشرين قرنا التى سلختها فى جهادها من أجل الحق الذى تؤمن به .

ونحن نناشدكم بأن تقولوا قولكم وتعملوا بما يرضى ضميركم صوناً لكرامة الكنيسة وذوداً عن شرفها وسمعتها واستقلال ايمانها .

وتفضلوا حضراتكم بقبول عظيم احترامنا ،

فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٧ ( توقيعات )

١٥ طوبة سنة ١٦٦٣

وعرة أخرى انتصرت الكنيسة القبطية (١)

وتوالت السنوات والاكليريكية سائرة فى طريقها . وخلال هذه السنوات أخذ موضوع تدريس الدين المسيحى فى المدارس الحكومية يتصاعد . وبعد أن أقرت وزارة التربية والتعليم المبدأ طالب الاكليريكيون بوجوب إسناد تدريسه اليهم لكى ينشأ الجيل الصاعد على علم

(١) الأهرام فى ٢٥ طوبة سنة ١٦٦٣ ( ٢ فبراير سنة ١٩٤٧ ) — ص ٩ — ١٠ ، قصة حبيب المصرى ص ٢٣٨ — ٢٤٠



بعقيدته الأرثوذكسية وتجاوباً مع هذه الرغبة البنّاءة أرسل قداسة البابا خطاباً الى كل من رئيس الجمهورية ووزير التربية والتعليم — وهذا نصه : ( بعد الديباجة )

لما كنا فى مطلع فجر مشرق جديد تسوده العدالة والحرية ، ولما كنا نرجو لوطننا المفدى العزة والكرامة ونستبشر كل خير لبلادنا العزيزة على يديكم لهذا يسرنا أن نعرض على مسامعكم مسألة هامة من أعظم مسائلنا العامة .

تعلمون حفظكم الله بأن الدين هو الدعامة القوية لتقويم الأخلاق وهو الحصن الذى يقى شباب الوطن شر التيارات التى تطغى على العالم .

لذلك كان من أهم ما تعنى به الأمم المتحضرة الاهتمام بتعليم الدين .

وكانت مصر أولى البلاد فى هذا المضمار إذ سبق أن قرر مجلس الوزراء فى ٨ أبريل سنة ١٩٠٧ إدخال درس الدين المسيحى بالمدارس الأميرية .

وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ أصدر وزير المعارف قراراً بتشكيل لجنة للنظر فى كل ما يتعلق بدرس الدين المسيحى فتعاون البطريرك مع تلك اللجنة واعتمدت الوزارة البرامج والكتب الدينية التى قدمها البطريرك وقررت تدريسها . وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢١ أصدر وزير المعارف قراراً رقم ٢٢٧٩ بتعليم الدين المسيحى للطلبة بمدرسة المعلمين العليا ومدرسة المعلمات السنية .

وفى يوليو سنة ١٩٣٧ أصدر حضرة وزير المعارف قراراً رقم ١٩١٦ بإعادة تشكيل اللجنة لتنقيح البرامج فتعاونا أيضاً مع هذه اللجنة وقدمنا للوزارة الكتب المطابقة للبرامج الجديدة فاعتمدتها وقررت تدريسها على أنه قد مرت فترة من الزمن تعطل تدريس الدين المسيحى بها لسبب لا علم لنابه إلى أن أصدر حضرة وزير المعارف قراراً بتاريخ ١٩٥١/١٢/١ فى نشرة عامة رقم ٨ بناء على شكوانا وشكوى أولياء أمور الطلبة المسيحيين .

ولما كان هذا القرار قد جاء ناقصاً ومبتوراً إذ اهتم بتقرير درس الدين المسيحى دون أن يهتم بتقرير المدرس الإخصائى له لذلك جئنا إلى حضرتكم بكتابنا هذا آملين أن تصدروا أوامركم الكريمة إلى الجهات المختصة بتكملة القرار المشار إليه .

وذلك بإسناد درس الدين المسيحى بالمدارس إلى المدرسين الفنيين فى هذه المادة وهم خريجو الكلية الإكليريكية . ذلك المعهد الذى شهد له السيد المحترم الأستاذ عبد الرازق السنهورى أيام كان وزيراً للمعارف قائلا عنه أنه يوازى المدارس العليا . ولا يخفى على فطنة حضرتكم أن

تدريس هذه المادة بمعرفة مدرسين غير إخصائيين يعرض أولادنا إلى أخطاء فى تفهّم عقائد دينهم بل يعرّض المادة نفسها إلى الإهمال كلية .

ولقد سبق أن عيّنت وزارة المعارف لجنة من كبار مفتشيها ومشرعيها ودرست هذا المشروع وانتهت إلى أن طلبت منا كشفاً بأسماء خريجى الاكليريكية وفعلا أرسل الكشف .

ونحن إذ نشق كل الثقة فى أن هذا الموضوع سيكون محل عنايتكم الكريمة واهتمامكم الكلى فإننا ندعو الله أن يؤيدكم و يزيدكم من نعمه وتوفيقاته وتقبلوا تحياتنا ،

بابا الاسكندرية ــ و بطريرك الكرازة المرقسية

١٠٧ ــ ثم حدث أن المبنى الضخم المقام على أرض الأنبا رويس والذى يضم القاعة اليوسابية ( المرقسية ) ظل خاليا بسبب اختلاف الرغبة فى استعماله : فبعض من أعضاء المجلس الملى العام أرادوا جعله كلية للتمريض لتخريج ممرضات على مستوى عال ، بينما رأى البعض الآخر وجوب استغلاله لصالح الكنيسة . وفى تلك الفترة رأت وزارة التربية والتعليم أنه من التقصير ترك مبنى كبير كهذا دون استعمال لذلك فكرت فى الاستيلاء عليه . ووصلت أنباء هذا التفكير الى مسامع قداسة الأنبا يوساب . وفى الحال أمر بمحادثة أعضاء المجلس الملى تلفونيا ومطالبتهم بالحضور فوراً للاجتماع به لأمر هام جداً . وكان ذلك مساء الخميس الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٥٣ . وسارع كل من أمكنه منهم الى تلبية الطلب الباباوى . ولما اجتمعوا أبلغهم قداسته بما سمعه . فتقرر نقل الكلية الاكليريكية من مكانها بالمهمشة الى هذا المبنى . وليس ذلك فقط بل صدر القرار بنقلها فى المساء عينه صوناً للمبنى وللأرض المقام عليها . وأعجب ما فى الأمر أن النقل تم فعلاً ، إذ أن الطلبة الاكليريكيين ساعدوا بأنفسهم فى نقل الأثاث والأدوات بالإضافة الى أمتعتهم الخاصة . وباتوا تلك الليلة عينها فى المبنى الجديد ( ١ ) .

وهذا درس قريب العهد عن النجاح السريع الذى يحققه الفكر الواحد والتفاهم فى بلوغ الهدف .

وحينما ذهب حبيب المصرى مع زملائه ــ طوعاً لرغبة قداسة البابا ــ ليبلغوا الطلبة الاكليريكيين بهذا القرار الحاسم نصحهم بقوله : « جيد أن يختار كل منكم قديسا معينا يتخذه نموذجاً ينسج على منواله » .

وكان المجلس الملى قد سبق فأصدر قراراً . برفع مستوى المدرسة الإكليريكية وجعلها



كلية لاهوتية واعتمد فى ميزانيته لترقية هذه الكلية مبلغ ثلاثة آلاف جنيه فى السنة ، وقد رأى المجلس أخيراً تأليف مجلس إدارة لهذه الكلية يضم بعض حضرات أصحاب النيافة المطارنة فقرر أن يكون مجلس الكلية مؤلفاً من حضرات أصحاب النيافة مطران منفلوط ومطران أسيوط ومطران الشرقية وأصحاب السعادة والعزة حبيب المصرى باشا وابراهيم تكلا بك وفهيم سليمان بك من أعضاء المجلس الملى العام . على أن يعرض على اللجنة فى أول اجتماع لها مدى نشاط الكلية وعدد الذين تخرجوا منها فى السنوات الخمس الأخيرة ومن يشتغل منهم بمهنة الوعظ أو انخرط فى رجال الإكليروس ( ١ ) .

ولقد ضاعفت كل هذه المجهودات من حماس الاكليريكيين ، فألّفوا ما أسموه « جمعية أبناء الكلية الاكليريكية » تكون وسيلة للترابط بين الخريجين والطلبة . وقد رفعت هذه الجمعية مذكرة الى وزارة التربية والتعليم عن تاريخ الكلية و برامج الدراسة فيها وتقدمها العلمى والثقافى . وقد دُعّمت هذه المذكرة بتقارير مفتشى الوزارة و بشهادة وزيرين من كبار وزرائها هما عبد الرازق السنهورى باشا ودكتور طه حسين باشا . وقد أعفى ثانيهما الاكليريكيين من التجنيد أسوة بطلبة الأزهر وخريجيه .

واستناداً الى همة الدكتور طه حسين طالب أبناء الاكليريكية بتعيينهم مدرسين للدين المسيحى فى المدارس الحكومية ( ٢ ) .

١٠٨ ــ ولقد أثبت لنا الآب السماوى مراراً وتكراراً ، وعلى مدى القرون المتتابعة مقدار سهره على كنيسته وعنايته بها ــ هذه الكنيسة التى أسسها مار مرقس كاروزنا واستشهد من أجلها ثم تبعه الآلاف من الشهداء والشهيدات ، هذه الكنيسة التى كثيراً ما عصفت بها الأنواء حتى لقد اظلمت الشمس فوقها فى رائعة النهار إعلاناً بأنها كسيدها وهو فى عمق آلامه . ثم سكنت الأنواء وسطع النور من جديد . فكل من يتمعن « قصة » كنيستنا المحبوبة يزداد إدراكاً لرعاية الله الساهرة أبداً . وهذا ما حدث فى تلك الفترة إذ قد امتدت يده الحانية لتعيد التوازن الذى تلاعب به الإنسان . ففى وسط المرارة التى ملأت النفوس لأن خادماً جاهلاً أصبح المحرك الأول للبابا الجليل المفروض بأنه هو المسئول عن رعية فاديه ومض الخيط الذهبى من خلف الغيوم . فبعد الثورة التى قادها الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، و بعد بداية عصر جديد لمصر ، بدأت حركة تنشيط داخل الكنيسة . واستمراراً مع تشييد الكنائس وتكريسها أقيم بناء ضخم

---

( ١ ) الأنوار فى ١١ طوبة ١٦٦٣ ( ١٩ يناير سنة ١٩٤٧ ) ص ٩

( ٢ ) الايمان عدد ٧ لسنة ٢١ ــ برمهات سنة ١٦٦٨ ( مارس ١٩٥٢ ) ص ٣٢٢

على أرض الأنبا رويس (١) تتوسطه قاعة كبرى دعيت أولاً « القاعة اليوسابية » ثم تحول اسمها الى « القاعة المرقسية » . وقد دعا قداسة الأنبا يوساب الى حفل افتتاحها عدداً كبيراً من رجال الكنيسة والدولة وسيداتها فى مساء الجمعة الموافق ٦ أمشير سنة ١٦٦٩ ( ١٣ فبراير سنة ١٩٥٣ ) . واليكم صورة من بطاقة الدعوة ومن برنامج الحفلة :

**يوساب الثانى [١١٥] بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ورئيس المجلس الملّى العَام**

**يَدعو حضرتكم لتشريف حفل افتتاح القاعة اليوسَابية للمحاضرات بمبنى كلية مارمرقس القبطية بدير الأنبا رويس بشارع الملكة وذلك فى السّاعة الرابعة من مساء يوم الجمعة ٦ امشير سنة ١٦٦٩ : شهداء الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٥٣ ميلادية**

**الأنبا رويس يتهلل بالروح :**

## حفلة افتتاح القاعة اليوسابية الكبرى

- **غبطة البطريرك يعانق مندوب الرئيس ويفتحان القاعة**
- **الوزراء والكبراء والسفراء وممثلو الطوائف فى الاحتفال**
- **ثلاثة من وكلاء المجلس الملى العام يجتمعون فوق المسرح معاً**

كان يوم الجمعة ١٣ فبراير الماضى يوماً مشهوداً فى تاريخ الأقباط بل فى تاريخ مصر قاطبة ، إذ افتتح غبطة البابا البطريرك والقائمقام فريد عبد الله مندوب الرئيس النجيب « القاعة اليوسابية الكبرى » بمبنى كلية مار مرقس القبطية بدير أنبا رويس ، وما أن وفد مندوب الرئيس حتى عانقه غبطة البطريرك واستقبله الأستاذ الكبير كامل يوسف صالح وكيل المجلس الملى العام وباقى أعضاء المجلس بالتجلة والاحترام ، فأنشدت فرقة المعهد الفرعونى بقيادة الأستاذ الفنان ملاكة عريان نشيد التحرير بشكل وعرض أدهش جموع الحاضرين ، والحق أن المعهد الفرعونى

(١) انظر حديث المصرى ص ٢٤١ ـ ٢٤٥



فى ذلك اليوم كان درة فى جبين الحفل حتى أنه شرف الكنيسة ورفع رأس مار مرقس عالياً فى مبناه العظيم .

وكان فى ركاب البابا أربعة من أصحاب النيافة المطارنة وهم الآباء الأنبا توماس مطران طنطا والأنبا متاؤس مطران الزقازيق والأنبا يؤانس مطران الجيزة والأنبا غبريال أسقف دير الأنبا أنطونيوس وبصحبتهم سكرتيرا غبطة البابا القمص مقار الأنطونى السكرتير الروحى والأستاذ يوسف جرجس السكرتير المدنى والقمص جرجس ابراهيم وكيل عام البطريركية .

ولقد رأينا فى مقدمة الحاضرين الاستاذ اسماعيل القبانى وزير المعارف والدكتور نور الدين طراف وزير الصحة والدكتور طه حسين زعيم الادب العربى والوجيه ميشيل لطف الله والدكتور نجيب اسكندر والاستاذ فؤاد ابراهيم جرجس وكيل مجلس ملى الاسكندرية وقد حضر خصيصاً لتمثيل الاسكندريين فى هذا الحفل العظيم كما حضر لفيف من كبار ضباط الجيش وكان الاستاذ الكبير فرج جبران المحرر بدار أخبار اليوم يقدم الخطباء للشعب ، هذا وقد أذاعت محطة الاذاعة هذه الحفلة من محطتها الرئيسية وسجلتها على شريط أعادت اذاعته فى اليوم التالى .

**السكرتير العام للمجلس :** ولم يستطع جميع الحاضرين أن يخفوا دهشتهم من نظام الحفل وحسن تنسيقه وابداعه وجماله فأثنوا جميعهم على لجنة التنظيم وعلى رأسها الأستاذ الكبير نبيه يوسف الذى استدعاه غبطة البطريرك خصيصاً وقبله قبلة أبوية وشكره على مجهوداته المشكورة فى هذا السبيل .

**كلمة الكنيسة :** وقد ألقى نيافة الحبر الجليل الأنبا يؤانس مطران الجيزة وعضو لجنة الدستور كلمة الكنيسة ضمنها جهود رجال الدين السابقين والحاليين فى خدمة الشعب وعرض إلى كفاح البابا كيرلس الرابع أبى الاصلاح فى خدمة الأمة ورسالته الإصلاحية التعليمية والثقافية لمصر ، ثم تدرج إلى ذكر البطاركة اللاحقين إلى أن وصل إلى غبطة البطريرك الحالى ثم أشار على الخصوص إلى العلاقات بين الكنيسة المرقسية وابنتها الكنيسة الأثيوبية

**كلمة المجلس الملى العام :** وهنا نهض الأستاذ كامل يوسف صالح وكان من بين كلمته أن نفقات مبنى الكلية بلغت ١٢٥ الف جنيه ، وأن القاعة التى يحتفل بافتتاحها هى قاعة الشعب ليس لمصرى فضل على مصرى إلا بمقدار ما يبذل من جهود وما يقدم من تضحيات بل ما يقدم من دم طاهر فى سبيل اسعاد الشعب إلى أن قال « ولسوف تحلق فى سماء هذه القاعة أفكار الباحثين فى مصلحة مصر ولسوف تدوى فيها أصوات الخطباء فى شئون شتى تتعلق بنهضة مصر وكرامتها وعزتها وستقدم العقول الراجحة هنا عصارة تفكيرها فى كل ما يؤول إلى تقدم مصر »

**كلمة وزير المعارف :** واعجبنا منها تلك الإحصائية الطريفة التى جاء فيها « لقد سجل التاريخ للمدارس القبطية جهوداً كبيرة صادقة فى سبيل نشر التعليم بوادى النيل فكما كانت المساجد على ممر الأجيال مركزاً للدراسة والبحث العلمى وكانت تنشأ إلى جانبها « الكتاتيب » لتزويد الأطفال بالمعارف الضرورية كذلك كانت الكنائس تلحق بها مدارس يعنى فيها بالتعليم والتثقيف ، إلى أن كانت نهضة التعليم القبطى فى منتصف القرن الماضى فأنشأ البطريرك كيرلس الرابع مدرسة الاقباط الكبرى الملحقة بالكنيسة المرقسية فى سنة ١٨٥٢ كما أمر ببناء مدرسة الاقباط بحارة السقايين ، ثم اتسعت المدارس القبطية وشملت كل أنواع التعليم من علمى وفنى للبنين والبنات فأصبحت للمجلس الملى ثمانى مدارس بالقاهرة تضم نحو ٢٥٠٠ تلميذ وتلميذة وللمجالس الملية الفرعية نحو ٤٠٠ مدرسة تضم نحو مائة ألف طالب وطالبة .

« على أن هذه المدارس يتمثل فيها معنى آخر من المعانى السامية التى برزت فى تاريخ النهضة المصرية وهو معنى الإتحاد بين عناصر الأمة ، ففى تلك المدارس المنشأة من أموال الكنائس القبطية أو المجلس الملى يتعلم أبناء المصريين دون تمييز بين دين ودين ، ففى مدارس القاهرة على سبيل المثل يوجد ٨٠٠ تلميذ وتلميذة من المسلمين يتلقون التعليم مع ١٥٠٠ من المسيحيين ، بل ان من بين تلك المدارس اربعاً يزيد فيها عدد الطلاب المسلمين على عدد المسيحيين . وهؤلاء الطلاب جميعاً يجلسون فى مدارسهم جنباً إلى جنب يتعلمون انه لا فرق بين مصرى ومصرى وان الدين لله اما الوطن فللجميع »

**كلمة الدكتور ابراهيم المنياوى :** وتحدث حضرته عن تاريخ انشاء الكلية فقال : « لقد مكنت الظروف لهذه البقعة أن تتحول من مدافن ومقابر للموتى إلى رياض وبساتين للنفوس والعقول تزدهر فيها أزاهير العلم .

إلى أن قال : « فها نحن الأقباط أول سلاح من أسلحة جيش مصر الأكبر نفاخر المواطنين بأننا قمنا بعمل نعتقد انه نموذج يقتدى به ومثال يحتذى حذوه لأنه يكمل ناحية من نواحى التعليم لا تزال تسير ببطء فى أيد مصرية أمينة .

« وقد نظرنا إلى من حولنا فرأينا هناك فى القطر المصرى كلية سان مارك وكلية الجزويت وكلتاهما للفرنسيين كذلك أقام الانكليز كلية فيكتوريا والأمريكان جامعتهم الأمريكية وهكذا وكانت هذه الكليات تسير على طرق خاصة فى التعليم والثقافة تنتهى بخريجيها إلى نجاح فى معترك الحياة العلمية الحرة »



**المصرى ورسالة الإصلاح :** ومن ثم نهض الأستاذ الكبير حبيب المصرى فتحدث عن رسالة الإصلاح فى كلمات فياضة جامعة نجتزى . منها ما يتسع له المقام :

« فى مثل هذا اليوم يجدر بنا أن نذكر المصلحين والمجاهدين من موتانا إذ الموتى شركاء مع الأحياء فى الجهاد ، وفى طليعتهم المصلح الكبير الذى أطلق عليه الأقباط بحق اسم « أبى الإصلاح » فهو أول مصرى أنشأ مدرسة للبنات ومدرسة ثانوية حرة وأول مصرى أنشأ مطبعة ...

« لا يجوز فى مجتمع متحضر أن يعجز إنسان عن ورود منهل المعرفة والعلم ولا أن يكون فيه إنسان جائع أو عار كما لا يجوز أن يكون إنسان فى خوف من اضطهاد أو ظلم وألا يجد فى القانون ما يكفل له أمنه وحريته وحياته وهى حقوق يجب أن تلازم الإنسان بوصف كونه إنساناً .

إلى أن قال « لا إصلاح ولا نجاح إلا اذا تناول هذا الإصلاح جميع طبقات الأمة إذ نحن جميعاً أعضاء جسد واحد وهيكل واحد

« ومن العبث أن يقال عن الإنسان الجائع العارى انه رجل حر والإنسان الجائع إنما هو مع الأسف حشرة يائسة تسعى على بطنها لكى تجد ما تقتات به من فتات الخبز ، ورسالة الإصلاح مشروعات تدرس دراسة دقيقة ، وتنفذ فى أقرب وقت مستطاع .

وقد اختتم خطابه الإصلاحى الحماسى الخطير بقوله :

« ان مصر وضعت يدها على المحراث فلن تنظر إلى الوراء وقد أصرت على أن تحمل الشعلة المقدسة فلن تتركها تسقط من يديها وعلى أن تسير فى ركب الحضارة غير مكتفية بألا تتخلف عنه »

**مندوب الرئيس :** وأخيراً وقف القائمقام فريد عبد الله نائب الرئيس القائد وارتجل كلمة قوية جاء فيها :

« ان وقفت اليوم نائباً عن حضرة الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب فلست أهلا أن أنوب عنه أو أتكلم بلسانه ، فله من شخصيته المحبوبة وله من مركزه الشعبى الممتاز ما يستطيع به أن يعطى وأن يهب وأن يكسب لا ما قلتم فى مدحه ولكن ما يكنه لكم وما تكنه قلوبكم وضمائركم . وإنى وقد أسبغ علىّ هذا الشرف العظيم لا يسعنى إلا أن أنوب عنه فى شكركم جميعاً وأن أعد بأن أنقل اليه صورة صادقة لما تجلت فى كلماتكم من روح إن دلت فإنما تدل على

أن الشعب القبطى قد عرف تماماً أن الرئيس يوليه حباً وعطفاً لا يقل عما يوليه لباقى الشعب المحبوب فى شمال الوادى وجنوبه »

**هتافات :** وقد تخللت الحفل عدة هتافات جميلة من الشعب وكانت شرفة القاعة تزدحم بفريق كبير من الشباب الجامعى وقد نظموا هتافاتهم فجاءت مشتعلة الحماس فى جمهور الحاضرين

**من طلبة الكلية الاكليريكية :** وقد نشر طلبة الكلية الاكليريكية مطلبهم العادل جاء فيه « طلبة الكلية الاكليريكية يهنئون غبطة البطريرك والمجلس الملى بافتتاح قاعة المحاضرات بكلية مار مرقس و يرجون افتتاح القسم الخاص بالكلية الاكليريكية فى المبنى الجديد فوراً » (١)

ومن عجب الله أنه لم يمض على نقل الاكليريكية الى المبنى الضخم بأرض الأنبا رويس غير أسبوع تم بعده افتتاح القاعة اليوسابية .

أما الوكلاء الثلاثة للمجلس الملى العام الذين لم يحضروا فقط بل تحدث كل منهم بدوره أيضا فهم كامل يوسف صالح ، المنياوى ، حبيب المصرى كذلك كان فؤاد جرجس ابراهيم الذى جاء نائباً عن الاسكندرية وكيلا لمجلس ملى الاسكندرية ولكنه لم يلق أية كلمة .

وجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين لم يتعاطف مع القبط بحضوره هذه الحفلة فحسب بل لقد أدلى بحديث بعد ذلك بشهور لمجلة روز اليوسف دافع فيه عن القبط الى حد جعل القمص يوسف الديرى أن يعيد نشره فى مجلة الحق التى كان هو صاحبها — وهذا هو الحديث :

## الكنيسة القبطية جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه للدكتور طه حسين

أثار الدكتور طه حسين عند مناقشة نظم التعليم فى اللجنة الفرعية التى شكلتها لجنة الحريات والحقوق العامة بلجنة الدستور ، مسألة المدارس الأجنبية ونظمها ، وذكر أن هدفها الأول هو التبشير الدينى حتى خلقت من الأقباط المصريين ثلاث طوائف هى الكاثوليكية

(١) مجلة مار جرجس — عدد مارس سنة ١٩٥٣ ص ١٦ — ١٩



والبروتستانتية والأرثوذكسية ، وقال انه فى الوقت الذى تتجه التربية القومية فيه إلى محو كل ما يتصل بالتعصب الدينى نرى أن هذه المدارس تثير التفرقة بين أبناء الدين الواحد

وقال الدكتور طه حسين فى كلامه إن الهدف المقصود من التبشير الامريكى والانجليزى والفرنسى هو **هدم الكنيسة القبطية مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه .**

ونحن بدورنا — و بعد ثلاثين سنه من هذا الحديث — نبعث بتحيتنا الى الأديب الكبير طالبين له من الله المغفرة وحسن الجزاء .

وخلال كل هذا البناء المثمر ، وعلى الرغم من نجاحه ، استمر التنابذ والخصام بين المجلس الملى و بين قداسة البابا (١) . بل لقد امتد فى كثير من الأحيان الى الآباء الكهنة على مختلف كرامتهم . ولما كانت الخطابة والكتابة وسيلتين من أشد الوسائل فتكاً إذا أساء الإنسان استعمالهما ، فقد استعان بهما الفريقان — ولو أن فريق المجلس كان أكثر استعمالاً لهما . و يرجع السبب فى ذلك الى أن الأنبا يوساب لم يحتفظ بخادمه فقط بل ترك له الحبل على الغارب أيضا . وعبثاً حاول الآباء المطارنة . إبعاده ، وعبثاً تطاول عليه بعض العلمانيين من المجلس وخارجه إذ قد أصر إصراراً لارجعة فيه على الاحتفاظ به بحجة أنه لا يستطيع الاستغناء عن خدماته ! فملأ الشعور بالخيبة قلوب محبى الكنيسة المشتاقين الى الحرص على كرامة الجالس على السدة المرقسية .

١٠٩ — ومن مراحم الآب السماوى أنه أومض شعاعاً من نعمته وسط هذه الظلمة فأوحى الى عدد من محبى الكنيسة بأن البناء الضخم الذى تتوسطه القاعة المرقسية يجب أن **يتحول الى مركز إشعاع روحى فكرى ليعاود حمل رسالة مدرسة الاسكندرية . فحدث أنه فى** صيف سنة ١٩٥٣ كانت ضاحية « أبوقير » ( بالاسكندرية ) ملتقى لبعض هؤلاء المحبين منهم **عائلتنا والمستشار يوسف فرج وعائلته والفنان حبيب جورجى وعائلته . ومن تدبير الله العجيب أن** جاء ذات مساء صاحبا النيافة الأنبا ياكوبوس مطران القدس والأنبا يؤنس مطران الجيزة لزيارة **يوسف فرج . وفى الوقت عينه كان الدكتور عزيز سوريال عطية المؤرخ الكبير يزور حبيب جورجى . و بعد أن قضى الحبران الجليلان فترة فى بيت مضيفهما ذهب الجميع الى بيت حبيب جورجى . وخلال الزيارة الثانية تطرق الحديث بينهم الى المبنى القائم على أرض الأنبا رويس ووجوب استغلاله لخدمة الكنيسة . ورأوا أن خير وسيلة توصلهم الى هذا الهدف هو جعله معهداً**

(١) وردت كلمة « المجلس الملى » قبل كلمة « قداسة البابا » لأنه كان البادىء بالتنابذ

عاليا للدراسات القبطية فى كل مجالاتها وتخمس الأنبا يؤنس لهذا الاقتراح وقال لعزيز سورياال : « مادمت متضايقاً من حرمانك كرسى أستاذية التاريخ فى جامعة الاسكندرية ــ فما رأيك فى الاستقالة وتركيز جهودك على افتتاح هذا المعهد ثم تولى رياسته ؟ وراقت الفكرة فى نظر المؤرخ الكبير فبدأوا يتناقشون فى كيفية إيقاظ وعى القبط ، وفى جمع المال اللازم لسير العمل سيراً حثيثاً . فأعلن الأنبا يؤنس استعداده لأن يساهم بمبلغ خمسمائة جنيها سنويا ، وحذا حذوه الأنبا ياكوبوس . قال لهما حبيب جورجى : « هل أنتما مستعدان لأن تكتبا تعهداً كتابيا بذلك ليكون وثيقة فى يد عزيز سورياال يطوف بها مختلف الجهات لجمع المال ؟ فأكدا استعدادهما . وعلى الفور أحضر حبيب جورجى الورق والقلم فكتب كل من المطرانين تعهده ووقع عليه بإمضائه مع صالح دعواته لينجح الله هذا المشروع الحيوى . وبالفعل استعان عزيز سورياال بهذا الخطاب لينشر الفكرة بين معارفه وأصحابه ويجمع منهم التبرعات . كذلك نجح فى إقناع أعضاء المجلس الملى بالمساهمة المالية نحو إنشاء المعهد والسير به الى الأمام . فأصدر المجلس قراراً فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٤ بالموافقة على مشروع معهد الدراسات فى جلسة رأسها كامل يوسف صالح ( الوكيل آنذاك ) وأعلن فيها اعتماد ألفى جنيها مصريا سنويا مساهمة من المجلس فى هذا المشروع . وفى الجلسة عينها تقرر أن يكون مقر المعهد بالدور الثانى من المبنى الضخم الذى تتوسطه القاعة المرقسية . (١)

وفى الوقت عينه أصدر قداسة الأنبا يوساب منشوراً وجهه الى الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة والأراخنة قال فيه بأن الهدف من العهد هو أن يعيد لنا مجد مدرسة الاسكندرية وصيتها فى العالم المسيحى كله .

وأهاب بالجميع أن يساهموا مساهمة فعلية بكل إمكانياتهم فى تدعيم المعهد ليصلوا به الى هدفهم الذى هو نشر أمجاد الكنيسة القبطية فى مختلف بقاع العالم .

ونجحت الدعاية التى قام بها عزيز سورياال بنعمة الصلوات التى منحه إياها المطرانان الجليلان فأنشىء المعهد فعلا .

على أن الجفاء الذى كان قائما بين الأنبا يوساب من جانب وبين المجلس الملى من الجانب الآخر امتد منهم ليشمل الآباء المطارنة أيضا ! فتناسوا ــ بدافع هذا الجفاء ــ تشجيع الأنبا ياكوبوس والأنبا يؤنس تشجيعا روحيا وعمليا . وبهذا التناسى احتفلوا بافتتاح « المعهد العالى

(١) كل ما أكتبه عن المعهد اعتبرته شخصيا لأنى كنت حاضرة الزيارة المذكورة ثم شاء الله أن أدرّس فى المعهد وأكون ضمن هيئة أساتذته .



للدراسات القبطية » دون أن يبعثوا بدعوة الى واحد من رجال الكهنوت القبطى . فكان فى تلك الحفلة رجال الدين من مختلف الطوائف ، أما الكنيسة الأم التى يحمل المعهد اسمها فقد أغفلوا آباءها إغفالاً تاما !

وكانوا قد نظموا سلسلة من المحاضرات العامة دعوا الى إلقائها كبار الأساتذة من المصريين والأجانب ــ وقد أقيمت هذه المحاضرات بالقاعة المرقسية . وهنا أيضا تناسوا الآباء كلما دعوا أستاذاً لإلقاء محاضرة عامة . لأن المعهد افتتح فى ١٧ فبراير سنة ١٩٥٤ ، واستمرت الاجتماعات خالية من وجود الآباء الى جانب الأبناء لغاية مايو من السنة التالية . ثم حدث أن جاء الأنبا ياكوبوس من القدس الى القاهرة بعد انتهاء موسم القيامة المجيدة آنذاك . وذهبت المؤلفة لزيارته كى تنال بركته . وخلال الزيارة تطرق الحديث الى موضوع « المعهد » ، فقالت لنيافته : « لماذا لا تحضرون المحاضرات العامة التى ينظمها المعهد فى القاعة « اليوسابية ؟ ألستم آباءنا ؟ فلماذا يكون الآباء فى واد والأبناء واد آخر ؟ » أجاب بكل هدوء وبابتسامة حلوة : « هل أنتم دعوتمونا ونحن رفضنا ؟ » وامتلأت النفس خجلا أمام هذه الاجابة الهادئة الباسمة ، فقالت معتذرة : آسفة إذ لم أكن أعرف ذلك . ولكنى نيابة عن زملائى أدعوكم لحضور محاضرة سيلقيها دكتور جورجى صبحى (١) مساء الخميس ٢٢ مايو الساعة السادسة مساء وسنرسل لكم بطاقة الدعوة أجاب بنفس الابتسامة : « لا داعى لإرسال البطاقة فقد سجّلت هذا التاريخ فى ذاكرتى : »

ولقد نفّذ الحبر الجليل وعده وحضر مستصحباً معه كاهنين من كهنته .

ولما انتهت المحاضرة التف الأساتذة حوله وعبروا له عن فرحتهم بحضوره ، وساروا معه فى موكب كنسى جميل الى الدور الثانى من المبنى ــ الذى أصبح المقر للمعهد وبعد أن أروه مختلف غرف الدراسات جلسوا حوله فى مكتب المدير ، وكان دكتور سامى جبرة إذ ذاك ، وأخبروه عن آمالهم فى هذا المعهد . واستمع اليهم بفرح ولم يشر عن قرب ولا عن بعد الى الحديث الذى جرى فى منزل حبيب جورجى بأبو قير ، بل اكتفى بأن بادلهم آمالهم ووعد بأن يوالى زياراته للمعهد كلما جاء الى مصر وأن يساهم قدر استطاعته لتنفيذ مختلف المشروعات التى يتطلعون الى تحقيقها . (٢)

(١) كان طبيبا من كبار أساتذة القصر العينى كما كان من كبار دارسى اللغة والثقافة القبطيتين وله الكثير من الأبحاث فيهما .

(٢) أعود فأكرر أن معلوماتى عن المعهد هى نتيجة لاختباراتى الشخصية ، لأنى رأيت وسمعت وعشت هذا الذى أكتبه ــ فأكتبه عرفانا بفضل الآباء .

وقد سار المعهد فى طريق النمو المستمر ونشطت أقسامه المختلفة وهى :

١ــ الآثار واللغة القبطية ،
٢ــ تاريخ الكنيسة القبطية
٣ــ الدراسات الافريقية وأهمها الاثيوبية ،
٤ــ القانون الكنسى ،
٥ــ اللاهوت ،
٦ــ المجتمع القبطى ،
٧ــ الألحان والموسيقى القبطية ،
٨ــ الفنون المختلفة ( القبطية ) ،
٩ــ التصوير والميكروفيلم ،
١٠ــ الدراسات المسيحية العربية . وأضيف إليها دراسة اللغات المساعدة كالانجليزية والفرنسية .

ثم رأى المسئولون عن المعهد أن خير من يعاونهم اجتماعيا وماليا هو المرأة ــ فدعوا عدداً من كبار السيدات واستعرضوا معهن نشاط المعهد والآمال المعقودة عليه . وبالفعل تألفت لجنة منهن ساهمت بنصيب وافر فى هذين المضمارين . والبطاقة التالية مثل من أمثلة النشاط الذى حققت به السيدات هدفين :

١ــ تعريف الناس بالمعهد وأهدافه ،
٢ــ جمع المال اللازم لتحقيق هذه الأهداف .

**كامل بولس حنا وحرمه يدعوان سيادتكم**
**لتناول العشاء فى يوم الأحد الموافق ٢ نوفمبر**
**سنة ١٩٥٨ فى الساعة الثامنة مساء بمنزلهم**
**١٠٤ شارع النيل بالجيزة**

وتبادلت السيدات مثل هذه الدعوة فكن يهيئن الأطعمة والمشروبات اللازمة و يقدمنه لضيوفهن تبرعاً منهن ثم يطالبن كل ضيف يأتى بأن يدفع ما يستطيع مساهمة منه فى نمو المعهد .

على أن السيدات اشترطن من البداية احتجاز ٥٠٪ مما يجمعنه لصرفه على المشروعات العلمية الخارجة عن نطاق المعهد . فمثلا يحتاج طالب الهندسة الى الكثير من الأدوات الغالية



الثمن ، وقد يكون من الممتازين ذكاءاً ولكن ينقصهم المال الضرورى لشراء هذه الأدوات وبخاصة متى كان يستعد لبكالوريوس الهندسة . ومن أرق ما حدث فى هذا المجال أن شاباً نال المساعدة المطلوبة ونجح فى البكالوريس بامتياز وعُين فى الفيوم بعد تخرجه مباشرة وفى العاشرة والنصف من إحدى الليالى رن جرجس الباب فى بيت المؤلفة ــ وإذا به هذا الشاب . فاعتذر أولاً عن حضوره فى هذا الميعاد ، ثم قال بأنه حين نال المساعدة نذر بأن يدفع أول مرتب يقبضه للجنة السيدات كى تساعد به زميلاً مثيله . وبما أنه مضطر لأن يكون فى الفيوم صباح اليوم التالى فى موعد العمل لم يدعه ضميره أن يسافر قبل أن يوفى نذره . فجاء على الرغم من الساعة المتأخرة .

ولقد اجتذب قسم الفن اهتمام السيدات بصفة خاصة ، ونتيجة لتشجيعه أقيم معرض لسنتين متتاليتين . وامتد النشاط الفنى فنشرت مجلة مدارس الأحد الخبر التالى ( ١ ) :

**١ــ بطاقات معايدة قبطية :**

كان قسم التصوير الفوتوغرافى بالمعهد قد قام بطباعة بطاقات للمعايدة فى عيد الميلاد عليها صور لآثار قبطية من القرنين الرابع والخامس مثل كنيسة المعلقة وكنيسة المعادى وكنيسة دير السريان وكتب على كل بطاقة باللغة القبطية والتهنئة الميلادية باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

وكانت خطوة قوبلت بالترحيب فى كل مكان هى قيام المعهد هذا العام بتعميم هذه البطاقات ونشرها بين الشعب فتيسر للأقباط أن يرسلوا بطاقات جميلة للمعايدة تحمل طابعاً قبطياً وفنيا رفيعا .

( ١ ) فى عددها الأول من السنة الثانية عشرة ــ طوبة سنة ١٦٧٤ ( يناير سنة ١٩٥٨ ) ص ١٨

ولفرحة الفنانين بنجاح المعرضين و بتشجيع السيدات رسموا بمناسبة عيد الميلاد التالى (يناير سنة ١٩٥٩) صوراً لبعض الأديرة والكنائس ــ طبعوا على البعض منها اسم المعهد وتركوا البعض الآخر من غير اسم المعهد كما يتضح من الصورتين التاليتين :

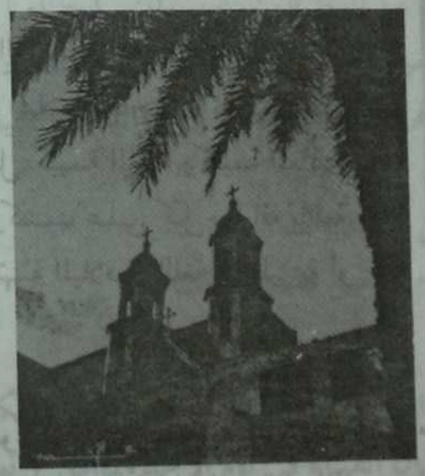

وحينما علمنا السيد المسيح أن « من له يُعطى و يزاد » شملت كلمته هذه كل نواحى حياتنا ، وعلى هذا الأساس نجد أن النجاح كثيراً ما يكون بذرة لنجاح لاحق (١) . وفى موضوع الفن بمعهد الدراسات القبطية نجد أن الفنانين رسموا بعد ذلك بطاقات ذات طابع قبطى أصيل كما هو واضح من الصورتين ( أو بالحرى ) الايقونتين التاليتين :

(١) ويجب أن نذكر أنفسنا أيضاً بأن الفشل ــ إن أضعف معنوية الإنسان ــ يكون بدوره أيضا بذرة لفشل لاحق . وهذا هو السبب فى أن جيلا يدفع ثمن الفشل الذى اقترفه جيل سابق .



ومن كبار العلماء الأجانب الذين ساهموا بمحاضراتهم العامة العلامة الانجليزى دكتور پلاميلى رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج ( بانجلترا ) . وكان قد اشترك مع العلماء المنقبين عن آثار النوبة حيث عثروا على عدد غير قليل من الكنائس التى ردمتها الرمال فأبقتها الى حد كبير فى حالة جيدة ، ومن أهمها الكنيسة الكبرى التى تحمل اسم السيدة العذراء فى مدينة قصر إبرم . ومن الطريف أنه بعدما تحدث عن هذه الآثار العظمى اختتم محاضرته بمايلى : « فى لندن الآن راهب مصرى هو القمص شنودة السريانى الذى ذهب للعلاج هناك . وقد كسب محبة الانجليز لعمق روحانيته وأصالة تفكيره . ولمحبتهم فيه بعثوا يطالبون بإبقائه معهم فى لندن بركة لهم من الكنيسة القبطية المجاهدة . وقد عبّروا له عن محبتهم ليلة عيد الميلاد المجيد بالإشارة الى قطعة من الثلج المتساقطة من السماء مؤكدين له أن المحبة التى يكنّونها له صادرة عن قلوب ناصعة البياض كهذه القطعة ! »

على أن القمص شنودة السريانى عاد الى مصرنا المحبوبة بعد نجاح العملية التى أجريت له . وكانت عودته إحدى العلامات الوفيرة التى أوضحت لنا على ممر العصور مدى العناية الالهية بالكنيسة القبطية . فلقد شاء رب الكنيسة أن يصبح هذا الراهب المحبوب أسقفاً على كرسى الغربية باسم الأنبا يؤنس .

١١٠ ــ وبما أن أرض الأنبا رويس قد اقيم عليها المبنى الجديد للاكليريكية ، والمعهد العالى للدراسات القبطية ، وبالتالى أصبحت تضم أسقفية الخدمات الاجتماعية فأسقفية البحث العلمى ، بالاضافة الى القاعة الكبرى التى تحمل اسم كاروزنا الحبيب ، فقد تقرر أن يرسم عند مدخل المبنى الرئيسى فيها شعار، يرمز الى الكرازة المرقسية فقام بتصميم هذا الشعار فنان من محبى الكاروز والكنيسة التى أسسها ، وهاكم كلمة عنه :

## مع الفنان
## الذى صمم شعار الكرازة المرقسية

فى لقاء عابر مع الفنان الاستاد مفيد جيد رئيس قسم الديكور بكلية الفنون الجميلة امتد بيننا حوار حول الاحتفالات الكبرى التى اقيمت بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لاستشهاد القديس مرقس الرسول وافتتاح الكاتدرائية الجديدة ، فقال سيادته : لقد كان من اهم الملامح المميزة لهذه الاحتفالات مشاركة جميع الفنانين ومساهمتهم فى انجاح الاحتفالات الفنية ، واننى سعيد جدا بمساهمتى فى هذا العمل التاريخى الذى ستخلده الاجيال .

وقد صمم الفنان مفيد جيد شعار الكرازة المرقسية الذى اصبح رمزا لكل الاعمال سواء

فى المكاتبات او فى كل ما يتصل بالكرازة المرقسية و يقول المصمم : لقد وضعت القديس « مرقس الرسول » وهو يكتب الانجيل وبجانبه الاسد التقليدى الذى يحرسه ، وفوقه الصليب القبطى المميز ، وخلف الصليب وضعت الشمس رمزا للاشعاع المسيحى ، كما كونت فى اعلى الشعار كلمتى « الكرازة المرقسية » باللغة القبطية وفى اسفله نفس الكلمتين باللغة العربية ، كل هذه العناصر فى تكوين زخرفى مترابط داخل « الخرطوشة » التى ترمز الى مصر الفرعونية .

اما الشهادة التذكارية التى صممها الفنان مفيد فقد اتجه فى تكوينها الى الرمزية المعبرة عن التاريخ القبطى بما فيه من حضارات عديدة وعلى هذا فقد اظهر الكرازة المرقسية كبناء يرتكز على عامودين الاول القديس مرقس الرسول ( البابا الاول ) والثانى قداسة البابا كيرلس السادس ( البابا ١١٦ ) ، وفى الوسط الشهادة وضع المصمم شعار الكرازة المرقسية ممسكا به ملاكان ، كما تحوى الشهادة رموزا قبطية كثيرة مثل السمكة والسنبلة والصليب القبطى المميز .

و يقف خلف الفنان مفيد تاريخ طويل فى التصميمات والانشاءات الفنية ، منها تصميم وتنفيذ اللوحات الزخرفية والموضوعات التاريخية للعصر الاغريقى الرومانى وقاعة السودان بمتحفى الحضارة المصرية ، وتصميم الزخارف الخاصة بجناح القسم المصرى بمعرض باريس الدولى عام ١٩٣٧ .

١١٢ ــ أ ــ كانت الأحداث التى جرت سنة ١٩٥٤ على غاية من الغرابة ــ فقد تراوحت بين الهدم والبناء و بين التشتيت والتجميع . ولكن أحداث البناء سبقت الهدم . ومن هذه الأحداث أن اعضاء رابطة القدس اجتمعوا عقب صلوات جمعة ختام الصوم لسنة ١٩٥٣ ، و بعد الصلاة والتداول معاً و بإرشاد الروح القدس استقر رأيهم على شراء قطعة أرض بالقاهرة ليقيموا عليها مقراً للرابطة . وحالما عادوا من القدس ــ بعد عيد القيامة المجيدة ــ بدأوا يبحثون عن



الأرض التى يستطيعون بناء مقرهم عليها واستمروا فى البحث تسعة أشهر وفقهم الله فى نهايتها الى قطعة متسعة رقم ٩ بشارع يوسف باشا الممتد من الناصية التى يقوم عندها المستشفى القبطى بشارع رمسيس . فكان موقع هذه الأرض مناسباً للغاية لقربه من ميدان المحطة ولتوسطه بين الأحياء المختلفة . ومن ثم اشتروا القطعة ودفعوا رصيد الرابطة بأكمله لتغطية الثمن وما يستتبعه من سمسرة وتسجيل .

وحينما أبلغوا قداسة البابا يوساب فرح جداً ومنحهم بركته الرسولية كما أمدهم بالمعاونة المالية . كذلك أبرقوا الخبر الى نيافة الأنبا ياكوبوس مطران الكرسى الأورشليمى فبعث إليهم ببركته و بتشجيعاته الأبوية . أما جماعة المؤمنين الذين منحهم الله نعمة التبرك بزيارة الأراضى المقدسة فقد سارعوا بدورهم الى تقديم المساعدات المالية والاقتراحات المختلفة لجمع المال لكى تتمكن الرابطة من الشروع فى البناء على الفور . وقد واتت كل هذه الجهود المتآلفة ثمارها فبدىء فى التنفيذ من غير إمهال ( ١ ) .

ثم حدث أن قضت المؤلفة السنة الأكاديمية سنة ١٩٥٢ ــ سنة ١٩٥٣ فى الدراسة بمدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة . ولما كانت قد ذهبت نتيجة لمنحة دراسية نالتها من « اتحاد الجامعيات الأمريكيات » فقد تعرّفت خلالها على الكثيرات من المثقفات ، وقامت بينها و بين البعض منهن صداقة استمرت لسنوات عديدة تراسلت وإياهن خلالها . ونتج عن ذلك أن جاءتها خطابات ــ عن طريقهن ــ من هيئة مجلس الكنائس العالمى التى كانت مسئولة عن تنظيم مؤتمر لهذا المجلس فى مدينة إيڤانستون بولاية اللينوى ، والذى كان محدداً لعقده النصف الأول من شهر أغسطس سنة ١٩٥٤ . وقد تقدمت الهيئة المذكورة بدعوة الكنيسة القبطية لحضور هذا المؤتمر . و بالطبع كانت الخطوة الأولى من جانبها ــ هى تقديم هذه الدعوة لقداسة البابا . ولما سمع عنها كان رد الفعل المباشر هو الرفض . ولكن حاملة الدعوة أوضحت لقداسته أن الهدف من هذا المؤتمر هو أن تتعرف الكنائس على بعضها البعض ، و بالتالى يدرك الغرب أن هناك كنيسة مصرية قومية عريقة ترجع الى الرسول القديس مرقس .

ومن نعمة الله أن البابا الجليل أتاح الفرصة للمؤلفة أن تقابله عدة مرات واستمع الى كل ما قالته بصبر وهدوء . ومن نعمة الله أيضا أن الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ــ أطال الله حياته ــ عضد الفكرة وضم صوته الى وجوب تلبية هذه الدعوة . والنتيجة أن البابا الجليل لم يقتنع فقط بل

( ١ ) مجلة رابطة القدس ــ ملحق العدد ٣٧ ، صدر عن مارس سنة ١٩٥٤ و يوليو من نفس السنه ص ٩ بمناسبة انقضاء عشر سنوات على تأسيس الرابطة . و ياحبذا لو زار أكبر عدد ممكن هذا المقر الذى علا وارتفعت فوقه منارة يعلوها صليب يضاء بالنيون فى مختلف المناسبات . وهذا المقر شاهد واقعى على أن يد الله تؤازر العاملين فى محبة وثقان مؤازرة مذهلة .

تكرّم وجعل منى السكرتيرة الخاصة لهذا الموضوع ووضع علىّ مسئولية المكاتبات كلها التى ستجرى بين كنيستنا وبين هيئة المؤتمر تمهيداً لذهاب مندوبى كنيستنا المحبوبة لحضوره. وبوصفى سكرتيرة تكرم قداسة البابا فأعطانى الأوراق والمظروفات المطبوع عليها اسم البطريركية، كما سلمنى ختم البطريركية لأختم به كل ما سأرسله من خطابات إليهم.

وبعد أن رضى قداسة الأنبا يوساب بالمبدأ تكرم وناقشنى أيضا فيمن يذهب مندوباً عن الكنيسة الى ذلك المؤتمر. ثم عرض أسماء ثلاثة أشخاص هم من خيرة القبط حباً بالكنيسة ومعرفة بتعاليمها، وهم: الراهب القمص مكارى السريانى (الأنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمة الاجتماعية) والقمص صليب سوريال راعى كنيسة مار مرقس بالجيزة والدكتور عزيز سوريال عطية الذى يتمتع بشهرة دولية فى الدوائر العلمية. وبالفعل سافر هؤلاء الثلاثة الى المؤتمر. وقبل سفرهم منحهم قداسة الأنبا يوساب بركتة الرسولية وأعطاهم الأدوات اللازمة لتأدية الشعائر القبطية تبعاً لطقسها الأصيل. وهذه الأدوات هى: ثلاثة ستور (أى أغطية للمذبح)، ثلاث عشرة لفافة مطرزة بالمذهب، شوريا وقنديل — وكلاهما من الفضة الخالصة وكذلك كانت الصينية والكأس وشمعدانات المذبح، وأيقونة للبشارة مرسومة على قماش من الساتان النبذىّ اللون وثلاث أيقونات أخرى وختم قربان ولوح مكرس (١).

وقد كتب الأب المكرم القمص صليب سوريال الخطاب التالى بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٥٤ من إيڤانستون جاء فيه: «حضرة الأنسة المباركة ايريس حبيب المصرى.... ونفيدك أننا أرسلنا اليوم خطاباً الى غبطة البطريرك ملخصه أننا منذ وصولنا ونحن نتحدث عن كنيستنا المقدسة وتاريخها المجيد داخل مجلس الكنائس وخارجه (٢). وقد تمكنا من إقامة قداس الهى بكنيسة الأرمن الأرثوذكس كما أذاعت محطة الإذاعة الألحان الكنسية... وقد ألقى الرب علينا مهمةً عظيمة وخلاصاً عظيما هذا مقداره، وقد أنجح الرب طريقنا حتى الآن، وفتح لنا باباً للعمل..»

وقد بلغ تأثير أبونا المكرمين فى قلوب المسئولين عن المؤتمر حداً جعلهم يعرضون على أبينا القمص مكارى منحة دراسية لمدة سنة أكاديمية فى جامعة پرنستون — وهى واحدة من خمس

(١) الشوريا هى المبخرة، والصينية والكأس لوضع القربانة فى الأولى والخمر الممزوج بالماء فى الثانية (اللتين تتحولان حقول الروح القدس أثناء الصلوات). أما اللوح المكرّس فهو قطعة مربعة من الخشب يتوسطها صليب قبطى داخل دائرة، وفى كل من أطرافها الأربعة الحرف الأول لاسم السيد المسيح — والكل محفور داخل اللوح. ثم تقام صلوات التكريس عليه — وهى صلوات خاصة بذلك — فيصبح مذبحاً متنقلا.

(٢) لم يكن آنذاك فى الغرب عامة وفى الولايات المتحدة خاصة كنيسة قبطية، ولم يعرف عن هذه الكنيسة فى وقتها غير العلماء المتخصصين فى الدراسات الكنسية.

جامعات تعتبر أعظم ما فى الولايات المتحدة. فكتب الى غبطة البطريرك يستأذنه وحصل على موافقته. وعلى ذلك قضى سنة دراسية بتلك الجامعة قدّم فى نهايتها رسالة عن تعليم أولاد الأقباط عبر الأجيال نال عليها الماچستير بدرجة امتياز.

ولقد كان حضور مندوبى كنيستنا المحبوبة فى مؤتمر ايڤانستون بداية فعالة لاشتراكها فى مجلس الكنائس العالمى كعضو له قيمته: فذاك ومندوبو القبط يحضرون المؤتمرات العامة كما يحضرون مؤتمرات اللجان التى تفرعت عنه باستمرار وبلا استثناء. فعضوية الكنيسة القبطية فى هذا المجلس تتوازى مع عضوية مصر فى هيئة الأمم المتحدة.

ولئن كان مجلس الكنائس العالمى قد خيّب الآمالى فى صمته بأزاء العدوان الثلاثى على مصر، وبعدم صراحته فى إدانة اسرائيل على اعتداءاتها المتكررة إلا أن وجود الكنيسة القبطية الواضح قد هيأ الفرصة للوعى بجهودها وبروحانيتها، كما هيأ أمام مندوبيها الفرصة لأن يناشدوا الضمير العالمى ويحركوا مكامن الشعور فى عمق النفوس الى ما هو حادث من ظلم والى الواجب المسيحى نحو مساندة المظلوم. وهذه المواقف قد دفعت بالكثيرين من أبناء الكنائس الغربية الى المجىء لبلادنا ولفلسطين بحثاً عن الوقائع على الطبيعة. وهذا قد أدى الى تزايد الإدراك بما فى موقف مصر كلها من هذا الشرق الملتهب وبعدالة هذا الموقف.

ويمكننا هنا أن نقول بأن مندوبى القبط قد استطاعوا أن يواكبوا يوحنا الحبيب حين عانى الاضطهاد هو ومعاصروه، ثم قاسى النفى بعد ذلك فامتلأ ألماً لعجزه عن تشجيع الواقعين تحت الضيق. وفى وسط هذه العواصف الهوجاء منحه رب المجد أن يرى المدينة السماوية المجيدة وأن يصفها ليراها المسيحيون من جيل الى جيل فيدركوا أن مفاتيح الحياة هى — فى الحقيقة — فى يد خالق الأكوان وليست فى يد قيصر مهما قسا وتجبّر — بل مهما بدا من نجاحه فى قسوته وتجبّره. وبهذه المواكبة أعطوا لمن تعاملوا معهم هذه الصورة السماوية ليزدادوا إدراكا بأن مصر — ومن خلفها الشرق الأوسط — مصيرهم النهائى موضوع أمام الله على الرغم مما يقاسون من ضيق وظلم. وفى هذا الموقف المعاصر لنا نجد ذلك التوازن العجيب الذى يوجده الله دائما ليخفف من حدة المظالم الإنسانية....

ب — الى هنا من حيث البناء. أما من حيث الهدم فمن الموجع أنه كان من داخل الكنيسة وبين الأبناء وراعيهم الأول. ففى تلك الفترة فقد الكثير من الأبناء ذلك الشعور بالتكريم الموصى عليه من الله نحو الآباء سواء كانوا بالجسد أو بالروح (١). فعاود بعض أعضاء المجلس

(١) أكرم أباك وأماك.. خروج ٢٠ : ١٢، ورئيس شعبك لا تقل فيه سوء.. أعمال ٢٣ : ٥

الملى الى الخطابة والكتابة ضد قداسة البابا . وفى الوقت عينه كانت قد تألفت جمعية من الشباب أطلقت على نفسها اسم « جماعة الأمة القبطية » . وهذه الجماعة بدورها كانت تتبع خطة التحدى المثير للانفعالات . ونتيجة لهذا كله لم يتورع بعض الشبان عن التسلل الى الدار البابا وية فى منتصف ليلة ٢٥ يوليوسنة ١٩٥٤ وعن حبس الحرّاس الثلاثة الساهرين عند مدخل الدار ، ثم إغلاق بوابة بيت المطارنة ( المقام الى جوار الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية ) بالمفتاح من الخارج كى لا يتمكن أحد داخله من الخروج ! وبعد هذا كله صعدوا الى الدور الثانى واقتحموا الغرفة التى ينام فيها الأنبا يوساب ، واحتاطوا به وهددوه بإطلاق الرصاص عليه إن لم يوقّع على وثيقة معهم مؤداها تنازله عن الكرسى المرقسى ! وبالطبع أذعن قداسته صوناً لكرامته وكرامة المكان الذى هو فيه . وحالما وضع إمضاءه الكريم على وثيقتهم سألوه أين يريد المبيت لأنهم لن يتركوه فى داره ! فقال لهم إنه يرغب فى الذهاب الى بيت وقف الأنبا أنطونيوس الواقع مقابل الدار البابا وية . ولم يجيبوه على هذا القول بل ساروا به وهو فى جلابيته البيضاء الى خارج حيث كانت « تنتظر » سيارة ( تاكسى ) . وكانوا قد أرغموا السائق ــ بالتهديد أيضا ــ أن يلازمهم ويوصلهم -حيث يأمرون . وأركبوا البابا الجليل هذه السيارة وركب معه أربعة منهم وأخذوه الى مصر العتيقة . فوصلوا الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . وفى هذه الساعة المتأخرة لم يتورعوا أيضا عن القرع على باب دير مارجرجس للراهبات ! فلما فتحته لهم إحداهن زجوا بالراعى الأول الى داخله وهربوا عائدين الى الدار البابا وية حيث انضموا الى زملائهم الذين انتظروهم هناك . ثم أغلقوا البوابة من الداخل واعتصموا جميعا فى ذلك المكان الذى لم يراعوا له حرمة .

على أن رجال الشرطة حالما سمعوا بالموضوع صباح اليوم التالى قاموا لفورهم بالتحريات اللازمة ، فتعرفوا على السيارة التاكسى واستحضروا سائقها وعرفوا منه كل ما رأى وسمع ، ثم أخطروا نيابة أمن الدولة . والموضوع الأول الذى شغل رجال الشرطة والنيابة هو الاستفسار عن غبطة البطريرك نفسه . فاطمأنوا الى أنه لم يصب بأى سوء .

والعجب فى أمر هؤلاء الشباب أنهم رتبوا أيضا من الذى سيكون قائمقام بطريركى زعماً منهم أن فى مقدورهم إملاء رغبتهم على الآباء المطارنة وعلى الشعب كله ! ذلك أنهم أوفدوا واحداً منهم الى المنيا ومعه خطاب على لسان قداسة البابا يرجو فيه من نيافة الأنبا ساويرس أن يتولى إدارة الكنيسة ريثما يتم انتخاب البابا الجديد ! والأعجب فى هذا كله أنه طرق باب مطرانية المنيا فى الساعة الثالثة فجراً ! ولما أنه كان وحده لم يستطع إلا أن يعطى الخطاب للسكرتير الساهر ليلتئذ . فلما أصبح الصباح ونزل المطران للصلاة تقدم اليه شاب وأخبره بأنه حامل الخطاب الذى مع السكرتير وأنه منتظر الرد ! وعلى الفور اتصل نيافة الأنبا ساويرس تلفونيا بالدار البابا وية . ولما لم يجد رداً اتصل بالأستاذ راغب اسكندر المحامى وعضو بالمجلس الملى العام ، فأطلعه على ما حدث



وأخبره بأن الدار البابا وية محاصرة برجال الشرطة . وبالطبع انصرف الشاب لساعته دون أن ينتظر نهاية المكالمة التلفونية .

وظل الشبان ــ وعددهم ستة وثلاثون ــ معتصمين بالدار البابا وية أربعة أيام . لأن رجال الأمن لم يريدوا اقتحامها بالقوة حرصاً منهم على كرامة المكان . وكان آباء هؤلاء الشبان وأصدقاؤهم قد تقابلوا مع جندى عبد الملك ــ وزير التموين ــ ورجوا منه أن يحاول إقناع المعتصمين بفتح بوابة البطريركية . ومن نعمة الله أن محاولته نجحت . فدخل رجال الأمن بهدوء وقبضوا على الشبان من غير عنف وبدأت النيابة التحقيق معهم . وما إن تمت هذه الإجراءات حتى عاد قداسة البابا الى مقره ، ومنها بعث بشكره التالى الى الصحف :

## غبطة البطريرك يشكر

يوساب الثانى بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية يسجد لله شاكرا لعنايته العالية نجاته من الحادث الذى كان باعثا على الأسف الشديد والقلق العام . ويقدر للمسئولين جهودهم الصادقة فى مكافحة الشر والعدوان وعواطفهم النبيلة فى السؤال عن صحته . خاصا بالتقدير والشكر والدعاء بالهناء والخير السيد اللواء اركان الحرب محمد نجيب رئيس الجمهورية وصاحب الجلالة هيلا سلاسى الاول امبراطور اثيوبيا والسادة البكباشى اركان الحرب جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء واعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء وصاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر واصحاب الغبطة والنيافة رؤساء الطوائف المسيحية وسيادة الحاخام الاكبر وسفيرى بريطانيا العظمى واثيوبيا والسادة النائب العام ووكلاء وزارة الداخلية ومحافظ القاهرة ورجال النيابة والقضاء وحكمدار بوليس القاهرة ووكلائه وضباطه والمواطنين الاعزاء ورؤساء الهيئات والنقابات واصحاب النيافة اخوته المطارنة والاساقفة وابنائه الكهنة ووكيل واعضاء المجلس الملى العام والمجالس الفرعية والاراخنة ورؤساء واعضاء الجمعيات وجميع شعب الكنيسة المحبوب وكل من تفضل بالاستفسار والسؤال . ويدعو الله ان يكافئهم جميعا بأكرم الاجر واحسن الجزاء ويسأله تعالى ان يغفر للمسيئين خطاياهم وذنوبهم ويتمتع الشعب المصرى بثمرات جهاده المبارك فى ظل الحرية والاخاء واسلام .

ولعظمته تعالى الشكر على الدوام

## رسالة من امبراطور الحبشة

هذا وقد ارسل سفير اثيوبيا فى مصر الى غبطة البطريرك الخطاب التالى :

حضرة صاحب الغبطة الانبا يوساب الثانى بابا الاسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

لى الشرف ان ارفع لغبطتكم انى تلقيت امرا تلغرافيا من حكومتى بأن حضرة صاحبة الجلالة الامبراطورة وحضرة صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد تلقيا بحزن عميق وأسف بالغ ذلك الحادث الذى كان له صدى شديد فى انحاء الامبراطورية . وقد شاء الله ان يرفع ذلك الحزن فى الحال عندما تلقيا بالسرور والانشراح بشرى عودة غبطتكم بسلامة الله لمقر كرسيكم المقدس

وانى اذ ابلغ غبطتكم ما أمرت بتبليغه ارجو ان تتفضلوا بقبول عظيم اجلالى واحترامى لمقامكم الكريم . وما زلت ابنكم المطيع (١) .

ولقد غمر الندم قلوب هؤلاء الشبان فكتبوا خطاب استعطاف الى البابا الجليل من عدة نسخ ورجوا الى أكثر من شخص أن يوصله الى الراعى الذى لم يتريثوا فى التفكير قبل أن يسلكوا معه هذا المسلك المعيب . ومن نعمة الله أن الآباء المطارنة ساندوهم فى استعطافه وقد قدم محامى الشباب نسخة منه كما أوصلوا الى نسخة فأوصلتها الى البابا الجليل بدورى . ودعّم تحركنا أن الآباء المطارنة تحدثوا مع قداسته فى الموضوع . ومع أن النيابة كانت قد قررت إحالة سبعة وعشرين منهم الى المحكمة العسكرية ، الا أن البابا حينما أعلن صفحه بعث برسالة الى كل من السيدين رئيس المحكمة والنائب العام يعلن لهما الصفح عن خاطفيه و يطلب اليهما الإفراج عنهم . وهذا هو نص الرسالة البابا وية .

نهدى سيادتكم اطيب التحية مع اصدق الدعاء و بعد . لما كان من اعز امانينا ان يسود السلام والطمأنينة نفوس جميع ابنائنا الاقباط الذين اقامنا الله سبحانه وتعالى راعيا عليهم ، وواجبنا فى هذه الرعاية بحسب وصية الله ان نحتمل ضعف الضعفاء منهم

ولما كنا على يقين من ان ابناءنا الشبان فى تصرفهم معنا يوم حادث الخطف كانوا مدفوعين بحماسة الشباب

لذلك اقرر اننى قد صفحت عنهم الى ابعد حدود الصفح ، عملا بوصية الله وحرصا على

(١) جريدة « الاخبار » فى ١ اغسطس سنة ١٩٥٤



مستقبلهم ، فأرجو اتخاذ ما ترونه ممكنا من الاجراء لوقف محاكمتهم والعفو والافراج عنهم . راجيا لهم جميعا كل خير (١) .

وانتهى هذا الحادث بكل هدوء و بسرعة عجيبة فصدق عليه التعبير المأثور : « زوبعة فى فنجال » .

١١٣ــ وقبل المسيرة مع الأحداث التالية يهمنا تسجيل تحركات الآباء المطارنة :

## ١١٢ ــ المجمع المقدس يعلن قراراته

## بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد امين

انه فى يوم السبت المبارك ١٥ توت سنة ١٦٧١ الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ الساعة العاشرة صباحا ــ عند انعقاد المجمع المقدس فى جلسته الثالثة تقدم حضرات اصحاب النيافة المطارنة والاساقفة باقتراح لغبطة البابا البطريرك رئيس المجمع المقدس طالبين من غبطته بعض المطالب الاصلاحية الخاصة بالكنيسة وما وصلت اليه حالتها من سوء ، والتى تقتضى الاصلاح الشامل السريع فلم يستجب غبطته لمطالب الآباء واعضاء المجمع المقدس ، الامر الذى ترتب عليه انسحاب غالبية اعضاء المجمع المقدس و بذلك اصبحت الجلسة غير قانونية وانفضت .

وعلى أثر ذلك اجتمع الاباء المطارنه والاساقفة وقرروا ما يأتى بعد الصلاة الربانية .

**اولا** مطالبة البطريرك بالتنازل عن القضية المرفوعة الآن امام المحكمة العسكرية العليا والصفح عن جميع المتهمين كتابة ــ تأييدا لمنشورات غبطته الرعوية التى اصدرها بمناسبة عيد النيروز عام سنة ١٦٧١ وارسالها لجهات الاختصاص .

**ثانيا** ابعاد حاشية غبطة البطريرك وخادمه ( ملك جرجس ) الذين كانوا سببا فى الاساءة الى كرامة الكنيسة .

**ثالثا** تشكيل هيئة من ثلاثة من حضرات الاباء المطارنة لمعاونة غبطة البابا البطريرك فى تدبير شئون الكنيسة .

**رابعا** تبلغ هذه القرارات لغبطة البابا البطريرك وللجهات الرسمية .

(١) الأهرام ــ الجمعة ١ أكتوبر سنة ١٩٥٤

واختتمت الجلسة بالصلاة الربانية .

## امضاءات

| | | | |
|---|---|---|---|
| تيموثاؤس | توماس | ياكوبوس | ميخائيل |
| مطران الدقهلية | مطران الغربية | مطران القدس | مطران أسيوط |
| متاؤس | يوأنس | انطونيوس | أثناسيوس |
| مطران الشرقية | مطران الجيزة | أسقف سوهاج | مطران بنى سويف |
| | غبريال | | والبهنسا |
| بنيامين | أسقف دير الانبا | أغابيوس | مرقس |
| مطران المنوفية | انطونيوس | مطران ديروط | مطران أبوتيج |
| | | | وطهطا |
| كيرلس | ساويرس | بطرس | ابرام |
| مطران قنا | مطران المنيا | أسقف اخميم | مطران الاقصر |
| وقوص ونقاده | والاشمونين | وساقلته | واسنا وأسوان |

بسم الاب والابن والروح القدس الله واحد امين

منا نحن مطارنة وأساقفة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أعضاء المجمع المقدس :

إلحاقاً لمنشورنا الأول رأينا إصدار هذا البيان إفصاحاً عما يجول بخاطرنا وتنويراً للأذهان والرأى العام ، وذلك أنه ما إن علم أصحاب النيافة أخوتنا المطارنة الذين لم يحضروا جلسة المجمع المقدس الأخيرة بالقرارات التى اتخذناها حتى بادروا إلى تأييدنا فى موقفنا وتضامنوا معنا فى مطالبنا الإصلاحية فوقعوا بامضاءاتهم على هذه القرارات .

ولقد كان ضمن مطالبنا الإصلاحية فى منشورنا الأول تعيين ثلاثة من الآباء المطارنة لإدارة شئون البطريركية ، وقد قدمت هذه المطالب إلى غبطة البطريرك فرفض إجابتها ، وما ندرى إلا وأصدرت البطريركية بياناً يتضمن تعيين أحد الآباء المطارنة (١) معاوناً لغبطة البطريرك الأمر الذى لا نقره لأنه لم يعين من المجمع المقدس .

(١) هو الأنبا لوكاس مطران منفلوط .



هذا وإننا فى مطالبنا هذه كلها لم نكن متعنتين ولا مغتصبين لحقوق الغير ، بل هى مطالب إصلاحية تتفق ورغبات الكنيسة والشعب ، والتى طولبنا بها مراراً وتكراراً ، حتى أن الكثيرين نسبوا إلينا التقصير فى حق الكنيسة .

فإذا كنا قد طالبنا غبطة البطريرك بالعفو عن هؤلاء الشبان ، فإنما قصدنا من وراء ذلك هدفين ، الأول عدم الإضرار بمستقبلهم ، عملا بمبادىء الشريعة المسيحية ، والثانى عدم التعريض بكرامة غبطة الآب البطريرك فى المحاكم ، وحتى لا يتناول الدفاع مركزه السامى بالتجريح .

وكلنا يعلم أن للمركز البطريركى كل إجلال واحترام فى قلوبنا .

وإن كان غبطته قد استجاب لأحد المطالب ، وهو العفو عن هؤلاء الشبان إلا أننا لا نزال مصرين على إجابة المطلبين الباقيين .

وكذلك إذا طالبنا غبطة البطريرك بإقصاء حاشية السوء عنه ، فما ذلك إلا لإزالة كل عقبة تقف فى سبيل الاصلاح ، ولأنهم طالما أساؤوا إلى الكنيسة وكرامتها .

وإذا ما طالبنا بتشكيل لجنة من أصحاب النيافة المطارنة لإدارة شئون البطريركية ، فإن أمنيتنا وغرضنا من ذلك النهوض بمرافق الكنيسة من رفع مستوى الاكليروس والنهوض بالرهبنة روحياً وعلمياً وتنظيم ريع أوقاف الأديرة والصرف من فائض هذا الريع على مرافق الطائفة الإصلاحية .

ولكى نبرهن على حسن طويتنا وحبنا للخير والصالح العام ، فقد أرسلنا إلى غبطة البطريرك خطاباً نصه كالآتى :

حضرة صاحب الغبطة الأنبا يوساب الثانى بطريرك الكرازة المرقسية بكل احترام نرفق مع هذا مطالب أعضاء المجمع المقدس الإصلاحية والتى بسببها انسحبوا من جلسته الأخيرة المنعقدة بالبطريركية بتاريخ ١٥ توت سنة ١٦٧١ ش الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ م

ثم عاد أعضاء المجمع محافظة منهم على سلام الكنيسة ووحدتها فانتدبوا من بينهم أصحاب النيافة الأنبا أغابيوس مطران ديروط والأنبا توماس مطران الغربية وسكرتير المجمع المقدس والأنبا ياكوبوس مطران أورشليم لإبلاغ مطالبهم الاصلاحية فكان رد غبطتكم عليهم الرفض وعدم إجابة هذه المطالب .

والمجمع المقدس الذى يهمه رفع شأن الكنيسة والمسئول المباشر والرقيب على جميع شئونها لا يمكنه أن يقف صامتا مكتوف الأيدى أزاء هذه الحالة السيئة التى وصلت إليها الكنيسة .

**لذلك**

تجدون غبطتكم طى هذا مطالب اصحاب النيافة مطارنة الكنيسة أعضاء المجمع المقدس طالبين سرعة تنفيذها مراعاة للصالح العام .

وبنعمة الله قد عقد المجمع المقدس العزم على اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بتحقيق هذه المطالب .

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الكنيسة ولعظمته تعالى الشكر دائما أمين

عنهم

| | | |
|---|---|---|
| تيموثاؤس | توماس | أغابيوس |
| مطران الدقهلية | مطران الغربية | مطران ديروط |
| | وسكرتير المجمع المقدس | |

**تم امس فض الخلاف الذى كان قائما بين غبطة الانبا يوساب الثانى بطريرك الاقباط الارثوذكس واصحاب النيافة المطارنة اعضاء المجمع المقدس وازيل كل اثر للاحداث الاخيرة**

كما تم تأليف اللجنة الاستشارية لغبطة البطريرك من السادة اصحاب النيافة الانبا اثناسيوس مطران بنى سويف والانبا كيرلس مطران قنا والانبا لوكاس مطران منفلوط الذى سبق ان عينه غبطته معاونا له .

### بيان اللجنة المنتدبة لفض الخلاف

وقد اذاعت اللجنة التى شكلت امس الاول لازالة هذا الخلاف مساء امس البيان التالى :

يسر اللجنة المنتدبة للسعى لفض الخلاف الحاصل فى البطريركية ان تعلن للراى العام انها وجدت روحا طيبة ورغبة صادقة لدى صاحب الغبطة البطريرك واصحاب النيافة المطارنة، لازالة كل اثر للاحداث الاخيرة ، وقد تصافت النفوس وساد الوئام بين الجميع .



واللجنة اذ تعلن ذلك تبدى اغتباطها بهذه النتيجة الموفقة ، وترجو أن توجه الجهود لخير الكنيسة ولتحقيق ما يصبو اليه الشعب القبطى من الاصلاح .

### اجتماع المطارنة

وفيما يلى ما كتبه ميشيل جرجس مندوب « الجمهورية » :

اجتمع الاباء المطارنة فى الساعة العاشرة من صباح امس ببيت الوقف للتشاور فى الشئون الطائفية ، وفى الساعة الحادية عشر حضر اليهم الاستاذ سعد فخرى عبد النور موفدا من غبطة البطريرك وأبلغهم موافقة غبطته على جميع طلبات المجمع المقدس واعتبار الخلاف القائم منتهيا .

### اللجنة الاستشارية

وعلى اثر ذلك بدأ الاباء المطارنة فى انتخاب عضوين أخرين للجنة الاستشارية لغبطة البطريرك ، وأبدى نيافة الانبا اغابيوس ، مطران ديروط ، ونيافة الانبا توماس ، مطران الغربية وسكرتير المجمع المقدس ، رغبتهما فى التنحى عن هذه العضوية وتم اختيار الانبا اثناسيوس ، مطران بنى سويف والانبا كيرلس مطران قنا لعضوية تلك اللجنة ، وأبلغ هذا الاختيار لغبطة البطريرك .

### اللجنة المنتدبة تهنىء البطريرك

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر قصد الى دار البطريركية السادة : جندى عبد الملك وزير التموين ومراد وهبه وكامل يوسف صالح واسكندر حنا دميان والدكتور ابراهيم فهمى المنياوى أعضاء اللجنة المنتدبة لفض الخلاف وقابلوا غبطة البطريرك وهنأوه بما تم من اتفاق وجهات النظر وفض الخلاف بين رجال الطائفة .

### .. والاباء المطارنة

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر غادر أعضاء اللجنة دار البطريركية ، وقصدوا الى بيت الوقف حيث استقبلهم الاباء المطارنة الانبا توماس والانبا يؤنس والانبا ساويرس والانبا اثناسيوس ، وقد هنأ أعضاء اللجنة الاباء المطارنة وشكروا لهم حسن رعايتهم لشئون الطائفة (١)

(١) جريدة « الجمهورية » — الخميس ٧ أكتوبر سنة ١٩٥٤

١١٣ــ ويتضح لنا من التمعن فى تاريخ الانعقاد الأول للمجمع وتاريخ التصالح أن نعمة الله تباركت كنيسته فمنحت الآباء أن يتصالحوا على خلاف لم يدم بينهم غير أسبوعين. وليس من شك فى أن قلوب الجميع اشتاقت لهذا الصلح فى صميمها فوهبها الله اشتياقها.

وتطمينا للشعب ولهدوئه النفسى نشر المقال التالى:

(السنة ٤٢) الاثنين ١٨ اكتوبر سنة ١٩٥٤ - ٨ بابه سنة ١٦٧١ - ٢٠ صفر سنة ١٣٧٤ (السنة العشرون)

صاحبة الامتياز
هـ. ح. الشاذ

رئيس التحرير
حسين الرملى
عضو نقابة الصحفيين

الاشتراكات
١٠٠ قرش عن كل سنة
فى كل مكان

(١) الشعوب
JOURNAL AL-CHOUOUB I LES PEUPLES
جريدة أسبوعية سياسية

لا تعتمد الايصالات إلا اذا كانت محررة بختم المدير وتوقيع المستلم

مدير الادارة
أيوب صبرى

سكرتير الشعوب
يوسف صبرى (١)

٧٩ شارع كامل صدقى باشا
(الفجالة سابقا)

تليفون ٤٩٧٤٠

## السادة المطارنة يعودون الى حضرة البطريرك

فى نحو الساعة السادسة من مساء الاثنين ١١ أكتوبر. ذهب حضرات السادة المطارنة الأنبا اثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا، والأنبا كيرلس مطران قنا وقوص ونقادة، والأنبا توماس مطران طنطا وسكرتير المجمع المقدس، والأنبا أغابيوس مطران ديروط، والأنبا ياكوبوس مطران القدس، والأنبا يؤنس مطران الجيزة والفليوبية، والأنبا متاؤوس مطران الشرقية والمحافظات، والأنبا انطونيوس مطران سوهاج والأنبا بطرس أسقف اخميم. الى القصر البطريركى حيث أحنوا رؤوسهم أمامه. فنهض واقفا وعانقهم وقبلهم واحداً فواحدا. فشكروا له سعة صدره وعفوه الذى أصدره عنهم وعن أخوتهم الذين كانوا معهم.

(١) أرجو أن يلاحظ القرّاء أن كلاً من صاحب الامتياز ورئيس التحرير مسلم فى حين أن كلاً من مدير الإدارة وسكرتير الجريدة قبطى.



وكان فى حضرته وقت وصولهم فى مقصورته حضرات أصحاب النيافة الأنبا لوكاس مطران منفلوط وأبنوب والأنبا ثاوفيلس أسقف دير السريان، والأنبا كيرلس مطران البلينا، والأستاذ سعد فخرى عبد النور رسول السلام المخلص للكنيسة وابنها البار.

وننقل عن أمنا مصر ما نشرته عما دار بين غبطة البابا وأخوته المطارنة قالت:

إن الأنبا كيرلس مطران قنا قال: إن المتبع ياصاحب الغبطة. أن الخصومة العامة شىء، والخصومة الخاصة شىء آخر. فنحن وقد نكون اثنين مختلفين فى الرأى، ولكننا أصدقاء، والنزاع الذى حدث أخيراً ليس بخلاف شخصى بل هو اختلاف فى الرأى للمصلحة العامة، وليس بين غبطتكم والآباء المطارنة أية خصومة وأنا معتقد أن الجميع يهدفون الى غرض واحد. هو مصلحة الكنيسة قبل كل شىء. وفوق كل شىء.

١١٤ــ وبعد هذه المصالحة التى فرح لها الشعب القبطى كله عاد الأنبا يوساب الى المطالبة بخادمه ملك بحجة أنه لا يستغنى عنه إطلاقا. وسارع ملك الى إقامة قضية أمام مجلس الدولة يطلب إعادته الى الدار البابا وية ليؤدى الخدمات اللازمة للبابا الجليل. ومع أنه أجيب الى طلبه إلا أن حيثيات الحكم قد فضحت حقيقة ثروته التى كدسها من السيمونية ومن استيلائه على كل ما يمكنه من التقدمات التى كان الشعب يقدمها لراعيه الأول. فجاء فى هذه الحيثيات ما نصه: «إن ملك هو من كبار أعيان الدولة المصرية ويجب إطلاق سراحه ليدير أمواله الطائلة وعماراته العديدة (١).

وحالما عاد ملك الى وظيفته عاود ابتزاز الأموال من غير تورع ولا خشية. وامتدت عينه الجشعة الى وقف دير الأنبا أنطونيوس ببوش. وقد نجح فى أن يجعل الأنبا يوساب يطالب الأنبا غبريال ــ أسقف الدير والمشرف على الوقف ــ بسبعة الآف جنيه! فلما رفض الأسقف هذا الطلب زوّر ملك خطاباً بإمضاء الأنبا يوساب فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٥٥ يعلن فيه عزل الأسقف من رياسة الدير ومن نظارة الوقف! فردّ الأنبا غبريال بخطاب قال فيه بأن قرار عزله باطل كنسياً وقانونيا ونظاميا لأنه عدوان على كيان المجمع وعلى سلطته العليا التى أقرتها الكنيسة منذ نشأتها. وختم خطابه بقوله: «.... كما أناشد إخوتى أعضاء المجمع المقدس ــ وهم الأمناء على الكنيسة الوطنية والكرازة المرقسية ــ أن يهبّوا و يقوموا قومة رجل واحد للدفاع عن كيان الكنيسة وكيان المجمع المقدس وكرامة أعضائه وحقوقه المقدسة، وأن ينقذوا الشعب من

(١) جريدة مصر فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٥٥

فساد ملك .... إن كيان الكنيسة القبطية الوطنية فى خطر داهم ، والأمر جد خطير. فاسهروا واعملوا . والله معكم . والكلمة للمجمع المقدس ... » (١)

وعاود الآباء المطارنة محاولاتهم لإقناع الأنبا يوساب بالتخلى عن ملك وعن كل بطانته . وتقابلوا معه أفراداً ومجموعات المرة تلو المرة . وأفهموه بأن الشعب كله يشعر بالضيق والقلق بأزاء تصرفات هذا الخادم الذى أصبح يزعم بأنه صاحب الأمر والنهى . وأن مثل هذه التصرفات لا توجعهم فقط بل الأهم من ذلك أنها تحط من كرامة الجالس على السدة المرقسية . ولكن كل هذه المحاولات وهذا السعى الجماعى تحطم أمام إصرار البابا على التمسك بخادمه .

وفى صباح الثلاثاء ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥ رأى المطارنة والأساقفة أن يعقدوا المجمع بالدار البابا وية برياسة الأنبا يوساب . فلما سمع هو بذلك امر بطانته بأن تغلق البوابة فى وجوههم ! فلما قرعوها معلنين شخصيتهم أجيبوا من الداخل بأنهم أغلقوها بناءً على الأمر البابا وى ! وبأزاء هذا الموقف ذهب أعضاء المجمع الى بيت وقف دير الأنبا أنطونيوس حيث عقدوا جلستهم . وبعد الصلاة تم تبادل الرأى فى الحالة التى آلت إليها الرياسة الكنيسة العليا اتخذوا قراراً بإعفاء الأنبا يوساب من إدارة شئون الكنيسة وكان قرارهم إجماعياً .

ثم رأى حضرات الأباء الأجلاء أن يجتمعوا مع أعضاء المجلس الملى ليتفاهم الجميع فيمن يختارون من المطارنة لتولى شئون الكنيسة بدلاً من الأنبا يوساب . ففى الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥ اجتمعت الهيئتان العليتان فى الكنيسة بالدار البابا وية على هيئة مؤتمر . ووافق المجلس بالإجماع على القرار المجمعى واتفقوا معاً على انتخاب ثلاثه من المطارنة ليديروا شئون البطريركية الى أن يقتنع البابا الجليل برأيهم أو الى أن ينتقل الى الفردوس . وكان الحاضرون هذه الجلسة المشتركة ثلاثين : اثنى عشر من أعضاء المجمع المقدس وثمانية عشر من المجلس الملى . وقد قيل آنذاك عن هذه الجلسة إنها كانت موعد القبط مع القدر ومع التاريخ إذ قد امتلأت نفوسهم رجاء فى بداية جديدة . والكنيسة القبطية ــ مع كونها قديمة عريقة ــ إلا أنها كثيراً ما بدأت بدايات اعتبرت جديدة ، لأن الحيوية التى أودعها الخالق فى أعماقها حيوية دائمة التجدد . إنها حيوية ذاك الذى افتداها بدمه الكريم وداس الموت بموته معلناً القيامة المجيدة مؤكداً لرسله ومن بعدهم للكنائس التى أسسوها أنه معهم الى الانقضاء .

---

(١) لقد حرصت كنيستنا القبطية منذ البداية على جعل السلطة العليا فى المجمع لا فى شخص البابا عملاً بالمبدأ الرسولى الذى نعلمه من الأصحاح الثانى عشر لسفر الأعمال . وقد أكدت المجامع المسكونية هذا المبدأ لأن الكنائس الأرثوذكسية لا تؤمن بالعصمة البابا وية . فاتخذت من تبادل الرأى فى المجامع سياجاً ضد هذه العصمة .



وما إن اتفقت كلمتهم على إعفاء قداسة البابا حتى تم اتفاق إجماعى أيضا على اختيار المطارنة الثلاثة وهم : الأنبا أغابيوس مطران ديروط وصنبو وقسقام ، الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ، الأنبا بنيامين مطران المنوفية .

١١٥ ــ وبعد هذا التوافق الرائع قرر الجميع أن يعطوا البابا الجليل حق اختيار المكان الذى يعتكف فيه . فأعلن لهم رغبته فى الإقامة بالدير المحرق لأنه من الأماكن التى عاش فيها السيد المسيح والسيدة العذراء والدته و يوسف النجار الرجل البار فترة من الوقت الذى قضوه فى مصرنا العزيزة حينما هربوا من وجه هيرودس . ومنذ صدور القرار بإعفائه الى ساعة خروجه من الدار البابا وية اعتكف الأنبا يوساب فى غرفته الخاصة ــ وكان ذلك لمدة يومين .

ونرى هنا مثلا له روعته ــ وهو أن التناغم والتفاهم قد أديا الى أن تمر هذه الأحداث الأليمة فى هدوء .

١١٦ ــ ثم أرسل المجمع صورة من قراراته الى مجلس الوزراء الذى وافق عليها بدوره . ثم بعث المجمع بقراراته وبموافقة الحكومة عليها الى قداسة البابا على يد مُحضر لتكون كل التحركات بمقتضى القانون العام . وقد صّرح جندى عبد الملك ــ وزير التموين ــ للصحف بأن الإجراءات التى اتخذت هى تنفيذ لرغبة الشعب القبطى ولصالحه . فلم تصدر الحكومة موافقتها إلا بعد أن لمست هذه الرغبة الشعبية و بعد أن رأت اتفاق المجمع المقدس والمجلس الملى اتفاقا إجماعيا مما أكد لها أن آباء الكنيسة أنفسهم يؤيدون الشعب فى هذا الموضوع الخطير .

و بعد كل هذه الإجراءات أذاع المجمع المقدس على الشعب البيان الآتى :

**باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين**

**بيان من المجمع المقدس**

الى الأمة المصرية وشعوب الكرازة المرقسية ــ الى الاكليروس والشعب القبطى

نعمة لكم من الله وسلام

تعلمون الأحداث الخطيرة التى تجتازها الآن كنيستنا المقدسة التى نفتديها بدمائنا وأرواحنا كما تسلمناها من أجدادنا الشهداء الذين استشهدوا فى سبيل المحافظة على كنيستهم وعقيدتهم الأرثوذكسية . وقد استشعر المجمع المقدس مسئولياته الجسام حيال هذه الأحداث بصفته

صاحب السلطة العليا فى الكنيسة ، وصاحب الولاية الكاملة على تصرفات من يجلس على كرسى مار مرقس الرسول . فبادر المجمع الى عقد جلساته فى سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٥٤ وكان أن توجّهت هيئة المجمع المقدس الى البطريركية فما كان من الأنبا يوساب إلا أن أمر بإغلاق جميع الأبواب فى وجه المجمع ، بل إنه استعان ( بالبرانيين ) على منع الاجتماع . وقد حضر لفيف من الضباط وقوة كبيرة من البوليس على رأسها حكمدار العاصمة ، وحاصروا جميع الشوارع المؤدية الى البطريركية . فلم يسع المجمع إلا أن يطرق باب البطريركية ثلاث مرات ، طالبا فتح الأبواب لدخول الأعضاء فأجيبوا من الداخل بأن الدخول ممنوع عليهم بأمر الأنبا يوساب ــ فرأى المجمع المقدس أن يواجه مسؤلياته نحو هذا الموقف الخطير ونحو عثرة الأنبا يوساب وإخلاله بقوانين الكنيسة وبحقوق المجمع المقدس ، فاجتمع المجمع وقرر عدم الثقة بالأنبا يوساب ــ وكانت الحكمة تقضى عليه بأن يقدّر خطورة الموقف وانهيار شأنه فيبادر بالتنحّى عن كرسيه فور صدور هذا القرار ــ ولكن تصرفاته زادت سوءا ــ وقد انقضى على قرار المجمع المقدس قرابة عام عمت خلاله الفوضى جميع شئون الكنيسة وعرّض مركز الكنيسة للهوان و بالغ الأضرار حتى أطمع فيها رؤساء الكنائس الأجنبية . ولولا أن ايمان الشعب قوى فى عقيدته ثابت فى ولائه لكنيسته أم الكنائس ومهد المسيحية لوقع ما لا يتمناه غيور لكنيسته .

لهذا فقد اجتمع المجمع المقدس وأستعرض كل ما وصلت اليه حالة الكنيسة . وقرر ذلك القرار التاريخى : يحكم المجمع بإعفاء الأنبا يوساب من إدارة شئون الكنيسة كافة وإبعاده عن مقر الكرازة المرقسية بالقاهرة والاسكندرية ، وتشكيل لجنة ثلاثية من بين أعضاء المجمع المقدس يكون لها جميع اختصاصات البطريرك ، وإبلاغ الحكومة ذلك لأتخاذ اللازم ، وإبلاغ هذا القرار الى الأنبا يوساب فورا ــ وقد أبلغ فعلا حكم المجمع اليه عقب الاجتماع . كما أبلغ الى المجلس الملى العام حيث اجتمع المجلس الملى العام وأصدر قراراً بتأييد حكم المجمع المقدس بإعفاء الأنبا يوساب من جميع شئون الكرازة المرقسية .

ونحن نؤيد الانبا أغابيوس فأنه كان يموّن المجمع المقدس بالرأى والحماس الذى جمع قلوب الأكثرية من رجال المجمع وكان لهيبته الشخصية وعلو آدابه وأخلاقه السامية السحر الذى دفع بالمجمع الى التكتل والاستقرار ، وبهذه الفضائل يعمل فى تضامن وتناغم مع أخويه وشريكيه فى المهمة الموكلة إليهم .

وقد غادر قداسة البابا الدار البابوية قاصداً الى الدير المحرق فى الساعة الثالثة من فجر يوم السبت الموافق ١ أكتوبر فى سيارة خاصة . وقد رافق قداسته نيافة الأنبا يؤنس مطران الخرطوم والقمص ميخائيل اقلاديوس راعى كنيسة القديسة الشهيدة بربارة بالشرابية والقمص بولس



شنودة وكيل عام البطريركية وراهب من دير المحرق أرسله أسقف الدير خصيصا ليكون ضمن المرافقين . ومن المدهش أن صحبه بعض خدمه أيضا ! على أن الأنبا يوساب ركب السيارة بمفرده وأسدلت ستائرها حوله من كل جهة . بينما جلس الى جانب السائق اثنان من الأتباع . وركب المرافقون سيارة أخرى . وفى سيارة ثالثه رصت ثلاث عشرة حقيبة بها كل مستلزمات الراعى المسافر وأحاط بالسيارات الثلاث ست سيارات ركبها رجال الشرطة المكلفون بحراسة الركب لغاية الدير .

وخلال هذه الإجراءات رنت نغمة نشاذ : فقد طلب بعض الأقباط الى رجال الشرطة تفتيش الحقائب ! ولكنهم رفضوا ذلك رفضاً باتا قائلين : « إنه مازال الرئيس الأعلى للكنيسة القبطية » . وهكذا ترك الخليفة المائة والخامس عشر للكاروز الحبيب مقر الرياسة وذهب للانزواء فى دير بعيد . ولئن كان هذا الحادث مؤلما للنفس إلا أنه صورة صادقة لديمقراطية كنيستنا المحبوبة . فالآباء والشعب من ورائهم حين وجدوا أن النصح ضاع سدى ، وأن التجاوب الذى يجب أن يسود بين الأبناء وأبيهم تبدد ، لم يجدوا بداً من إبعاد أبيهم تطلعاً منهم الى إصلاح ما حدث من فساد وتشويس . وقد يضع البعض اللوم كله على ملك وعلى بطانة السوء ، ولكن ملك لم يكن سوى خادم ولم تكن البطانة غير حاشية . ولو أن الراعى الأصيل أصغى الى تأوهات شعبه والى نصح إخوته المطارنة لما وصل الى هذا الموقف المحزن الموجع . فالمسئولية الأولى على الأنبا يوساب الذى قيل له يوم تنصيبه إنه مؤتمن من رب الكنيسة على رعاية شعب الكنيسة .

وبعد أن غادر الأنبا يوساب الدار البابوية اجتمع بعض الآباء المطارنة لجرد العهدة التى كانت موجودة لديه والتحفظ عليها . ثم كتبوا خطابا الى مأمور قسم الأزبكية يعطونه علماً بذلك . وسلّموا الخطاب للأستاذ بولس عياد المحامى لتوصيله ، وهذا نصه :

السيد المحترم مأمور قسم الأزبكية :

تحية طيبة وبعد ــ لما كان للكنيسة ذخائر خاصة يحتفظ بها البطريرك فى خزائنه الخصوصية وتعتبر عهدة وأمانة يتسلمها كل بطريرك خلفا عن سلف .. وخشية أن تتسرب هذه العهدة الى أيدٍ غير مسئولة ــ لذلك نرجو التكرم باستلامها من الأنبا يوساب وحفظها فى حرز حتى تتسلمها اللجنة الثلاثية بعد إقرار تعيينها من مجلس الوزراء و يرافق هذا بيان بالذخائر التى فى عهدة الأنبا يوساب وهى التى تسلمها من نيافة الأنبا أثناسيوس القائمقام السابق للكرسى البطريركى ووقع على كشف بالاستلام فى مايو سنة ١٩٤٦ وهذا الكشف محفوظ فى خزانة الديوان البطريركى

هذا خلافا لما استجد فى عهده من ذخائر وانتدبنا الاستاذ اسكندر ابراهيم مدير البطركية للاستلام

وتفضلوا بقبول فائق تحياتنا واحتراماتنا

عن المجمع المقدس
أغابيوس مطران ديروط

وقد أرفق الحبر الجليل هذا الخطاب بكشف بجميع الذخائر التى أحصوها ووضعوها تحت الحفظ .

١١٧ــ وكان أول عمل قام به أعضاء المجمع المقدس بعد الانتهاء من اختيار اللجنة الثلاثية هو الاجتماع مع رؤساء الكنائس الأخرى لتعريفهم بالموقف . وذلك بأن عقدوا جلسة معهم فى الساعة السابعة من مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ــ أى بعد جلستهم الخاصة مباشرة . ولما كان الأنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية هو أكبر الآباء سنا فقد تولى بنفسه إرسال الدعوة موقعًا عليها بإمضائه .

وقد لبى الدعوة الأب شاكر والقس ابراهيم سعيد والأستاذ أمبى رزق عن الطائفة الانجيلية ، والأرشمندريت يوحنا بشارة وكيل بطريركية الروم الكاثوليك ، والمطران الياس زغبى نائب بطريركية الروم الأرثوذكس ، والمطران ألبريون وكيل بطريركية الروم الأرثوذكس ، والقس يوسف سكرتير بطريرك الروم الأرثوذكس ، والمطران رابولا يوسف عن مطران السريان الكاثوليك ، والقمص مرقس بطرس وكيل عام الأقباط الكاثوليك ، والأب شدياق عن طائفة اليسوعيين ، والخورى عمانويل رسام وكيل بطريركية الكلدان ، والأب مشار كادبنان وكيل بطريركية الأرمن الأرثوذكس والأب يوسف صعب وكيل بطريركية الأرمن الكاثوليك ، والأب الياس أبو الخير وكيل الطائفة المارونية بمصر والسودان ، وأعضاء المجمع المقدس القبطى

وقد قرروا تأليف لجنة من الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والأنبا يؤانس مطران الجيزة وبعض من ممثلى الطوائف للاجتماع صباح باكر بالدار البطريركية لدراسة قانون الأحوال الشخصية ووضع الاقتراحات التى تتمشى مع العقائد .



وقد اجتمعت اللجنة صباح اليوم ورأت بعد مناقشات ودراسات طويلة دعوة رؤساء الطوائف جميعا للاجتماع مع المجمع المقدس القبطى الى جلسة تعقد غداً لأهمية الموضوع (١) .

١١٨ــ على أن المجمع الاثيوبى المقدس يسانده الامبراطور هيلاسلاسى رفضوا الاعتراف بتنحية الأنبا يوساب ، وبدأ مندوبوهم يحضرون الى القاهرة تباعا ابتداءً من ٢١ مارس سنة ١٩٥٦ . ثم حمل أسقف هرر رسالة من الأنبا باسيليوس مطران اثيوبيا ورئيس كهنتها يقول فيه ما ترجمته :

« الى إخوتنا فى المسيح أعضاء المجمع المقدس لكرسى القديس مرقس بالقاهرة (مصر) : إخوتنا فى المسيح ــ

تحيات باسم ربنا يسوع المسيح

إن الكنيسة الاثيوبية الأرثوذكسية ، بعد أن تتبعت باهتمام بالغ تنحية بابانا وبطريركنا الأنبا يوساب الثانى عن كرسيه المقدس ومنعه من تأديه واجباته المقدسة ، قد قررت أن تنتدب عنها باسمها وباسم الشعب الاثيوبى المندوبين التاليين :

صاحب النيافة أبينا ثاوفيلس أسقف هرر ، سعادة بلاتّا تيرفا شومى رئيس مجلس النواب لكى يتناقشا فى هذا الموضوع الخطير مع إخوتنا أعضاء المجمع المقدس الذى لكرسى القديس مرقس ،

واننا لنرجو المجمع المقدس أن يتقبّل مندوبينا ويهيء لهما أسباب التعاون التى تضمن نجاح رسالتهما السامية .

واننا لنضرع أن تحل نعمة الله الآب وصلاح ربنا يسوع المسيح وشركة الروح القدس على الكنيسة كى تؤول المباحثات الى نتيجة طيبة لمجد الله ولتبادل المنفعة المشتركة بين أبنائه .

أخوكم فى المسيح
أنبا باسيليوس
رئيس أساقفة اثيوبيا

(١) يلاحظ القارىء فى مسارعة الآباء المطارنة الى العمل مدى إدراكهم لمسئوليتهم

وتبعت هذه الرسالة رسالة من الامبراطور هيلاسلاسى بعث بها فى الحقيبة الديبلوماسية الى سفيره فى القاهرة ليوصلها بدوره الى قداسة البابا قال فيها :

من الأسد الخارج من سبط يهوذا هيلا سيلاسى الأول المعين من السيد المسيح امبراطورا لأثيوبيا الى صاحب القداسة الأنبا يوساب الثانى بابا و بطريرك الكرازة المرقسية

نرجو شمولنا ببركاتكم المقدسة
ونقدم لقداستكم سلامنا

لمناسبة انتشار التعليم المسيحى فى امبراطوريتنا ، صار من المحتم زيادة عدد الأساقفة ، ولذلك قرر مجمع الكنيسة الأثيوبى انتخاب نيبوريد جبرا مسكال ليُرسم اسقفا باسم يوحنا على ابروشية ثيجرا ، وقد عرض علينا المجمع هذا الانتخاب فوافقنا عليه ونحن نعتقد ان مجهوداتنا لاستمرار العلاقات الودية بين الكنيستين قد اثمرت نتائج طيبة منذ جلوسنا على العرش وطول مدة خلافتكم على كرسى مار مرقس الرسول

وطبقا لاتفاق سنة ١٩٤٧ نكون شاكرين لو تفضلتم بالتصريح لمطران أثيوبيا برسم هذا الراهب أسقفا ..

ونطلب من الله العلى ان يطيل عمركم ويهبكم صحة جيدة .

كُتب فى الحادى والعشرين من شهر ستين فى السنة الألف والتسعماية والأربعين وفى السنة الخامسة والعشرين لجلوسنا على عرش أثيوبيا .

هيلاسيلاسى الاول
امبراطور

و يرى القرّاء أن الامبراطور يتقدم بطلبه فى ظرف لمصلحته الخاصة لأن قداسة البابا يحنّ من غير شك الى العودة ومباشرة سلطته الراعوية ، وهو بهذا الحنين فى حالة من الاستعداد النفسى لتلبية طلب الامبراطور الاثيوبى ! وتلويح العاهل الاثيوبى الى « استمرار العلاقات الودية » هو تلويح لا يستطيع الآباء المطارنة أن يصموا آذانهم عنه . فهذه الرسالة تكشف عن المهارة الديبلوماسية التى استعان بها كاتبها . للوصول الى هدفيه : الأول ممارسة البابا الجليل لعمله الراعوى ، والثانى رسامة أسقف اثيوبى جديد !

---

١١٩ــ ونتيجة لهذه الوفود ولهذه الرسائل المتلاحقة قرر الأنبا يوساب أن يدعو الى عقد



المجمع المقدس بالدير المحرق للتداول مع أعضائه . و بالفعل انعقد المجمع الذى حضره سبعة من الأساقفة الاثيوبيين فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٦ . وهذا هو نص الدعوة البابا وية :

« من يوساب الثانى خادم المسيح يسوع ، المدعو بنعمة الله وموهبة الروح القدس خلفاً لرسول المسيح القديس مرقس على كرسى بابا وية الكرازة المرقسية ــ

« الى الحبيب الروحى ، المدعو بنعمة الروح القدس أخاً قديسا فى المسيح صاحب النيافة الأنبا ....

« أطلب اليكم أنا الضعيف بينكم ، والمحاسَب قبلكم أمام الرب عن أمانة بيعته المقدسة ، أورشليم العليا النازلة من السماء ، أن تبادروا الى حضور الاجتماع التاريخى العظيم الذى هيأته عناية الرب للكنيسته ، والذى سيحضره إخوتكم القديسون الأساقفة الاثيوبيون على هيئة مجمع مقدس كامل للكرازة المرقسية بمقرنا الحالى بالدير المحرق » .

وقد لبى هذه الدعوة ثلاثة عشر مطرانا وأسقفا من الأقباط ، فبلغ عدد الحاضرين عشرين عضواً .

و بعد التداول ، و بعد أن أعلن الأنبا يوساب أمام الجميع استغناءه عن ملك وعن البطانة التى كانت تحيط به ، رأى المجتمعون أن يعود قداسة البابا الى مقر رياسته بالقاهرة .

على أن المطارنة والأساقفة الذين لم يلبوا الدعوة لم يقبلوا هذا القرار . وقد ساندهم المجلس الملى فى رفضهم هذا . فكانت النتيجة أنه حينما وصل البابا الجليل الى القاهرة وجد أبواب البطريركية مغلقة بالسلاسل الحديدية . وقيل له إنهم أعدوا له جناحاً خاصاً فى المستشفى القبطى . وكان وصوله يوم ٢١ يونيو لأنه غادر الدير المحرق فى اليوم التالى لعقد المجمع يصحبه المطارنة القبط والاثيوبيون وعدد من أهالى منطقة الدير .

والذى حدث أن الأنبا يوساب على الرغم من عودته الى القاهرة لم يتسلم مهام كنيسته ، واقتصر نشاطه على الصلوات وتأدية الشعائر الكنسية فقط . كما أنه ظل مقيما بالمستشفى القبطى ، فلم يدخل الدار البابا وية إطلاقا ، بل لم يؤد الصلوات فى الكاتدرائية المرقسية .

١٢٠ــ وقد قضى البابا الجليل خمسة شهور فى المستشفى القبطى ــ إلا أسبوعاً واحداً إذ قد دخله فى ٢١ يونيو وانتقل الى بيعة الأبكار فى ١٣ نوفمبر . وكان خلال هذه الأيام فى صحة جيدة لكنه بدأ يمرض فى الشهر الأخير . بل لقد انهارت قواه بسرعة عجيبة الى حد أنه ظل فى

غيبوبة طوال الأسبوع الأخير. وحين رأى الأطباء المعالجون أنه أقرب الى الموت منه الى الحياة اتفقوا مع آباء المجمع المقدس على نقله الى الدار البابا وية لينتقل الى الفردوس من مقر رياسته صوناً لكرامة الكرسى المرقسى. ووافق الجميع بلا استثناء على هذا الرأى، ونُقل قداسته الى مقره الرسمى وهو مازال فى غيبوبته. وبعد أربع وعشرين ساعة انتقل من هذا العالم البائد الى العالم الباقى.

وهنا نرى صورة ذات جلال حق: فالقبط سواءً من كان معارضا أو من موالياً لقداسة البابا أحسوا بالحزن يملأ قلوبهم. وهذه الأحاسيس هى بعينها التى كانت تغمر القلوب كلما انتقل واحد من خلفاء كاروزنا الحبيب. لأن الصلة التى تربط القبط بباباهم تمتد من الماضى الى المستقبل. ففى مكامن اللاوعى منهم تنادى أعماقهم أعماق باباواتهم و يتجاوب النداء فيعلو فوق كل الأحداث.

وقد دامت باباوية الأنبا يوساب الثانى عشر سنوات وخمسة شهور وسبعة عشر يوماً — من ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ الى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦.

وعلى أثر انتقاله أذاع المجمع المقدس والمجلس الملى العام فى محطة الاذاعة المصرية والجرائد النعى الآتى:

« ينعى مطارنة الكنيسة القبطية وأساقفتها ووكيل المجلس الملى العام وأعضاؤه صاحب الغبطة والقداسة الانبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الاسكندرية والحبشة والنوبة وأورشليم والشرق الادنى والسودان وسائر بلاد افريقيا المنتقل الى الامجاد السماوية صباح الثلاثاء ٤ هاتور سنة ١٦٧٣ — ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ متمما رسالته الدينية. وسيحتفل بالصلاة عليه فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى فى الساعة الثالثة من مساء يوم الخميس ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦.

وقد أوفد فى هذا اليوم الرئيس جمال عبد الناصر السيد محافظ القاهرة لتقديم عزاء سيادته ومواساته للاقباط وأناب السيد زكريا محيى الدين وزير الداخلية حكمدار القاهرة للتعزية. وشرف السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى بعد الظهر الدار البطريركية معزيا.

وفى يوم الاربعاء ١٤ منه أجلسوا غبطته على كرسيه البطريركى فى الكاتدرائية المرقسية وأخذ آلاف الشعب تتوافد على الكنيسة لنيل بركاته وطلب الحل والغفران، وظلت الجماهير تتردد على مشاهدته متأثرة من الساعة الحادية عشر الى الساعة الخامسة مساء، واستمر الحال على



هذا المنوال الى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس حيث أغلقت الابواب استعدادا لحفلة الجناز الكبرى.

## عظمة الكرسى

والسبب فى وضع جثمان الاب البطريرك على الكرسى البطريركى هو جلال مركزه الدينى السامى لأن البطريرك هو واسطة البركات فى الكنيسة فهو الذى يرسم الاساقفة والقسوس، وهو الذى يعطى موهبة الحل والربط، وهو الذى يبارك الجميع ولا يباركه أحد، لذلك درجت الكنيسة على أن تصلى على الاب البطريرك جالسا وحاضرا معها بالروح تستمد منه البركة والحل والصلاة من أجلها أمام عرش النعمة (١).

١٢١ — ولنقف هنا لنتأمل الآباء الأجلاء الذين انتخبهم المجمع المقدس والمجلس الملى العام بالإجماع:

**١ — الأنبا أغابيوس** مطران كرسى ديروط ومنبو وقسقام — كان أكبر الثلاثة سنا وأقدمهم عهداً بالمطرانية فاتخذ منه الاثنان الآخران مرشداً ورئيسا، واليكم بعض ما نشرته الصحف عنه آنذاك:

نشرت مصر يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر ما يأتى:—

فى تمام الساعة السابعة من مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر أعلنت النتيجة التاريخية الرائعة لانتخاب اللجنة الثلاثية التى تتولى جميع اختصاصات البطريرك، وتقبّل الشعب القبطى كله هذه النتيجة السارة بالهتاف من الأعماق (أوصنا) على مقدم الخير والبركة. والسلام والاصلاح والخدمة للشعب والكنيسة.

وأدرك الشعب كله أمس أن الكنيسة قد انتصرت حقا بتنحية يوساب لأنها فازت برئاسة دينية ممتازة تحيط بها هالة المجد والتاريخ والفضيلة والشرف والعزة والكرامة

و يعود هذا الفوز إلى شعور أعضاء المجمع المقدس وأعضاء المجلس الملى العام بأن الشعب لا يرتضى بعد اليوم أن تُسلّم مقاليد أمورنا إلا لمن يحسنون قيادتنا و يتوفرون على نهضتنا وانجاز

(١) مجلة الشعوب فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦، وغنى عن البيان أن جميع الصحف والمجلات قد نشرت النعى وعلقت عليه أيضا، ولكن فى هذه النشرة الكفاية كمثل لما قيل.

غيبوبة طوال الأسبوع الأخير. وحين رأى الأطباء المعالجون أنه أقرب الى الموت منه الى الحياة اتفقوا مع آباء المجمع المقدس على نقله الى الدار البابا وية لينتقل الى الفردوس من مقر رياسته صوناً لكرامة الكرسى المرقسى. ووافق الجميع بلا استثناء على هذا الرأى، ونُقل قداسته الى مقره الرسمى وهو مازال فى غيبوبته. وبعد أربع وعشرين ساعة انتقل من هذا العالم البائد الى العالم الباقى.

وهنا نرى صورة ذات جلال حق: فالقبط سواء من كان معارضا أو من موالياً لقداسة البابا أحسوا بالحزن يملأ قلوبهم. وهذه الأحاسيس هى بعينها التى كانت تغمر القلوب كلما انتقل واحد من خلفاء كاروزنا الحبيب. لأن الصلة التى تربط القبط بباباهم تمتد من الماضى الى المستقبل. ففى مكامن اللاوعى منهم تنادى أعماقهم أعماق باباواتهم و يتجاوب النداء فيعلو فوق كل الأحداث.

وقد دامت باباوية الأنبا يوساب الثانى عشر سنوات وخمسة شهور وسبعة عشر يوماً — من ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ الى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦.

وعلى أثر انتقاله أذاع المجمع المقدس والمجلس الملى العام فى محطة الاذاعة المصرية والجرائد النعى الآتى:

« ينعى مطارنة الكنيسة القبطية وأساقفتها ووكيل المجلس الملى العام وأعضاؤه صاحب الغبطة والقداسة الانبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الاسكندرية والحبشة والنوبة وأورشليم والشرق الادنى والسودان وسائر بلاد افريقيا المنتقل الى الامجاد السماوية صباح الثلاثاء ٤ هاتور سنة ١٦٧٣ — ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ متمما رسالته الدينية. وسيحتفل بالصلاة عليه فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى فى الساعة الثالثة من مساء يوم الخميس ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦.

وقد أوفد فى هذا اليوم الرئيس جمال عبد الناصر السيد محافظ القاهرة لتقديم عزاء سيادته ومواساته للاقباط وأناب السيد زكريا محيى الدين وزير الداخلية حكمدار القاهرة للتعزية. وشرف السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى بعد الظهر الدار البطريركية معزيا.

وفى يوم الاربعاء ١٤ منه أجلسوا غبطته على كرسيه البطريركى فى الكاتدرائية المرقسية وأخذ آلاف الشعب تتوافد على الكنيسة لنيل بركاته وطلب الحل والغفران، وظلت الجماهير تتردد على مشاهدته متأثرة من الساعة الحادية عشر الى الساعة الخامسة مساء، واستمر الحال على



هذا المنوال الى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس حيث أغلقت الابواب استعدادا لحفلة الجناز الكبرى.

## عظمة الكرسى

والسبب فى وضع جثمان الاب البطريرك على الكرسى البطريركى هو جلال مركزه الدينى السامى لأن البطريرك هو واسطة البركات فى الكنيسة فهو الذى يرسم الاساقفة والقسوس، وهو الذى يعطى موهبة الحل والربط، وهو الذى يبارك الجميع ولا يباركه أحد، لذلك درجت الكنيسة على أن تصلى على الاب البطريرك جالسا وحاضرا معها بالروح تستمد منه البركة والحل والصلاة من أجلها أمام عرش النعمة (١).

١٢١ — ولنقف هنا لنتأمل الآباء الأجلاء الذين انتخبهم المجمع المقدس والمجلس الملى العام بالإجماع:

**١ — الأنبا أغابيوس** مطران كرسى ديروط ومنيبو وقسقام — كان أكبر الثلاثة سنا وأقدمهم عهداً بالمطرانية فاتخذ منه الاثنان الآخران مرشداً ورئيسا، واليكم بعض ما نشرته الصحف عنه آنذاك:

نشرت مصر يوم الاربعاء ٢٨ سبتمبر ما يأتى: —

فى تمام الساعة السابعة من مساء الثلاثاء ٢٧ سبتمبر أعلنت النتيجة التاريخية الرائعة لانتخاب اللجنة الثلاثية التى تتولى جميع اختصاصات البطريرك، وتقبّل الشعب القبطى كله هذه النتيجة السارة بالهتاف من الأعماق (أوصنا) على مقدم الخير والبركة. والسلام والاصلاح والخدمة للشعب والكنيسة.

وأدرك الشعب كله أمس أن الكنيسة قد انتصرت حقا بتنحية يوساب لأنها فازت برئاسة دينية ممتازة تحيط بها هالة المجد والتاريخ والفضيلة والشرف والعزة والكرامة

و يعود هذا الفوز إلى شعور أعضاء المجمع المقدس وأعضاء المجلس الملى العام بأن الشعب لا يرتضى بعد اليوم أن تُسلّم مقاليد أمورنا إلا لمن يحسنون قيادتنا و يتوفرون على نهضتنا وانجاز

(١) مجلة الشعوب فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦، وغنى عن البيان أن جميع الصحف والمجلات قد نشرت النعى وعلقت عليه أيضا، ولكن فى هذه النشرة الكفاية كمثل لما قيل.

الإصلاحات الملحة فى وقار وسلام بحيث لا يتحارب المجمع المقدس مع المجلس الملى العام فلن نطيق بعثرة قوانا فى كفاح تحطيمى **فقد نسينا فى السنوات الأخيرة أننا شعب كبير وأن علينا رسالة يجب أن نؤديها فى حضارة مصر.** وصرنا نشتغل بخصومات صغيرة كادت تستأثر بانتباهنا وتحتل عقولنا . وقد عاقتنا هذه الخصومات عن دراسة شئوننا الكبرى والابتكار فيها لخدمة الجماعات والأفراد من الأقباط .

حقيقة لقد فازت الكنيسة القبطية أمس . وشعرت بأنها ربحت بتنحية الأنبا يوساب . ولم نخسر شيئاً .

والشعب القبطى كله كان يصر على انتخاب الآباء الثلاثة أعضاء اللجنة التى تتولى اختصاصات البطريرك على النحو الذى تم بالأمس .

فلا ينسى الشعب صاحب النيافة الأنبا أغابيوس . ووقفاته الجريئة ضد الفساد البطريركى . وكيف نفذ قرار عدم الثقة بالبطريرك ، بل لما رأى أن المجمع المقدس قد قصّر فى أداء واجبه صاح صيحته التى سُجلت فى التاريخ لأنها كانت الكلمات الأولى التى دقت ناقوس الخطر قالها كلمة صريحة لا التواء فيها ( رحم الله المجمع المقدس ! ) فاستيقظ المجمع المقدس على هذه الكلمات مذعورا . وأدى واجبه .

بل لا ينسى له الشعب إصلاحاته العديدة يوم كان رئيساً للدير المحرق ولا إصلاحاته التى لا تنكر فى ابروشية ديروط وكيف نشر فيها جواً من الروحانية والمحبة فكان رئيس الدير النموذجى . والمطران المثالى .

إن أنبا أغابيوس تراه فاذا بك تراه صوتا هادئا . خفيضاً . ومع ذلك فقد كان على الدوام مسموعا أكثر من أعلى الصرخات . إنه رقيق مهذب وجذاب مجامل . ولكن كل كلمة رقيقة تحمل معنى خطيرا . وتحمل إيمانا لا حد له . وخلف كلمات المحبة والسلام كانت تكمن القوة ، والدعوة الى الإصلاح ، وتحدى كل الأوضاع الفاسدة فى الكنيسة القبطية كلامه هادىء بسيط ، لا تجد فيه كلمة واحدة لا لزوم لها ، شخصيته صادقة إلى أبعد الحدود .

وفى الأنبا أغابيوس يجتمع العقل والعاطفة . فهو ميزان القوتين . فأنت تراه إنسانا عاطفيا ، كله رفعة ووداعة ولباقة . ثم تراه الرجل القوى . الحازم . الحاسم . الصموت . المهذب . المتماسك . المتواضع .



أنبا أغابيوس مطران السلام الذى لا يعرف الخصومة ولا العداوة فالجميع له إخوة . وله أصدقاء . ولكنه فى الحق لا يخشى لومة لائم . ولا صداقة ولا صديق . ولا عداوة عدو . وسلاحه دائما ايمان قوى عميق يشع نورا وهاجا يراه كل من يجتمع به . إيمان جعله يجاهد و يشقى دون أن يشعر بألم .

و ( الشعوب ) اذ تنقل عن أمها مصر تحيتها للشهم الكريم والجنتلمان العظيم الأنبا أغابيوس تقول إن الرجل شخصية جمعت فى نفسها كل عناصر الرجل الديموقراطى الذى خُلق للسيادة الكريمة فهويتمتع بحب واحترام وتقدير سائر الذين عرفوه من أقباط ومسلمين .

فأذكر أنه الوحيد الذى حياه نائب ديروط فى البرلمان الوفدى فوصف شمائله العامة التى جذبت اليه قلوب وتقدير المسلمين قبل الأقباط فى مقال نشرته الاهرام للمناسبة الآتية :

منذ بضع سنين ظهرت حركة فى منطقة أسيوط يراد بها خلق مديرية تُنتزع من مديرية أسيوط ، وقد اتجهت الأنظار الى إحدى مدينتين هما ديروط وملوى . وتنافس زعماء كل مدينة فى شرح مزايا مدينته وأهليتها لتكون عاصمة للمديرية الجديدة . والشىء الغريب فى هذا أن الكاتب الذى شرح وجهة نظر منطقته خصص مقالا مستقلا ضافيا شرح فيه مزايا ومواهب وأخلاق الأنبا أغابيوس مطران ديروط وجعل هذه الشخصية الفذة فى مواهبها وعقليتها المؤهل الأكبر لمدينة ديروط لتكون عاصمة للمديرية الجديدة . ولم ينل هذا الحظ من أقلام المواطنين من المطارنة مطران غير الانبا أغابيوس فى عصرنا هذا والعصور السابقة .

والذى نعلمه نحن أن الرجل لا يعرف الحقد ولا الغضب ، ولا يفهم معنى الاستبداد والانتقام ممن خرج على رأيه أو خالفه فى مبدأه — وهو الوحيد فيما نعلم من المطارنة الذى خلت ايبارشيته من الشقاق والانقسام الداخلى ، فقد كتب نيافته لايبارشيته الاستقرار باستمرار والتعلق بأهدابه والاحترام لشخصه وطهر سيرته وسلامة سياسته من المحن والأغراض .

ونظنه الوحيد بين رؤساء الدير المحرق الذى ساس هذا الدير بضع سنين سياسة حكيمة خلت من الشوائب والتذمرات والقلائل والثورات . فقد تولى نظارة هذا الدير بضع سنين وهو مطران . ولما انتهت مدة نظارته استأثرت به ايبارشيته ولم يلحقه بعد انصرافه من الدير ما لحق أسلافه من الاقاويل فى نزاهته وعفته من مال الدير مع أنه كان فى ذلك الوقت يبنى مطرانية ديروط الجديدة . وقد ظن البعيدون عن ايبارشيته وعن ديره أنه استعان بمال الدير على قيام هذا الصرح الباذخ وهو المطرانية والمدرسة والكنيسة وغير ذلك من المرافق الدينية والعلمية التى خلقها منذ توليته كرسى ديروط وصنبو وقسقام . ولكنهم أذاعوا رائحة بخور عفة يده ونفسه عن مال الدير

ولو كان ديره وله فيه أجر النظر على أوقافه . لهذا كان اجماع المختلفين فى الرأى على احترامه وانتخابه لعضوية مجلس الوصاية على البطريرك

فإذا كان الله أراد للكرسى الرسولى والكنيسة المقدسة النهوض والاستقرار والحياة العاملة لمجد الله فإرادته هذه التى جعلت من الأنبا أغابيوس نبراسا لهذا المجلس الذى ترنو اليه الأبصار(١) .

وعندما كان حبيب جرجس يعد العدة لنشر كتابه عن الاكليريكية بمناسبة مرور خمس وأربعين سنة على إنشائها ، طلب الى الأنبا أغابيوس أن يكتب له كلمة ، فلبى طلبه واختتم كلماته بقوله : « ... إنه يحق لنا الآن أن نفتخر بمن أخرجتهم هذه المدرسة المباركة ، من الكهنة الأكفاء والوعاظ المقتدرين ، الذين بفضل مساعيهم المشكورة ومجهوداتهم البارة ، تقدم الشعب القبطى تقدما محسوسا وأصبح يعرف الشيء الكثير عن أسرار ومعتقدات كنيسته المحبوبة ، وتكونت منه جمعيات خيرية وفيرة فى مختلف البلاد

دائبة فى العمل على رفع الكنيسة فى شتى النواحى ، الأمر الذى يجعلنا مغتبطين بهذا النجاح الباهر . وسائلين العزة الالهية أن ترفع من شأنها ، وتوسع فى نطاقها . وتبارك فى أعمالها ، والله السميع المجيب .

١١ بابه سنة ١٦٥٥ ــ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٨

أغابيوس

مطران صنبو وديروط (٢)

وقبل هذا الاختيار الإجماعى كتب أحد كهنة ديروط تقديره للحبر الجليل فقال : « .... لقد التحق بالدير المحرق شغفاً بالرهبنة وحباً فى التقشف والوحدة والعبادة فرسم راهباً باسم عبد النور ، واحتفظ له رئيسه بالاسم ذاته عند رسامته قسا إذ استشف فى أعماقه إلتهابه بحب فاديه الذى هو النور .

---

(١) عدد الشعوب فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ . وقد جاءت لمحة عن هذا المطران الوقور فى ف ٣٧ (مع عهد الأنبا يؤنس - ١٩) . والواقع ان كل ما قيل فيه أعجز عن الاحاطة بشخصيته الوديعة التى جمعت بين الهمة والتواضع وبين الحزم والجرأة . ومن

(٢) عن « الاكليريكية بين الماضى والحاضر .. » ص ١٨٠ ــ ١٨١ .



ومع أنه كان شديد الانزواء إلا أن عبير فضائله عطّر الأرجاء متخطيا أسوار الدير . فلما شغر كرسى ديروط أجمع الأراخنة وعلى رأسهم كهنتهم على رغبتهم فى أن يكون القس عبد النور المحرقى مطرانهم . فرفعوا مطلبهم الى قداسة البابا الذى وافقهم على الفور وقام برسامته مطراناً لهم باسم « أغابيوس »(١) سنة ١٩٢٩ . فكانت هذه الرسامة بركة عظمى للشعب الذى وجد فيه الحلم والوداعة والاستقامة والنزاهة والاتزان . ومع حرصه الشديد على تعاليم الكنيسة وتقاليدها فقد كان شغوفا بالإصلاح وبتربية أولاد الكنيسة بالطرق الحديثة . فازداد الشعب تقديراً له وحباً فيه واعتزازاً به .

ولما تسلّم مسئولية الرعاية وجد أن مبانى الكنيسة والدار المطرانية متداعية آيلة الى السقوط . ومع أنه لم يكن لديه المال اللازم لهدم هذه الأبنية القديمة وتشييد أبنية جديدة مكانها إلا أنه استمد من نعمة الله قوة ومن محبة شعبه ثقة وعزيمة فبدأ المشروع على الفور . وقد وضحت مؤازرة النعمة الإلهية كما وضحت المحبة الشعبية إذ قد ارتفعت كنيسة ضخمة جميلة ، وقام الى جوارها دار أنيق على أحدث نظام ــ ولأن الأنبا أغابيوس كان مرهف الذوق فقد جمّل الأرض المقام عليها هذان المبنيان بحديقة كلها ورود زاهية الألوان عطرة العبير . فلما اعترض أحد أبنائه على فداحة التكاليف ومبالغة نيافته فى تجميل البناء أجابه : « هذا بيت الأقباط الذى يزوركم فيه الحكام والعظماء ورجال الإدارة فيجب أن يكون مكاناً يشرفكم . فلست أشيّد لنفسى بل لكم . وهذا ليس دارى وانما هو داركم » .

وقد أولى المدارس عنايةً خاصة فبنى عدداً كبيراً منها فى مختلف أنحاء ايبارشيته كما بنى عدة كنائس وأصلح غيرها .

ثم اختاره قداسة الأنبا يؤنس ناظراً على الدير المحرق فقضى خمس سنوات ساهراً على مصالح رهبانه

ب ــ **الأنبا ميخائيل مطران اسيوط** ــ الذى قال عنه الآباء فى بيانهم الذى أذاعوه على الشعب مايلى : فانه كان لقوة إرادته وإصراره على رأيه وتحريضه على الاستمرار فى الجهاد الدينامو الذى أعطى للمترددين من أعضاء المجمع قوة العقيدة والايمان بالرسالة التى اجتمع المجمع المقدس لأدائها . و يكفيك أن تعلم أن شبابه أعطاه هيبة الشيخوخة ورزانتها وجعله قدوة للشيوخ حتى ليشعر المجمع بالفراغ والارتباك إذا غاب عن جلساته . ونعتقد أنه الوحيد بين أعضاء المجمع الذى حج اليه أربعة من شيوخ المجمع الأطهار الأبرار فى اسيوط . حتى جاؤا به لجلسات هذا

---

(١) أغابيوس معناها « محب » ــ فكان اسماً على مسمى .

المجمع مما كان له أثره فى هذه القرارات التى ألقت السلام والطمأنينة والفرح والابتهاج فى قلوب الأقباط جميعا اكليريكيين وشعبيين » .

وعلى أثر فوزه بالثقة الإجماعية من المجمع المقدس والمجلس نشرت بعض المجلات والجرائد مقالات عبّر فيها كاتبوها عن فرحتهم وتقديرهم كما يتبيّن لنا من المقال التالى :

## تحية الشعوب للانبا ميخائيل مطران اسيوط

### بقلم الاستاذ شفيق بشاى رئيس تحرير الشعوب

كثيراً ما يقدح الكاتب ذهنه ، و يستجمع شتات افكاره ليتناول موضوعا تملك منه الحواس واستحوذ منه المشاعر فيحار القلم ماذا يكتب أو ماذا يقول لأنه لو كتب أحس أنه لم يكتب ما فيه الكفاية ، واذا قال شعر أنه لم يذكر إلا القليل من الحقيقة والواقع

هذا ما حدث لى فعلا عند ما أردت الكتابة فى مسألة اللجنة الثلاثية التى تم اختيارها للقيام بمهام البطريرك ، والتحدث عن أعضائها ، أو بالاحرى التحدث عن الانبا ميخائيل أحد أعضائها ، هذا الاسم الذى اذا ما سمعته ، لا البث أن أسبح فى عالم من الخيال ، وأحلق بالروح فى سماء عالمنا الآخر.

( الانبا ميخائيل )

أفكر مليا فى ذلك الرجل الذى بعثت به العناية الالهية وهذا الناسك الشاب الذى ترك الدنيا ومباهجها ، واختار له الدير مقاما ، والزهد ملاذا .



أريد أن اكتب عن ميخائيل ، ومن الغرور أن أظن بقلمى الوفاء بوصف ميخائيل مهما تفرج له فى جوانب البيان ولن أجد أبلغ من أن أصفه « بالصخرة » التى ستبنى عليها كنيستنا الجديدة

ترهب يافعا ، طواعية واختيارا ، بعد أن أنس فى نفسه الزهادة فى نشب الدنيا ، ومتعها ولذاتها ، و بعد أن صهرت نفسه فى بوتقة المسيحية الخالصة ، فخرج من الدنيا الفانية ، وانخرط فى سلك الخلود ، فسرعان ما حلت عليه البركات وظللته أجنحة القديسين ( ١ ) .

وقد كتب الشاعر يحى بن يقظان قصيده نشرها فى جريدة مصر مساء ١٩٥٥/٩/٢٩ تحية لنيافة الأنبا ميخائيل نقتطف منها الأبيات الثلاثة التالية :

بوركت ميخائيلُ من يقظان فى ... حبِ الكنيسةِ هائمٍ متفانِ
ما قلتُ يارب الهدى لا أو نعم ... إلا وقصدُك طاعةُ الرحمنِ
فى الحق توثِرُ أن تموت مجاهداً ... عنه ولا يثنيك عنه ثانِ

والواقع أن كل من يتتبع أنشطة الأنبا ميخائيل فى إيبارشيته الواسعه يدرك الى أى مدى ينطبق عليه وصفه بأنه « دينامو » . ولقد كتب عنه الكثيرون فى مختلف المناسبات ، وفى كل الكتابات سواء صدرت منه أو عنه نرى صراحته الجريئة التى تسطع فى المقال التالى :

## مبنى الأنبا رويس والكلية الاكليريكية :

### تصريح خطير للانبا ميخائيل

تشرفت بمقابلة نيافة الحبر الجرىء الأنبا ميخائيل مطران أسيوط لأهنئه بسلامة الوصول إلى القاهرة وأحييه على مواقفه المشرفة للكنيسة فاستقبلنى بابتسامته الجميلة وتواضعه الأجل ودار الحديث حول عدة شئون طائفية حتى وصل بنا المطاف إلى مشروع الأنبا رويس ، فانبرى نيافته بصراحته وجرأته المعهودة وأخذ يدافع عن وجهة نظره — وهى وجهة نظرنا جميعا بأنه « لو أراد المجلس الملى نجاحا لمشروع الأنبا رويس فعليه ألا يفكر طويلا ، بل ليسارع **بإعداد العدة من**

( ١ ) فى عددها الصادر فى ٦ بابة سنة ١٦٧٢ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٥ — الصفحة الأولى

**الآن لنقل الكلية الاكليريكية إلى جناح منه ونقل كلية الرهبان إلى جناح آخر فهاتان الكليتان هما معقد آمال الكنيسة وهما حجر الزاوية فى إصلاحها**

« لو فعل المجلس هذا ــ وأعتقد أنه ستتغلب الحكمة أخيراً و يفعل ــ أقول لو فعل هذا فسيكون قد كفل لمشروعه النجاح المضمون و يكون قد أدى للكنيسة أعظم الخدمات ، تذكر له بحق فتشكر » . و[ مار جرجس ] تشكر لنيافته هذا التصريح وترجو المسئولين بأن يكونوا عند حسن ظن الكنيسة بهم فينفذون هذه الرغبة العظيمة وإنا لمنتظرون (١) .

**جـ ــ الأنبا بنيامين** ولقد حاز هو أيضا على الإجماعية لأنه كان ذا صفات نادرة : فقد جمع بين الذكاء والواقعية ، والنزاهة .

ولقد عرفت فى الأنبا بنيامين منذ اللحظة الأولى التى رأيته فيها . رجلا يحسن الاستماع ، ويجيده ، و يؤثره على الكلام . والذين يحسنون الاستماع هم عادة الذين يحسنون الحكم على الأشياء والأشخاص ولا يخيب لهم حكم من الأحكام .

وعندما رأيته يتكلم رأيت الجميع يصغون : لأنه لا يتكلم إلا هو فيما هو خبير فيه . هو حتما كثير الصمت ولكن الجميع يحترمون صمته لأنه ليس صمت الأبكم إنما هو صمت الرجل الذى يفكر كثيرا . و يؤثر أن يفحص ما يفكر فيه فيما بينه و بين نفسه . قبل أن يتحدث به الى أحد من الناس .

أنبا بنيامين مطران مصلح مولع بتحقيق رغبات الشعب وأمانيه . متحضر فى تفكيره . يؤمن بوحدة الاكليروس ممثلة فى المجمع المقدس . مع الشعب ممثلا فى المجلس الملى العام . ولهذا كان يذكر اسمه دائما فى مقدمة الذين يطالبون بنهضة شاملة كاملة تعيد للكنيسة مجدها وعزها .

أما وفاء أنبا بنيامين لكنيسته وشعبه فصفة أصيلة تنبع من رهبانية ممتازة طاهرة نقية يتميز بها .

ومن أهم أركان وفاء أنبا بنيامين قوته فى مواجهة الأحداث ومواجهة الناس وليس الأمر بسعيد حين ثار فى وجه جميع اللجان التى شُكلت بطريقة دكتاتورية تأباها الكنيسة . ولعل السر

(١) مجلة مار جرجس ــ عدد مارس سنة ١٩٥٣ ص ٢٦



فى هذا كله أن الأنبا بنيامين قوى فى مواجهة نفسه . وأبرز مظاهر قوته مع نفسه أنه يحرص كل الحرص على أن لا يبدو قويا أبداً . ولو أتيح لك أن تعرفه وتحدثه وتتصل به لخيل اليك ــ إن لم تكن قادراً على النفاذ الى الأعماق ــ أنه أقل الجميع قوة وقدرة !

بل لعل أعظم ناحية من نواحى شخصيته العظيمة على الإطلاق هى أنه يرفع نفسه ــ قبل كل شىء ــ فوق كل ما حدث من حوادث . فلا غرو إذا جُنّد ليحمل على كتفيه أخطر وأدق مسئولية يحملها رئيس دينى .

ولما تبوأ الأنبا بنيامين كرسى المنوفية . جمع أولادها حوله بمحبته . وأعاد للكرسى كرامته بطهارته وقداسته . وجمع كلمة الشعب بتواضعه . وقاده الى طريق الخلاص بوداعته حتى أجمع الكل على احترامه . وكان لأبنائه من أقطاب المجلس الملى وأبناء إيبارشيته الفضل الأول والأخير فى اختياره عضواً بالمجلس البطريركى اذ للمنوفية حصة الأسد فى المجلس الملى الحالى . نذكر منهم الاساتذة راغب اسكندر . وراغب حنا واسحق عبد السيد . وحنا جرجس وغيرهم .

وللأنبا بنيامين مشاريع إصلاحية عملية منها . ترقية الرهبان وتعليمهم وعنده أن رهبانا مصلحين صالحين خير من الأوقاف مجتمعة وتنظيم القصر البطريركى وترقية شئون البطريركية لتكون جديرة بكنيسة خالدة لها تاريخها ومجدها

ونحن نرجو أن يحقق الله له ولزميليه كل آمالهم وأمانيهم الإصلاحية .

وقف الأنبا بنيامين مطران المنوفية موقفا مشرفا من أسرة كاهن انتقل الى رحمة الله ونحن إذ نسجل بالشكر هذا الموقف نرجو أن يكون قدوة لسائر الرعاة فقد كان المتنيح القمص سيداروس رزق راعيا للكنيسة القبطية بشبين الكوم . ثم انتقل الى رحمة الله منذ أكثر من عام على أثر مرض عضال .

وتسكن أسرة هذا الكاهن المكونة من زوجته وأطفاله بيتاً تابعاً للكنيسة فى شبين الكوم ، وكان قد رغب البعض فى رسامة من يحل محله ، ولما كان لابد للكاهن الجديد من مسكن يقيم فيه فقد صارح هؤلاء نيافة الأنبا بنيامين برغبتهم فى إخلاء مسكن الكاهن الراحل « ولكن نيافته أبى وقال لمحدثيه إن الراعى الراحل كان سليلا لأسرة كهنوتية تولت الرعاية من قديم فضلا عن أن جده هو الذى بنى الكنيسة والمطرانية والأملاك التابعة لها وأنفق عليها . ولا يليق أن تشرد أسرته بعد وفاته وخصوصاً أن ابنه لم يكمل تعليمه الجامعى بعد وأضاف بأنه سوف يظل على رعايته لهذه الأسرة الى أن يتخرج الابن الأكبر فى كلية الزراعة ، وهنا سئل نيافته عمن يقوم بالرعاية

الدينية بدلا من الكاهن الراحل . فأجاب نيافته بأنه هو نفسه سيقوم بهذه المهمة . وقد قوبل هذا الصنيع من الجميع بالشكر والتقدير (١) ،

١٢٢ــ فى تتبعنا لقصة كنيستنا العريقة رأينا الى أى مدى عصفت الدعايات الانتخابية فى العصر الحديث (٢) . فالحريصون على الوصايا الرسولية كانوا يتطلعون نحو الراهب الصالح الذى ترفعه الشعائر الكنسية ذات الروعة الخاصة الى الخلافة المرقسية الجليلة . وقد وقف مقابلهم من كانوا يرون إعادة انتخاب مطران إذ لم تكفهم الاختبارات المريرة التى جازتها الكنيسة خلال باباوين مطرانين . وقد وجد مؤيدو الرهبان ضالتهم المنشودة فى شخص **الراهب داود المقارى** .

كانت مدينة أسيوط مسقط رأس وديع سعيد الذى انفتحت عيناه على ضوء هذا العالم فيها فى ٢٦ يوليو سنة ١٨٩٤ . فنشأ منذ البداية على العقيدة الأرثوذكسية التى ساندتها نعمة الله فنجحت فى الثبات أمام الغزو البروتستانتى : ألم يتخذ الأمر يكيون من هذه المدينة ذات التاريخ المسيحى العظيم مركزاً لجهودهم التبشيرية ؟ ولهذا السبب عينه فالأسيوطى الذى حرص على عقيدة الآباء هو من أكثر المسيحيين اعتزازاً بكنيسته .

ولما أتمّ وديع سعيد دراسته الابتدائية والثانوية اشتغل موظفا بوزارة الصحة . ثم سافر الى السودان سنة ١٩١٤ وهناك ساهم فى بناء كنيسة قبطية . والذى يجب أن يدركه الجميع أن من كان وثيق الصلة بفاديه لايشغله شاغل عنه . ففى زحمة المطالب التى تستلزمها الوظيفة ممن كان مرهف الضمير كان يجد وقتا ليخلو فيه الى نفسه والى ربه ، كما كان يجد وقتا للمساهمة فى الأنشطة الكنسية . وعندما عاد الى القاهرة سنة ١٩٢١ انضم الى الخدام بكنيسة مارجرجس بالقللى .

ولقد صدق فى الشاب وديع سعيد قول الشاعر :

ومتى كانت النفوس كباراً  تعبت فى مرامها الأجسام ،

إذ قد انتسب الى كلية الحقوق ــ فجمع بين الوظيفة والتلمذة والخدمة الكنسية ودأب على الدراسة بهمة لا تعرف الملل ، فحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٧ . وفى السنة عينها

---

(١) مجلة الشعب ــ الاثنين ١٣ بابة سنة ١٦٧٢ ، ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ــ ص ١ و٣

(٢) ومثل هؤلاء الداعين قد صوروا الرهبان القبط فى صورة من الجهل والرجعية أفرحت خصوم كنيستنا الحبيبة وملأت قلوب أبنائها المخلصين حزنا وألما .



اشترك فى تأسيس جمعية السلام الخيرية التى نشأت فى القللى ثم انتقلت الى شبرا حيث لازالت تعمل بهمة ونشاط .

ولم يكتف وديع سعيد بهذا المقدار من الخدمة فاشترك فى جمعية أبناء الكنيسة . وفى هذه الجمعية نضجت الطاقة الروحية الكامنة فى أعماقه والتى لم تبرز حتى ذاك إلا فى براعمها الأولى . وقد ظل يعمل فيها الى آخر نسمة من حياته .

ومن أهم مميّزاته أنه كان اسماً على مسمى إذ كان وديعاً للغاية . وقد جمع الى الوداعة المحبة الصادقة الباذلة المثابرة على الخدمة ، الدائبة على البحث والدراسة . كما جمع اليها الإيمان الذى يتخطى الصعاب و يكسر الحواجز . فكرس وقته وجهده للخدمة . ولم يتزوج بل وهب بتوليته لرب الكنيسة الذى تفانى فى حبه . فكان يذهب صباحا الى عمله بوزارة الصحة و يعود الثانية بعد الظهر الى مقر جمعية أبناء الكنيسة حيث يظل ساهراً فى البحث وتفتيش الكتب الى ساعة متأخرة من الليل ، ولا يأوى الى مخدعه الا بعد أن يكون الإرهاق قد غلبه !

ثم ألّف هو وزملاؤه جوقة من الشمامسة للخدمة فى مختلف الكنائس ، وبخاصة فى الأحياء الفقيرة . ولكى يعطوا الشعب متعة التشارك مع إخوتهم المحتاجين كانوا يطبعون برنامجهم الشهرى و يوزعونه على كل من يستطيعون الوصول اليه ــ والبرنامج المسجل هنا نموذج لعملهم :

## جمعية أبناء الكنيسة القبطية

تصلى فرقة شمامستها فى الكنائس الآتية :ــ

| | | |
|---|---|---|
| الأحد ٢٣ أمشير ٢ مارس | | مارجرجس حارة زويله |
| الجمعة ٢٨ « | ٧ « | مارمينا الترعة البولاقية |
| الأحد ٣٠ « | ٩ « | مارجرجس جزيرة بدران |
| الجمعة ٥ برمهات ١٤ « | | أنبا شنودة مصر القديمة |
| الأحد ٧ « | ١٦ « | شبين القناطر |
| الجمعة ١٢ « | ٢١ « | مارجرجس بالقناطر الخيرية |
| الأحد ١٤ « | ٢٣ « | السيدة العذراء حارة الروم |
| الجمعة ١٩ « | ٢٨ « | مارجرجس جزيرة بدران |
| الأحد ٢١ « | ٣٠ « | القديسة بربارة مصر القديمة |
| الجمعة ٢٦ « | ٤ ابريل | السيدة العذراء بالفجالة |

الأحد ٢٨ « ٦ « مارمينا الترعة البولاقية
خميس العهد ١٠ « مارجرجس ملجأ الأيتام بالمنسى
الجمعة الكبيره ١١ « مارجرجس جزيرة بدران
ليلة عيد القيامة
المجيد ١٢ « السيدة العذراء حارة زويلة

ولكى يستطيع الشعب متابعة صلوات القداس الإلهى بدقة رأى وديع سعيد وجوب طبع الخولاجى طبعة جديدة . وبنعمة الله نفذ هذا الهدف فأصدر كتاباً ضخما يتضمن القداسات الثلاثة وعدداً غير قليل من صلوات « القسمة » (١) التى تقال عموماً أو فى مناسبات معينة ، كما تضمن باباً للألحان وملحقا بصلوات الأجبية (٢) . وهذا الخولاجى يمكن من لا يعرف شيئا عن صلوات الكنيسة أن يتعلم منه الشىء الكثير و يتذوق الشىء الأكثر . وأجمل ما فى هذه الطبعة أن صفحاتها مكتوبة فى عامودين : أحدهما قبطى ( مكتوب بالقبطية ) وثانيهما عربى . وقد أفرح هذا العمل كل من يعرفون القبطية كما استحث بعضاً من غيرهم على دراستها .

واذ رأى وديع سعيد فرحة الشعب بهذا الإنتاج الممتاز انشغل بإخراج العهد الجديد باللغة القبطية وعلى الطريقة العلمية الحديثة : أى أنه وضع له هوامش ومراجع ، كما أشار الى عدة نسخ مقارناً بعضها البعض . وكان هذا العمل دراسة أكاديمية ناجحة أنتجها مصرى للمرة الأولى فى القرن العشرين . وقد علّق عليها المستشرق الألمانى والتر تيلل بقوله : إن هذا الكتاب مفرح ، ونسخة ممتازة تخدم الأقباط وأحباءهم . و يسعدنى أن أقول إننى اهديت نسخة منه الى مكتبة جامعة اليابان المسيحية حينما كان المسئولون هناك يسعون الى تجميع الكتب من كافة بلاد العالم .

وخطا خطوة ثالثة فى هذا الميدان ــ ميدان الطبع ــ ومهد لها بتكوين لجنة التوراة المصرية . ثم أخرج أسفار موسى الخمسة باللغة القبطية أيضا . وكان يرجو أن يطبع العهد القديم كله على هذا النحو ولكنه لم يتمكن من ذلك . لأنه بدأ آنذاك يوجه اهتمامه الى صنع آلة كاتبة للغة القبطية : فبذل الجهد الجهيد ونجح فى تحقيق هذه الأمنية العظيمة .

والذى يجب أن يعرفه الجميع هو أن وديع سعيد وزملاءه لم تعوزهم الهمة ، ولم ينقصهم الصبر والتفانى ، ولم يثنهم عدم التشجيع ، إنما أعوزتهم المادة ! فكانوا لهذا السبب يضطرون الى

(١) هى الصلوات التى يترنم بها الكاهن الخادم ساعة أن يقسم الجسد المقدس تهيئة لإعطائه للمتناولين .
(٢) أى الصلوات السبع المرتبة من الآباء لتلاوتها يوميا ، « واجب » لغويا معناها « ساعة » بالقبطية ــ أى صلوات « الساعات » ــ والمقصود هنا طبعا هى ساعات الصلوات التى رتبها الآباء .



الانتظار ريثما يتجمّع لهم من المال ما يكفى لبدء المشروع الجديد . ولكى لا ينطفىء أمل من آمالهم كانوا ينفذون مشروعاً معينا يتبعونه بمشروع من نوع جديد . فمثلا حينما وجدوا أن ما طبعوه بالقبطية قد لاقى رواجاً فكر وديع فى ابتكار الآلة الكاتبة بالقبطية أولاً ثم العودة الى استكمال طبع الأسفار الإلهية .

على أنه داعبهم حلم جديد هو إخراج تقويم قبطى بطرقتهم الفريدة . وساندتهم النعمة الإلهية فحققوا هذا الحلم . وقد كتبوا فى أعلا التقويم اسم الجمعية بالقبطية و بالعربية ، ووضعوا تحته أيقونة من تلك الأيقونات القديمة ذات الطابع المصرى الأصيل . ووضعوا على كل من جانبى الأيقونة كشفاً بالأعياد : أحدهما للأعياد القبطية وثانيهما للأعياد العامة . أما الوريقات التى تحمل التاريخ اليومى فعليها التاريخ المسيحى العام والقبطى والهجرى . وتتضمن أيضا القراءات المختارة لتلاوتها فى الكنيسة لتذكار شهيد أو قديس ، أو فى أى قداس خاص . وأضافوا الى هذا كله آية مختارة نصحوا الناس بحفظها غيبا . فكان التقويم وسيلة لنشر التراث القبطى وتوعية الشعب به .

وخلال هذه الخدمات الكنسية الوفيرة استمر وديع سعيد فى عمله الحكومى ، وزاد عليه بأن حصل سنة ١٩٣٢ على دبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . واستكمل هذه الدراسة بأن نجح فى السنة التالية فى الجزء الأول من الدكتوراه فى القانون العام . كذلك رأى أنه إن شاء الاستزادة من معرفة التراث القبطى فعليه أن يتقن الانجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية . فدأب على دراسة هذه اللغات بلا هوادة . فكان كل من يعرفه يندهش من أين يأتى هذا الموظف الأمين فى وظيفته بالوقت اللازم لكل هذه الإنجازات وهذه الدراسات المتباينة ؟ !

ولكونه نشأ فى أسيوط فقد رأى أن الأمانة لعقيدة الآباء تستلزم نشر تعاليمهم ليواجه بها الشعب الوفى ما يلوّح له به دعاة التبشير ، فنشر تفسير رسالة رومية ومقالات ذهبى الفم . وهنا أيضا كان يرجو أن يستكمل تقديم التعاليم الآبائية ولكنه لم يتمكن من ذلك .

ثم انتخبه بعض مريديه لعضوية مجلس إدارة جمعية المحبة ولعضوية ملجأ الأيتام القبطى أيضا . و بالإضافة فقد طولب بوضع « مشروع القانون العام للجمعيات الشماسية » فنفذ الطلب .

ومع أنه قد سبقت الإشارة الى أمانته ودقته فى عمله الحكومى ولكننا نقدم هنا الدليل على هذه الأمانة وهذه الدقة وهو أن رؤساءه استمروا يرقونه حتى وصل الى درجة مدير مكتب وكيل وزارة الصحة ورئيس قلم الرخص الطبية .

وكان وديع سعيد شغوفا بالتبتّل و بالعمل فى صمت ، وكثيراً ما أفصح لأحبائه عن رغبته فى دخول دير الأنبا مكارى الكبير. فكانوا يثنونه عن تحقيق رغبته بقولهم إنه يعيش عيشة الراهب الحق : فقد اتخذ لنفسه غرفة خاصة بمقر جمعية أبناء الكنيسة ، وكان ينصرف الى كل هذه الدراسات وهذه الخدمات البناءة حالما يعود من مكتبه بوزارة الصحة ــ فماذا يعوزه ؟ أهو محتاج الى الزى الرهبانى كإعلان عن الحقيقة التى يعيشها ؟ وبهذه الكلمات و بغيرها نجحوا فى تأجيل دخوله الدير.

ولكن ــ ما إن انتقل البابا مكار يوس الى الفردوس حتى بدأ هؤلاء الأحباء يشعرون بالندم على كونهم احتفظوا بوديع سعيد بينهم . فهو مثالى و يصلح كل الصلاح لأن يجلس على السدة المرقسية . فهل من الممكن تلافى الضرر؟ صحيح أنه قد سبق للقبط أن اختاروا متبتلين عفيفين عائشين فى العالم . ولكن هذا الاختيار جرى فى فترات سادها التآلف بين القبط فداسوا على الأغراض الشخصية حرصاً على هذا التآلف . أما الآن فماذا يكون الموقف من المروجين لانتخاب مطران ؟ على أية حال سيحاولون تلافى غلطتهم إذا أمكن . فتكتلوا واحتاطوا بوديع سعيد معتذرين له عن تعطيلهم إياه عن الرهبنة وملحين عليه فى أن يذهب الى الدير.

وكان مطران البلينا آنذاك قديس اسمه أنبا ابرآم كان قد تنسك بدير الأنبا مكارى الكبير. وكان يعرف وديع سعيد شخصيا وعنده كل الكتب التى جاهد لنشرها . ففاتحوه بالأمر. وفرح فرحاً شديداً و بخاصة حين علم أنه يود الترهبن فى دير « أبى بر ية شيهيت » . وذهب هذا الحبر الجليل الى الدير مع وديع حيث أقام عليه صلوات الرهبنة ورسمه قساً أيضا باسم القس داود المقارى .

وحينما حمل أحد أحبائه رسالة الاستقالة الى وكيل وزارة الصحة وأعلمه بسببها قال له : « هو أنتو فى دى اليوم اللى وديع يجى فيه بطرك عليكم ! » . والواقع أن هذه الشهادة الآتية من أحد « الذين هم من خارج » وكان رئيسه فى الوقت عينه فيها الدليل الواضح على مكانة الراهب داود المقارى فى قلوب جميع من عرفوه .

ولقد ظل منشغلاً بامور الكنيسة التى سرى حبها مع دمائه ، فكتب من الدير الرسالة التالية :

دير القديس مقار يوس ــ بر ية شيهيت ( وادى النطرون )

دير القديس مقار يوس ــ بر ية شيهيت ( وادى النطرون )



الدير فى ١٠ برمهات سنة ١٦٥٩ ( ١٩ مارس سنة ١٩٤٣ )

حضرة صاحب السعادة المفضال حبيب باشا باركه الرب

اهدى سعادتكم السلام الروحى راجياً بمنه الى ان تكونوا متمتعين بكامل الصحة وتمام العافية وبعد فقد اتصل بى من حضرة الاخ الحبيب الاستاذ عبد المسيح انه قد عرض على انظار سعادتكم موضوع الدكتور برمستر للتكرم بالنظر فى امر اعادته الى مصر . ولذلك فاننى استميح سعادتكم عذراً اذا كتبت اليكم فى هذا الموضوع على سبيل التذكرة وسط الاعمال الكثيرة التى شاءت العناية الالهية ان تضعها بين يدى سعادتكم لخير هذا الشعب المبارك الامين وسعادتكم تقدرون اى فضل لهذا العالم على القبط ولذلك فاننى واثق ان الله تعالى سيساعدكم فى جميع الوسائل المؤدية الى اعادته الى مصر للفائدة التى نحصل عليها من وجوده بيننا ليستمر فى ابحاثه القيمة التى سبق ان ابلغنا سعادتكم عنها قبل ترحيله الى جنوب افر يقيا

اكرر المعذرة واضرع الى الله ان يبارك فى جهود سعادتكم فيعود الينا هذا العالم فى اقرب وقت ان شاء الله . ولسعادتكم وافر الشكر ولالهنا كل حمد ،

المخلص

داود المقارى

الراهب بالدير ( ١ )

وإذا ما تأملنا هذا الراهب من الزاو ية المسيحية المحضه نجد أنه عرف أن يحمل صليبه بأمانة ورضى وقبل كل ما تعرض له من الضيقات والاضطهاد بايمان وثيق وصمت وصبر. ثم إنه عاش طقس الكنيسة بالروح القدس وكرس نفسه للتلمذة على الليتورجيا الى حد أن الأسرار المقدسة أصبحت نعمة معاشة فعالة فيه ( ٢ ) .

على أن اندفاع المحبة الذى يفور تلقائيا دون أن يستطيع صاحبه ضبطه كثيراً ما يؤدى الى عكس الهدف المرغوب فيه . فلقد تهلل أحباؤه برهبنته و بالبركه التى منحه إياها الأنبا ابرآم مطران البلينا ، فقرروا ــ بدافع هذه المحبة الغامرة أن يسارعوا الى الدعاية له . وأول نشرة وزعوها

( ١ ) ومن نعمة الله أن نجحت الجهود وعاد دكتور برمستر الى القاهرة حيث عاش الى آخر حياته .

( ٢ ) راجع ف ٨٥ من هذا الكتاب وهوامشها

على الشعب كانت السهم الذى قضى على آمالهم ! فقد قالوا فيها برنة الانتصار إنهم وجدوا ضالتهم المنشودة فى شخص توافرت فيه كل الصفات الروحية اللازمة للرعاية ــ هذا الشخص هو « اليوم وديع سعيد وغداً الراهب داود المقارى و بعد غد الأنبا كيرلس السادس ! »(١) فاستغل الداعون للأنبا يوساب هذه الكلمات وأشاعوا أن وديع سعيد لم يكن راغباً للرهبنة فى ذاتها بل استهدافاً منها الى الوصول للكرسى البابا وى ! ومع ذلك فلو لم يحدث الإضراب فى وسائل النقل العام يوم الانتخاب لما فاز الأنبا يوساب كما وضح للقراء ، إذ لم يفز الا بمئة وثمانين صوتا أكثر مما ناله الراهب داود من الأصوات . وهذه أغلبية هز يلة فيما يختص بالانتخابات البابا و ية التى يجب أن يحصل فيها الفائز بأغلبية عظمى . ولولا الأغراض الشخصية لأعيدت الانتخابات . ونعود الى القول بأنه قد يتبادر الى بعض الأذهان أن هذه هى الإرادة الالهية والإجابة هى التى قيلت وهى أن الله يحترم حر ية الإنسان فيسمح له بارتكاب الخطأ كى يتعلم بالخبرة أن يسعى فى طر يق الصواب : وبما أن بعضا من زعماء القبط آنذاك لم يكونوا قد تعلموا من الخطأ الذى وقعوا فيه مرتين فقد سمح لهم بأن يقعوا فيه للمرة الثالثة !

و يا ليت الأمر اقتصر على ذلك ، بل لقد عقد الأنبا يوساب مجمعا وقرروا فيه بطلان رهبنة « وديع سعيد » و بالتالى وجوب إخراجه من الدير ! فعاد هذا الراهب الصبور الى القاهرة ليعاود جهاده وهو فى الزى الرهبانى الذى ألبسه إياه مطران البلينا : خدم بوفاء و بذل وتكر يس كأنه لم يصب بجرح فى الصميم .

ومن عجيب أن جهاده بصفته الراهب داود حمل سمات الروحانية واضحة فقد ساهم بنصيب وافر فى بناء كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج حيث شيد داخل سورها غرفة صغيرة اتخذها قلاية له . وعلى مقربة من هذه الكنيسة أنشأ « بيت النعمة » الذى لم يرد أن يسميه ملجأ حرصا منه على كرامة الأطفال الذين جمعهم ليعيشوا فيه . وكان يرعاهم بنفسه و يسهر على تعليمهم وتوجيههم نحو الروحيات كما يفعل الأب المدرك لمعنى الأبوة . لأن اليتيم فى نظره ليس من فقد أبو يه أو أحدهما بل هو ذاك الذى لم يجد الحنان والتوجيه من أبيه أو أمه ــ كان يسلك بالفعل تبعا لكلمات ذلك البيت الشعرى الممتلىء أسىً :

إن اليتيم هو الذى تلقىَ له  أما تخلّت أو أباً مشغولا

كذلك أولى ضعاف الأجسام والمرضى والمتخلفين عقليا عناية خاصة . فكان أباً حنونا عاش بموجب قول بولس الرسول : « يا أولادى الذين أتمخض بكم الى أن يولد المسيح فيكم » .

(١) كان البابا كيرلس الثالث ( البابا الـ ٧٥ ــ سنة ١٢٣٤ ــ سنة ١٢٤٢ ) اسمه الرهبانى داود : صـ ٣ ص ٢٠٧ ــ ٢٢١ ، كما كان الأنبا كيرلس الرابع الملقب بابى الإصلاح ( البابا الـ ١١٠ صـ ٤ ص ٣٠٣ ــ ٣٤٩ ) اسمه داود الأطونى قبل رهبنته .



ثم امتدت محبته لتشمل عدداً أوفر من الأطفال : لقد كان فى بيت النعمة ثلاثون ولداً فألحق به مدرسة ضمّت مائة وثمانية وسبعين آخر ين . ولكى ندرك عمق هذه الخدمة يجب أن نذكر أن الراهب القس داود المقارى كان دائب التفتيش عن الأطفال المحرومين من الرعاية الروحية .

وفى ٢١ يوليو سنة ١٩٤٦ بدأ بإصدار مجلة أسبوعية دعاها « الأنوار » استهدف منها نشر الثقافة القبطية الى جانب الأخبار المتنوعة . ثم فتح فيها باباً لتبادل الرأى فى المشاكل التى كانت تعانيها الكنيسة آنذاك . ولم يلبث أن شرع فى إصدار المجلة بالانجليز ية ولكنها كانت شهر ية ، إذ كان قد تفاهم مع أعضاء هيئة اسمها « الجمعية الأفر يقية الأسيو ية المركز ية (١) لتتوز يعها فى مناطقهم كوسيلة لتعر يفهم بالكنيسة القبطية و بالتالى للكرازة . فكان سباقا فى هذا الميدان كما كان سباقا فى مختلف الأنشطة التى ذكرناها عنه . فحق لنا أن نذكر قول رب المجد ونحن نتأمل امتداد هذه الأنشطة : « آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم » (٢) .

ومن العجب العجاب أن هذا الراعى المثالى الذى « جرح فى بيت أحبته قد لاقى التقدير ممن هم غرباء ، فقد سجل اسمه المسئولون عن « موسوعة السير العالمية » فى هذا المؤلف الضخم (٣) .

ولقد داوم على الجهاد بالصلاة والصوم والسهر و بالخدمة الدؤوب التى لا تعرف الملل الى آخر نسمة من حياته . فشاء رب الحياة أن يريحه من أتعاب هذا العالم يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٥٤ . فكانت نياحته فاجعة أصابت الكثير ين . وليس أدل على هذا من أن موكب جنازته امتد من نفق شبرا الى كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج . وهكذا طوى الراعى الأمين السفر وسلمه الى راعى الرعاة لينعم عنده بنوره العجيب (٤) .

ولقد عبر الكثيرون أيضا عما أصابهم من الحزن والأسى واليكم البعض من هذه التعبيرات :

(١) The Central African Missionary Association

(٢) يوحنا ٤ : ٣٧ ــ ٣٨

(٣) وقد وردت الصفحة التى تتضمن هذا التسجيل بنصها الانجليزى فى آخر الكتاب ( تابع ف ١٢٤ د )

(٤) مجلة مدارس الأحد طوبة سنة ١٦٩٩ ش = يناير سنة ١٩٨٣ ــ ص ١ ــ ١٤ بعنوان « الراهب داود المقارى » لشر يف صادق

## الى عالم أفضل
## نياحة القس داود المقارى

كان نعيه صباح الأحد ٣٠ يناير ١٩٥٤ وكان صدمة لجميع الأقباط أكليروساً وشعباً ، فأقبل الناس على كنيسة العذراء بروض الفرج التى أسسها وألحق بها القاعة المريمية للمحاضرات مذهولين وقد صدمتهم الحقيقة المرة وفارقهم بالجسد حبيبهم داود المقارى . وحينما علم غبطة البابا البطريرك بانتقاله قال : « لقد خسرناه وكسبته السماء » واشترك فى تكريمه بإيفاد حضرات أصحاب النيافة مطران الجيزة وأسقف دير السريان ومطران المنوفية وذلك للاشتراك فى تشييع الجنازة . كما اشترك فيها نيافة مطران السريان الارثوذكس وقد أبّنه نيافة الانبا يؤانس بكلمة مؤثرة ثم أعقبه القمص بولس شنوده بكلمة رثاء نيابة عن زملائه كهنة القاهرة والأقاليم . وألقى الاستاذ عبد الحليم الياس نصير كلمة مؤثرة معزياً الشعب القبطى فى مصابه الفادح . وقد امتلأت الكنيسة على سعتها والشوارع المحيطة بها بآلاف المشيعين أقباطاً ومسلمين ، ثم حمله الشعب على الاعناق من الكنيسة إلى نفق شبرا ، كتلا متراصة من الشعب القبطى يتقدمهم حضرات الآباء المطارنة فالكهنة فأبسطة الرحمة فشمامسة جمعية أبناء الكنيسة يحملون صورة الراحل العزيز ، وعدد كبير من شمامسة وأعضاء الجمعيات القبطية بالقاهرة والأقاليم

وعند نفق شبرا استقل المشيعون السيارات التى أعدت لنقلهم إلى مدافن الأسرة بالجبل الأحمر . وهناك استقبلوا الجثمان بالشموع يرتلون الأناشيد الجنائزية بين البكاء الحار والدمع الهتون . وقد ودعه الأستاذ رياض سوريال بقصيدة هزت المشاعر وأدمت القلوب ثم هتف الأستاذ غطاس بشاره « تحيا ذكرى داود المقارى فرددت جماهير الشعب الحزين هذا الهتاف » .

وهكذا فارقنا هذا القديس ــ الذى شاء القدر أن أرثيه ــ فارقنا بالجسد ــ أما روحه الطاهرة فهى مازالت حية .

سامى عوض غبريال

والإيمان تقدم عزاءها إلى إخوته الأفاضل الأساتذة فهمى ونصيف والدكتور رمزى وجورج وشفيق وأنيس وباقى أفراد أسرته الكريمة والأمة القبطية جمعاء (١) .

ولما كان ذكرى الصديق للبركة فقد أقام قداسة البابا شنودة صلاة خاصة احتفاءً بيوم انتقاله الى الأخدار السماوية بعد نياحته بست وعشرين سنة كما يتضح من بطاقة الدعوة التالية :

(١) مجلة الايمان العدد السابع للسنة الثالثة والعشرين ــ برمهات سنة ١٦٧٠ ، مارس سنة ١٩٥٤ ــ ص ٢٣١



الفاضلة / ايريس حبيب المصرى

نتشرف بدعوة سيادتكم لحفلة ذكرى نياحة الآب الراهب القديس داود المقارى التى ستقام بحضور صاحب الغبطة والقداسة

**البابا الأنبا شنودة الثالث**

وذلك يوم الأثنين ٢٨ يناير ١٩٨٠ الساعة السادسة مساءا

بكنيسة السيدة العذراء بروض الفرج ــ شبرا

١٢٣ ــ لئن كان التاريخ الكنسى القبطى لا يعلمنا غير حقيقة واحدة هى أروع حقيقة إذ هى مدى رعاية الله لكنيسته الحبيبة ــ لكفى بهذه الحقيقة سببا لوجوب تعرفنا على هذا التاريخ . ولقد رأينا هذه الحقيقة تسطع مراراً وتكراراً على مدى الأيام ، والآن نقف لنبهت أمامها مرة أخرى . فلقد كانت السنوات المنسابة ما بين سنة ١٩٢٩ ــ سنة ١٩٥٦ تتضمن الكثير من المتاعب والأشجان الصادرة عن بعض أبناء الكنيسة أنفسهم . ومع أن الفترة التى سترد أحداثها فى الصفحات التالية تدخل ضمن سنى المتاعب والأشجان إلا أن الشخصية التى سيتركز عليها الحديث شخصية تسطع بالنور : إنها **شخصية الأنبا كيرلس** المطران القبطى الأخير لامبراطورية اثيوبيا . وإن الكلمات لتتراجع أمام وصف هذا القديس ! فهو نموذج مثالى فى القرن العشرين يذكر محبى الكنيسة القبطية بالأنبا أثناسيوس الرسولى وبالأنبا ديسقورس المعترف البطل .

وخير تقديم لسيرته العطرة الزكية كلمات استهلّ بها بعض أبنائه الروحيين كتابهم عنه ، قالوا : سفر خالد لقديس بار . لست أظن أن عشرات من مثل هذا الكتيب تتسع لتستوعب مناحى الخلود فى هذا السفر ... لقد سجل اسمه كيرلس ، بحروف عريضة ملؤها النور على جبين من افتتن بحبها . وتفنن فى الإخلاص لها . ولم يشأ أن يبيع نفسه ولو غاليا لغيرها . تلك هى أمه الكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

كان لحناً لم يتم . بدأ حياته بابتسامة عذبة كسرتها المتاعب على مر الأيام وحولتها الى دمعة تأرجحت فى مآقى العين وقبل أن تنزل جففها الألم . ولكن قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة عاد فابتسم من جديد ولكن للعالم الآخر .

كان أشبه بقنينة من قنينات العطر الشرقية التى مهما أحكم إغلاقها فإن رائحة العطر تفوح منها .

(١) مجلة تعاليم الكنيسة ــ برمهات ــ برمودة سنة ١٦٧٠ ، أبريل ــ مايو سنة ١٩٥٤ ــ ص ٢٠ ــ ٢١

ولا عجب فقد كان الرجل يفيض روحانية كما يفيض النبع بالماء . وكانت القداسة تتولد من داخله كما تتولد الحرارة من النار. وكان يقطر نعمة كما تقطر خلية النحل عسلاً .

و بالإجمال فإن الرجل كان من النوع الذى يغيب فى الله كما يغيب النائم فى حلم جميل ...

حمل بيده المصباح المنير كى يحافظ عليه كأسلافه من قبل فى الأجيال الطويلة الماضية ... فبينما هو ينصت الى الأجيال البائدة يستوحى خُطاها هبّت زوبعة باردة أحاطت به و بالمصباح ، وفى نيتها أن تحطمها معا إن لم ينفصلا عن بعضهما ... ولكن حامل المصباح لم يزد إلا تمسكا بمصباحه الذى ائتمن عليه ... (١)

فلنتتبع سيرة هذا القديس لنستضىء بقبس من نوره ولندرك بقلوبنا أن نعمة الله تعمل فى أعماق النفس المتطلعة نحوها منذ الأزل والى الأبد

تفتّحت عينا الوليد « سيداروس » على هذا العالم أول ما تفتحت فى قرية دير النغاميش بمركز البلينا فى الصعيد الأعلى ــ وكان ذلك حوالى سنة ١٧٧٥ (٢) . وغنى عن البيان أن أبويه كانا تقيين عائشين بمحبة الله . فالكتاب المقدس يؤكد لنا المرة تلو المرة أن الصلاح ينتقل من الآباء الى الأبناء : إن لم يكن بالوراثة فبالقدوة ــ وقديسنا أخذ عن أبويه بالوسيلتين .

بدأ تعليمه فى كتّاب القرية كما جرت العادة فى ذلك العصر ــ فكان أشبه بمن يلتهم الدروس إلتهاما ! وكان شغوفا الشغف كله بالمزامير والألحان الكنسية . وفوق ذلك فقد كان ــ حتى فى طفولته ــ يتمعن ما يحفظ و يتفكر به فى قلبه ، حتى لقد أصبح عشق الكنيسة يتردد مع أنفاسه و يسرى مع دمائه فى شرايينه . كذلك بدأ يعوّد نفسه على الخلوة والتعبد فى سن مبكر فشابه أثناسيوس الرسولى فى هذه الفضيلة . و باستمراره على التوحد اعتاد الصمت : صمت المتطلع نحو العالم العلوى المتوثب نحو بلوغ الكمال المسيحى . ومن خلال هذا الصمت الملىء بالحيوية امتد ببصره صوب دير الأنبا أنطونى . فرأى فى عزلته الصحراوية وقار الصمت الروحى الذى ينشده . وتلفت حوله فرأى العالم ببريقه وضوضائه . ولكن هذا البريق خبا وهذه الضوضاء خفتت أمام الجلال المنبعث من الدير الشامخ . فاندفع بقوة هاتين الصورتين المتناقضتين الى

(١) كتاب « الأنبا كيرلس رئيس أساقفة الكنيسة الاثيوبية » ــ أصدرته مكتبة مدارس الأحد بالكلية الاكليريكية بالهضبة سنة ١٩٥١ ، وساهم فى كتابته عدد من خدام مدارس الأحد . والعجيب أن هذا القديس كان الخامس بين من حملوا اسم « كيرلس » من مطارنة اثيوبيا ولو أن ترتيبه بينهم كان الحادى عشر بعد المائة .

(٢) لم يكن تعيد الوالد ناقصا آنذاك إلا فى الدير .

الدير . ووافقه أبواه فوراً فرحين أن ابنهما فضّل حياة الخلوة مع الله . وهكذا قصد الى بوش ليقابل رئيس دير أبى الرهبان و يبوح له برغبته الجياشة فى الحياة النسكية .

أحبه رئيس الدير . وأحبه إخوته الرهبان . أحبوه لوداعته ولمحبته ولتأديته الواجبات الملقاة عليه فى صمت واتزان فإذا ما جلسوا جميعا فى المساء كما تعلموا من كواكب البرية أنصت الى أحاديثهم ومناقشاتهم فى هدوء . وإذا ما تحدث إليهم انسكبت كلماته فى قلوبهم لصدورها من أعماق قلبه ، وجعلتهم يحسون بانتعاش روحى . و بعد أن ينتهوا من اجتماعاتهم المسائية و يأوى كل واحد منهم الى قلايته ينفذ الراهب سيداروس وصية فاديه : اسهروا وصلوا .

على أنه ــ مع أصوامه وصلواته ــ أيقن أن الدين الحقيقى يستوجب الدراسة والعمل والجهاد . فكان يلتهم ، العلوم اللاهوتيه والأدبية واللغات بنفس الشغف الذى إلتهم به المزامير والألحان فى الكتّاب . فلا عجب إذن فى أنه نال رتبة القسيسية ، ثم لم يلبث أن أصبح قصا . ثم شاء الله أن يجعل من القمص سيداروس القدوة المثلى لأكثر من رهبان الأنبا أنطونى فأرسله رئيسه ليخدم فى الأراضى المقدسة (١) . والقدس ملتقى الشعوب يأتون اليها من أقاصى الأرض . فلم يتعامل القمص سيداروس فيها مع القبط فقط بل تعامل أيضا مع أهل البلاد ومع الاثيوبين ومع كل الذين أسعدهم الله بزيارة الأراضى المقدسة . وفى هذه البلاد الذى يتلاقى فيها الأجناس والألوان ظل القمص سيداروس على وداعته ورزانته ، وعامل كل من تعرف عليهم بتلك المحبة الدافقة التى كانت تتزايد فى قلبه بمرور الأيام . فأحبه الجميع : أحبوه انعكاساً لمحبته ، بل أحبوه لأنهم أحسوا حتى فى لاشعورهم بسر المسيح الساكن فيه . ولقد خدم فى القدس من سنة ١٩٠٣ ــ سنة ١٩٠٧ . وكان يقيم الصلوات فى الجسمانية (٢) ، يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ، كما كان مشرفا على الرهبان الاثيوبيين المقيمين ضيوفاً على القبط بدير السلطان .

ثم أقام عدو الخير الحرب عليه فسمحت الإرادة الالهية بأن يصاب هذا الراهب المجاهد بالمرض الذى لازمه سنتين . وخلال مرضه لم يكن ليستطيع أن يأكل أو أن يشرب واقتصر غذاؤه على كوب من اللبن يشربه بعد الغروب . ثم بدا حنان الآب السماوى عليه بأن أعاده الى ديره ليستعيد صحته و يلتقط أنفاسه إعداداً له للجهاد المضنى الذى سيلاقيه .

(١) كان أول مطران قبطى يُرسم على الكرسى الأورشليمى راهباً من دير الأنبا أنطونى ، ومذاك تعاقب الرهبان الأنطونيون على هذه الأماكن المقدسة يعاونهم فى خدمتهم الراعوية والاجتماعية إخوتهم من الدير عينه .

(٢) هى التسمية الشائعة لبستان جثسيمانى ، ويحتوى على كنيسة تحمل اسم السيدة العذراء مشيّدة فوق المكان الذى دفن فيه جسدها الطاهر قبل أن يرسل ابنها الحبيب ملائكته لتحمله الى السماء .

وما إن استقام عوده حتى ذهب الى مدرسة الرهبان بالاسكندرية (١) تحت رعاية مطرانها الجليل الأنبا يؤنس. فأتمّ علومه بها وعاد الى الدير ومرة أخرى رأى الآب السماوى فى شامل حكمته أن يفسح المجال لخدمة القمص سيداروس فوضع فى قلب رئيس دير الأنبا أنطونى أن يقيمه أمينا على وقف الدير ببهجورة (فى الصعيد) إذ قد وجد فيه الأمانة والحكمة وحسن الرأى مع حسن التدبير. فترك القمص سيداروس الصحراء وذهب الى بهجورة. وكانت كنيستها الرئيسية باسم السيدة العذراء، وقد أقيمت فوق سطحها قلاية سكن فيها الأمين الجديد.

على أن خدمته للناس والعناية بتحصيل أموال الدير حرصاً على قوت إخوته الرهبان لم يمنعاه من السهر والصلاة ومن الصوم الانقطاعى الساعات الطويلة. كما أن جدران قلايته المتواضعة لم تكن منيعة بحيث تستطيع أن تحجز عبير سيرته الملائكية. فأصبحت هذه القلاية مركز إشعاع تتطلع إليها الأبصار تطلع البحارة فى ليلة مظلمة نحو الفنار. فالبعض يسارعون اليه لينعشوا بقداسته، والبعض يطلب منه الشفاء، والبعض يذهب بدافع الفضول ليتحقق مما سمع. على أن جميع الذين عرفوه أجلّوه وأعطوه مكاناً فى قلوبهم إذ وجدوا فيه الأب الحنون والأخ الرؤوف والراعى الساهر.

ولم تكن صلواته طلبات وابتهالات بل كانت حباً وشوقا وشكوى ونجوى. كانت انسياب النفس نحو منبعها: يرتفع شوقها كالبخور الزكى وتنسكب آلامها عند قدمى الصليب، وتتدفق مناجاتها فى ترنم وهذيذ. والشوق والألم والمناجاة إن هى إلا تمجيداً وعرفانا، ومحادثة الصديق لصديقه، ودالة الابن عند أبيه. أما صومه فكان لذة واستمتاعاً: يصوم شوقاً الى التقرب من الله والتمتع بالوجود فى حضرته. لهذا داوم على الصوم حتى فى شيخوخته وعلى الرغم من أمراضه.

وخدم فى بهجورة ما يقرب من عشرين سنة أجرى الله على يديه العدد الوفير من الآيات والعجائب. وكان فى خدمته الإنسانية هذه شبيها بالقديس بولس الرسول الذى كان ظله يشفى المرضى وهو شخصا مصاب «بشوكة فى الجسد» (٢) لازمته الى آخر حياته إذ قد أعلن له مانح العطايا أن قوته فى الضعف تكمل. هكذا كان القديس القمص سيداروس عليل الجسم وهو فى الوقت عينه يعطى الشفاء للآخرين. والآيات التى سنوردها مجرد أمثلة عن تجلى نعمة الله فى صفيه. فمن ذلك أن أحد البهجوريين (٣) كانت زوجته حاملا. وفى الشهر التاسع مات الجنين فى بطنها فسبب لها تسمما فى الدم. ولشدة الخطر التى كانت فيه لم يجرؤ الأطباء على نقلها الى

(١) هى إحدى المدارس التى كان قد أنشأها البابا الوقور كيرلس الخامس، راجع ف ٤٧ من هـ ٥ من هذا الكتاب

(٢) ٢ كورنثوس ١٢: ٧

(٣) مما يؤسف له أن كل من قصوا الآيات التى أجراها الله على يدى هذا القديس لهم رفضوا ذكر أسمائهم.



المستشفى إذ كانوا متوقعين موتها فى ساعات قليلة. وهرع زوجها الى رجل الله، فأسرع اليها ثم سقاها من الماء المصلى عليه. وما كاد «ماء البركة» يستقر فى جوفها حتى سقط الجنين خارجاً! أما القديس الذى أجرى الله على يديه هذه المعجزة فكان قد وصل الى قلايته قبل أن يستطيع الزوج المتهلل أن يشكره.

وكان فى بهجورة آنذاك عائلة من الأراخنة هى عائلة «متواضع»، أصيب أحد شبابها بجرح بليغ فى ركبته. فقصد الى أمهر الجراحين الذين يعرفهم ولكن الجرح لم يلتئم على الرغم من محاولاتهم العديدة. فاضطر الشاب الى أن يستعين بعكاز عند المشى محاولة منه لتخفيف حدة الألم. وكان القمص سيداروس غائبا عن المدينة آنذاك. فما إن عاد وعلم بالأمر حتى ذهب الى منزل الأسرة وصلى على الركبة المجروحة، ودهنها بزيت القنديل (١). ثم ربطها له بمنديله الخاص الذى يمسح به عرقه. وفى اليوم التالى مشى الشاب من غير العكاز. وبعد ثلاثة أيام التأم الجرح. ولكن أثره ظل باقيا علامة لكل من يراه على أن عجائب الله فى قديسيه.

وثمة معجزة، أثارت التعجب عند جميع أهل المدينة، وهى أن كبيراً من الأراخنة أصيب بالبروستاتا. واشتدّ عليه المرض فذهب الى المستشفى الأميرى بسوهاج حيث ظل تحت العلاج شهوراً طويلة. ولما استعصى الداء رأى الأطباء المعالجون وجوب عودته ليموت فى بيته وبين أهله. ثم جاء رجل الله ليسلّم على الشعب الذى خدمه قبل أن يسافر الى اثيوبيا، وسمع بالحالة الأليمة التى يعانيها هذا الأرخن. فذهب الى بيته وطلب أن يؤتى له بكوب ماء بارد. ودخل الى غرفة المريض بمفرده وأغلق الباب. وبعد الاختلاء بالله نصف ساعة سقى المريض الماء. وما إن مرت ربع ساعة حتى تدفق تيار من الماء من جوف المريض بقوة شديدة واستؤصل المرض بعنف هذا الاندفاع المائى.

ولم تكن القوة التى منحها الله لقديسه قاصرة على السيطرة على الأمراض بل امتدت منها الى السيطرة على شراسة الحيوان. فقد كان يتمشى ذات يوم فى حديقة أسرة متواضع بصحبة رب الأسرة. وكان عندهم كلب «أرمنت» مربوطاً بسلسلة الى شجرة. وهذا النوع من الكلاب لا يلازم غير شخص واحد فيخيف حتى افراد الأسرة التى يعيش فى بيتها. فلما رأى الكلب صاحب الدار يتمشى ومعه شخص غريب هب بعنف يريد أن يقطع السلسلة المقيدة له ليهجم على الضيف. وعبثا حاول صاحبه أن يهدّئه. أما رجل الله فوقف فى مكانه ساكنا وأخذ يصلى. وما هى إلا دقائق معدودات حتى قبع ذلك الكلب الشرس فى مكانه وأخذ يهز ذيله فى تحية بل كأنه

(١) هذا هو الاسم الشائع للصلوات المسماة «مسحة المرضى» — وهى ضمن الأسرار السبعة.

فى شىء من الحياء . فرفع صاحب البيت عينيه الى العلا شاكراً رب السماء على عجبه الذى تجلى فى قديسيه .

وقد لازمه عطفه على المرضى فى ضيقتهم الى اللحظات الأخيرة من حياته كان آنذاك تحت العلاج بالمستشفى القبطى . وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليلة التى يُسفر صبحها عن ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٠ . وكان واقفا متكئا على عصا رعايته يصلى . وفجأة اقتحمت باب غرفته امرأة ارتسم على وجهها الفزع . فسألها فى هدوء عن سبب اضطرابها ودخولها غرفته بهذا الاندفاع من دون استئذان . فاخبرته بأن ابنتها فى حالة ولادة عسرة ، وأن الأطباء يتشاورون لإجراء عملية لها لانقاذها من الموت . أجابها بسكينته المعتادة : « الرب معها . لاتخافى » . واستسمحته وخرجت لفورها وقد سرى هدؤه الى داخلها . وما إن وصلت الى باب حجرة الولادة حتى سمعت صرخة الطفل وضحكات الأطباء .

ومن عجب الله فى هذا القديس الذى أنقذ حياة الوالدة الساعة الواحدة ليلا أنه هو نفسه انتقل الى الأخدار السماوية الساعة الخامسة فجراً ! لقد منحته النعمة الالهية حياة لأم لم يرها بعينيه ، ثم شاءت بعد ذلك أن تريحه من أتعابه .

والواقع أن سرد هذه الأمثلة يهدف الى غرضٍ واحد هو أنه يذكّر الجميع بأن الله « هو هو أمس واليوم والى الأبد » (١) ، فمادام أنه قال « أكرم الذين يكرموننى » (٢) فإنه يستمر فى إكرامهم من جيل الى جيل . فهو ــ له المجد ــ لا ينسى تعب المحبة لذلك يظهر عجائبه فى قديسيه حتى بعد أن يتركوا هذا العالم ، بل حتى بعد أن تمرّ السنوات و يظن البعض أن هؤلاء القديسين قد طواهم النسيان . ولكن الله ليس انسانا فينسى بل يخرج الحق فى حينه ليعلّم الناسِ أن يثبتوا و ينتظروا قضاءه ، وليعلّمهم أيضا أن النور المنعكس من قديسيه يظل ساطعا قاطعا كل ظلمة (٣) .

---

(١) عبرانيين ١٣ : ٨ .

(٢) ١ صموئيل ٢ : ٣٠

(٣) هنالك الأمثلة العديدة على رعاية الله لذكرى قديسيه ، ومن أروع هذه الأمثلة مارمينا الشاب الشهيد . فلقد دفنه أحباؤه عند استشهاده بسرعة بعيدا عن مرأى الناس حرصا على جثمانه الطاهر . ولما انتهت الاضطهادات نسوا المكان الذى وضعوه فيه . ومرت السنوات كشف بعدها من لا ينسى كأس ماء بارد المكان عن طريق خروف أجرب ! وعندها أقيمت كاتدرائية فخمة باسم الشهيد وقامت حولها مدينة بأكملها . ثم امتدت يد التخريب الى المدينة والكاتدرائية فلم تبق منها غير أطلال مهجورة . ومرت عشرة قرون على هذا الخراب وهذا النسيان أعاد بعدها قداسة الأنبا كيرلس السادس تعمير الدير فأصبح يضم كاتدرائية فخمة من جديد وأصبح المكان المهجور مزاراً مقدساً لا يقصد اليه المصريون فحسب بل والأجانب أيضا !



وفى سنة ١٩٢٩ أتى وفد من اثيوبيا يحمل رسالة من الامبراطورة زوديتو والملك تفرى ( الامبراطور هيلاسلاسى ) يرجوان فيها من قداسة الأنبا يؤنس أن يرسم لهما ولشعبهما مطراناً قبطيا تبعاً للتقاليد . ولكنهما طلبا ــ خلافاً للتقاليد ــ رسامة أربعة رهبان اثيوبيين اختاراهما بالاتفاق مع رؤساء الأديرة أساقفة تحت رياسة نيافة المطران ومعاونة له فى أعماله الراعوية التى تكاثرت نظراً لتزايد الطلب من الشعب لهذه الرعاية وقد وصل الوفد الاثيوبى الى القاهرة صباح الأحد ١٩ مايو ١٩٢٩ ، وكان مؤلفاً من وزيرى المالية والمعارف ، وبصحبتهما الرهبان الأربعة . كذلك صحبهم مسيحة عبد السيد المدرس بالمدرسة القبطية التى أنشأها البابا الوقور كيرلس الخامس ــ وذلك لمعرفته اللغة الاثيوبية . فبعد أن قابلوا قداسة الأنبا يؤنس وأخذوا بركته الرسولية وعبّروا له عن محبتهم وولائهم لمار مرقس الكاروز العظيم ، ولخليفته المبجل ، ذهب الوزيران الى قصر عابدين وقيدا اسميهما فى سجل التشريفات الملكية (١) .

ثم ذهب الوزيران والرهبان الأربعة يصحبهم توفيق دوس ( الوزير القبطى ) ومسيحة عبد السيد لمقابلة قداسة البابا مساء الأربعاء ٢٢ مايو . وفى هذه المقابلة تفاهموا معه على موعد الرسامة كما أبلغوه رغبة الامبراطورة والملك فى الإسراع بها . وتشاوروا بعد ذلك مع قداسته فى شخصية من سينال كرامة الرياسة العليا على الكنيسة الاثيوبية . وبالطبع تقدمت عدة اقتراحات فى هذا الموضوع الذى له خطورته . ثم أصدر البابا الجليل أمره بإعداد الملابس الكهنوتية اللازمة للخدمة للمطران وللأساقفة الأربعة على نفقته الخاصة .

وكانت أعمال القمص سيداروس الأنطونى قد انتشر عبيرها على طول ضفاف النيل على الرغم من انزاوئه فى بهجورة . فلم يكن هناك استعطاف ولاوساطة ، بل على العكس كانت هناك رغبة أكيدة فى الابتعاد عن كل المظاهر حتى ولو كانت فى المجال الكنسى . فأعلن قداسة البابا لأبنائه الاثيوبيين عن اختياره ، وقال فى الخطاب الذى أرسله معهم الى الامبراطورة : « .... لقد وقع اختيارنا بإرشاد الله على الراهب العابد الناسك التقى المتحلى بالفضائل القمص سيداروس الأنطونى ، وأقمناه مطراناً للمملكة الحبشية باسم الأنبا كيرلس .... »

ولكى تعرف الأجيال الآتية حقيقة نفسية هذا القمص نورد هنا ما قاله ( بالحرف الواحد ) أحد الذين اشتركوا فى الموضوع ، وهو « طلب إليه غبطة الأنبا يؤنس أن يرسمه فاعتذر بأنه لا يعرف القراءة والكتابة ثم زاد على ذلك بأنه لا يعرف الطقوس الدينية . ولكن أمام إصرار قداسة البابا لم يجد غير الهرب . وأخيراً اتفق الأنبا يؤنس مع كبار الأراخنة المحيطين به أن يرسل

---

(١) كان هذا السجّل معدا بالديوان الملكى للزوار الذين لم يطلبوا مقابلة الملك وبالتالى لم يمثلوا فى حضرته .

وفداً برياسة توفيق دوس للبحث عنه وإحضاره . وبعد بحث وتقص عثروا عليه . فلما علم سبب مجيئهم أخذ يتوسل إليهم أن يساعدوه و يتوسطوا لدى البابا الجليل كى يعفيه من هذه الرسامة . ونتيجة لإلحاحه وعده توفيق دوس وعداً صادقا أكيداً بأنه سيتوسط له وعلى هذا الوعد قبل أن يركب السيارة معهم . ثم حدث فى طريق ذهابهم الى الدار البابا وية أن انفتح باب السيارة فجأة فجرّه توفيق باشا بشدة ليغلقه حالاً بينما السيارة تجرى . فانجرحت يده جرحا بليغا . وعندها اعتذر ليلجأ الى أقرب صيدلية لتضميد جرحه مؤكداً للقمص سيداروس أن قداسة البابا لابد سينتظره .

إلا أن البابا الجليل كان قد اتفق مع المطارنة الذين سيشتركون معه فى الرسامة على أنه بمجرد دخول الراهب المطلوب ، وقبل التفوه بأية كلمة ، سيضع الصليب المقدس على رأسه مباشرة . وبذلك يتقيّد طالب الهرب و يضطر خضوعاً للصليب أن يبقى و ينال الرسامة . وقد نُفذت الخطة تماما . فما إن وصل القمص سيداروس الى فناء الكاتدرائية ، وقبل أن يقبّل يد البابا الجليل كان الصليب قد رفع فوق رأسه ، وبدىء أيضا بتلاوة الصلوات الابتدائية للاختيار . وعند ذاك لم يكن يملك الراهب القانع غير دموعه فسكبها غزيرة . متدافعة سقطت على لحيته وملابسه حتى بللت الأرض وحتى أبكت كل الواقفين حوله وعلى رأسهم قداسة البابا نفسه . فكان هذا الموقف صورة حية لما رسمه المرتل قديما إذ قال : « طوبى للرجل الذى نصرته من عندك يارب . رتّب مصاعد فى قلبه فى وادى البكاء .... » ( ١ ) ومن العجب أن يعيش فى وادى البكاء رجل نصرته من عند الرب ــ ولكن هذه الحقيقة أثبتتها الأجيال المتعاقبة !

وتلبية لرغبة الاثيوبيين فى عدم الإبطاء بُدىء بالاستعداد فوراً لحفلة الرسامة . ففى مساء السبت ٢٥ يونيو فى الساعة السادسة مساءً ، نزل قداسة البابا الى الكاتدرائية يحيط به الآباء المطارنة والأساقفة ، وقد تأبط اثنان منهم ذراعى القمص سيداروس الأنطونى ، وهم جميعا بملابس التقديس ، يتقدمهم الشمامسة يترنمون بالألحان الكنسية العذبة . وكانت أجراس الكاتدرائية ترن رنات الفرح معلنة على الملأ بداية صلوات إلباس الاسكيم ( ٢ ) وجلس الأنبا يؤنس على كرسيه ثم بدأ الصلاة . وبعد تلاوة الجزء الخاص بالاسكيم المقدس ألبسه للراهب سيداروس ونادى عليه بالاسم الجديد « كيرلس » الذى اختاره له . واختتم الصلوات بإعطاء بركته الرسولية للمطران والأساقفة الجدد ثم للباقين . وكانت دموع الأنبا كيرلس تنهمر على خديه فى صمت وتنساب على ثيابه من بداية الصلوات الى آخرها .

---

( ١ ) مزمور ٨٣ ( فى الأجبية )

( ٢ ) راجع ما جاء عن الاسكيم فى فصل « كوكب البرية » جـ ١ من هذا الكتاب .



ومن الممكن تصور الاستعدادات الخاصة للحفلة الكبرى : حفلة رسامة الراعى الأول للمملكة الاثيوبية وأربعة رعاة للعمل معه وقد أقيمت هذه الحفلة صباح الأحد ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ . وقد دعا المجمع المقدس والمجلس الملى كبار رجال الدولة المصرية وسفراء الدول ، ورؤساء الكنائس المختلفة .

وفى الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم المشهود ، دخل الموكب الكهنوتى الكاتدرائية المرقسية ، يتقدمه الشمامسة حاملين الصلبان والأعلام وهم يرنمون الألحان الخاصة بمثل هذه المناسبة ، وسار المطارنة خلفهم مباشرة ومعهم الأساقفة ، يحيط البعض منهم بذلك الراهب الذى لم يجف له دمع ، بينما يحيط البعض الآخر بالأساقفة الاثيوبيين . وكان قداسة البابا قد نزل مع الفجر الى الكاتدرائية . فلما وصل الموكب الى خورس ( ١ ) الشمامسة خرج من الهيكل لاستقبالهم . فتقدم اليه المطران الجديد والأساقفة الاثيوبيون وأحنوا رؤوسهم أمامه . فأعطاهم نصائحه الأبوية وأوصاهم بالثبات على العقيدة الأرثوذكسية والمداومة على تعليمها للشعب الى آخر نسمة من حياتهم .

وبعد ذلك اتجه قداسة البابا نحو الشرق ، ووقف أمام باب الهيكل ، وبدأ شعائر الرسامة . وخلال الصلوات عاود الاتجاه غرباً لأن الذين يقوم برسامتهم متجهين شرقاً . فوضع قداسة البابا يمناه على رأس الأنبا كيرلس وتبعه جميع الحاضرين من المطارنة والأساقفة ــ يداً فوق يد ــ والأكبر ( ٢ ) يده من تحت وهكذا بالتتالى . وحالما انتهوا من صلوات وضع اليد عليه ، وضعوا أياديهم على الأكتاف اليمنى للاثيوبيين . ثم استكملوا الصلوات بإلباس المطران فالأساقفة الأربعة الملابس الكهنوتية الخاصة بالتقديس . وخلال هذا كله كانوا يترنمون بالشعائر الخاصة لمثل هذه المناسبة . وفى ختام الصلوات وضع البابا الجليل التاج الأسقفى بيده على رأس الأنبا كيرلس . واختتموا هذه الشعائر المقدسة بالقداس الالهى الذى اشترك فيه المطران والأساقفة الجدد .

فلما انتهت كل هذه الصلوات القدسية التى لا يعرف روعتها بالضبط إلا من حضرها شخصيا ، قام الأرخن الكبير حبيب جرجس وألقى كلمة قداسة البابا ــ نيابة عنه ــ وكانت كلمة جامعة أكد فيها الصلة المتينة التى ربطت بين مصر واثيوبيا : صلة بدأها النيل المبارك ودعمها أثناسيوس الرسولى ، واستمرت وثيقة مدى أجيال طويلة . وقد قال ضمنها هذه الكلمات : « .... أيها الأبناء الأعزاء ــ منذ اليوم الذى سلمنى فيه إلهى رعاية كنيسته المرقسية

---

( ١ ) الخورس هو منصة ملاصقة للحجاب التى يستر الهيكل عن باقى الكنيسة . وهو مخصص لجلوس الشمامسة .

( ٢ ) الأكبر هو الأقدم فى الكهنوت حتى إن كان أصغر سناً .

وقلبى متجه نحو شعبى المبارك باثيوبيا ، وإحساسى منعطف نحوهم : إحساس الأب نحو أبنائه ، إحساس الراعى نحو رعيته . وكم أتمنى أن أزور أبنائى الاثيوبيين فى بلادهم ، وأمنحهم البركة الرسولية ، وأتعزى برؤية شعب أحبه من كل قلبى . وقد أحبّه من قبلى جميع البطاركة أسلافى . وانى أشعر بهم دائما مصورين فى قلبى وحاضرين فى ذاكرتى فى كل صلاة أقدمها الى الله تعالى عن جميع شعبى ، متمنيا هناء بلادهم ورخاءها وسعادة شعبها وتقدمهم روحيا وأدبيا .... ولقد اخترنا القمص سيداروس الأنطونى وأقمناه مطراناً للمملكة الحبشية باسم الأنبا كيرلس ، وأنبناه عنا فى رعاية شعبنا المبارك فى اثيوبيا بخوف الله ليحرص على المحافظة على هذه الوديعة المقدسة التى ائتمن عليها كأسلافه المطارنة ، ويحافظ على النفوس التى سُلمت لرعايته بنعمة روح الله القدوس . وقد صادف هذا الاختيار ارتياحاً تاما وقبولا حسنا من أبنائنا أعضاء الوفد الحبشى .... »

وهكذا تمّت هذه الرسامة التاريخية بنعمة الله . وأحس القبط والاثيوبيون بالفرح الروحى ممتزجاً بالشكر لله على كل أفضاله .

وقضى كل من المطران والأساقفة الجدد ثلاثة أيام فى خلوة مع ربهم استزادة من نعمته .

ثم فى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الخميس ٦ يونيو سافروا الى الاسكندرية يصحبهم قداسة الأنبا يؤنس والأنبا يوساب مطران جرجا والأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والوفد الاثيوبى . وفى صباح اليوم التالى حضروا القداس الالهى الذى أقامه البابا الجليل بالكاتدرائية المرقسية . وبعد تناول الإفطار أخذهم المسئولون وطافوا بهم شوارع الاسكندرية وميادينها للتفرج عليها بوصفها مدينة مار مرقس الرسول (١) .

ولم يبقَ صاحب النيافة الأنبا كيرلس والأساقفة الاثيوبيون فى مصر بعد ذلك غير اثنى عشر يوماً إذ قد غادروا بورسعيد يوم الأربعاء ١٩ منه على ظهر باخرة فرنسية وصلت جيبوتى يوم الأثنين ٢٤ وكانت الحكومة قد أعدت قطاراً خاصا لنيافته هو وصحبه حملهم الى دير « أداواى » الذى بلغوه يوم ٢٦ . وهناك وجدوا فى انتظارهم وفداً أرسلته الامبراطورة زوديتو والملك تفرى يحمل رسائلها للتحية والاستفسار عن صحة مطرانهم الجديد . ومن أداواى قصدوا الى أداش التى ما كادوا يصلونها حتى جاءتهم مكالمة تليفونية من الملك للاطمئنان عليهم . وكانت هذه آخر محطة على الطريق ذهبوا منها الى أديس أبابا . وعلى رصيف المحطة تقدم جلالة الملك وقبّل الصليب ثم يد نيافة المطران ، ثم قدّم اليه وزراءه وعظماء دولته بالتتالى . فكان كل منهم يتقدم

(١) كتاب يوسف جرجس عن قداسة الأنبا يؤنس ص ١٠٩ و١١٣



بدوره و يقبّل الصليب فاليد التى تحمله . و بعد ذلك ركب الأنبا كيرلس السيارة المعدة له خصيصا و بصحبته « الآتشجه » ( أى كبير الكهنة الاثيوبيين ) . فأحاط بهما الحرس الملكى بينما اصطف الجنود على جانبى الطريق من المحطة الى الدار المطرانية .

ثم أقيمت يوم السبت ٢٩ حفلة استقبال كبرى فى دار المطرانية رحب فيها الأنبا كيرلس بضيوفه ، وألقى كلمة أعلن فيها شكره لصاحبى الجلالة الامبراطورة والملك ، كما عبّر فيها عن فرحه لاختيار الله له لهذه الكرامة العظمى ، وتعاهد على أن يقف حياته كلها على خدمة الاثيوبيين شعباً وكهنة ، ضارعاً الى الله أن يرعى الملوك والرعية وأن يحفظ الجميع فى سلام وألفة .

وما كاد فجر الأحد ٣٠ منه ينبثق حتى أقيمت حفلة صلوات روحية عظمى فى الكنيسة الكبرى ، أدى فيها المطران الوقور القداس الالهى وحضرها صاحبا الجلالة الامبراطورة والملك . ثم ذهبا فى صباح اليوم التالى لزيارة الأنبا كيرلس زيارة رسمية وأعلنا له فرحتهما به . فمنحهما بركته الرسولية ودعا لهما بدوام التوفيق .

وهكذا بدأت المرحلة الشاقة المضنية — المضيئة على الرغم من كل المشقات لذلك الراهب الذى شاء أن ينزوى بعيداً عن بريق العالم ، فشاء له خالقه أن يكون أمام الأضواء وأن يجلس بين ملوك هذا العالم وأمرائه ليبين للناس أن النفس القانعة الخاشعة لا يستطيع العالم أن يقهرها بكل إغراءاته .

وما إن تسلّم مهام الرعاية التى أُلقيت عليه حتى وجد أن الحكومة الاثيوبية قد استولت على جميع أوقاف الكنيسة . فلما طالب بها لم يجد من مجيب . وعرض عليه المسئولون الاثيوبيون أن يصرفوا له مرتبا شهريا من خزينة الدولة يغطى نفقاته ونفقات كل العاملين فى المطرانية . ولكنه رفض هذا العرض . وبدا كأنه هو ورجال الحكم الاثيوبيون سائرين فى طريق مسدود ! فبعث الى قداسة البابا بخطاب يرجو منه التوسط فى الموضوع ، فلم يتلق رداً ! فرأى أن يعود الى القاهرة وأفهم الحكام الاثيوبيين أنه لن يعود إليهم إلا بعد إيجاد الحل لهذه المسألة . و بالفعل عاد الى أرض الوطن .

على أن الشعب الاثيوبى ما كاد يعرف سبب تغيّب مطرانه عنه حتى بدأ يطالب بعودته الى حد أقلق الحكومة . فرأوا أنه من الحكمة استرضاء الشعب . فحضرت الملكة من بنفسها الى مصر وقابلت قداسة الأنبا يؤنس ووعدت بتسوية الخلاف ، ملحة فى عودة الأنبا كيرلس . ثم ذهبت للتبرك بزيارة القدس ، عادت بعدها الى القاهرة ، ومنها سافرت الى بلادها يصحبها نيافة المطران . فهلل الشعب لعودته واستقبله بحماس يذكّر المطّلعين على تاريخ كنيستنا المحبوبة

بالاستقبالات التى كان يلاقيها الأنبا أثناسيوس الرسولى . وبأزاء هذه البهجة الشعبية العارمة اتفقت الحكومة مع المطران الجليل على اقتسام الأوقاف . فرضى هو بهذا الحل (١) .

ومن العجب أن هناك سنوات تموج بالأحداث بينما يمر غيرها مرور السحاب العابر ! وكانت سنة ١٩٣٠ لاثيوبيا من السنوات الفائضة : فقد بدأت بزيارة قداسة الأنبا يؤنس فى يناير منها فسعد الأب والأبناء بالتلاقى كما ابتهجت نفوس الاثيوبيين برؤية الخليفة المرقسى ونوال بركته الرسولية .

وفى الثانى من ابريل انتقلت الامبراطورة زوديتو الى الفردوس . وعلى أثر انتقالها نودى بالملك تفرى امبراطوراً خلفاً لها باسم هيلاسلاسى . على أن التقليد الاثيوبى يقتضى بأن ينال الامبراطور المسحة المقدسة من يد البابا الاسكندرى أو من ينوب عنه لكى يقبل الشعب الخضوع له عن رضى . ومن المؤلم أنه فى القرن العشرين تناسى المسئولون الغربيون الكنسيون الاخوّة التى كانت تربط بين الجميع فى القرون الأولى . وكانت ضرورة المسحة المقدسة للامبراطور الجديد فرصة للتلاعب . ومما زاد الألم أن المتلاعبين هذه المرة كانوا اليونانيين . صحيح أنهم حريصون على العقيدة الأرثوذكسية ، ولكن مجمع خلقيدون قد أقام هوة سحيقة بينهم وبين الكنائس الأرثوذكسية الأفرو-أسيوية . وحينما رأى الأنبا كيرلس هذا التلاعب قابل هيلاسلاسى وذكّره بأن الذى يمسح بالمسحة المقدسة يستطيع أن يعلن تخليه عمن مسح لأن الحل والربط كليهما فى يد واحدة . وأن التقليد الاثيوبى ارتبط بكنيسة مصر . وكان هيلاسلاسى شديد التعلق بالكنيسة الأم ولم يكن فى حاجة الى هذه التذكرة . إلا أن المطران الجليل كان على وعى بأن الله هو الذى ائتمنه على رعاية اثيوبيا ، فكانت الضرورة موضوعة عليه لتأدية حق هذه الأمانة ونتيجة للمقابلة بين الراعى المسئول والامبراطور المتطلع نحو تثبيت عرشه ، كتب الأخير الى قداسة البابا يطلب اليه أن ينتدب من يريده ويرسله للاشتراك مع الأنبا كيرلس فى إقامة الشعائر المقدسة الخاصة بالمسحة الملكية وعلى الفور اختار قداسته الأنبا يوساب ومعه عدداً من الكهنة والشمامسة وأرسلهم الى اثيوبيا .

وفى صباح الأحد ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ أقيمت الشعائر المقدسة برياسة الحبرين الجليلين الأنبا كيرلس والأنبا يوساب فى كنيسة الثالوث الأقدس بأديس أبابا . وبمقتضى هذه الشعائر الكنسية الجميلة أقر الشعب خضوعه العلنى « للأسد الغالب من سبط يهوذا هيلاسلاسى الأول امبراطور الحبشة » . وبمسحته وبوضع التاج على رأسه من الأنبا كيرلس بوصفه نائبا عن قداسة البابا المرقسى بدأ عصر جديد للشعب الاثيوبى .

(١) كتاب يوسف جرجس البابا ذكره ص ٨٢ ــ ١١٧



ولم يكن بريق الكرامة التى نالها مع زحمة مشاغلها لتنسى نيافته أحباءه فى مصر . فكتب اليهم يشكرهم كما يتضح من الخطاب التالى :

حضرة صاحب العزة حبيب بك المصرى المحترم باركه الرب بعد اهدائكم السلام القلبى ومنحكم البركة الروحية المقرونين بالاحترام الكلى لشخصكم الكريم وبعد فأننا نشكر الله تعالى على عنايته التى كلأتنا حتى وصلنا الى اديس ابابا

وها نحن ننتهز هذه الفرصة لنبعث لعزتكم جزيل شكرنا على محبتكم الخالصة وعواطفكم الرقيقة التى اظهرتموها نحونا وتوديعكم ايانا الى بورسعيد

اطال الله بقاءكم ناميا فى الغيرة المسيحية مجاهدا لتقدم الطائفة سلامنا بالبركه لجميع افراد العائلة

نعمة الرب تشملكم وبركته وسلامه يكونان معكم آمين ،

وقضى نيافة الأنبا كيرلس السنوات ما بين سنة ١٩٣٠ ــ سنة ١٩٣٦ فى عمله الراعوى البنّاء . وأول ما استلفت انتباهه أن الاثيوبيين ــ مع تمسكهم بكنيستهم وبتعاليمها ــ يمارسون تعدد الزوجات كما يستبيحون الطلاق ! وقد جاهد الآباء المطارنة ــ الواحد تلو الآخر ــ لاستئصال هاتين العادتين المضادتين للتعليم المسيحى . إلا أن عدم سهولة المواصلات ووعورة الطرق الجبلية كانت العوائق التى عطلت نتيجة هذه الجهود . ولكن هذه العوائق تضاءلت أمام وسائل النقل والإعلام الحديثة . فاستعان المطران الجليل بها واستخدمها وبذل كل إمكانياته للقضاء على كل من هاتين العاديتين . وقد نجح بنعمة الله فى إقناع أهل المدن ومناطقها بالعدول عنهما وهؤلاء بدورهم كانوا النواة لمجتمع أخذ يعتاد تدريجيا الحياة الزوجية التى أعلنها الخالق من بدء الخليقة وأيدها فادينا الحبيب (١)

كذلك امتلأ قلب المطران الوقور قلقا على الاثيوبيين لإدمانهم الخمر إدمانا يجعلهم سكارى يترنحون فى لاوعيهم . فحارب هذه العادة المهينة لكرامة الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله والخطرة على الصحة أيضا . وفى هذه المعركة انتصر انتصاراً مبهجاً .

وكانت الدار المطرانية مبنى بعيداً كل البعد عن الفخامة ولو أن الأرض التى تقوم عليها كانت واسعة تبلغ مساحتها خمسة عشر فداناً . وقد رأى نيافة الأنبا كيرلس ــ فى زهده عن المظاهر العالمية ــ أن يكتفى بترميمها . ولكنه فى الوقت عينه أراد أن تكون للمطرانية كنيسة تعلن لكل

(١) تكوين ٢ : ٢٠ ــ ٢٥ ، متى ١٩ : ٤ ــ ٦

من يمر بها عن حقيقة المكان الذى تزيينه . وكانت اثيوبيا آنذاك تستعين بالإخصائيين الفرنسيين . فاتفق رجل الله مع مهندس مقاول فرنسى على بناء كنيسة الى جوار داره . وقد بلغت تكاليفها النهائية اثنى عشر ألفاً من الجنيهات : دفع نيافة المطران ثمانية آلاف منها وعجز عن سداد الباقى . على أن الأيام كانت تتوالى طبعا ــ فكان إتمام كنيسة السيدة العذراء فى أواخر سنة ١٩٣٥ .

ويبدا شبح التهديد الايطالى بالزحف على الحبشة . فانشغل الامبراطور ورجاله ، بل والشعب كله بالتفكير فى درء هذا الخطر الداهم . لذلك لم يستطع أحد أن يساهم فى تقديم المال الباقى للمهندس . إلا أن هيلاسلاسى وعد أن يدفعه كله خالما يعود من المعركة . وعلى الرغم من هذا المأزق فقد رفض الفرنسى كل استعطاف وأغلق الكنيسة « بالضبة والمفتاح » حتى لا يستطيع أحد الصلاة فيها قبل أن يستلم آخر جنيه مما يطلبه .

وكان الايطاليون يشعرون بالحسد من انجلترا وفرنسا لأن لكل منهما مستعمرات ، كما كانوا يريدون الأخذ بالثأر من الاثيوبيين . ذلك لأن الامبراطور منليك الثانى كان قد قهرهم فى معركة عدوى ( على الحدود الاثيوبية الايريترية ) سنة ١٨٩٦ . ولهذين السببين قرروا محاربة اثيوبيا بأحدث ما عندهم من الاسلحة . فأعدّوا العدة و بدأوا هجومهم . ودارت حرب ضارية شرسة بين قوتين غير متكافئتين مدى سبعة شهور : فغالبية الجنود الاثيوبيين ليس عندهم غير البنادق يذودون بها عن وطنهم ، بينما الايطاليون لديهم الدبابات والطائرات يحصدون بها الأرواح حصداً . وعلى الرغم من استماته الاثيوبيين بل وموتهم فعلاً ظل الايطاليون يتقدمون شبراً شبراً . وكان هيلاسلاسى يدير المعارك بنفسه أسوة بأسلافه وتشجيعا لجنوده . ومع هذا كله استمر تقدم العدو داخل الأراضى الاثيوبية . فرأى الامبراطور من الحكمة أن يغادر هو وأسرته وطنهم العزيز كى لا يقعوا فى يد عدو غاشم لا يعرف للإنسانية معنى . فهذا العدو الذى تتركز الرياسة الكنسية العظمى فى عاصمة بلاده يدخل جنوده الكنيسة و يفتكون بالمصلين فى داخلها ، ويزيدون على ذلك بقتل الكاهن وهو واقف يؤدى الشعائر المقدسة أمام المذبح !

وترك الامبراطور ميدان القتال عائداً الى عاصمته . وقبل أن يدخل قصره ذهب لمقابلة نيافة المطران . وتعانق الرجلان واختلطت دموعهما معا . ثم أعلن هيلاسلاسى لأبيه الروحى عن عزمه وسأله عما إذا كان يرغب فى مرافقته . أجابه رجل الله إن رغبته هى رغبة ابنه الروحى وإنه مستعد لتنفيذ ما يشير به . وكان الامبراطور يريد فى بادىء الأمر أن يكون راعيه معه . ولكن وزير المالية ( الذى كان حاضراً المقابلة ) استصوب بقاء الراعى فى أديس أبابا تقويةً لنفوس الشعب . وعلى ذلك سلّم الامبراطور الكسير القلب على المطران الوقور ورجا منه بركته وصالح دعواته ، كما رجا منه أن يوجّه عناية خاصة بالشعب فى ضيقته . وافترق الرجلان ومازالت دموعهما تنهمر غزيرة .

وفى ٥ مايو سنة ١٩٣٦ دخل الايطاليون العاصمة الاثيوبية . وعلى الرغم من مبادىء « عصبة الأمم » (١) فكل من وزيرى الخارجية البريطانى والفرنسى رضى بالغزو الايطالى لاثيوبيا . بل إن حكومات أوربا كلها اكتفت بإبداء استشناعها لهذا الاعتداء دون أن تتخذ أية خطوة عملية لتصحيحه ! (٢)

وقصد هيلاسلاسى وأسرته الى لندن حيث بدأ فور وصوله باستثارة الرأى العام ضد البطش الايطالى . أما الأمراء وعائلاتهم فالبعض منهم لجأ الى فرنسا بينما لجأت غالبيتهم الى مصر (٣) . فنزلوا ضيوفاً على القبط : البعض منهم على حساب البطريركية مباشرة ، والبعض الآخر فى بيوت استأجرها لهم كبار الأراخنة . كما أن كل الأولاد الذين كانوا فى سن الدراسة دخلوا المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة على حساب أهل الكرم (٤) . وحينما استطاع رجال الصليب الأحمر أن يدخلوا اثيوبيا حمّلهم القبط كل ما يستطيعون من مأكل وملبس وأدوية .

ودخل الجيش الايطالى العاصمة الاثيوبية بقيادة المارشال بادوليو ، ورأى أن يبدأ بشىء من حسن السياسة ، فقام بزيارة المطران الوقور يصحبه كبار قواد الجيش . ووعد بعدم التعرض للكنيسة إطلاقا وبحفظ سلامتها وصيانة أملاكها . ثم أبدى استعداده لتنفيذ كل رغبات رجل الله . فرد له نيافة المطران هذه الزيارة فى اليوم التالى ــ وهو يوم ٧ مايو ــ فى دار المفوضية الايطالية ، وأكد له وجوب الحرص على تنفيذ ما وعد به .

وفجأة ، و بدون مقدمات ، أرسلت حكومة رومية المارشال جرازيانى ليحل محل بادوليو مستهدفة إرهاب الاثيوبين لأن القائد الجديد كان عاتياً باطشا . و بعد وصوله بأيام ذهب لزيارة المطران الوقور وطلب اليه أن يستقل نهائيا عن مصر وكنيستها لكى يقيموه بطريركا على الكنيسة الاثيوبية وصاحب الرأى الأعلى فيها . ولكن الراهب القانع لم يجب على هذا الطلب إلا بالإصرار على رفضه . وعقاباً له على هذا الرفض استولى الاثيوبيون على كل ممتلكات الكنيسة .

---

( ١ ) هذه كانت التسمية الأولى لما أصبحت الآن « الأمم المتحدة » .

( ٢ ) دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الخامسة عشرة ، سنة ١٩٧٣ ــ سنة ١٩٧٤ ، جـ ٦ ص ١٠١١ وجـ ١٢ ص ٧٥١ .
Ency. Brit. XV ed. Helen Hemingway Benton Publisher 1973-4

( ٣ ) مجلة مدارس الأحد ــ العدد العاشر للسنة الثالثة ــ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، وهذا العدد بأكمله عن اثيوبيا

( ٤ ) لم تكن آنذاك مرحلة إعدادية ، كما أن كل مراحل التعليم كانت بمصروفات

فأخذ المطران يرسل الاحتجاج الى القيادة الايطالية بأديس أبابا والى حكومة رومية . فأدت هذه الاحتجاجات الى مضاعفة التضييق عليه حتى اضطرته الى أن يكون حبيساً فى مطرانية . على أن الاستبداد لم يزده إلا صلابة .

وفى عصر أحد الأيام مر المارشال جراز يانى عليه وأخذه معه فى سيارته وذهب به الى غابة موحشة . وهناك قال له : « أنت الآن بعيد عن أية نجدة ، وفى الوقت عينه أنت تحت رحمتى . فإن لم تستجب لما أطلب قتلتك شر قتلة ! » قال الرجل الذى اختبر عشرة الله شخصيا : » ليس لك سلطان إلا على هذا الجسد الفانى فافعل به ما تشاء . أما روحى فهى ملك للمسيح إلهى وفادىّ ولن تستطيع بحال ما أن تظفر بها . قال هذه الكلمات بهدوء تام و بتوكيد الى درجة أذهلت العسكرى الجبار ! ولشدة ذهوله أعاد نيافة المطران الى داره دون أن يمس شعرة واحدة منه !

ولما أيقن جراز يانى أن التهديد ضاع هباءً ذهب لمقابلة المطران الوقور ليجرّب معه خطة أخرى . قال له : « إن استمعت لطلبى سأجعلك تعيش فى قصر يضاهى قصور الملوك . وسأضع الخدم والحشم تحت أمرك . وأعيّن لك حرساً خاصاً أسوة بأمراء هذا العالم . « أجابه بنفس الهدوء والتوكيد : » أنا راهب زاهد فى العالم . أستطيع أن أكتفى بالثوب الذى على جسمى الآن الى آخر حياتى . كذلك أستطيع أن أفترش الأرض وألتحف بالسماء « وللمرة الثانية ذهل رجل الصدام وغادر المطرانية دون أية كلمة أخرى .

وقد سجل نيافة الأنبا كيرلس كل ما جرى ، وأرسله فى الحقيبة الدبلوماسية الى قداسة البابا والى وزارة الخارجية المصرية . فما كان من الوزارة إلا أن أرسلت عدة احتجاجات متتالية الى الحكومة الايطالية مهددة بقطع العلاقات السياسية إذا لم يجب طلبها باحترام الكيان الكنسى المصرى فى اثيوبيا .

ثم قرر جراز يانى أن يسافر رجل الله الى رومية ليقابل موسولينى (١) هناك . فقال له : « إن كان لابد من سفرى فإنى أصر على نزولى بمصر أولاً لمقابلة رئيسى قداسة البابا الاسكندرى » . وعلى الرغم من إلحاحه وإصراره فقد رفضوا طلبه رفضاً باتاً . ولما ركب الباخرة التى ستقله الى ايطاليا كان معه عليها الرجل الذى كان السفير الايطالى فى أديس أبابا قبل الغزو مباشرة . وحين أخذوه الى الغرفة التى أفردوها له طلب أن يرى غرفة السفير فوجدها جناحاً

(١) كان موسولينى رئيس الوزارة ولكنه ظل يستأثر بالسلطة تدريجيا الى أن جعل من الملك مجرد صورة أمامه ، وأقام من نفسه كاثوراً . ثم انتزع من الملك لقب « دوتشى » ، وهو أكبر لقب بعد الأمراء .

يحتوى على غرفة نوم وصالون وحمام . فقال فى توكيد : « أحضروا حقيبتى الى هنا وخذوا حقائب السفير هناك » . أجابوه : « ولكنه سفير » . فرد عليهم مؤكداً بشدة : « إنه سفير لملك أرضى . أما أنا فإنى سفير لملك السماء والأرض ! » ولذهولهم أمامه أحضروا له حقيبته وفتشوا للسفير على غرفة غيرها . لأنهم رأوا أن الغرفة التى كانوا قد احتجزوها للمطران الوقور لا تليق بمقام السفير !

وهنا ليقف القارىء و يتعجب . فهذا الزاهد الذى أعلن أمام الإغراءات العالمية أنه يستطيع أن ينام على الأرض الجرداء وأن يتغطى برزقة السماء هو بعينه الذى رفض الغرفة الصغيرة أمام الجناح الفخم المعد للسفير . وهذا هو بالضبط ما عمل به وعلمه كبار النساك . فهم علموا تلاميذهم فضيلة الفرز ــ ومعناها أن تعرف مع من تتكبر ومع من تتواضع . فبر يق العالم لم ينسه تواضعه . أما تشامخ الحكام فجعله يعلن كرامة الكهنوت الذى ناله من رب الكنيسة .

وحينما وصلت السفينة الى السو يس رفض المسئولون طلبه المتكرر فى أن ينزل ليقابل قداسة البابا . وأمام عجزه عن بلوغ هدفه طلب اليهم أن يدعوا سكرتيره ينزل ، فقبلوا هذا الطلب . ونزل السكرتير يحمل رسالة أبيه الروحى ليوصلها الى البابا يؤنس . و بذلك عرف المسئولون جميعا : كهنة وأراخنة وأيضا رجال الدولة بآخر تطورات الموقف .

ولقد احتجّ جراز يانى وقادة جيشه بضرورة سفر رجل الله الى رومية بأن صحته تستلزم العلاج الدقيق الذى لن يستطيع الحصول عليه فى اثيوبيا . ذلك أنه كان قد حدث أن أراد الايطاليون إعلان سطوتهم بطر يقة ظنوا أنها ترهب الاثيوبيين . فأقاموا حفلة استعراض عسكرى أرغموا الأنبا كيرلس على حضوره . فكان رد الفعل أن ألقى الاثيوبيون عدداً من القنابل الشديدة الانفجار وسط هذا الاستعراض و بالطبع تطايرت الشظايا فى كل ناحية فأصابت رجل الله كما أصابت جراز يانى نفسه . وقد أغمى على المطران الوقور فنقلوه الى دار المطرانية فاقد الوعى . ولم يفق من إغمائه إلا قرب الغروب . وعندها صدر الأمر بنقله الى المستشفى الإيطالى . وخلال علاجه أوعزوا الى الطبيب الألمانى أن يقضى عليه ، ولكنه رفض وعالجه بدقة و بضمير صاح الي أن شفى . ( وهو الذى أبلغ نيافة المطران بذلك ) . ونتيجة لهذه الإصابات ظل الى آخر حياته لا يستطيع أن يطبق أصابع يمناه ولا أن يثنى ركبتيه .

ولما وصلت السفينة الى ميناء نابولى وجد وفداً حكوميا رسميا فى انتظاره . وحالما أوصلوه الى الفندق جاء طبيب ليعوده . و بعد يومين صدرت الأوامر بالذهاب الى رومية . و يبدو أنهم كانوا قد تعلموا الدرس ، فأعدوا لنزوله مكاناً فخما . وهناك أيضا جاءه طبيب . و بعد فحصه أفهم ولاة الأمور بوجوب نقله الى مصحة . ومع أن المسئولين وافقوا الطبيب إلا أن رجل الله رفض ذلك . فنقلوه الى فندق أكثر فخامة من الأول . وظل الطبيب يعوده من وقت الى آخر .

ولما وجدوا أن صحته قد تحسنت حددوا له موعداً لمقابلة موسولينى . فاستقبله فى بادىء الأمر بشدة وعنف زعماً منه أنه يستطيع إرهابه ! ولكن هيهات لرجل الحديد والنار أن يهز ( ولو شعرة ) ذلك العائش فى الله . وكان وزير المستعمرات الى جانب الدوتشى . وأمام الهدوء والاتزان البادين على وجه نيافة المطران صمت رئيس الحكومة ووزيره فترة . ثم سأله : « ما السبب فى مجيئك الىّ ؟ » أجاب : « لقد دعانى رجالك فى اثيوبيا للمجىء اليك لأعرض مشكلة الكنيسة الحبشية على مسامعك . وأفهمونى أن الحل فى يديك وحدك . « لقد تعارفنا اليوم وكفى . وان شاء الله نتحدث فى هذا الموضوع فيما بعد » .

ثم توالى عليه رسل الدوتشى يوماً بعد يوم ، ومحور حديثهم انفصال الكنيسة الاثيوبية عن الكنيسة القبطية . وعلى الرغم من استمرارهم فى هذا الإلحاح ظل يرفض فى إصرارٍ وتوكيد .

وبعد كل هذه المحاولات جاءته دعوة من الدوتشى لحضور حفلة فى دار المجلس الفاشستى (١) الأعلى . ولما وصل وجد الحرس مصطفاً على جانبى المدخل من باب الحديقة الى باب قلعة الاجتماع شاكى السلاح (٢) ، بينما عزف زملاؤهم السلام الملكى الايطالى . وبدأ الاجتماع بالخطب الرنانة ترحيبا بقدوم الرئيس الدينى الأعلى للاثيوبيين . وبعد الخطب والتصوير ألحوا عليه فى أن يلقى كلمة . فقال ــ بعد التحية ــ « لقد جئت الى هنا بناء على دعوة من الحكومة الايطالية لحل مشاكل الكنيسة الحبشية القائمة الآن . وفى الوقت عينه أنا أحمل وعداً من نائب الملك فى أديس أبابا بحل هذه المشاكل . فأرجو أن تعمل الحكومة الايطالية على تنفيذ هذا الوعد بصيانة العبادة فى الكنيسة الحبشية ، وأن تتيح لها حرية التصرف فى شئونها الدينية ، فلا دخل للكنيسة فى السياسة ، ولا يجب أن تدخل السياسة فى شئون الكنيسة . هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى لا يمكننى أن أوافق إطلاقاً على انفصال كنيسة اثيوبيا عن الكنيسة المصرية لأن اتصالها قديم العهد . واننى أقرر الآن ما سبق أن قلته لنائب الملك ولوزير المستعمرات فى أديس أبابا وهو أننى لن أخون الأمانة التى أودِعت الىّ من قبل رئاسة الكنيسة القبطية . واننى مازلت متمسكا بهذه العلاقة الوطيدة التى ظلت ثابتة مدى العصور الغابرة .... » وما كاد رجل الله يصل الى هذه الكلمات حتى انفض الاجتماع ، وأطفئت الأنوار ، وخرج الجميع من غير أن يكلفوا نفوسهم تحيته ! وهكذا عاد الى مقر إقامته مع من عينوا لمرافقته وحدهم .

---

(١) الفاشستية نوع من الحكم السياسى معناه تسليم القيادة لشخص واحد وتذويب الفرد فى الدولة . وأول من بدأه فى القرن العشرين كان موسولينى فى ايطاليا . وشعاره مجموعة من الحطب يتوسطها فأس .

(٢) وهذا معناه أن كل حارس يرفع سيفه الى فوق مائلا الى الأمام بحيث يتلامس طرف سيفه مع طرف سيف زميله المقابل له فيؤلف ما يشبه العدد ٨ ، وهكذا بمر الشخص المراد تكريمه تحت « بواكى » من السيوف .



ثم وصل الى مسامعه أنهم بيّتوا النية على إعادته الى اثيوبيا ليمثلوا به كالذى فعلوه ضد كل رجال الدين الاثيوبيين الذين رفضوا أن يحنوا لهم رؤوسهم . وعلى ذلك طلب مقابلة الوزير المفوض المصرى ــ وكان آنذاك مصطفى بك الصادق ــ ولما قابله أبلغه بكل ما سمع وطلب اليه تسهيل عودته الى مصر . فاستجاب الوزير المفوض طلبه على الفور . وجرت مفاوضات بين الحكومتين نتج عنها عودة المطران الوقور الى وطنه العزيز . وبعد أن وصل بأيام رفع الى قداسة البابا تقريراً مفصلا بكل الأحداث التى جرت منذ أن دخل الجيش الايطالى العاصمة الاثيوبية (١) .

.... عاد الشهيد بغير سفك دم . أو حامل المصباح كما دعاه خدام مدارس الأحد بكنيسة السيدة العذراء بالمهمشة . عاد مكللا بالنصر على الإغراءات والتهديدات . فكيف قابله « أهل بيته » ؟ .... إنهم استقبلوه بوابل من المطاعن والافتراءات أشد فتكاً من قنابل الأعداء ! ولو لم يكن المطران الوقور مرتكناً على صخر الدهور لانهارت معنوياته . اذ قد انطبق عليه قول رب المجد « ... ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه » . لأن المسئولين فى الكنيسة تجاهلوه كأنه مازال غائبا عن مصر ! بينما بدأ أصحاب الأغراض يروجون ضده الأقاويل و يكيلون له الاتهامات . فهو تارة جاهل غير جدير برعاية شعب بأسره ، وهو أخرى قد اكتنز لنفسه ثروة ضخمة ، والامر من هذا وذاك أنه تواطأ مع الأعداء الايطاليين ضد شعبه !!! ولم يكتفوا بالأقوال بل نشروا المقالات فى مختلف الجرائد والمجلات القبطية !

وبينما تبارى المغرضون فى هذا الميدان كانت السفارة الايطالية تعمل ما فى وسعها لعلها تنجح حيث فشل جرازيانى وموسولينى . كان البطل مقيما آنذاك بالشقة التى كان قد أعدها البابا الوقور كيرلس الخامس فى الطابق الأعلى من المبنى الملحق بالكلية الاكليريكية بالمهمشة . فكان السفير يرسل له كل بعد ظهر سيارة فخمة ، يصحب سائقها شاب من أولئك الشباب الايطاليين اللبقين الأنيقين يجيد التكلم بالعربية ، فيصعد هذا الشاب الى فوق ، وبانحناءة كلها كياسة يقول : « جئت الى نيافتكم فى سيارة يمكنكم أن تعرفوا فخامتها لو تكرمتم بالتطلع من النافذة . وأنا وسائقها فى خدمتكم . نوصلكم حيثما شئتم دون قيد ولا شرط » . فيشكره رجل الله بابتسامة هادئة ويخبره بأنه لا يريد الذهاب الى أى مكان . وظل السفير يرسل رسوله يوميا بلا استثناء مدة سنة كاملة ! ومقابل هذا الإغراء المستمر ظلت المناشير القبطية تنشر فى سمعة هذا القديس المجاهد الذى صيغ فى قالب أثناسيوس الرسولى . وخلال الإغراءات من جهة

---

(١) مجلة الايمان ــ العدد الرابع للسنة الحادية والعشرين ــ كيهك سنة ١٦٦٨ ( ديسمبر سنة ١٩٥١ ) ص ١٧٩ ــ ١٨٧ .

والاتهامات من الجهة الأخرى ظل رجل الله صامتاً صمتاً تاما ! ... « أما هو فلم يفتح فاه » (١) كسيده ومخلصه .

ولما ضاق الايطاليون ذرعاً به كفوا عن محاولاتهم وقبلوا الفشل . أما القبط فقد ظلت ألسنتهم مشحوذة وأقلامهم مسنونة ! وكأنه لم يعد لهم عمل أو خدمة غير إيذاء البطل الصامت ! وظن البعض أن يستثير كلمة منه فأطلق عليه تسميته « أبو الهول » .

وذات مساء ظهر مقال فى جريدة مصر لاذع الى حد أن المؤلفة لم تستطع الصمت . ومن غير استئذان أرسلت رداً عليه . ومن العجب أن كاتب المقال الأول أخذ العددين وذهب بهما الى المطران الوقور وتجاسر على أن يقرأهما له بنفسه . فلما انتهى اكتفى الأنبا كيرلس بقوله : « الحمد لله الذى أقام بنتا للرد عليكم » . ثم صمت . وخرج الصحفى دون أن يظفر بكلمة أخرى منه .

كذلك حدث أن احتج بعض مريديه على صمته التام ، وبدالة البنوة ألحوا عليه فى أن ينشر ولو مقالاً واحداً . أجابهم : « احنا بنعمل لربنا ولاّ للناس ؟ والله سيظهر الحق فى حينه » . وظل على صمته .

وكان أحباؤه يذهبون لزيارته ــ كلما أمكن ــ فى المساء ، بعد أن يكون قد صلى صلاة الغروب ، لأنهم . كانوا آنذاك يختبرون ما اختبره بنو اسرائيل قديما حينما كانوا لايستطيعون التفرس فى وجه موسى لما يسطع منه من نور . فالنور الإلهى لم يكن يسطع من وجه المطران الوقور فقط بل كان يشع حتى من ثيابه على الرغم من سوادها ! وكانت رائحة المسيح الزكية تملأ الحجرة حيث هم محيطون به .

وحينما كان يصلى القداس الإلهى لا يذهب إلا الى الكنائس القائمة وسط الأحياء المتواضعة ، كما كان يرفض الإعلان عن إقامته الصلاة . وفى هذا أيضا عجز محبوه عن إقناعه بتغيير خطته : فهو يصلى الى الله عن الناس ، ولا داعى للظهور والتباهى . وفى الهيكل كان يقف طوال القداس على الرغم من ضعفه الجسمى ومن الشظايا التى أصابته فأعجزته عن السجود . ثم هو يغطى وجهه « بالشملة » الملفوفة حول رأسه الى حد أنه لايرى المحيطين به ، بل ولا يرى من يعطيهم الجسد المقدس عند التناول . ولكن هذه التغطية لم تمنع القريبين منه من أن يروا الدموع المتساقطة المنسابة على خديه ولحيته البيضاء وحتى الى الأرض . حقا لقد كان الحضور أثناء صلواته الخاشعة الصادرة عن عمق قلبه الكسير متعة روحية لا يمكن التعبير عنها بأى لسان : فقد كان يصعد بأرواح الحاضرين معه فيجعلهم يعيشون خلال صلواته فى السماء .

(١) أشعياء ٥٣ : ٧



وفى أوائل سنة ١٩٣٨ اعتزم حبيب جرجس أن يصدر كتاباً بمناسبة مرور خمس وأربعين سنة على تأسيس الاكليريكية . فطلب الى بعض الآباء المطارنة أن يكتب كل منهم كلمة يضمها هذا الكتاب . فكتب له المطران الوقور الكلمة التالية :

جناب المحترم الفاضل الاستاذ حبيب جرجس بعد إهدائكم سلامى الروحى باحترامى القلبى ،

بمناسبة عزمكم على نشر كتاب لمضى ٤٥ عاماً على تأسيس المدرسة الاكليريكية ، بكل سرور أكتب إليكم كلمتى هذه ، معبراً عما لهذه المدرسة من الفضل العظيم فى نهضة كنيستنا القبطية ، ذات المجد التالد . فكما أن القلب فى جسم الأنسان ، ينقى الدم و يوزعه على جميع أعضاء الجسم ، بواسطة العروق والشرايين فيملأ الجسم حياة وقوة ، هكذا المدرسة الاكليريكية توزع على الكنيسة خداماً غيورين من مقتدرين من رعاة ووعاظ ، فينقوا الكنيسة من التعاليم الغريبة التى يبثها فيها الغرباء عنها ، مجددين النشاط الروحى فى قلوب الشعب حاثينهم على مسالمة جميع الناس بقدر الطاقة حسب تعاليم ربنا يسوع المسيح .

ولا غرابة فى ذلك فقد كانت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية قديماً مصباح الكنيسة المضىء ، إذ تخرج منها علماء الكنيسة وفلاسفتها الأبطال الذين صمدوا أمام تجارب الأعداء وجاهدوا فى سبيل رفع علم الكنيسة عالياً .

والمدرسة الاكليريكية بدورها الآن خرجت وتخرج للكنيسة خداماً أمناء مقتدرين أدوا و يؤدون للكنيسة خدمات جليلة تستحق الاعتبار والتقدير .

إذن على المدرسة الاكليريكية تتوقف حياة الكنيسة . فلنحافظ عليها ولتتضافر جميع جهود الشعب ، رؤساء ومرؤسين ، لمساعدتها بكافة الطرق التى تمكنها من تأدية رسالتها الحية المقروءة من الجميع . هذا ولا ننسى الجهود الجبارة التى بذلها حضرة المربى الكبير الأستاذ الفاضل حبيب جرجس مدير المدرسة فهى جديرة بعظيم الاعتبار والتقدير .

نسأله تعالى أن يكلل جميع الاعمال المؤدية لخدمة الكنيسة بالفلاح والنجاح إنه السميع المجيب .

واقبلوا فائق احترامى بصالح دعائى ،

القاهرة فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٣٨

كيرلس

مطران اثيوبيا (١)

(١) عن كتاب « المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر » ــ صدر فى ٢٠ هاتور سنة ١٦٥٥ ( ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ) ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠

ومع مشاغله الكثيرة، ومع الهموم التى تراكمت عليه، لم ينس قط أنه هدف من البداية الى الابتعاد عن العالم. فكان يختفى أسبوعاً من كل سنة يعيشه فى خلوة مع ربه ليغسل عن نفسه ما يكون قد علق بها من أدران الاحتكاك بالعالم. وكان لا يعرف أحد عن مكان خلوته إلا أقرب المقربين اليه. وهؤلاء كانوا يحفظون السرية التامة و يرفضون الإجابة عن أى سؤال خاص بأبيهم الروحى فى هذه الفترة. وعندما كان يعود كان جميع الذين يرونه يجدونه يسطع بالنور الإلهى بطريقة غاية فى العجب يبهرون أمامها. وبهذا الامتلاء السنوى كان يحصن نفسه الجريحة فتتحمل كل الهجمات بالهدوء والصمت التام. حقاً إن التسمية التى أطلقها خصومه عليه كنوع من السخرية «أبو الهول» كانت صورة رائعة لذلك الشهيد البطل الصامد الصامت صمود أبى الهول وصمته فى عظمة وجلال مذهلين.

كذلك لم يُنسِه بريق العالم وانحناءات الملوك والأمراء أمامه تلك القرية الصغيرة المتواضعة القابعة فى أعماق الصعيد — قرية دير النغاميش — التى عاش فيها طفولته السعيدة. فبنى على قطعة من الأرض مجاورة لسكنى الكهنة كنيسة «لطيفة» (١) على اسم السيدة العذراء. إلا أن العناية الالهية لم تمهله ليكملها. فاستكملها من بعده القس جاورجى الجبلى (٢) الذى كان سكرتيره فى اثيوبيا والذى ظل يخدمه الى أن رسم كاهناً مساعداً لأبيه القمص جرجس

وهكذا مرت السنون العجاف. صخب وتشويش ومهاجمات من جانب، وسكينة ووقار من الجانب الآخر. إنه تلميذ أعطى ولاءه الكامل لذلك الحمل الصامت أمام جازّيه. ومما ضاعف قدره (لو كان هذا ممكنا) أمام محبيه أنه كان يلتمس العذر لمهاجميه. فكم من مرة قال رداً على ثورة المخلصين له: «معذورين. مش شايفين غير الكرسى المذهب الفخم الموضوع عن يمين الامبراطور. ومش دريانين باللى وراه!»

(١) استعمل الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين هذا التعبير فى كتابه «تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية» — انظر حـ ٣ ف ١٦ من هذا الكتاب

(٢) حينما ترك نصحى القمص سكرتيرية الأنبا كيرلس ليصبح كاهناً لأهل قريته، حلّ أخوه صبحى محله فى خدمة المطران الوقور وهما من عائلة مباركة للغاية تسلّم رجالها الكهنوت ابنا عن أب لعدة أجيال. ولشدة حبهم للكنيسة وتقديرهم لتعاليمها فإن الذين نشأوا منها بعد قيام الاكليريكية دخلوها وتعلموا فيها ونالوا دبلومها. فتسلموا الكهنوت بالوراثة و بالعلم معاً. وكان القس جاورجى أحد هؤلاء الذين سرت التعاليم الأرثوذكسية فى دمائهم ثم دعموا سريانها بالدراسة. وقد جمع بين الكهنوت و بين رياسة المدرسة الأولية الملحقة بكنيسة السيدة العذراء والتى كانت إحدى المدارس المرتبطة بجمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة. ومن أبدع الشهادات عن أبينا جاورجى أن أحد المفتشين (الذين هم من خارج) لم يشهد بكفاءته العلمية والإدارية فحسب بل أضاف كذلك أنه رجل روحانى. وفى الوقت الحاضر حل ابنه القس ديمتريوس محله فى الخدمة الروحية والتعليمية — وهو أيضا قد نال دبلوم الاكليريكية. لأن المراحم الالهية شاءت انتقال القس جاورجى الى الفردوس بعد انتقال المطران الوقور بخمس سنوات.



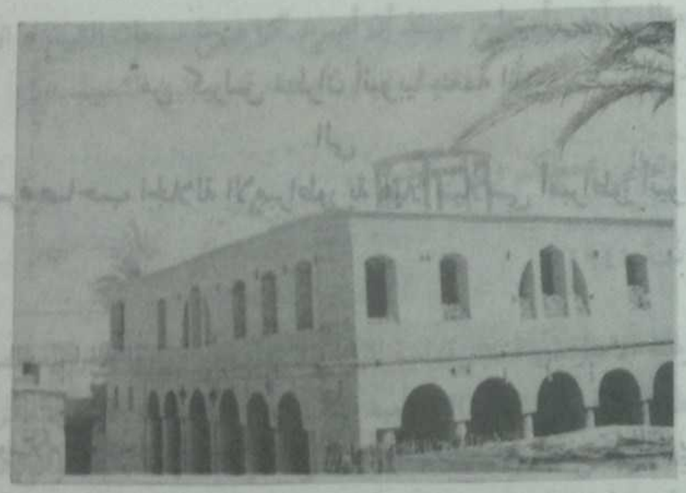

كنيسة السيدة العذراء
التى بدا بتشييدها حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا كيرلس الخامس المطران الحادى عشر بعد المئة من مطارنة كنيسة اثيوبيا (يوم الأحد ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ — الى يوم الأحد ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠)

ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها سنة ١٩٤٢، وفيها هزم الايطاليون هزيمة نكراء. فاضطرتهم دول الغرب (وهى الدول المنتصرة) الى الانسحاب من اثيوبيا. وكان الرأى العام العالمى قد اهتز كله بنداءات هيلاسلاسى. فلما تنفس الاثيوبيون الصعداء بزوال الطغاة الايطاليين عاد الامبراطور وأسرته الى وطنهم المتحرر، كما عاد الأمراء: كل من منفاه المختار، والتأم شملهم بعد شتات. وحالما وصل العاهل الاثيوبى الى عاصمته سأل عن الأنبا كيرلس، وعلم بكل ما جرى. فأرسل وفداً على طائرة خاصة الى القاهرة يطلب الى الكنيسة والى وزارة الخارجية المصرية السماح له بالعودة لأن شعبه يريده.

وما إن ذاع هذا الخبر حتى ساد العظماء والكبراء فى توافدهم للسؤال عنه. وذات مرة قال لهؤلاء المسارعين اليه: «لى ست سنوات فى هذا المكان — أفلم تعرفوا الطريق اليه الا اليوم؟» قال هذه الكلمات بهدوئه المعتاد و بابتسامته الحلوة. وطبعا لم يُجِرْ أحد جوابا. وطبعا سكتت الألسنة المسنونة وتبخرت الملاحظات القاسية. وهذه سُنّة العالم: أليس الامبراطور نفسه هو الذى بعث يطلب الرجل الذى ظنوه قد فقد مكانته نهائيا؟! ومادام هو مطلب الملك والأمراء وجب الاستفسار عنه! وهنا عبرة لمن يعتبر: فالذين يجرون وراء بريق العالم لامكان للشهداء فى قلوبهم مهما عظمت بطولة هؤلاء الشهداء.

وفى هذه الفترة المكهربة بالتوقع والاستبشار بعث المطران الوقور بالرسالة التالية:

**من كيرلس مطران أثيوبيا بنعمة الله**
**الى**
**حضرة صاحب الجلالة الامبراطورية هيلا سيلاسى أمبراطور أثيوبيا**

أبتنا الحبيب صاحب الجلالة

نعمة وسلام . ولتحل عليكم العناية الصمدانية وتظللكم بأجنحتها القوية .

هذا وأننا بفرح عظيم قد تلقينا رسالة جلالتكم التلغرافية . على أننا هنا يوما فيوما بل ساعة فساعة نتابع المراحل المختلفة لذلك الجهاد المقدس الذى تقومون به لإنقاذ شعبكم وتحريره . ولم نشك لحظة فى أن ساعة العدالة آتية وأنه سيطلع على الشعب الأثيوبى النبيل فجر جديد من المجد والرخاء والعظمة فى ظل مولاه العظيم وبفضل ثباته الذى لا يغلب وأيمانه الذى لا يتزعزع . فلم يخب رجاؤنا واستجاب الله الى صلواتنا .

وأننا لننتظر فى صبر ولكن فى ثقة تامة برحمة سيدنا يسوع المسيح واعتقاد راسخ بمصائر أثيوبيا يوم الخلاص الكامل وعودة السلام وجفاف الدموع ونسيان شقاء الماضى وآلامه . ننتظر فى صلاة حارة متواصلة وابتهال لا ينقطع نوجهه الى ذلك الذى صلب على خشبة الصليب لكى يحمل آلام البشر أن تصبح الحالة العسكرية وحالة المواصلات بحيث تسمح أخيرا الى ابنتنا المحبوبة حضرة صاحبة الجلالة الأمبراطورة وباقى أعضاء أسرتكم العظيمة باللحاق بكم . فأن الصلاة التى تنبعث ليلا ونهارا من أعماق قلبنا الأبوى وأيماننا المسيحى تتجه الى الله لكى يجىء اليوم القريب الذى يجتمع فيه شملكم جميعا فى سلام فى عاصمة ملككم بعد الفراق الاليم وبعد المحن القاسية التى مرت عليكم فى السنوات الأخيرة . وفى ذلك اليوم ستسكب دموع ولكنها تكون دموع الفرح والعزاء . ومن جميع الصدور التى خف حملها ستصعد نحو المخلص صلوات الدعاء والشكر . أما أنا أبوكم فى الرب فأن أعز أمنية لى هى أن أكون فى ذلك اليوم معكم وفى وسط أبنائى المباركين شعب أثيوبيا حيث أقيم بحضوركم صلاة القداس المقدسة وحيث نركع جميعا معا شكرا لله وتمجيدا لاسمه فى عظيم رحمته مبتهلين اليه أن يحمى أثيوبيا وامبراطورها وأن يأسو جراحها . وهذا اليوم الذى أنتظره بشوق عظيم والذى سيأتى قريبا بنعمة الله سيكون يا صاحب الجلالة الى جانب ذلك اليوم الآخر الذى أسعدنى فيه الرب بمسح جلالتكم أمبراطورا على أثيوبيا أسعد يومين فى حياتى . وحين تتم الصلاة وحين يستجيب الله الى دعائى فيحقق هذه الأمنية لن



يعود لى فى الحياة مطلب آخر وأستطيع حينئذ أن أصرخ كما صرخ سمعان الشيخ « الآن ياسيد تطلق نفسى بسلام لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب » .

والله سبحانه وتعالى يحفظكم و يباركم ،،،

فى ٢٤ يونيو سنة ١٩٤١

واستجابةً لرغبة الامبراطور اختار قداسة البابا بالاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية وفداً قبطيا ليرافق المطران الوقور فى سفره الى شعبه الاثيوبى . فعاد البطل الشهيد مكرما معززاً . ومنحته الإرادة الإلهية فترة من الهدوء لالتقاط أنفاسه مرة أخرى تسليحاً له لما سيأتى عليه . ومرة أخرى انحنى الملوك والأمراء أمامه وقبلوا يديه فى خضوع طالبين بركته وصلواته .

على أن الهدوء لم يدم غير سنتين ! فالاثيوبيون كانت لهم رغبات طالبوا بها المرة تلو المرة فى إلحاح متعب . وفى يونيو سنة ١٩٤٤ أرسل البابا مكاريوس الثالث الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية على رأس وفد لمقابلة هيلاسلاسى والتفاوض معه بشأنها (١) . وبينما الراعى الأول يسعى الى التفاهم مع أولاده الاثيوبيين لإيجاد حل يرضى الجميع ، عاود المغرضون ترويج أراجيفهم زعماً منهم أنهم إن أسقطوه يستطيعون إحلال واحد منهم مكانه . ولكن الواقع الأليم أن مسلكهم هو الذى أدى فى النهاية الى انفصال الكنيسة الاثيوبية عن الكنيسة القبطية . فقد نتج عن مسلكهم الشائن اضطرار رجل الله للعودة الى مصر مرة أخرى . وفى هذه المرة ظل فيها الى أن لفظ آخر أنفاسه . ولم يقبل الاثيوبيون بديلا قبطيا عنه : لا فى حياته ولا بعد مماته . وخلفه اثيوبى جاء الى القاهرة ليرسمه البابا الاسكندرى . ولكنهم — بعد ذلك — استغنوا حتى عن نوال الرسامة من يدى الخليفة المرقسى . فالسهم الذى أطلقوه الى قلب الأنبا كيرلس اخترقه وجاز منه لينغرس فى قلب الكنيسة الأم . لقد فشل الايطاليون فى أن يفصلوا بين الكنيستين الاثيوبية والقبطية لأن بطلا لم يرهب الموت جعل من نفسه الدرع الواقى لهذه الصلة القديمة . فلما اندفع بعض القبط وراء أغراضهم الخاصة وقتلوا هذا البطل أسقطوا معه الدرع وفصموا العروة التى حرص على توثيقها الآباء من عهد الأنبا أثناسيوس الرسولى الى عهد الأنبا مكاريوس الثالث . فجاء قول الشاعر :

كانت لنا من كرام الناس أجداد  شادوا ولكنا هدمنا كل ما شادوا

وصفاً موجعا لحقيقة ما أصاب كنيسة مصر بسببهم .

---

(١) راجع ف ٦٨ من هذا الكتاب ، وعلى الأخص الجزء الأخير منها

ومهما قلنا عن الأنبا كيرلس ـ مطران اثيوبيا البطل الشهيد ـ فما ذلك إلا محاولة تتضاءل أمام واقعيته . لأن بطولته الاستشهادية بطولة فريدة : إنه صمد فى وجه الأعداء وتحمل مكايدهم واغراءاتهم كما صمد غيره من الشهداء ، ولكنه فى الوقت عينه صمد فى وجه من كان ينبغى أن يكونوا له إخوة مساندين فكانوا خصوما معاندين . وصموده فى الحالتين صمود الرزانة والصمت والوقار....

وحينما وجد أنه مضطر الى البقاء فى مصر كان يعيش فى القاهرة بعض الوقت ويمضى البعض الآخر فى قريته بين أهله وعشيرته الذين أحبوه حبا خالصا . فكانت محبتهم الصافية بلسماً لجراحاته : هذه الجراحات التى كلما قاربت أن تندمل انغرس فيها سهم جديد فعادت تقطر دما . واذ نتأمل صبره واحتماله فى تعجب نسمع كلمات أرميا النبى تتردد فى أعماقنا وتتجاوب أصداؤها على الرغم منا : «أبرّ أنت يارب من أن أخاصمك . لكن أكلمك من جهة أحكامك . لماذا تنجح طريق الأشرار.... غرستهم فتأصلوا... أنت قريب من فمهم وبعيد من كلاهم . وأنت يارب عرفتنى . رأيتنى . اختبرت قلبى من جهتك .... لأن إخوتك أنفسهم وبيت أبيك قد غادروك هم أيضا ....» (١)

ومن نعمة الله علىّ أنه منحنى مكاتبة هذا القديس الصبور الذى كان يجيب دائما على ما أرسله اليه من خطابات كما يتضح من الرد التالى :

**الدير شرق الخيام ـ فى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٩**

حضرة الابنه المباركة الفاضله المحترمه

الانسه ايريس حبيب باشا باركها الرب

بعد إهدائك السلام الروحى مشفوعاً بصالح الدعوات ووافر البركات متمنياً لك ولجميعكم تمام الصحة بكل سرور وهنا .

وصلنى خطابك معبراً عن سلامتكم جميعاً فسررت لذلك دمتم سالمين .

تكرمتِ بالسؤال عن صحتنا فنشكر بنوتك على هذا التكرم بحمد الرب وشكره صحتنا أحسن ادام الله صحتك . اما عن ما جاء بخطابك عن مقابلتى أولى أمر المدارس بخصوص ما تحادثنا عنه مع حضرتك مرات كثيرة لتكن يد الرب معك فى أجابة كل طلباتك . سلامى

(١) أرما ١٢ : ١ ـ ٦ ، « وغادروك » هنا معناها : تمردوا بك



بالبركة لكل افراد أسرتك المباركة وبالأخص حضرتى الوالدين المحترمين نعمة الرب تشمل جميعكم وسلامه يكون معكم والشكر لمراحمه فى كل حين

وفى الأسبوع الأخير من حياته تقرر إدخاله المستشفى القبطى لوضعه تحت علاج منظم . فنزل على رأى أحبائه وذهب . على أن العناية الالهية قد شاءت أن تقصّر أيام ضعفه وحاجته الى العلاج الإنسانى فنقلته من هذا العالم الى الأخدار السماوية صباح الأحد ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، فطارت روحه الى العلا على أنغام الألحان الكنسية التى عاش يترنم بها طيلة حياته . فحق عليه قول الرائى : « ... طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن . نعم يقول الروح لكى يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم (١) » .

وإن كل من تعزّى قلبه برؤيته وهو راقد رقدته الأخيرة رأى ابتسامة مشرقة تضىء وجه هذه النفس التى ظلت صابرة صامته الى المنتهى (٢) .

ومن عجب أن يكون يوم نياحة هذا القديس هو اليوم عينه الذى استشهد فيه القديس متى الرسول الذى كان أول من ذهب الى اثيوبيا لتبشير أهلها . وأن يكون اليوم الثالث لانتقاله هو اليوم الذى تنيح فيه القديس فيلبس أحد الشمامسة السبعة ، الذى عمد رجلا حبشيا كان خصياً لكنداكة ملكة الحبشة وأميناً لخزائنها ( أعمال ٨ : ٢٦ ـ ٣٩ ) .

وأن يكون اليوم الأربعين لنياحته هو نفس اليوم الذى تنيح فيه القديس غريغوريوس وبين حياتيهما شبه عظيم ، فقد رسم غريغوريوس أسقفا بالرغم منه ، وكذلك قبضوا على القمص سيداروس الأنطونى ورسموه بالرغم منه مطرانا ورئيساً لأساقفة المملكة الأثيوبية باسم الأنبا كيرلس الخامس ، وكما كان غريغوريوس كثير العجائب كذلك كان كيرلس يصنع كثيراً من المعجزات . بركة صلاتهما فلتكن معنا آمين .

(١) رؤيا ١٤ : ١٣

(٢) عن كتاب « الأنبا كيرلس رئيس أساقفة الكنيسة الاثيوبية » لأسرة مدارس الأحد بالمهمشة اشترك فى كتابته كل من : جورج شحاته ، نصحى القمص ( القس جاورجى الجبلى فيما بعد ) وأخوه صبحى القمص جرجس ، ادوار فرج ، ميخائيل مطر ، وهؤلاء من خدام كنيسة السيدة العذراء بمهمشة ، متواضع يعقوب شنودة من أعيان بهجورة ، نصيف مجلع وكيل بنك باركليز بالبلينا ، أنيس اسكاروس من الخدام ببهجورة ، أحد كهنة مصر القديمة كثيراً ما كان يلازمه الى بهجورة وقد رفض ذكر اسمه ، ايريس حبيب المصرى . وقد تضمن الكتاب التقرير الذى رفعه نيافة المطران الوقور الى قداسة البابا .

طبع بالمطبعة التجارية الحديثة بالسكاكينى ـ القاهرة سنة ١٩٥١ .

## حقيقة

ومن العجيب حقاً أننا عندما قمنا بزيارة أحد الرهبان الأتقياء المرافقين للبعثة الأثيوبية الموفدة إلى الكلية الإكليريكية القبطية وهو الراهب ( أبا والدهاواريات ) ليحدثنا عن مكانة القديس الراحل بين أبنائه بأثيوبيا قال «قبل كل شيء أحب أن أذكر إخوانى المصريين أن ابانا الكبير القديس كيرلس لم يكن مصرياً فحسب ولكنه كان أثيوبياً أيضاً إذ أنه كان مصرياً مدة إقامته بمصر أثيوبياً فى الامبراطورية الأثيوبية .

ولقد كنا جميعاً وعلى رأسنا جلالة الامبراطورة والامبراطور فى أشد الحاجة إلى رعايته وقداسته وفى أحر الأشواق إلى عودته إلى بلادنا . ولعله ليس بسر ما أقوله لكم من أن جلالة الامبراطور والامبراطورة قد أكدا على صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد أن يعود من مصر بعد رحلته الأخيرة إلى أوروبا ومعه رئيس أساقفتنا الأنبا كيرلس . وإنى أعجب من هذه التصرفات الجريئة التى كانت تصدر من بعض إخوانكم بمصر ، أقل ما يوصفوا به أنهم ليسوا أبناء المسيح عندما كانوا يشيعون الشائعة تلو الأخرى أن الشعب الأثيوبى لا يحب أبانا الكبير ــ الأنبا كيرلس ــ وأن حضور قداسته إلى الدار البطريركية لتحية سمو الأمير ولى العهد عند مروره بمصر فى رحلته إلى أوربا يعكر صفو الجو والمفاوضات والاتفاقيات بين الكنيستين . أقول إن نظرة واحدة فى ذلك اليوم إلى الانحناءة العريضة من سمو الأمير أمام قداسته والقبلة الحارة التى قبّل بها سموه أباه الكبير ــ الأنبا كيرلس ــ لكفيلة بأن تبدد كل ظلمة يحاول أن ينشرها إخوان السوء ليشوهوا بها حبنا وتقديرنا واحترامنا لرئيس أساقفتنا . ثم لماذا نذهب بعيداً ألم تصلكم الأنباء على صفحات الصحف عن الحزن العميق الذى ساد بلادنا عندما وافتنا الأخبار بنبأ نياحته .. ها هم جلالة الامبراطورة وجلالة الامبراطور وأفراد الأسرة المالكة يقفون الساعات الطوال على أقدامهم بكنيسة « هولى ترينيتى » فى صلاة منكسرة لنياحة راعيهم وأبيهم الكبير ( الأنبا كيرلس ) .

وهذه هى الكنائس بأثيوبيا تقيم صلاة خاصة منذ اليوم الثامن والعشرين إلى اليوم الأربعين لنياحته ... هذا قليل من كثير مما أريد أن أحدثكم به عن شعورنا نحو أبينا الكبير فلم تكن نياحته خسارة لكم وحدكم ولكنها خسارة كبيرة لنا أيضاً . »

ونحن إذ نسجل هذه الكلمات التى جاءت على لسان أحد أفراد الشعب الأثيوبى نضعها أمام عينيك أيها القارىء العزيز لعلك تفهم شيئاً جديداً ..

ومادام الحديث قد تناول لمحة عن حياة رجل الله الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا فمن الجدير



أن نعرف بأن القنصل العام لمصر فى السنوات الخمس الأولى لحبرية هذا المطران القديس كان قبطيا اسمه فرج موسى . وقد استقبله هذا القنصل عند وصوله الى أديس أبابا حينما وصلها لرعاية الشعب الاثيوبى ، كما كان ضمن المشتركين فى تنظيم زيارات قداسة الأنبا يؤنس لمختلف الجهات بتلك البلاد الشقيقة . ولما اضطر الأنبا كيرلس قهراً أن يبقى فى مصر مدة الاحتلال الايطالى لاثيوبيا ثم عاد الامبراطور هيلاسلاسى الى عاصمته وبعث بوفد خاص لاستصحاب نيافته الى عاصمة كرسيه ، كان فرج موسى عضواً بالوفد القبطى الذى عينه قداسة البابا لمرافقة المطران الوقور فى عودته ــ فانضم الوفدان القبطى والاثيوبى وألفّوا معاً المرافقين لنيافته من القاهرة الى أديس أبابا .

والسطور القليلة التالية نشرها أحد الناخبين ترويجا لانتخاب فرج موسى للمجلس الملى .

تخرّج من كلية الحقوق فى سنة ١٩١٦ واشتغل بالمحاماة خمس سنوات تقرر بعدها للمرافعة امام محكمة الاستئناف العليا انتخبته وزارة العدل سنة ١٩٢١ عضواً فى بعثتها العلمية فى انجلترا وحصل على درجة الدكتوراه فى القانون سنة ١٩٢٣ . اهتم بالمسائل الكنسية دائما حتى فى سنى دراسته ، وقد كان أول المنتخبين لعضوية مجلس ملى فرعى مصر فى سنة ١٩٢٣ . وكانت الأصوات التى نالها أكثر من أصوات الثلاثة اعضاء الباقين مجتمعة . ولكنه اعتذر آسفا أشد الأسف لتعيينه ملحقا أول بالسفارة المصرية فى واشنطون . فلما سافر فى ديسمبر سنة ١٩٢٣ قدم استقالته من عضوية المجلس فى ألم شديد .

وتدرج فى وظائف السلكين السياسى والقنصلى فى المدة من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣٩ الى أن عين مديراً لإدارة التعيينات بوزارة الخارجية ثم مديرا لإدارة الشؤون الإدارية بها ثم وزيراً مفوضا لمصر فى اسبانيا . **قضى حوالى سبع سنوات قنصلا عاما لمصر فى اثيوبيا من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٥** فى الوقت الذى رفض فيه قنصل سابق السفر اليها . أدى واجبه على الوجه الأكمل واليه يرجع الفضل فى توثيق العلاقات بين مصر واثيوبيا بوجه عام ، وبينها وبين الكنيسة القبطية بوجه خاص تقدره الهيئات الرسمية .

وهو الآن مستشار ملكى ، ويعد من أقطاب الرجال الذين رفعتهم أعمالهم الى مصاف العاملين ، المصلحين . رجل مسيحى بمعنى الكلمة نزيه مخلص لكنيسته . متشبع بالحكمة والمعرفة ، وهو بجانب ذلك إدارى حازم يعمل فى صمت بعيداً عن التهريج .ولا يأبى الظهور ناكراً لذاته . وفى عودته الى المجلس سيستأنف القيام بواجبه نحو كنيسته بما يعرفه عنه أصدقاؤه من الغيرة والتفانى فى خدمة المجموع .

١٢٤ ــ ولقد كان السكرتير للمجمع المقدس أثناء باباوية الأنبا يوساب الثانى هو **الأنبا توماس مطران الغربية والبحيرة.**

ولد هذا الأب الجليل بقرية الدوينه (مركز أبوتيج) وتسمى أمين بقطر. ومع كونه من الصعيد الأعلى إلا أنه حين رغب فى الحياة الرهبانية قصد الى دير السيدة العذراء ــ برموس حيث دعوه باسم متى حينما رسموه راهبا فى ٢١ يونيو سنة ١٩٢٤، ثم نال كرامة الكهنوت بالاسم عينه سنة ١٩٢٦ ولقد خدم إخوته أربع سنوات بوصفه أحد كهنتهم، أصبح رئيساً للدير من بعدها ــ فى ١٣ يوليو سنة ١٩٣٠. وحينما اعتلى الأنبا يؤنس السدة المرقسية لم يرد أن تظل ثلاث إيبارشيات شاغرة لفترة (طالت أو قصرت) فاختار القس متى البرموسى ورسمه مطرانا فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ على الغربية مع رعاية شعب البحيرة باسم الأنبا توماس الذى تخيّر مدينة طنطا مقرا له.

ومن أبرز صفات هذا المطران الجليل وفاؤه الخالص لأحبائه وحنانه على الأطفال ورحمته بالعائلات المستورة. والدليل على وفائه مودته لحبيب المصرى طيلة حياته وتعبيره عن هذا الوفاء فى تواضع جم. فمثلا حين عقد المجمع المقدس جلسة خاصة للتداول فى موضوع لائحة انتخاب البطريرك برياسة الأنبا يوساب ــ القائمقام البطريركى آنذاك ــ دعوا حبيب المصرى بوصفه وكيلاً للمجلس الملى العام لحضورها. وبعد المناقشة طلبوا إليه أن يكتب لهم اللائحة المطلوبة لتوعية الشعب بالشروط الواجب توافرها فى المرشحين وفى الناخبين. ووضع اللائحة ثم اجتمع معهم ثانية ليقرأها عليهم كى يبدوا ملاحظاتهم عليها ــ إن كانت لهم ملاحظات ــ ثم يقرّوها. فلما انتهت الجلسة ــ بعد إقرار اللائحة ــ خرج الأنبا توماس متأبطاً ذراع حبيب المصرى إذ كان كلاهما سيركبان القطار الديزل للاسكندرية. وركبا السيارة معاً قاصدين الى محطة السكة الحديد وفى الطريق من الدار البابوية الى المحطة قبض الأنبا توماس بيديه الاثنتين على يد حبيب المصرى وأخذ يقبلها بحرارة، بينما يحاول العلمانى أن يسحب يده وهو يقول: «العفو. العفو. مش كدة يابونا. ده أنا اللى أبوس ايدك». ولكن المطران الجليل استكمل تقبيل اليد التى كان ممسكا بها بكلتى يديه ثم قال: «اليد اللى تكتب الكلام الحلو تتباس!» (١)

أما عن حنانه على الاطفال ــ فكم من طفل أجلسه على ركبتيه، وقدم له الشكولاته التى استحضرها له خصيصا وأطعمه إياها، ثم مسح له شفتيه بمنديله الخاص. وكم من طفل رآه يبكى فرفعه على ذراعه وكفكف دمعه، ولم ينزله الا بعد أن عادت اليه ضحكاته. ولكن رحمته

(١) يسعدنى أن أقول إنى شاهدت وسمعت هذا الذى جرى إذ كنت أنا السائق للسيارة فى تلك الساعة.



بالعائلات المستورة ظلت طى الكتمان لم يعرف عنها أحد إلا بعد نياحته ــ حينما جاء الذين وجدوا الغذاء والكساء من يديه وأعلنوا حقيقة عطفه المستمر وهم يذرفون الدموع.

والى جانب هذه المزايا كان ذا صوت شجى جمع بين العذوبة والقوة، فكان ينفذ به الى مكامن القلوب فتتهلل معه بالصلوات التى كان يرفعها الى عرش النعمة.

كذلك شيد فى طنطا كاتدرائية فخمة جميلة منحه الله أن يستكملها وأن يقيم الشعائر المقدسة فيها قبل انتقاله من هذا العالم. وقد دعاها باسم الشهيد العظيم مارجرجس. وفى نهاية الشوط رقد تحت مذبحها المقدس. وهى ــ بنعمة الله ــ شامخة شاهدة على بذل الباذلين.

ولقد كان سكرتيراً للمجمع المقدس لعدة سنوات. وعندما فشل المطارنة فى إقناع البابا يوساب بالاستغناء عن خدمه، ووجدوا أنه ماطل أيضا فى دعوتهم الى الاجتماع، تولى الأنبا توماس بالحق المخول له بوصفه سكرتيراً للمجمع (١) ــ تولى دعوة إخوته المطارنة الذى لبوا الدعوة وعقدوا جلستهم التاريخية التى قرروا فيها إعفاء الأنبا يوساب من القيام بإدارة شئون الكنيسة.

وإن الأنبا توماس قد نجح فى أن يجمع بين مسئوليته الروحية وبين الوعى بمسئوليته المدنية. فكان ذا لباقة وكياسة استطاع بهما أن يكسب مودة الحكام وكبار رجال الدولة.

ومن الموجع أن هذا الحبر الجليل قد راح ضحية حادث أليم. فقد كان مسافراً الى الصعيد مساء ٢٣ مارس سنة ١٩٥٦. وفى الطريق هوت الأرض تحت قضبان القطار. وكان هو نائماً آنذاك. فانتقل من النوم الوقتى الى رقدته الأخيرة دون أن يستيقظ ــ أو بالحرى إنه استيقظ على اليوم الذى لا مغيب له. وحمل جثمانه الطاهر الى عاصمة كرسيه. وبعد الصلوات الجنائزية الخاصة بالآباء رقد تحت مذبح الكاتدرائية الجميلة التى بناها.

١٢٥ ــ عندما انتقل الأنبا ثيئوفيلس مطران الكرسى الأورشليمى الى فردوس النعيم صباح الاثنين أول اكتوبر سنة ١٩٤٥، كانت السدة المرقسية شاغرة. فانتدب الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف (الذى كان قائمقاماً بطريركيا وقتها) الأنبا ابرآم مطران الجيزة ليرعى شئون الكنيسة فى الأراضى المقدسة الى أن يأتى البابا الجديد. فأولاها عنايته التامة بكل أمانة وتقوى الى أن تم تنصيب الأنبا يوساب فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦. وعندها سارع رئيس وأعضاء رابطة القدس بتقديم ملتمسهم اليه راجين منه أن يرسم لهم الراعى الذى يكون مسئولاً عن شعب

(١) الواقع أن القانون الكنسى الأصيل الذى لكنيستنا الشعبية التى عاشت شعبيتها بالفعل ــ هذا القانون يعطى الحق لأى مطران فى أن يدعو المجمع المقدس الى الانعقاد إذا أحس بضرورة عقده.

الأراضى المقدسة والشرق الأوسط . وعلى الفور لبى طلبهم واختار القمص صليب الأنطونى المطيعى ورسمه مطرانا على الكرسى الأورشليمى فى ٢٦ مسرى سنة ١٦٦٢ ( ٣١ اغسطس سنة ١٩٤٦ ) ــ أى بعد اعتلائه الكرسى الباباوى بثلاثة شهور وخمسة أيام ــ باسم الأنبا ياكوبوس .

وبعد رسامته بأسبوع أقامت له رابطة القدس حفلة تكريم فى مقرها افتتحها نيافته بالصلاة . ثم ألقى رئيس الرابطة ( حبيب المصرى ) كلمة رحب فيها بالأنبا ياكوبوس ، وتمنى له التوفيق فى خدمة شعب السيد المسيح فى الأراضى التى عاش فيها هو له المجد ، وفيما جاورها من البلاد . وقد استكمل حديثه ببرنامج إصلاحى قدمه الى نيافته كاقتراح . ولما انتهى من حديثه طلب الى فوزى اسحق رئيس شمامسة الكرسى الأورشليمى أن يضع شارة الرابطة على صدر الراعى الجديد ( ١ ) ، وأثناء التنفيذ دوت الهتافات والتصفيق . وعلى أثر ذلك ارتجل نيافة الأنبا ياكوبوس كلمة أثنى فيها على الخدمة التى يؤديها اعضاء الرابطة ، وشاركهم أمانيهم الإصلاحية ، كما أعلن تضامنه الوثيق معهم وفرحته بلبس شارتهم . وختم حديثه بالهتاف بحياة الأنبا يوساب فردد الحاضرون هتافه هاتفين بحياة نيافته أيضا .

ومذاك اعتاد إرسال خطاباته الى الرابطة فى كل مناسبه ، وزيارة مقرها كلما حضر الى القاهرة . كذلك اعتاد أيضا ان يبعث بتهانيه لرئيس الرابطة ولإعضائها كما يبدو من التحية التالية :

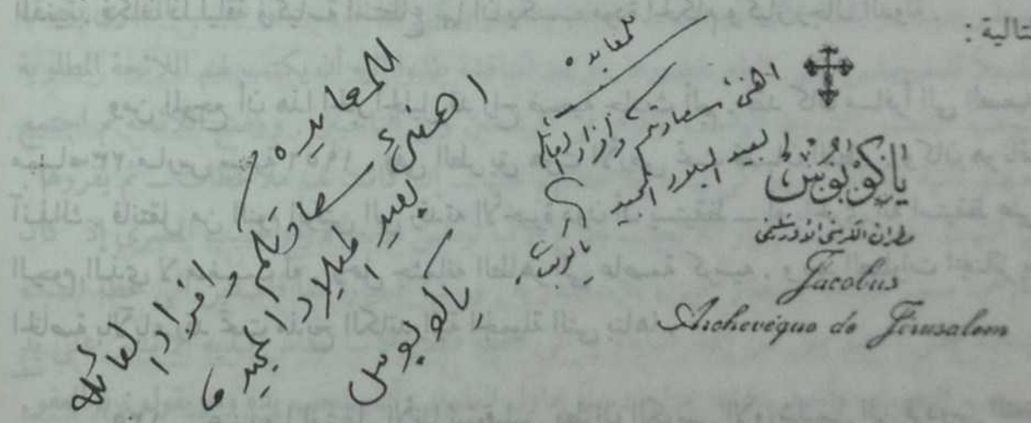


وما إن وصل المطران الجليل الى القدس الشريف ، وانتهى من تبادل الزيارات الرسمية التى يحتمها عليه مركزه ، حتى قام برحلة راعوية زار فيها كل المدن التى تقدست بأنفاس الفادى الحبيب ، وبذلك تعرف على شعبه واستمع الى آلامهم وآمالهم منذ البداية . ومع أن حرب فلسطين كانت عائقاً مزعجاً للقبط عن التقديس خلال السنوات ما بين سنة ١٩٤٧ ــ سنة ١٩٤٩ ، وبالتالى أدت الى نقص شنيع فى موارد البطريركية ، إلا أن نيافة المطران نجح فى تنفيذ المشروعات التالية :

( ١ ) هذه صورة جبة لشعبة الكنيسة القبطية وتعاون الآباء لأحاسيس الأبناء .



١ــ افتتح كنيسة الملكة هيلانة ــ بعد أن ظلت مغلقة منذ نياحة الأنبا ثيوفيلس ــ وبدأ بإقامة القداسات الإلهية فيها .

٢ــ بناء بعض الغرف بالخرسانة المسلحة ( ١ ) وسلما عند حافة نهر الأردن لاستراحة المقدسين ولتسهيل نزولهم الى بحر الشريعة . كما اشترى ماكينة رى لإرواء أشجار الزيتون والبرتقال والليمون والعنب والبلح والجوافة والسرو التى غرسها حول الغرف التى بناها .

٣ــ اشترى قطعة أرض مساحتها فدان بجوار محطة السكة الحديد فى رفح لكى يبنى كنيسة على جزء منها ، وتقوم على الباقى مؤسسات للتعليم والخدمة الاجتماعية .

٤ــ اشترك مع أبنائه سكان مدينة اللد فى شراء قطعة أرض بالقرب من مقبرة الشهيد العظيم مارجرجس الرومانى لبناء كنيسة على اسمه ( الشهيد ) .

٥ــ عمم الإضاءة بالكهرباء فى جميع غرف البطريركية بالقدس .

٦ــ قام ببياض مبانى البطريركية بالقدس وجدد أثاث غرفها المعدة لإقامة المقدسين .

٧ــ افتتح المدرسة الأنطونية ( للبنين ) سنة ١٩٤٧ ، بعد أن شيّد لها جناحاً خاصاً ملحقا بالبطريركية ، وكوّن من أولادها فرقة للكشافة . وقد سرّت وزارة التربية والتعليم المصرية بهذه المدرسة فأمدتها ببعض المدرسين وبالكثير من الكتب والأدوات .

٨ــ رمم وبيض تختىّ ( ٢ ) القبط بكنيسة القيامة ، وقد ساهم معه فى هذا العمل القمص يواقيم الأنطونى وبعض المقدسين ( ٣ ) .

وفى سنة ١٩٤٩ عندما انتهت حرب فلسطين بويلاتها وأوجاعها كان الفلسطينيون المصرون على الاحتفاظ بولائهم فى ضنك شديد . ولما كانت الموارد اللازمة قد استمرت تتناقص خلال سنى الحرب لم يكن فى وسع المطران الجليل أن يقدم كل المساعدات الضرورية لهم . فرأت رابطة القدس أن من عملها الإنسانى المساهمة فى تخفيف الآلام عن الشعب المنكسر . فأرسلت الى الجرائد والمجلات الخبر التالى لنشره : « وجه الأستاذ حبيب المصرى باشا رئيس رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس نداء الى سائر أعضاء الكنيسة القبطية رعاة ورعية قال فيه :

( ١ ) من نعمة الله على المؤلفة أن أتاح لها هى واحدى شقيقاتها فرصة التبرك بزيارة القدس فى عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٤٧ ــ ( أى قبل الاعتداء الاسرائيلى بقليل ) . فاستمتعتا بصلوات ليلة العيد بكل روعتها فى كنيسة المهد المقدس فى بيت لحم . وقد ظللنا فى القدس الى عيد الغطاس المجيد . وفى صباح هذا العيد المقدس ذهبنا مع المقدسين آنذاك بصحبة نيافة الأنبا ياكوبوس الى بحر الشريعة . وكان العمل فى بناء الغرف مازال جاريا ، فاقترح نيافته عليها أن تساهم كل منها فى البناء بأن تحمل قدر طاقتها مقداراً من الزلط وترمى به فى الاسمنت الذى يجهزه العمال . وفرحتا جداً بهذا الاقتراح الأبوى ونفذتاه فنالتا بركة المساهمة ( ولو بقدر ريشة ) فى هذا البناء الذى تم بنعمة الله وبهمة الأب الجليل الأنبا ياكوبوس .

( ٢ ) هذه هى التسمية التى تطلق على المقاصير المقامة داخل كنيسة القيامة .

( ٣ ) بطريركية الكرسى الأورشليمى للأقباط الأرثوذكس بالقدس : « مدرستنا فى أربعة أعوام » .

« إن إخوانكم فى القدس بلا عمل و بلا دخل ، وهم ينتظرون اهتمام محبتكم وافتقادكم لهم فى ضيقتهم ، وما ستقدمونه سنبتاع به التموين اللازم لهم من الأغذية ونرسله لهم لتوزيعه عليهم . نرجو أن تجودوا بسخاء ، وأن تصلنا تبرعاتكم باسم أمين صندوق رابطة القدس ص ب ٣٠ الفجالة بمصر . وسترسل إيصالات لحضرات المتبرعين الكرام . وكل متبرع لا يصله إيصال يعتبر أن تبرعه لم يصل الى الرابطة والرب يعوض كل نفس لها تعب فى الكنيسة المقدسة ومع الشعب الأرثوذكسى آمين » .

ومن نعمة الله أن الحكومة المصرية قدمت كل التسهيلات الممكنة للرابطة لتوصل المساعدات والتبرعات الى نيافة المطران الأنبا ياكوبوس . وهو بدوره نظم توزيعها تبعا لاحتياجات الشعب الذى ائتمنه الله على رعايته . ومن محبتهم لعملهم وتحمسهم لخدمة إخوتهم المنكوبين كان أعضاء الرابطة يذهبون بأنفسهم الى المحطة ليشرفوا على شحن التموين بعربات السكك الحديدية . ولم يكتف المطران الجليل بتوزيع ما وصله من مصر بل أوجد أيضا بيوتا لإيواء اللاجئين ومشوهى الحرب .

وبعد أن حل السلام بمراحم الله عاود القبط استمتاعهم بالتقديس ، فعاد الدخل الى التزايد مما ضاعف همة نيافة الأنبا ياكوبوس فاستمر فى عمله البناء ، وبدأ مشروعه رقم ٩ — إذ اشترى أربعة منازل متلاصقة فى بيت لحم لمشروع بناء كنيسة قبطية هناك .

١٠ — بنى كنيسة فى الناصرة باسم « السيدة العذراء — البشارة » فى سنة ١٩٥١ ، وهنا أيضا ساهم معه القمص يواقيم الأنطونى وبعض المقدسين . وقد تم البناء وكرست الكنيسة واشترك معه فى تكريسها نيافة الأنبا توماس يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ .

ولقد نشر مدير المدرسة الأنطونية تقريراً عنها فى شكل كتيب بين فيه سير الدراسة خلال السنوات الأربعة التى أتمتها : فبلغ مجموع الدارسين بها عند نهاية العام الدراسى سنة ١٩٥١ — سنة ١٩٥٢ ثلاثمائة وخمسين موزعين على تسعة فصول : من أولى حضانة الى أولى ثانوى ، فى حين أنها عندما بدأت لم يكن بها غير سبعة عشر ولداً . وهكذا استمر القائمون بأمرها يولونها عناية خاصة على الرغم من سنى الحرب ومن كل العوائق التى نشأت عنها . وزادوا عليها أن افتتحوا بها قسماً للبنات أطلقوا عليه اسم الست دميانة .

ولم ينس نيافة المطران الجليل وسط زحمة مشروعاته الكثيرة ضرورة تفقده لشعبه ، فكان يقوم بزيارات راعوية منتظمة تشمل أطراف إيبارشيته أيضا . فمثلا ذهب مساء الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ لزيارة مدينة القنطرة شرق يصحبه الأب الورع القمص بطرس الأنطونى الشهيدى . وكان فى استقبالهما وفد كبير من رؤساء الجمعيات وأعضائها : القبطية والإسلامية ، ومندوبو المصالح الحكومية ، ومديرو المدارس ومعلموها ، وجمع غفير من الشعب . ثم احتاطوا بهما وساروا فى موكب ملىء بالبهجة ، يتقدمهم الشمامسة وهم يرتلون الألحان الكنسية المناسبة الى الكنيسة القبطية حيث رفع نيافة الأنبا ياكوبوس صلاة الشكر . وقد قضى هذا الحبر الجليل ثلاثة أيام فى القنطرة طاف خلالها على المدارس والجمعيات والأندية القبطية . كذلك لبّى دعوة الجمعية الخيرية الإسلامية وجماعة الإخوان المسلمين فزار مدارسهم وناديهم . فكانت هذه الزيارة سببا فى تدعيم الصداقة والوحدة بين العنصرين . وأهم من هذا كله أنه انشغل فى مصالحة المتخاصمين من الأزواج والزوجات ومن فض المشاكل والتنازع بين العائلات .

وبما أن هذه الزيارات الراعوية دخلت ضمن برنامجه العملى فإنه استمر فى السير قدما بمشروعاته ، واستكمل هذا العمل ببناء عمارة لينتفع الرهبان من ريعها فيأخذون ما يحتاجون اليه و يوزعون الباقى عملاً بوصية الأنبا أنطونى الذى ينتمون الى ديره .

١٢ — اشترى قطعة أرض بجوار الجسمانية لتكون مدفنة ، دفع ثمنها بالتقسيط . وعند نياحته كان لا يزال عليه مبلغ سبعمائة جنيه من الثمن .

ومن أبدع ما حدث أيام حبريته ظهور السيدة العذراء بشكل مبهر واضح فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢١ يونيو سنة ١٩٥٤ . وقد رآها أولاً بنات أحد فصول مدرسة الست دميانة . ولما ذاع الخبر فى المدينة المقدسة هرع الى المكان ناظر المدرسة ومعلموها وطالباتها وطلبتها وكل من سمع الخبر من الأهالى . فتحننت عليهم أم النور وظهرت لهم عدة مرات بعد ذلك . فتمكن من نوال بركة رؤيتها الآلاف من الناس من مختلف الأديان والجنسيات . ومن نعمة الله أن صحف البلاد المختلفة نشرت الخبر إذ قد جاء عدد غير قليل من الصحفيين الأجانب الى المكان ليتحققوا بأنفسهم ما سمعوه بآذانهم .

وخلال فترة ظهورها أبرق المطران الجليل الى قداسة الأنبا يوساب يبلغه الخبر و يطلب اليه تكوين لجنة لتحضر الى القدس الشريف وتتحقق مما حدث . فرد عليه قداسته بتلغراف أيضا قال فيه : « نيافة الأنبا ياكوبوس مطران الأقباط — القدس القديمة : إجابة لطلب نيافتكم كوّنت اللجنة ، وسنخطركم قبيل قيامها لطرفكم — البطريرك . و بالفعل سافرت اللجنة ورأى أعضاؤها السيدة العذراء وسمعوا أقوال عدد ممن نالوا بركة رؤيتها ، ثم رفعوا تقريراً مفصلاً بكل ما رأوا وما سمعوا .

وما إن انقطعت السيدة والدة الاله عن الظهور حتى قام المطران الجليل بتحويل غرفة

الدراسة التى ظهرت فيها أولاً الى كنيسة . وقام الأستاذ عوض الله ابراهيم ــ رئيس الرابطة آنذاك ــ بتغليف جدرانها بالرخام ، كما بنى فيها مذبحا رخاميا أيضا . ومذاك صارت هذه البقعة المقدسة مزاراً ضمن المزارات التى يزورها المقدسون من أنحاء العالم . فكانت هذه الكنيسة الإنجاز الثالث عشر من المشروعات التى قام بها نيافة الأنبا ياكوبوس .

١٤ــ كان الأنبا تيئوفيلس ــ السلف المباشر للمطران الجليل ــ قد ابتاع قطعة من الأرض فى منطقة اسمها الكتامون . فلما انتهت الحرب أصبحت تلك الأرض من المنطقة الحرام بين العرب واسرائيل فباعها تجنبا لما قد يقع من نزاع حولها فيما بعد .

١٥ــ فى شهر يناير سنة ١٩٥٢ بدأ بإصدار مجلة شهرية باسم « النهضة المرقسية للأقباط الأرثوذكس بالقدس . وكانت على مستوى عالٍ تتضمن المقالات التاريخية والأدبية والعلمية ، وساهم فى كتابتها المسلمون أيضا . وظلت تظهر مدى رياسته ، فلما تنيح تنيحت معه . واليكم صفحة منها :

## تعظم نفسى

بعد ان تلقت مريم العذراء البشارة المفرحة من الملاك قامت مسرعة ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات . فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها . وامتلأت اليصابات من الروح القدس . وصرخت بصوت عظيم وقالت . مباركة انت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك . فمن أين لى هذا ان تأتى أم ربى الى ، فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت ان يتم ما قيل لها من قبل الرب .

فقالت مريم تعظم نفسى الرب . وتبتهج روحى بالله مخلصى . لأنه نظر الى اتضاع أمته . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى . لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس . ورحمته الى جيل الأجيال للذين يتقونه . صنع قوة بذراعه . شتت المستكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين . أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين . عضد يعقوب فتاه ليذكر رحمته .

( لو ١ : ٣٦ــ ٥٤ )



## سيدة اورشليم

عندما نقول سيدة اورشليم ، يذكر القارىء فى الحال أننا نعنى بها السيدة والدة الاله القديسة العذراء مرتمريم . فهى ليست غريبة عن اورشليم ، لكنها ولدت بها وتربت فى هيكلها وخطبت بين جدرانها وعاصرت أفراح ابنها وآلامه . ومنذ ذلك التاريخ تركت اورشليم وعاشت بعيدة عنها حتى موتها وصعود جسدها الى السماء .

والآن ، وبعد مرور عشرين قرناً من الزمن تحن الى هذا البلد الأمين ، الى وطنها ومسقط رأسها الارضى ، لتتراءى لكافة الشعب شيبه وشبابه ، رجاله ونسائة ، شيوخه واطفاله ، من جميع الاجناس والمذاهب .

إن ظهور السيدة العذراء فى مدينة القدس ليس بدعة فى التاريخ الكنسى ولا هى أول من تراءى علانية للناس . فان كان الملائكة وكثيرون من القديسين ظهروا حاملين رسائل للشعب من السماء . فالعذراء البتول مرتمريم تفضل اولئك الملائكة وجميع القديسين . فالملائكة خدام لها والقديسون أبناؤها يتشفعون بصلاتها لدى ابنها . فهى التى حملت جمر اللاهوت داخل بطنها وهى التى جاءها الملاك جبرائيل خاضعاً متأدباً وهو يقدم لها البشرى السعيدة . فالروح القدس شهد لها بلسان القديسة اليصابات والدة يوحنا المعمدان ، وفى القرآن الكريم تفضيل مريم البتول على « نساء العالمين » فى اكثر من موضع .

لهذا ، لا نجد غرابة ولا غضاضة لظهورها فى مدينة اورشليم ، المدينة المحبة إليها وان كانت قد لاقت فى حياتها من شعبها الكثير من الاستهزاء والازدراء والآلام .

إننا لا نعلم تماماً لماذا اختارت دير انبا انطونيوس ( ملك الاقباط ) لظهورها ولا نعرف ما هى رسالتها ، انما المعلوم انها لما هربت من طغيان الملك هيرودس الذى أراد قتل ابنها ، لم تجد ملجأ تحتمى اليه ولا شعباً يكرمها سوى الاقباط وبلادهم . ونيافة مطران الاقباط لا يريد الافضاء بشىء حول ذلك خصوصاً وان العذراء تظهر دائماً حزينة كئيبة لا تفارق عينيها الدموع . وان غاية ما نرجوه أن يكون ظهورها فى هذه المدينة للسلام ولخير السكان والبلاد عموماً . (١)

« التحرير »

(١) عن العدد الخاص بظهور السيدة العذراء من مجلة النهضة المرقسية بالقدس أبيب سنة ١٦٧٠ــ يوليو سنة ١٩٥٤ ص ١٩٤ــ ١٩٥

١٦ــ وسّع كنيسة مار جرجس بالقنطرة شرق إذ اشترى أرضاً مساحتها فدان ونصف ساهم اللواء محمد نجيب بمبلغ مائتى جنيه من ثمنها . ورأى أن القنطرة ( غرب ) لابد أن تنال هى أيضا نصيبها من مجهوداته على الرغم من كونها خارج حدود إيبارشيته . فاشترى قطعة أرض بها ، ووضع حجر الأساس فيها لبناء كنيسة ، ولكن بناءها لم يكمل فى حياته . واستكمل عنايته بالمنطقة المتاخمة فجدد كنيسة العريش ( والقنطرة شرق تقع شرقى قناة السويس فهى ضمن الأراضى التابعة لمطرانية القدس ) .

وكان مما اعتاده القبط التقدم للمزايدة على « شراء » النور : النور الذى ينبعث من القبر المقدس الذى يتوسط كنيسة القيامة ظهر سبت النور ( ١ ) . وكانت كل كنيسة من صاحبات الحق داخل كنيسة القيامة تندب شخصاً يحمل مشعلا ليتلقى به شرارة من هذا النور العجيب . ولكى لا يتنازع القبط فيمن ينوب عنهم كانوا يجتمعون فى حضرة المطران مساء الجمعة الكبيرة ( بعد الصلاة طبعا ) ، وكل من يريد أن يحظى بهذا الشرف يدخل فى مزايدة بالمبلغ الذى هو مستعد لدفعه . ومن يتقدم بأعلا ثمن يصبح هو المندوب عن القبط فى تلقى النور حين يومض من القبر المقدس ثم يوزعه عليهم . إذ أن كل شخص من حاضرى الصلوات فى تلك الساعة يكون ممسكا بثلاث وثلاثين شمعة مربوطة معاً بشريط . وهذه المجموعة من الشموع يسمونها الفند . وحالما يتلقى المندوب النور بشعلته يضىء منها كل هذه المجموعات من الشموع فى أيدى الآلاف الحاشدة ( ٢ ) . فرأى الأنبا ياكوبوس أن مثل هذه المزايدات لا تليق بكرامة رب النور . فاتفق مع أعضاء الرابطة على أن يتفاهموا مع راغبى التقديس ــ وهم يستعدون للسفر ــ فى هذا الموضوع . ونفذوا الاتفاق ، فكانوا يجمعون ما يجود به المقدسون عند تحصيلهم رسوم السفر . وحينما يصلون الى القدس الشريف يقدمون ما جمعوه لنيافته ، وهو يتخير الشخص الذى ينوب عن القبط فى تلقى النور .

ومما يجدر ذكره أن نيافة الأنبا ياكوبوس لم تشغله مشروعاته وزياراته الراعوية المتوالية عن أن يذكر أولاده فى مصر وبخاصة حين تعوقهم العوائق عن الحصول على بركة التقديس . ومن هذه اللفتات الأبوية الخطاب التالى الذى بعث به الينا بعد أن كان أبى قد انتقل الى الدار الباقية :

---

( ١ ) راجع ص ٨٩ ف ١٠٠ ، وص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ وف ١٩٨ من حـ ٤ من هذا الكتاب

( ٢ ) راجع كتاب « اليوبيل الفضى لرابطة القدس : سنة ١٩٤٤ ــ سنة ١٩٦٩ ، صدر فى القاهرة فى شهر يوليو سنة ١٩٦٩ ، مقالة « النهضة الروحية للأقباط الأرثوذكس بالقدس » عدد مارس ــ أبريل سنة ١٩٥٩ ــ ص ٩٦ ، وهو العدد الأخير الذى ظهر من هذه المجلة .



كل عام وانتم والعائلة فى صحة الجسد والروح

رة الابنة المباركه ايريس حبيب المصرى باركها الرب

م الله الذى يفوق كل عقل ونعمته الغزيرة تفيضان عليك وعلى عائلتكم الكريمة
نسأله اسمه أن يهبكم كل قوة ومعونة و يؤيدكم و يرشدكم لكل عمل صالح لخير كنيسته
ومجا مه القدوس تألمت كثيرا عندما سمعت من الأستاذ اسطفان باسيلى أنك نزلت الى
م مجادلة التى لا تجد وأمام قوم يمجدون أنفسهم ويهدمون أممهم . أرجو أن يكون نشاطك
ك لا تضيع سدى فى مثل هذه المناسبات التى عرفت بدايتها ونهايتها . ومع ذلك أقدم لك
ر شكرى وتقديرى لدفاعك عن حقارتى . لقد أراد الله أن يمجد الضعف فيظهر الحقيقة
ه أن كنا نتسائل عمن أمد هؤلاء الأولاد بالمال إذ كشف الله بوضوح عن مصدر المال فى
ح يوم سبت النور إذ تقدم نيافة أسقف الحبش بالقدس واشترى اللحمة والدقيق لهؤلاء
ولاد وأقاربهم ودفع مبلغ خمسين قرش لكل واحد منهم عيدية له . وهذا برهان كافى عن تدبير
امرة . لان لم يصلنا مقالات المجلة .

سلامنا للسيدة المصون والدتكم والى إخوتكم واخواتكم والى كل آخ فى كنيسة الله
نعمة الرب تشملكم ولعظمته تعالى الشكر والسجود دائما يارب ، يا كوبوس

وكل هذه الإنجازات نجح نيافة الأنبا ياكوبوس فى إتمامها مع أن حبريته لم تبلغ العشر سنوات . فقد كان رفيقاً للأنبا توماس فى قطار الصعيد الذى انقلب فى الطريق ، فراح كلاهما ضحيته . وكان هو أيضا نائما آنذاك فانتقل من استرخاء النوم الوقتى الى راحة الرقاد النهائى ، واستيقظ ليجد نفسه فى الفردوس . وبهذا الحادث الأليم فقدت الكنيسة المجاهدة راعيين عرفا معنى الرعاية الساهرة ، وبذلا كل جهد فى تثبيت الرعية وفى خدمتها .

وانتقل المطران الجليل الى الكنيسة المنتصرة مساء ٢٣ مارس سنة ١٩٥٦ . فكانت مدة رياسته الكهنوتية عشر سنوات إلا خمسة شهور وأسبوع . ونقل جثمانه الطاهر الى عزبة بوش ( قرب بنى سويف ) التابعة لدير القديس انطونى ورافقه بتشييعه فى هذه الرحلة الأخيرة عدد من المطارنة والكهنة ورئيس وأعضاء رابطة القدس ، وجمهور كبير ممن عرفوه فى مصر وأثناء التقديس .

وهناك أقيمت عليه الصلوات الجنائزية الخاصة بالآباء ثم دفنوه تحت مذبح الكنيسة .

واهتزت قلوب شعب الكنيسة فى الأراضى المقدسة لفقدهم هذا الراعى الساهر و[illegible]

عن حزنهم بإقامة حفل جناز كبير عن روحه المقدسة بكنيسة الأنبا انطونى ( الملاصقة لكنيسة القيامة ) بالقدس يوم الأحد ٢٥ مارس . فأوفد الملك حسين ( ملك الأردن ) محافظ القدس مندوباً عنه ، وحضر الصلاة رؤساء الطوائف الدينية والهيئات الدبلوماسية ورجال الصحافة والإذاعة . وقد تناوب الخدمة بقداس الجناز الآباء من مختلف الكنائس الأرثوذكسية الشرقية . وقد أعرب الجميع بحضورهم و باشتراكهم فى الصلوات و بالكلمات التى ألقوها عن حزنهم العميق لفقده وعن مشاركتهم القلبية للقبط فى حزنهم وفى لوعتهم على راعيهم الذى فقدوه .

١٢٦ ــ وُلد بطرس الشهيدى بكفر الشهيد ( بمحافظة الدقهلية ) . و بعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية رن العمق الالهى فى أعماقه وترددت أصداؤه تهيب به أن ينذر بتوليته لفاديه . وكان الترديد قوياً متلاحقا جعله يترك أهله وعشيرته و يقصد الى دير الشهيدة القديسة دميانة ببرارى بلقاس . ويجدر بنا أن نعرف أن هذا الدير ظل فترات طويلة تحت رعاية الآباء الأنطونيين . على أن بطرس الشهيدى قرر مغادرة هذا الدير لقربه من العالم والالتجاء الى دير أبى الرهبان ليعيش فى رحابه وسط السكون الشامل . وخلال السنوات التى قضاها فى رعاية كوكب البرية ذهب ليتعلم فى المدرسة التى كان قد أنشأها البابا الوقور كيرلس الخامس فى منطقة الدير المحرق .

ولما كان الراهب بطرس على جانب كبير من التواضع ، ولما كان يسارع الى تلبية طلبات إخوته بتلقائية عجيبة ، فقد رسم كاهنا باسمه . وقد رأى رئيس الدير الأنطونى أن هذا القمص قد جمع الى تواضعه وتلقائيته الأدب الجم والوجه المليح والابتسامة الحلوة التى قلما تفارق شفتيه بالإضافة الى إجادته اللغة الانجليزية . فقرر أن هذه المزايا تجعل من صاحبها خادماً صالحاً فى الأراضى المقدسة . ومن ثم أرسله الى هناك فى السنة الأولى من باباوية الأنبا يؤنس الـ ١٩ ــ أى فى سنة ١٩٢٩ .

وبالفعل كان اختيار القمص بطرس الشهيدى للخدمة فى القدس الشريف وغيرها من المدن والقرى التى تقدست بأنفاس رب المجد ــ كان اختياراً موفقا للغاية . لأنه كان أشبه بالنحلة الدؤوب التى لا تكل ولا تستكين : فيسارع الى خدمة الجميع بلا تردد ولا ضجر ــ بل بالحرى بابتسامته الحلوة . ولأنه كان قد هيأ نفسه لأن يذهب « الميل الثانى » (١) فإن الجموع كانت تتزاحم حوله لكل كبيرة وصغيرة .

وكان الانجليز مسيطرين على فلسطين سنة ١٩٤٣ . ومع كونهم مسيحيين إلا أن تشامخهم

(١) مت ٥ : ٤١



الامبريالى كان أقوى عملاً فيهم . فزعموا آنذاك بأن مبانى كنيسة القيامة مصدعة لا تحتمل أن يبيت فيها أحدا وتنفيذا لهذا الزعم كانت دورية عسكرية منهم تمر مساءً داخل هذا المكان المقدس بأحذيتهم العسكرية الغليظة و بالمشية العسكرية الايقاعية الثقيلة و ببنادقهم على أكتافهم ليتأكدوا أن أحداً غير موجود داخل الكنيسة قبل إغلاقها .

ونحن نعرف أن صلاة « أبوغلمسيس » تقام فى الحادية عشرة مساءً من ليلة السبت وتستمر الى فجر سبت النور حينما تنتهى بالقداس الإلهى . ونعرف أيضا الحنين الذى يملأ قلب من نال بركة التقديس الى السهر تلك الليلة الفريدة ــ إذ يكون السهر فى كنيسة القيامة بالذات . فتجتمع كل المتلهفين على السهر حول القمص بطرس يعبرون له عن مدى شوقهم . و بابتسامته الحلوة لبى كل الطلبات وخبأ الجميع فى مختلف الأماكن . و يسعدنى أن أسجل بأنه خبأنى ليلتذاك خلف ستر المذبح المقدس . ولما انتهت الدورية من تفتيش الكنيسة ، وخرج الجند وأغلقوا الباب نادى علينا أبونا فى حنان وأخرج كلاً من مكمنه ، وابتهجت أرواحنا بالسهر والترنم بالصلوات ليلة سبت النور ونحن أكثر بهجة لإدراكنا أننا ملاصقون للصخرة التى رقد تحتها « حامل الآلام » من مساء الجمعة الى فجر الأحد . ولقد ظل الشعب السودانى يطالب بمطران لرعايته إذ قد ظلت إيبارشية الخرطوم شاغرة لفترة طويلة .

وفى تلك الفترة التى كانت السدة الأسقفية شاغرة فيها كان أصحاب الأغراض يحاولون الفوز بها لأنفسهم أو لأصدقائهم . وبما أن هناك من يعتقدون بأن الغاية تبرر الواسطة فقد لجأوا الى مختلف الوسائل التى ظنوا أنها توصلهم الى غايتهم . ومن هذه الوسائل الاستعانة بالمطران الانجليزى جوين ــ مطران الانجليز بالشرق الأوسط . وتقدم هذا المطران فى وقت ما بطلب الى صاحب غبطة الأنبا يؤانس برسامة القمص يوحنا سلامه مطراناً للسودان ، فرفض الأنبا يؤانس رحمه الله هذا الطلب ذاكراً أنه كان متزوجاً وقوانين الكنيسة تمنع هذه الرسامة ،

ولكن حدث فى العهد الأخير أن اتفق القمص يوحنا سلامة مع القمص ابراهيم لوقا على اتمام رسامة الأول مطراناً للسودان وتحدد يوم الأحد ١٤ يوليوسنة ١٩٤٦ للاحتفال بها وكان هذا الاتفاق سراً من الأسرار المحرم إذاعتها . إلا أن الله سبحانه وتعالى كشف هذا الأمر الذى دبر فى الخفاء إمعاناً فى خرق قوانين الكنيسة ، نقول أن الله أظهر مجده فى كنيسته فكشف الغطاء عن هذا السر فى يوم الجمعة ١٢ يوليوسنة ١٩٤٦ . وتوجه وفد من الأقباط وقابل غبطة البطريرك (١) وطلب إليه باسم الكنيسة منع هذه الرسامة فنزل غبطته على رأيهم ، وهكذا لم تتم الرسامة (٢) .

(١) كان الجالس على السدة المرقسية آنذاك الأنبا يوساب

(٢) الأنوار فى ٥ مسرى سنة ١٦٦٢ ( ١١ أغسطس سنة ١٩٤٦ ) ــ ص ٥ .

وبعد ما يقرب من ربع قرن ظل فيه السودانيون يلحون فى المطالبة بمطران يرعاهم لبى قداسة الأنبا يوساب رجاءهم .

وفى يوم الأحد ٢٢ بؤونه سنة ١٦٦٣ ( ٢٩ يونيو سنة ١٩٤٧ ) رسم الأنبا يوساب لهذا القطر الشقيق القمص بطرس الشهيدى الأنطونى مطرانا باسم الأنبا يؤنس . ولقد فرح الشعب بهذه الرسامة فرحاً عظيما .

ومشاركة منه فى هذا الفرح كتب أحد محبى الكنيسة الكلمة التالية وبعث بها الى مجلة الأنوار، فنشرتها فى عددها الصادر فى ٦ أبيب ( ١٣ يوليو ) ص ٢٠ ، وهى :

## حول إيبارشية الخرطوم

حضرة المحترم رئيس تحرير جريدتنا المحبوبة الأنوار

تحية واحتراماً — أرجو التكرم بنشر الكلمة التالية اعترافاً بفضل ومزايا رجل من رجال كنيستنا المعدودين . وها هى :

اطلّعت بجريدة مصر على كلمة تعقيب لحضرة الاستاذ الكبير سلامة موسى على رسامة أسقفى النوبة والخرطوم قال فيها عن نيافة الأنبا يؤنس الأسقف الجديد للخرطوم إننا لا نعرفه . وبما أننى من موظفى القدس سابقاً وأعرف نيافته حق المعرفة فأقرر بأن نيافته مثقف ثقافة ممتازة يجيد التحدث باللغة الانكليزية ، قضى بالقدس الشريف ١٨ عاماً كان فيها المثل الأعلى فى الخدمة والتضحية .

فكانت البطريركية القبطية تعهد إليه دائما بالمقابلات الرسمية مع الأجانب لما له من الشخصية النبيلة واللباقة النادرة فى فن ( الايتيكيت ) فكان مشرفا لنا فى كل موقف . عمل مع ثلاثة مطارنة بالقدس لم يستغن أحد منهم عنه لما له من الاحترام والتقدير فى نفوس الأجانب والوطنيين معا فاختيار نيافته لهذا المنصب بالذات اختيار موفق

وتفضلوا الى آخره ...

متى نصر الله . موظف بالقدس الشريف سابقا

وما إن وصل الأنبا يؤنس الى الخرطوم — مقر الكرسى الأسقفى — حتى أصدر منشوراً راعوياً نقتطف منه ما يلى : « أبنائى الأحباء — إن أمامنا سلسلة طويلة من المشروعات الجليلة .



وفى قلبى آمال طوال نحو إيبارشيتكم المباركة . ولقد جبلت يا أولادى محباً للسلام . ولست أبغض فى حياتى أكثر من التفكك والانقسام . ومن هذا المنطلق قد أرسلنى روح الله اليكم عسانى أستطيع بنعمته ومؤازرته تعالى أن أوحد جهودكم جميعا لخدمة الهدف الواحد والمقصد الواحد لتتم وصية الرسول فينا . مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام . جسد واحد وروح واحد كما دعيتم فى رجاء دعوتكم الواحد ... » (١)

٥ ثوت سنة ١٦٦٤ ش = ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ م

يؤنس

بنعمة الله أسقف كرسى الخرطوم

ثم نشرت جمعية الايمان البرقية التالية : « بحكمة ورعاية نيافة الأنبا يؤنس أسقفنا الجليل رفرف السلام بين الجميع ، وحلت المحبة فى القلوب » . اسطفانوس سيدهم — عن الجمعية القبطية بالخرطوم بحرى (٢) .

وفى سنة ١٩٥١ انتُدب الأنبا يؤنس مرتين ليسافر الى جهتين مختلفتين . فقد اختاره الأنبا يوساب لينوب عنه فى الاحتفالات التى أقيمت بأثينا من ١٥ — ١٨ يونيو سنة ١٩٥١ ، وكان زميله فى هذه المرة الأنبا توماس مطران الغربية . أما المرة الثانية فكانت فى نوفمبر ، وقد قام نيافته خلال هذا الشهر بزيارة لأوغندا بناء على طلب قداسة البابا . وكان الهدف من هذه الزيارة كما أوضحه البابا الجليل هو أن يتعرف نيافة الأسقف على الشعب الأوغندى ، ويقف بنفسه على حالته الروحية والاجتماعية . وبالفعل قام الراعى الجليل بهذه الزيارة التى استغرقت الشهر بأكمله . ولما عاد الى مقر كرسيه وضع تقريراً شاملا عما رآه واختبره مع اقتراحاته بكيفية تنظيم الرعاية فى هذه البلاد . ومن نعمة الله أن هذا المجهود واتى ثماره الحلوة ..

وتبيّن لنا هذه اللمحة العابرة مدى الجهود التى بذلها الأنبا يؤنس منذ أن سلم حياته بكليتها الى الفادى الحبيب . لغاية اليوم الذى استدعاه اليه فاديه — فكان انتقاله الى الفردوس فى ١٦ مايو سنة ١٩٦٨ . وبذلك يكون قد رعى شعبه فى الخرطوم ، وامتد برعايته الى أوغندا مدى عشرين سنة وعشرة شهور وأربعة عشر يوماً .

---

(١) أفسس ٤ : ٢ — ٦

(٢) بعددها الثالث للسنة السابعة عشرة — هاتور سنة ١٦٦٤ = نوفمبر سنة ١٩٤٧ — ص ٩٥

١٢٧ ــ وثمة راهب أنطونى آخر اسمه متياس منحته النعمة الإلهية الكرامة الأسقفية فى هذه الفترة . ولد هذا الراهب بساحل طهطا فى يناير سنة ١٩١٠ . فلما بلغ الرابعة عشرة من عمره رسمه الأنبا صرابامون مطران الخرطوم شماساً ــ ومن هنا ندرك أنه نشأ نشأة مسيحية كنسيه (١) . وبعد أن خدم كشماس مدة ست سنوات اشتاق الى الرهبنة ، فقصد الى دير أبى الرهبان سنة ١٩٣٠ حيث قضى السنتين المقررتين للتدريب نال بعدها نعمة الرسامة فأصبح الراهب متياس ولأنه كان على وعى بالقيمة الروحانية التى نالها دأب على الدرس وعلى السهر للصلاة ، وعلى تنفيذ كل ما يطلب منه بدقة وسرعة . فنال ثمرة جهاده برسامته قساً باسمه الرهبانى على يد الأنبا كيرلس مطران قنا . ثم التحق ــ بعد ذلك ــ بمدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان . وخلال السنة عينها نال رتبة القمصية .

وفى سنة ١٩٣٥ رأى الأنبا ثيئوفيلس ــ مطران القدس ورئيس دير الأنبا أنطونى ــ أن القمص متياس ممن يصلحون للخدمة فى الأراضى المقدسة ، فاستدعاه لها . ولقد تعلق به شعب حيفا فطلبوا الى نيافة المطران أن يقيمه راعياً لهم ، فلبى طلبهم وأرسله اليهم سنة ١٩٣٦ . وظل يرعاهم الى سنة ١٩٤٠ . وخلال سنى رعايته لشعب حيفا كان المطران الجليل يتابعه . ففرح بخدماته ونشاطه ، ووثق به الى حد جعله يعينه رئيسا لكل الأديرة القبطية فى الأراضى المقدسة (٢) . وفى هذه المكانة لم يحفظ كرامة الكهنوت فقط بل حافظ على كرامة الكنيسة أيضا وعلى سمعة مصر معها . فمثلا عزمت جلالة الملكة نازلى ( والدة فاروق آخر ملك على مصر فى العصر الحديث ) ابنتها الكبرى الأميرة فوزية على زيارة القدس الشريف . وبالطبع تفاهم وزير الخارجية مع القنصل المصرى هناك . فوضع الأخير برنامج الزيارة بالاتفاق مع بطريرك الروم الأرثوذكس لأن الأنبا ثيئوفيلس كان آنذاك فى دير الأنبا أنطونى ولذلك تغافل قنصل مصر عن إخطار القمص متياس الأنطونى الذى كان المسئول الثانى بعد نيافة المطران . وذهبت الملكة والأميرة وحاشيتها ، واستقبلها القنصل وممثلو مختلف الكنائس والهيئات الدبلوماسية . ثم بدأت الضيفتان الكبيرتان زيارة الأماكن المقدسة . ووقف الكاهن الأنطونى عند حدود المنطقة الخاصة بالقبط فى كنيسة القيامة . فما إن وصل اليه الركب الملكى حتى قال بعد التحية : « الى هنا ينتهى عملكم يا من رتبتم البرنامج ، ويبدأ عملى أنا . فأنا مصرى . والأماكن التى أنتم على وشك زيارتها يملك للكنيسة المصرية التى أمثلها أنا فى غياب صاحب النيافة مطراننا الجليل

---

(١) اسمح لى القراء أن أضيف كلمة « كنسية » ، إذ هناك الكثيرون ممن يعرفون الكتاب المقدس ، بل ويواظبون على حضور الصلوات فى الكنيسة ، ومع ذلك يجهلون هذه الأم الحنون التى جالدت الزمن من بداية إنشائها الى الآن ــ والتى منحهم الله نعمة الانتماء اليها .

(٢) مجلة « الحق » ــ لصاحبها ومدير تحريرها القمص يوسف الديرى راعى كنيسة مار جرجس بشبرا البلد ، عدد أمشير سنة ١٦٦٥ = فبراير سنة ١٩٤٩ ، ص ٢٥



الأنبا ثيئوفيلس » . وتراجع المرشدون عن عملهم ، وطاف القمص ميتاس بالملكة والأميرة ومن معهما بكل كنائسنا وأديرتنا بالقدس . ولما انتهت هذه الزيارة ، أرسل هذا الكاهن اليقظ خطاب احتجاج الى وزير الخارجية أوضح له فيه أن القبط هم أول من كان يجب إخطارهم بزيارة مثل هذه ، لأنهم مصريون لهم الحقوق وعليهم الواجبات التى قررها الدستور لجميع المصريين على السواء . وكان لهذا الخطاب أثره فى نفس الوزير لأنه استدعى القنصل ووكل اليه وظيفة أخرى وعين قنصلا غيره فى القدس .

ثم رأى الأنبا يوساب أن يستعين بمواهب القمص متياس الأنطونى ، فطلبه من نيافة الأنبا ياكوبوس الذى آل اليه الكرسى الأورشليمى بعد نياحة الأنبا تيئوفيلس . فلما وصل الكاهن المطلوب الى القاهرة عينه البابا الجليل سكرتيراً له .

ولما شغر كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا اختير القمص متياس ليجلس عليه . فتمت رسامته يوم الأحد ٢٣ يناير سنة ١٩٤٩ باسم الأنبا يؤنس

## حديث الحق ! سلام ...

نعم سلامٌ .

قد يكون الأمر عاديا أن يطرح على بساط البحث موضوع . فيقال فيه رأيان لفريقين . كل منهما يقول بما لا يقوله الآخر . وقد يدافع كل فريق . باذلا جهده ما استطاع فى سبيل تحقيق ما ذهب اليه رأيه . لا عن تعصب ولكن عن اقتناع فى أن الصواب معه . وقد يشتد الخلاف « ولكن لا إلى عنف » إذ أن رائد الكل المصلحة العامة . وتحقيق أهداف الخير . وهو أنشودة الجميع ــ ثم ينتهى الأمر إلى جانب واحد من الرأيين . فما الذى يكون ؟ يقول أهل العالم ــ لا إنه لم ينته بعد . ولكنها الجولة الأولى . أما ما بعدها . فالقول فيه لدى كل من الفريقين . فالمنتصر تأخذه النشوة فيضطهد وينكل . والثانى يتغيظ فيحقد ويتربص وهيهات أن يجتمع الفريقان ...

**أما يسوع** . مصدر السلام وباعثه . فينادى الجميع . أنتم لستم من هذا العالم . ولأنكم تؤمنون باسمى فلا سلطان لشر العالم على قلوبكم . بل ليملك فى قلوبكم سلام الله . أعتقد ان كل قارىء لهذه الكلمات يفهم ما أريد ومن أعنى .

أما الذى أقصد فهو **نيافة مطران الجيزة** وكذلك شعب أبروشية الجيزة

فالراعى والرعية كل منهما جزء مكمل للآخر ــ ولا حياة لواحد منهما دون الثانى . إذ لا

معنى لجسم بدون رأس . والعكس أيضا لا معنى له . والمفهوم كذلك أن رسالة السلام موجهة إلى الكل . وإذ يرضى الجميع رب السلام ينالون غاية إيمانهم خلاص نفوسهم ــ فلتتحكم الضمائر ولتقض فى أصحابها ــ إما لها أو عليها .

**يا صاحب النيافة** ــ استمعنا إلى المنشور الراعوى . فاذ بك فيه تقول « ها هى يدى تمتد إلى الجميع قوية بنعمة السيد المسيح » هذا كلام سجلته العناية الإلهية بسطور خطها قلمك ــ ولا شك فى أنها بكامل معناها نافذة بواسطتك ــ خطوة طيبة لها ما بعدها وما تنتج من أبرك الثمرات .

**بقيت أيدى الجميع** ــ التى يناشدها كل محب للسلام غيور على مجد رئيس السلام أن تستجيب إلى صوت الراعى فتمتد اليه فى حرارة وقوة فتتصافح الأيدى وتتحد القلوب .

**والكرمة التى غرستها يمين الحبيب لا يلحقها ذبول ولا خسارة**

واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم اليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام . وليملك فى قلوبكم سلام الله ، (١)

القمص يوسف الديرى

وما إن نال الكرامة الأسقفية حتى بدأ عمله الراعوى فوراً . فتفقد شعبه فى مختلف أنحاء ايبارشيته المترامية الأطراف . وبعد أن تعرف على الشعب وحالته تعرفاً مباشراً شكل مجلساً إكليريكيا ليكون التعاون بينه وبين كهنته وبين بعضهم البعض الوسيلة الفعالة فى العمل البنائى . وقد تم تشكيل هذا المجلس فى شهر أغسطس من نفس السنة التى نال فيها موهبة الله له بالأسقفية . وتألف هذا المجلس تحت رياسته وعضوية حضرات الآباء : القمص يوسف الديرى والقمص ميخائيل حنين والقمص جرجس مرقس والقس صليب سوريال وسكرتيرية القمص باسيليوس ابراهيم . وقد استند نيافة المطران فى تشكيل هذا المجلس الى قوانين الرسل والقوانين الكنسية (٢) .

ولقد وجد نيافة الأنبا يؤنس أن كنيسة مار مرقس بالجيزة قد أصبحت صغيرة بالنسبة

---

(١) من نعمة الله وبلباقة الأنبا يؤنس تحقق السلام الذى دعا اليه كاتب هذا المقال . ( مجلة الحق ــ العدد السابق ذكره : الافتتاحية ) .

(٢) مجلة الحق عدد أغسطس سنة ١٩٦٥ ( فبراير سنة ١٩٤٩ ) ص ٢٦ ــ ٢٧



لتزايد عدد السكان ، كما أنها تقع بين الأزقة القديمة حينما كانت الجيزة قرية . فرأى أن يشيد كاتدرائية جديدة واشترى لهذا الغرض قطعة أرض فسيحة تقع فى شارع مراد ــ الشارع الرئيسى الموصل ما بين الجيزة والقاهرة من ناحية وبينها وبين شارع الهرم من الناحية الأخرى . وقد منحه الله نعمة بناء كاتدرائية فخمة باسم الشهيد العظيم مار جرجس . وحالما فرغ من بنائها شيد بمحاذاتها داراً للمطرانية تتناسب معها ومع مكانة الراعى الأول للمحافظة كلها .

كذلك شيّد عدة كنائس فى أنحاء إيبارشيته الواسعة ، وكان يساهم فى البناء عن سعة من جيبه الخاص . فمثلا حينما عزم على إقامة كنيسة فى قليوب استضافه يونان حماية (١) رئيس اللجنة التى تألفت لهذا الهدف . وفى أثناء الحديث عن وجوب البدء فوراً فى البناء أخبره مضيفه بأنهم لم يتمكنوا من أن يجمعوا غير خمسمائة جنيه ، وهذه لا تكفى للبداية . فابتسم فى هدوء وقدم خمسمائة أخرى ، ثم سأل : « أظن أنكم تستطيعون البدء بهذا المقدار ؟ وتأكد أننا حين نشرع فى البناء سيرسل لنا الله كل ما يلزمنا . وبهذا العطاء (٢) وهذه الكلمات تشجع أعضاء اللجنة وبدأوا بالتنفيذ فوراً . فعرفوا بالاختبار مدى صحة أقوال المطران الجليل إذ قد تم بناء الكنيسة وأقيمت فيها الشعائر المقدسة . ومما يجدر ذكره أنه استطاع بموالاته التعليم بنفسه فى المنطقة أن يكتسب البروتستانت الى أمهم الكنيسة الأرثوذكسية : فحولوا كنيستهم الى مدرسة فى حياته .

ثم رأى نيافته أن يحول اسم « المجلس الاكليريكى » الى « الرابطة الروحية » ليكون أدق تعبيراً عن الروح الذى يرغب فى أن يراه سائداً بين كهنته . وكانت هذه الرابطة تعقد اجتماعات دورية وبخاصة عند انتهاء مدتها وبداية مدة جديدة كما يدلنا على ذلك الخبر التالى :

## الرابطة الروحية
## لكهنة الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا

اجتمعت الجمعية العمومية للرابطة الروحية لكهنة الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا فى صباح يوم الثلاثاء ٢٣ يناير سنة ١٩٥١ بدار مطرانية الجيزة تحت رئاسة حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا يؤانس مطران كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا ورئيس شرف الرابطة ــ وذلك بمناسبة انتهاء الدورة التى بدأت فى يناير سنة ١٩٤٩ ، وبعد أن استعرضت إنجازاتها خلال

---

(١) إن ما حدث بخصوص كنيسة قليوب معروف لدى شخصياً لأن زوجة يونان حماية هى بنت خالتى ( السيدة ايلين لوقا رويس )

(٢) راجع ف ١٠٧ من هذا الكتاب لترى مثلا من تلقائيته فى العطاء .

تلك الفترة بدأت عملية انتخاب الأعضاء الجدد ( أو تجديد عضوية الموجودين ) للدورة الجديدة وكانت النتيجة أن فاز حضرات الآباء على النحو الآتى :ـــ

القمص يوسف الديرى رئيساً وكل من القمص شنودة يوسف والقمص باسيليوس ابراهيم وكيلاً والقمص ميخائيل حنين سكرتيراً والقمص جرجس مرقس أميناً للصندوق والقمص رزق الله خليل والقمص بولس عبد المسيح والقمص فانيوس مترى والقس صموئيل رزق الله والقس غبريال اسحق أعضاء والقس صليب سوريال مراقباً للحسابات ( ١ ) .

ولما استقرت ثورة سنة ١٩٥٢ ألغت النظام الملكى وأعلنت مصر جمهورية ، فرأوا أن النظام الجمهورى يتطلب دستوراً جديداً . وعلى ذلك صدر مرسوم بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ بتأليف لجنة لوضع الدستور الجديدـــ ولو أن أول اجتماع لها كان فى ٢٣ فبراير . وقد اختار رجال الثورة خمسين شخصا راعوا فى اختيارهم الكفايات وأصحاب الرأى وذوى الخبرةـــ وكان الأنبا يؤنس أحد هؤلاء الخمسين لكى يعبر عن رأى الكنيسة فى هذا الموضوع الحيوى ( ٢ ) . ولم تكن الحكومة بالهيئة الرسمية الوحيدة التى تختاره . بل إن قداسة البابا كان يختاره باستمرار ليتحدث عن الكنيسة أو لينوب عنها لأنه جمع بين الجرأة ولباقة التعبير . فكان يقول الحق بكياسة لا تغضب حتى مخالفيه فى الرأى .

وقد اختار أن ينضم الى لجنة الحقوق والحريات ليستطيع من خلالها أن يدافع عن كرامة الأسرة وعن حرية العقيدةـــ وهو فى الكلمة التالية يتحدث عن حق المرأة فى المساواة :

إننا وقد اعطينا المرأة الكثير من الحقوق فى شتى الميادين فليس هناك ما يمنع من الاعتراف بحقوقها السياسية بشىء من التحفظ اما إذا أردنا أن نمنعها من حقها السياسى فليكن بتطبيق التقاليد عليها . وهذا من الصعب تطبيقه الان بعد أن منحناها عن طيب خاطر أكثر حقوق المساواة بينها وبين الرجل وساعدناها على التحلل من تقاليدنا الموروثة . حقا إن المرأة فيما مضى حتى فى عصر الإسلام كان لها رأى وجهاد وعمل ولكنها برغم ذلك لم تصل الى ما وصلت اليه المرأة فى عصرنا الحاضر من الخروج على التقاليد وأصبح من المألوف أن نشاهد بناتنا وقد اشتغلن كمراسلات فى الصحف يحققن مع الشخصيات الكبيرة و ينقلن عنهم الأحاديث الخطيرة فى السياسة وغير السياسة .

---

( ١ ) مجلة الحق ـــ العدد سنة ١٦٦٧ ، فبراير سنة ١٩٥١ ـــ ص ٣

( ٢ ) انظر ملحق ٣



ولقد اقترنت جرأته بيقظته العجيبة . ومن ذلك أنه حدث مرة أن تقرر بداية امتحانات نصف السنة فى جامعة القاهرة يوم ٧ يناير . فذهب وقابل مديرها وذكره بأن هذا اليوم هو يوم عيد الميلاد المجيد عند القبط . فشكره المدير واعتذر بأن زحمة المشاغل جعلته يوافق على هذا الموعد عن غير قصد و بالفعل أجل بدء الامتحانات يومين : فبدأت فى التاسع من يناير .

ومن الموضوعات ذات القيمة الكبرى للنشئ القبطى تعميم تدريس الدين كمادة أساسية فى الامتحانات . وقد جاهد القبط فى هذا السبيل مدى سنوات ( كما وضح مما سبق ) الى أن وافقت وزارة المعارف ( التربية والتعليم ) على مطلبهم ، وقررت تعليم الدين المسيحى للمسيحيين أسوة بإخواتهم المسلمين . واستلزمت هذه الموافقة وضع مناهج دينية تمشيا مع النظام المدرسى الذى يحتم وضع منهج محدد لأية مادة يدرسها التلاميذ والتلميذات . ولكى تصل الى هذا الهدف طلبت الى نيافة الأنبا يؤنس أن يرأس اللجنة التى تألفت لوضع المنهج الدينى ( ١ ) .

وحدث أن عاود الاثيوبيون محاولتهم الاستيلاء على « دير السلطان » بالقدس . فوضع الأنبا ياكوبوس مذكرة بملكية الأقباط لهذا الدير الذى يرجع باسمه الى أن المبنى والأرض المقام عليها كانا هبة من السلطان صلاح الدين الأيوبى ( ٢ ) . وقد أقرت السلطات المدنية حق القبط فأخلد الايثوبيون الى السكوت . ولكن ما إن انتقل الأنبا ياكوبوس الى الأخدار السماوية حتى عاودوا سيطرتهم على هذا الدير القائم فى وسط الطريق الموصل الى كنيسة القيامة . فانتدب البابا يوساب الأنبا يؤنس للسفر الى الأردن ومعه الوثائق التى تثبت ملكية الأقباط للدير المذكور لكى يقابل السلطان ( الملك ) حسين ، و يعرضها عليه ، و يتفاهم معه على إرجاع ذلك المكان المقدس الى أصحابه . والسبب فى سكنى الرهبان الأثيوبيين هذا الدير يرجع الى ثلاثة قرون مضت . فقد عجزوا آنذاك عن دفع الضريبة المقررة عليهم ، فاستولت السلطات على ممتلكاتهم وفاء لهذه الضريبة . وحينئذاك صعب على المطران القبطى أن يراهم بلا مأوى وهم أولاده الروحيون ، فرحب بهم هو وكهنته ورهبانه ، واستضافهم فى دير السلطان على أن يعيشوا مع إخوتهم القبط فى هدوء وسلام . إلا أن الأهواء البشرية دفعت بالانجليز فى مختلف المناسبات الى استثارة الاثيوبيين ضد مضيفيهم . فحدث المرة تلو المرة أن قاموا يدعون بأنهم أصحاب الدير . وكان القاضى الأكبر ( فى العصر التركى ) يحكم باستمرار لصالح القبط وفى العصر الحديث أصبحت المحكمة الشرعية هى التى تفصل فى هذا الموضوع . فكانت أحكامها ـــ هى أيضا ـــ فى

---

( ١ ) بديهى أن الرؤساء وأعضاء هذه اللجنة قد تغيروا عدة مرات منذ سنة ١٩٥٣ ، وهنا أيضا نجد مثلا فى ثقة وزارة التربية والتعليم بالأنبا يؤنس بأن اختارته لرياسة اللجنة مع علمها بجرأته .

( ٢ ) راجع الهامش على ص ١٩٢ من صـ ٣ من هذا الكتاب ( الطبعة الأولى )

كل مرة إقرار ملكية القبط . وكانت نتيجة المقابلة بين الأنبا يؤنس والملك حسين لصالح المصريين فأعيد إليهم الدير (١) .

وأهمية دير السلطان فى أنه الوحيد بين الأديرة الذى يطل على كنيسة القيامة ــ فهو يقع على مقربة منها . وبعد صدور الحكم فى موضوع ملكيته تبرع الرئيس جمال عبد الناصر بخمسة آلاف جنيه للدير ــ سلمها للأنبا يؤنس . وقد أعلن له الأقباط شكرهم على هذه المعاونة التى تحمل معانى الود والتآلف بين أبناء مصر جميعا .

ومن الأحداث التى تشهد بتلقائية الأنبا يؤنس السريعة فى مواجهة كل ما يمس الكنيسة الحادثة التالية : فى حدائق القبة كنيسة ، باسم الشهيد العظيم أبو سيفين . وكانت هذه المنطقة تابعة لإيبارشية القليوبية ثم قرر البابا كيرلس ضمها الى البطريركية بعد نياحة الأنبا يؤنس . وقد تألفت لجنة كما هى العادة لجمع التبرعات والشروع فى البناء . وبالفعل أقيمت الكنيسة وتم تكريسها وصارت تقام فيها الصلوات . ثم انتهت المدة المقررة فى لائحة الجمعية الخاصة بالكنيسة للجنة التى تؤلف مجلس الإدارة . فاجتمعت الجمعية العمومية وأجرت انتخابات جديدة نتج عنها سقوط عضوية رئيس اللجنة . فاستشاط غضباً الى حد أنه ذهب الى مأمور القسم التى تتبعه الكنيسة وأبلغه بأن الصلوات تقام من غير أن يصدر قرار جمهورى باعتماد هذه الكنيسة ! فذهب المأمور مساء اليوم التالى ( وكان سبت ) وأبلغ القمص يوحنا حنا ــ راعى الكنيسة ــ بأنه هو ورجاله سيحيطونها صباح الغد ويمنعون المصلين من دخولها ، وسيظلون ما نعين الصلوات بها الى أن يصدر القرار الجمهورى باعتمادها . فذهب القمص يوحنا وأخذ معه المعلم و بعض الرجال ــ الذين كانوا جيرانه ــ و باتوا ليلتهم فى داخل الكنيسة .

وجاء المأمور ورجاله وأحاطوا بالبناء : فمنعوا الداخلين ولكنهم لم يخرجوا من بداخلها . وهكذا بدىء بالصلوات . ولما وصل من يريدون الصلاة ( وكنت بنعمة الله منهم ) أفهمهم المأمور بالواقع ونصحهم بأن ينصرفوا . ولكنهم رفضوا نصيحته وظلوا واقفين أمام الكنيسة . وكانت أيام الخمسين آنذاك ففى دورة الصليب كان أبونا ومن معه يخرجون من باب جانبى و يدورون دورتهم حول الكنيسة من خارجها ليشترك الواقفون خارجاً معهم .

---

(١) مما يؤسف له أن الاثيوبيين مستحوذون على دير السلطان فى الوقت الحاضر . فقد انتهزوا فرصة استيلاء إسرائيل على القدس ، مستغلين الخصومة بينها و بين مصر ، وأخذوا الدير عنوة . ومع أن المحكمة الإسرائيلية العليا أصدرت حكمها لصالح القبط إلا أن وزير داخلية إسرائيل رفض تنفيذ هذا الحكم . ولم يرفض الحكم فقط بل رفض كل وساطات وزراء الخارجية المصرية وسفرائها وسفراء الدول الصديقة ! فالدير للآن تحت سيطرة الاثيوبيين !



وفى تلك الأثناء قصد شابان الى أقرب مكتب للتلغراف وأبرقوا الحادثة للأنبا يؤنس الذى كان بالطبع فى الكنيسة آنذاك . ولكنه ما إن استلم البرقية حتى أوكل الصلاة الى الكاهن الخديم المساعد وقصد لفوره الى محافظ القاهرة . و بعد التداول وعد المحافظ ( ونفذ وعده فعلا ) بأن يحصل للمطران الجليل على القرار الجمهورى . وفى الوقت عينه أعطاه خطاباً الى المأمور بالانصراف هو وجنوده ، وترك المجال للمصلين ليستمتعوا بشعائرهم .

وكان المأمور هو ورجاله قد ظلوا ينصحون الشعب الواقف أمامهم بالانصراف . ولكن الجميع رفضوا هذه النصيحة قائلين بأنهم سينتظرون الى أن يروا الحصار قد انفك فيدخلون الكنيسة . وهذا ما حدث بالفعل إذ أن المطران الجليل حالما حصل على خطاب المحافظ و وعده لفوره الى المكان المقدس المحاصر ، وسلم الخطاب للمأمور الذى جمع رجاله وانصرفوا .

وعندها دوّى التصفيق وعلت الهتافات ، وسار الجمع خلف الأنبا يؤنس فى تهليل ، ودخلوا الكنيسة حيث استكمل نيافته الصلوات التى كان القمص يوحنا قد بدأها .

ومما يجدر ذكره أن الأنبا يؤنس كان أول من تقابل مع قداسة البابا كيرلس السادس حالما تمت رسامته فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ ، وتحادث معه فى ضرورة الإسراع برسامة مطران للقدس والشرق الأدنى . وتداول قداسته مع نيافته ، وفى أثناء التداول برز اسم الراهب كيرلس الأنطونى الذى زكاه الأنبا يؤنس بكل ثناء وتقدير . وعلى أثر ذلك فتشوا عن هذا الراهب الذى كان قد هرب عندما سمع بالعزم على رسامته . ومن نعمة الله أنهم عثروا عليه واقتادوه الى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة حيث أقيمت الشعائر القدسية التى رفعته الى الكرامة العليا ــ كرامة الحارس للشعب وللمقادس الرهيبة فى الأراضى المقدسة باسم الأنبا باسيليوس أطال الله حياته .

ولأن الأنبا يؤنس كان شعلة متقده حباً وحنانا على الكنيسة لم يضع لمحبته حدوداً ضيقه بل وسعها لتشمل جميع مواطنيه : فكان يزور الجميع مشاركاً إياهم أفراحهم ومتعاطفا معهم فى أحزانهم .

كذلك كانت صلته بالرئيس جمال عبد الناصر و برجال حكومته وثيقة تقوم على الاحترام والتقدير المتبادلين . ولهذا السبب دعاه الرئيس فى ١٥ يناير سنة ١٩٦٠ حينما دعا رئيسى الحكومتين السوفيتيه والسورية لحضور حفلة إرساء الحجر الأساسى لبناء السد العالى . وفى الواقع أنه كان يتمتع بشعبية واسعة النطاق امتدت من رئيس الجمهورية الى أصغر شخص : فكل من عرفه عن قرب وعن بعد أحبه ــ سواء فى الأراضى المقدسة أو فى مصر . بل لقد وضحت شعبيته فى

أن زوجة رئيس غانا حينما جاءت لزيارة مصر اختارت أن تصلى فى كاتدرائية مار جرجس بالجيزة لتستمع بالقداس الإلهى من فم الأب المكرم الأنبا يؤنس ــ علماً بأن الضيفة الكريمة كانت تقيم بالڤيلا التى ابتناها لها زوجها العظيم على النيل بالمعادى .

وقد نشرت جريدة مصر الخبر كما يلى :

شهدت كنيسة مار جرجس بالجيزة امس ( الأحد ) يوما بهيجا فى تاريخها فقد اشتركت فتحية حليم قرينة الدكتور لوامى نكروما رئيس جمهورية غانا والوفد الرسمى الغانى المرافق لها فى زيارتها للبلاد ــ

اشتركت فى صلاة الأحد فى كاتدرائية المطرانية

وقد غصت الكنيسة على سعتها بجماهير كبيرة من المواطنين الذين جاءوا للاشتراك كعادتهم فى الشعائر الدينية وللاحتفاء بمقدم السيدة الكريمة حرم الزعيم الافريقى الكبير

وصحبت الضيفة الكبيرة السيدات والدتها وشقيقتها وعضو البرلمان الغانى المرافق لها واثنتين من سيدات حرس الشرف الجمهورى الغانى المرافقات .

ولوحظ أن السيدة فتحية نكروما قد بكرت فى الحضور الى الكنيسة مع مرافقاتها وظلت حتى نهاية القداس الالهى كما تناولت من الأسرار المقدسة مع السيدة والدتها وشقيقتها

وبعد انتهاء الصلاة سار موكب الشمامسة يتقدمهم السيدة فتحية ونيافة الأنبا يوانس مطران كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا الى قاعة الضيافة بالمطرانية حيث قدمت المشروبات والحلوى

وقد أهدى نيافة المطران للسيدة عقيلة رئيس غانا وللسيدة والدتها والسيدات المرافقات ولنجلها جورج جمال ولكريمتها الصغيرة سامية انكروما هدايا قيمة تقبلتها جميعا بالشكر والتقدير كما حرص نيافة الحبر الجليل الأنبا يؤانس على تقديم هدية فاخرة لرئيس جمهورية غانا لتقوم السيدة عقيلته باهدائها لسيادته عقب عودتها الى أكرا نيابة عن نيافة المطران مقرونه بأطيب عبارات الحب والتقدير ( ١ ) .

---

( ١ ) ( عن جريدة مصر مساء الاثنين ٢٧ فبراير سنة ١٩٦١ )



وفى مساء الخميس ١٤ فبراير ارتدى حلة التقديس لينزل الى الكاتدرائية الفخمة التى شيدها فى حياته لكى يؤدى شعائر الزواج المقدس لعروسين من شعبه . وكان يشكو قبل ذلك بيومين من احتقان فى الزور مما جعل طبيبه المعالج يعطيه دواء ( مشروباً ) لشفائه منه . فرأى أن يتناول جرعة من هذا الدواء قبل النزول الى الكاتدرائية ليستطيع أن يترنم بالشعائر ترنيما عذبا وبسهولة وبخاصة لأنه كان ذا صوت رخيم . وكانت زجاجة الدواء على مائدة صغيرة بالقرب من سريره . فأخذ منها الجرعة المطلوبة . ولكن مجهولاً كان قد نجح فى أن يتسلل الى حجرته ( بطريقة ما ) وأن يستبدل زجاجة الدواء بزجاجة سم زعاف . وكان هذا السم قويا الى حد أنه قضى على الحبر الجليل فى عشر دقائق على الرغم من كل المحاولات التى بذلها الأطباء ممن جاءوا لحضور الاكليل . ولقد أشيع أنه دفع حياته ثمناً لجرأته .

وقد نشرت جريدة « وطنى » هذا الخبر المفجع فى عددها الصادر يوم الأحد ١٧ فبراير بالمقال التالى :

## مطران الجيزة فى رحاب الله

فقدت الكنيسة القبطية حبرا من أحبارها الأجلاء . وافته منيته وهو أوفر ما يكون صحة ونشاطا ، وذهب الى جوار ربه فى الوقت الذى كانت تتطلع اليه كنيسته وتنتظر على يديه الكثير من الخير والجهد والبذل

كان الأنبا يؤانس مطران الجيزة حتى لحظة لقاء ربه مساء الخميس الماضى ينهض بأعباء رعايته ويشرف على شؤون كنائس ابروشيته ، فقد استيقظ صبيحة ذلك اليوم وهو جم النشاط دافق الحيوية ، وعكف على مهامه الرعوية الى أن وافت الساعة الثامنة مساء ، وكان قد أقيم حفل زفاف فى كنيسة المطرانية ، وفى الوقت الذى كان فيه أصحاب الحفل يرقبون قدوم المطران لأداء بعض المراسم الدينية جاء الناعى بنبأ انتقاله فجأة وهو فى جناحه الخاص بالمطرانية ، وكان نبأ مفاجئا مفجعا .

ولم يصدق الناس النبأ لأول وهلة ، فقد كانوا يعرفون عن الأنبا يؤانس صحة ناضرة موفورة ، وحركة دائبة لا تكل ... وكانت الكنيسة تعهد اليه بالجليل من المهام فيؤديها على خير وجه ، وتلقى على كاهله بالثقيل من الأعباء فينهض بها فى مثابرة واحتمال

وشق نعى الحبر الراحل على زملائه وأبنائه ، فقد افتقدوا فيه الراعى الساهر على رعيته ، المتفانى فى خدمة كنيسته .

وحينما نقل النبأ الى قداسة البابا كيرلس السادس حزن له وقدم الى القاهرة على الفور لتوديعه والصلاة على جثمانة

## تشييع الجنازة

وكان مقررا أن تشيع جنازة المطران الراحل بعد ظهر أمس ، فقدم موعدها يوما ، وصلى على جثمان الفقيد بعد ظهر الجمعة

ورأس قداسة البابا صلاة الجنازة واشترك فيها أصحاب النيافة الأنبا تيموثاؤس مطران الدقهلية ، والأنبا يؤانس مطران الخرطوم ، والأنبا ميخائيل مطران أسيوط ، والأنبا بنيامين مطران المنوفية ، والأنبا متاؤس مطران الشرقية ، والأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان والأنبا مينا مطران جرجا والأنبا أثناسيوس أسقف بنى سويف ، والأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة ، والأنبا شنوده أسقف الكلية الاكليريكية والمعاهد الدينية ، وكهنة الابروشية ، وعدد من كهنة القاهرة .

وحضر صلاة الجناز جموع كبيرة من الشعب ، وبكاه الكثيرون ، وكان فى مقدمة الحاضرين مندوب السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والدكتور كمال رمزى استينو وزير التموين ، ومحافظ الجيزة ومدير أمنها .

وألقى نيافة الأنبا متاؤس مطران الشرقية كلمة أشاد فيها بجهود المطران الراحل وآثاره فى خدمة ابروشيته

وبعد الصلاة شيع جثمان الفقيد الى مقره الأخير فى مقبرة خاصة بكنيسة المطرانية

وفى المساء أقبل كثيرون على السرادق الذى أقيم الى جوار دار المطرانية للعزاء

و « وطنى » تقدم العزاء الى قداسة البابا كيرلس السادس والاكليروس والشعب القبطى ، وتستمطر الرحمة على الراحل الكريم

وبتتبع جهاد الأنبا يؤنس نجد أنه خدم الكنيسة أربع عشرة سنة ككاهن وأربع عشرة سنة أخرى زائد ثلاثة أسابيع كمطران ، مع أنه انتقل من عالم الغدر الى عالم المحبة والوفاء وعمره ثلاثه وخمسين سنة فقط . نفعنا الله بشفاعته ومنح كنيسته الرعاة الصالحين الأمناء أمثاله .

وقبل أن نتتبع انسياب التاريخ يجدر بنا أن نقف قليلاً لنلحظ أن كل من يتمعن سير الآباء المطارنة الذين عاشوا ما بين سنة ١٩٢٩ ــ سنة ١٩٥٦ يدرك مدى وعى هؤلاء الرعاة



بمسئوليتهم العظمى التى شاء رب الكنيسة أن يضعها عليهم كما يدرك الى أى حد أدوا الرعاية حقها إذن فكل منهم كان يستطيع أن يكون الخليفة المرقسى عن جدارة . فالدعاية المغرضة التى روجها من حادوا عن التقليد ضللت الشعب وأذت الكنيسة لسببين جوهريين : أولها إنكار وجود الرهبان الصالحين للقيادة ــ وهذا معناه أن كنيسة مصر التى أنجبت أعاظم الآباء أصبحت عقيمة إذ لم يعد بين أبنائها من يصلح لأن يكون أباً بالمعنى الروحى العميق للأبوة الكنسية القبطية . وثانيهما ــ وهو الأهم ــ تراجع الايمان بعمل النعمة المقدسة داخل النفس أمام الزعم العقلانى بأن الاختبارات العالمية التى اكتسبها المطران ( أو الأسقف ) من خلال تعامله مع الشعب ومع الحكام تؤهله لأن يقود الكنيسة أصلح مما تؤهله النعمة داخل قلب الراهب المنزوى فى ديره . ولكن حقا متى فترت المحبة دخل القانون ( على حد تعبير البابا شنودة ) .

وتناسى فعل النعمة فى عمق الإنسان ينقضه اختيار رب المجد لرسله الأطهار ، كما ينقضه تاريخ كنيستنا المجيدة : هذا التاريخ الممتد من مار مرقس الى عصرنا الحالى . وقصة الكنيسة القبطية لا تثبت فقط صلاحية الراهب بل لقد أثبت أيضا أن الفترات التى اعتلى خلالها السدة المرقسية مطران ( أو أسقف ) امتلأت بالمتاعب والمشاكل الداخلية وما على القارىء إلا أن يتأمل سير الآباء البطاركة ويقارن بين فترات باباوية الرهبان وبين باباوية المطارنة ( أو الأساقفة ) . يتأمل فى اتزان ويقارن فى إنصاف . وبهذا التأمل يزداد إيقانا بأن وعود الله لا تسقط أبداً ، وكما أنه هو هو أمس واليوم والى الأبد فمواعيده هى هى أمس واليوم والى الأبد . وهو قد وعد تلاميذه بأن يرسل لهم روحه القدوس ليلبسهم قوة من الأعالى ( ١ ) فانه له المجد مازال يتمم وعده فى الذين يسلمون نفوسهم إليه استعداداً لخدمته ولتنفيذ إرادته فى حياتهم . ولكن الذى يجب أن نذكره دائما هو أن الله مع قدرته اللانهائية ومع ثبات مواعيده دوما لا يقحم الانسان على تقبل هذه الوعود : إنه يهبها مجانا لمن يقبلها عن رضى . فاحترام الخالق المبدع لحرية المخلوق الضئيل هى التى جعلته تعالى أن يدع للإنسان حق الاختيار حتى لو كان اختياراً خاطئا . وحينما أعطى الوصايا لموسى قال محذراً الشعب : أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحيوة والموت . البركة واللعنة . فاختر ... » ( ٢ ) فإن كان مبدع الأكوان قد احترم حرية الإنسان قبل عهد النعمة فكم بالحرى يحترمها بعد أن صالحه ومنحه الحق فى أن يعيش به ومعه وفيه الى أن يعيشه ؟ ....

---

١٢٨ ــ من نعمة الله على منطقة الأقصر عائلة ، معروفة باسم « عائلة القمامصة » إذ أنها

---

( ١ ) عدد ٢٣ : ١٩ ، لوقا ٢٤ : ٤٩ ، أعمال ١ : ٨ ، عبرانيين ١٣ : ٨

( ٢ ) تثنية ٣٠ : ١٩

قد قدّمت عدداً من أبنائها ليخدموا المذبح المقدس وليرعوا رعية السيد المسيح . ومن نعمة الله علىّ أنه منحنى التعرف على بعض هؤلاء القمامصة الذين تميزوا بروحانية عميقة و بوداعة المسيحية الحقة . وكان الأب الذى ترجع اليه هذه العائلة بنسبها والد لباسيلى الذى صار فيما بعد شيخاً للبلد ، ولتاوضروس الذى أشعل الطريق الى الكهنوت أمام الأجيال الصاعدة من أبناء هذه العائلة المباركة . وكانت البلدة التى تولى باسيلى شياختها اسمها « عزبة باسيلى » ثم تحول اسمها بعد ذلك الى « عزبة القمامصة » .

**أ ــ أما القس تاوضروس بسادة** شقيق باسيلى فقد كان أول شخص من هذه العائلة العميقة الايمان ينال كرامة الكهنوت بيد الأنبا مرقس أسقف الأقصر واسنا وأسوان ، إذ قد رسمه هذا الأسقف على كنيسة دير المحارب ( ١ ) باسمه « تاوضروس » . ومن أهم ما تميز به هذا الكاهن صلته الوثيقة بالله . هذه الصلة التى جعلته بسيطاً متواضعا ذا شفافية روحية عجيبة ، كما جعلته يميل الى الخلوة كلما وجد فترة من الهدوء بين مشاغله الراعوية . و بالطبع كانت الكنيسة التى رسم على مذبحها هى مكانه المفضل للخلوة . وكثيراً ما كان يحدث أثناء خلوته أن يأتى اليه بعض السواح ( ٢ ) فيصلّون معه و يقيمون القداس الالهى . وقد حدث مرة أن ذهب ابنه ليبلغه طلبا ضرورياً من أحد أفراد الشعب . ولما اقترب من مبنى الدير سمع أصوات التسبيح وشم رائحة البخور . ولكنه حينما دخل الى الداخل لم يجد أحداً غير أبيه ــ القس تاوضروس ــ فأخبره بما سمع وما شم . فرجا منه الكاهن الجليل أن لا يخبر أحداً بشىء إلا بعد انتقاله من هذا العالم .

كذلك أيّده الفادى الحبيب بنعمة مكنته من التغلب على الوحوش الكاسرة . فقد حدث ذات مرة أن اقتحمت فناء الدير لبوة ( ٣ ) وكان القس تاوضروس بمفرده فى تلك الساعة ولكنه استطاع أن يقتلها . وما كاد يخمد أنفاسها حتى وصل عَلىِ « غفير الدير ودهش حين رأى أن رجل الله قد تمكن من قتلها مع أنه ليس منفرداً فقط بل إنه أعزل من السلاح أيضا . ثم وصل بعد ذلك الى الدير بعض المؤمنين للسؤال عن القس تاوضروس ، ولما وجدوا جثة اللبوة ملقاة فى الحوش سألوا عمن قتلها . فتجاهل أبونا سؤالهم . إلا أن عَلى قال لهم : « لقد رسم هذا القديس علامة الصليب حالما رآها ، فكانت هذه العلامة كافية لأن تسقط هذه اللبوة جثة هامدة فى الحال » .

---

( ١ ) المحارب هو الأمير نادرس ، أو ناوضروس أو تيئودورس فى الأصل القبطى

( ٢ ) السواح هم أسمى مرتبة نسكية ، منحهم الأب السماوى المقدرة على التنقل من مكان الى مكان بسرعة تتحدى المادة ، كما منحهم إمكانية العود الى العالم للصلاة أو للتحدة بعد انطلاقهم من الجسد ــ راجع ف ٢٠ من قصة حبيب المصرى

( ٣ ) بما أن الدير يقع خلف وادى الملكات فإنه فى مكان قفر . وكانت الصحراء المصرية فيها الكثير من السباع وليواتها الى عهد قريب ــ بل يقول البعض إن هذه الضوارى مازالت موجودة ولو أنها قليلة العدد .



وإن النعمة الالهية التى أعطته السلطان على الوحوش أعطته أيضا إمكانية السيطرة على كبار الأشرار . ومن الأمثلة على ذلك أن زعيم عصابة كان يزعج أهالى المنطقة كلهم بالسطو عليهم ، ذهب اليه ذات يوم وهو فى خلوته بالدير . ولما وقف أمامه بدأ يسخر منه ويهدده ثم أراد أن يأخذ حصير الدير .

فواجهه رجل الله بثبات وهدوء ، وقال له بثقة المؤمن : « اذهب من هنا ياولد ! واعلم أن رجال الأمن سيقبضون عليك بعد يومين بإذن الله » . وذهل زعيم العصابة من ثبات أبينا ومن كلماته الصادرة بسلطان وتراجع لفوره . وقد تم القبض عليه بالفعل بعد يومين كما أنبأه أبونا .

وكذلك كانت صلواته تخرج الأرواح الشريرة ، وتشفى المرضى والمجانين . فكان الجميع يأتون إليه : قبط ومسلمون لينالوا الشفاء من أمراض الجسد والسلام من أمراض النفس . وبما أنه كان يعامل الجميع بالمحبة المسيحية و بالتواضع والصبر فقد بادله الجميع محبة بمحبة .

وقد عاش هذا الكاهن القديس خمساً وسبعين سنة لم يحتج خلالها الى طبيب إطلاقا . وفى الساعة الأخيرة من حياته كان يترنم بتسبحة الملائكة . ثم رسم نفسه بعلامة الصليب المقدس واستودع روحه بين يدى فاديه الحبيب .

**ب ــ** أما الشخص الثانى الذى نال كرامة الكهنوت من هذه العائلة المباركة فهو **فاخورى** الابن الأكبر لباسيلى وابن شقيق القس تاوضروس . توفى أبوه وهو بعد على عتبة الشباب . وكان له أربعة إخوة وأربع أخوات أصبح هو عائلهم والمسئول عنهم وعن تربيتهم . فتولى الإشراف على زراعة الأرض التى يملكونها ، وفى الوقت عينه التحق بالعمل مع بعثة أمريكية تنقّب عن الآثار .

على أن عمله لكسب العيش ولتربية إخوته لم ينسه الخدمة الروحية فكان شماساً بدير المحارب . ولم تقتصر خدمته على التسابيح والصلوات ، بل كان منوطاً به عمل الترتيبات اللازمة لراحة الزوار الذين كانوا يتوافدون على الدير بالمئات . ولما كان قد تشبع بالتعاليم المسيحية منذ نعومة أظفاره فقد كان ذا ضمير مرهف يدفعه الى بذل أقصى ما يستطيع من جهد فى تأدية الخدمات المتنوعة الملقاه عليه . ولاستكمال خدمته كان يصر على أخذ زوار الدير الى بيته بعد الانتهاء من القداس الإلهى ليقدم لهم طعام الإفطار . وقد التف الجميع حوله حتى هذا السن المبكر وأحبوه وأكرموه .

ومن نعمة الله عليه أيضا أنه منحه قوة جسمية فائقة وصحة جسمية نادرة مكنته من القيام

بكل المهام التى أوكلت اليه بلا كلل . وقد لازمته هذه الصحة طيلة حياته . فالآب السماوى قد منحنى أن أعرف هذه الشخصية العجيبة فى شتاء سنة ١٩٦٠ . وكان القمص متى ( فاخورى ) آنذاك يناهز التسعين من عمره وحضرنا قداساً إلهيا خاصاً قام هو بشعائره من أوله الى آخره . ولما انتهينا من هذه الصلوات القدسية كنا سنذهب لتناول الغذاء فى بيته . وكنا حوالى عشرين شخصا . ولم تكن أمامنا غير عربة حنطور واحدة . فقال أبونا : « العفى فيكم يمشى معايا . والبطلان يركب الحنطور » ( ١ ) !

ولما كانت العائلة التى ينتمى إليها فاخورى من تلك العائلات التى تأصلت فى أعماقها الروح المسيحية ، فقد كان متصفا بكل الصفات التى أوصانا بها رب المجد وأعظمها المحبة . ولهذا السبب زكاه الجميع هو وابن عمه للكهنوت . واستلم الأنبا مرقس هذه التزكيات واحتفظ بها ليصوم و يصلى كى يظهر له الله إرادته العليا . لأن هذا الحبر الجليل كان لا يضع يده على رأس أى مرشح قبل أن يرى رؤيا بخصوصه . على أن الآب السماوى لم يمنح الإرشاد للأنبا مرقس بل منح فاخورى أن يحلم الحلم التالى : جاءه غفير يدعوه لأن يذهب الى مقابلة العمدة ويحضر عملية الانتخاب التى ستجرى أمامه . فقام وذهب معه لفوره . وما إن دخل الديوان حتى قدم له رئيس اللجنة ورقة انتخاب . وتأملها فاخورى فوجدها مقسمة الى خانات ، وداخل كل خانة وظيفة معينة . ثم وجد داخل الخانة الأخيرة مكتوباً : « الكهنوت » ، فلوقته اختار هذه الكرامة الكنسية . فوقف رئيس اللجنة وأعضاؤها وهنأوه بفرح وابتهاج . فلما استيقظ فاخورى فى الصباح روى هذا الحلم لأهل بيته ففرحوا بدورهم وقدموا له التهانى . ولم تمض غير ثلاثة أيام على هذا الحلم حتى أرسل الأنبا مرقس يستدعيه هو وابن عمه وحدد لهما موعد الرسامة . وخلال الشعائر المقدسة **أعطى فاخورى اسم متى وابن عمه اسم متياس** . وتمت المراسيم المقدسة فى كنيسة السيدة العذراء بالأقصر ــ وهى كنيسة المطرانية ، ولكنها نالا كرامة الخدمة فى كنيسة دير المحارب وهى كنيسة قريتها . وهكذا فاز الشعب برعاية كاهنين من أشد الرعاة وعياً بالرسالة العظمى التى ائتمنها عليها رب الكنيسة . وقد شملت رعايتها شعب كنيسة مار يوحنا بالضبعية والسيدة العذراء بالمريس وكل القرى المجاورة لهذه الكنائس ( ٢ ) .

ومنذ أن بدأ متى خدمته الروحية الى نهاية حياته عوّد نفسه على افتقاد الشعب بلا هوادة . ولسعة قلبه المليء بالمحبة كان يخدم الجميع من غير تفرقه : يخدم القبط والمسلمين على

---

( ١ ) يعنى أهل هذه المنطقة بكلمة العفى عن القوى والبطلان عن الضعيف . أما الحنطور فهى العربة التى يجرها حصان أو حصانان .

( ٢ ) تقع هذه القرى جميعها على الضفة الغربية من النيل فى المنطقة المواجهة لمدينة الأقصر



السواء ، يخدم الفقراء أضعاف خدمته للأغنياء . وكان بيته أشبه بالمضيفة منه بالمنزل الخاص إذ كان مفتوحاً للزوار طول النهار والى ساعات متأخرة من الليل . وكان حليما صبوراً يصغى الى شكاوى الآتين اليه بكل هدوء ، و يقدم لهم النصح الأبوى الفائض بالنعمة . و بالإضافة فقد منحه الفادى الحبيب موهبة شفاء الأمراض وإخراج الشياطين . فكان المرضى والمعذبون من الأرواح النجسه يتهافتون عليه فيجدون منه الوجه الباسم والحنان الفائض ثم الشفاء والراحة النفسية .

ولشدة عطفه على الفقراء خصص لهم جزءً من بيته ليستريحوا فيه . وكان إذا ما استضافهم يجلس معهم على المائدة و يقدم لهم الطعام بنفسه و يأكل معهم . وذات يوم جاءه رجل فى مسيس الحاجة الى الخبز ، فقال لأهل بيته : « أعطوه كل الدقيق الذى عندنا » . وحاولوا أن يقنعوه بتقديم جزء منه واستبقاء الجزء الآخر ، فكرر عليهم : « أنا قلت أعطوه كل الدقيق ولا تستبقوا شيئا منه ! » وأطاعوه . و بعد ساعة واحدة فقط وصل الى باب بيته رجل يقود جملاً على ظهره أردبان من القمح لأبينا متى مرسلان من أحد الأغنياء . وتلقى أهل البيت العطية فى شكر صامت ، وقد ازدادوا يقينا بالنعمة الإلهية التى غمرت أبانا .

ولقد وثق به الأساقفة وقدروه تقديراً كبيراً الى حد أن كلاً من الأنبا باسيليوس وخليفته المباشر الأنبا ابرآم اتخذ منه أباً لاعترافه . وهذا معناه أنهما منحاه الحق فى أن يعطيهما النصح والتوجيه بعد الاصغاء اليهما ( ١ ) . وليس ذلك بمستغرب لأن القمص متى كان دائب الصلاة والتسبيح ، ينتهز كل فرصة مهما كانت قصيرة بين خدمة وأخرى ليختلى بربه كذلك كان شغوفا بالصوم فيقول لشعبه : « إن أيام الصوم ذات بركة كبيرة : بركة تفيض على الصائمين وتمتد منهم الى الآخرين . « ولهذا الشغف لم يتوان عن الصلاة والتسبيح مع الصوم حتى حين تقدمت به الأيام . وكان ــ حتى فى شيخوخته ــ يسهر ليالى كيهك ويشترك فى التسبحة بحرارة وعمق . فكانت قلوب الذين يرونه و يسمعونه تتعزى وتستريح فى رب السلام .

وكان يعلّم شعبه باستمرار بقوله : « حب الله والناس يحبك الله والناس » . وقد مارس هذا القول فعلاً ، بل عاشه . فتصاعدت المحبة فى قلبه كلما تقدمت به الأيام . ومن أروع الأدلة على هذه المحبة الدافقة ما بدا منه حين انتشر و باء الملاريا . فقد حدث أن مات سبعة أشخاص فى يوم واحد ، وكان هو فى الدير يصلى على المتوفين . فبعدما انتهى من الصلاة على آخر واحد

---

( ١ ) نرى هنا محافظة الأساقفة على التعليم الرسولى الذى يحتم ( حتى على البابا ) ممارسة سر الاعتراف على الراعى الذى يختاره .

منهم وقف أمام حجاب الهيكل يصلى بدموع و يقول : « كفاية ياربى . ارفع الوباء عن الناس وتراءف عليهم . » وفى تلك الليلة رأى رؤيا عجيبة . رأى طيارة كلها أنوار من داخلها وحولها ، وقد وقفت أمام باب الدير . ثم نزل منها شخص وتقدم الى أبينا متى وقال له : « تعال . قابل الملك . لأنك طلبته وهوعاوز يشوفك » . فسار معه الى سلم الطائرة . وإذا بالملك المسيح نازلاً عليه . فسجد أبونا أمامه وكرر طلبه : « ياسيدى ارفع الوبأ . أجابه ملك الملوك : « لا تخف فصلواتك قد قبلت . ومن اليوم سأرفع الوبأ . « ولما استيقظ من النوم أحس بفرح عظيم وأخبر أهل بيته بما رأى ، ففرحوا هم أيضا وتهللوا . وفى الليلة عينها ذهب الملاك الذى اقتاد أبانا متى الى طائرة رب السماء الى أبينا متياس وأخبره بالحلم الذى رآه ابن عمه .

وبالفعل لم يمت بعدها أحد بالملاريا إذ قد انتهى الوبأ وتلاشى بتلبية رب المجد لضراعة صفيّه القمص متى باسيلى .

وكان إيمان هذا الكاهن بمحبة الله ورعايته وثيقاً : كان إيماناً كإيمان الرسل والآباء الرسوليين . ومن الأدلة على رسوخ إيمانه الحكاية التالية : حينما نال كرامة الكهنوت ترك أمر الاهتمام بالزراعة لأخيه . ثم حدث عندما انتشر وبأ الملاريا أن مات بعض المزارعين ، فنقص عدد الأيدى العاملة وبالتالى جاء المحصول ناقصا ضعيفا فلم تنتج عنه حبوب للزراعة التالية . فلما قرب موعد إلقاء البذار جاءه مزارع يطلب منه مبلغا من المال لشراء الحبوب اللازمة . ولكن رجل الله لم يكن عنده أى مال ساعتئذ . فقال له بثقة المؤمن : « تعال بكره وربنا حيبعت خير » .

وفى الصباح المبكر من اليوم التالى حضر الى بيت أبينا متى طبيب معروف من الأقصر اسمه مترى غالى ، ورجا منه أن يقيم له ولعائلته القداس الالهى . فذهب الكاهن معه الى الدير حيث قام بالشعائر المقدسة . ولما انتهى من الصلوات قدم له الطبيب ضعف المبلغ المطلوب (١) (وهو طبعا لم يكن يعرف الموقف) . فلما حضر المزارع أعطاه أبونا متى ما طلبه من المال وهو يقول : « خذ ياولدي . ربنا أعطانا كل احتياجاتنا بل وأكثر مما طلبنا حسب وعده الصادق » (٢)

---

(١) ظل الكاهن لا يتناول مرتبا بل تعيش على محبة أولاده طوال الأجيال التى سادتها المحبة وملأت القلوب وعياً بالواجب المقدس الملقى على الشعب نحو رعاته وهذا التقليد أوضحه لنا القديس بولس الرسول بقوله : « .... إن كنا قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات .... هكذا أيضا أمر الرب أن الذين بالانجيل من الانجيل يعيشون ... » (اكورنثوس ٩ : ١ — ١٤) . ولكن حينما سرت العقلانية العالمية الى النفوس تناسى القبط أن الكاهن أعلا من أن يتناول مرتبا لأنهم تناسوا من قبل ذلك وجوب إكرامه فى تلقائية وصمت .

(٢) يعبّر الرسول نفسه عن هذه الرعاية المذهلة فيقول : « .... القادر أن يفعل فوق كل شىء أكثر جداً مما نطلب أن نفكر .... » (أفس ٣ : ٢٠)



ولقد منحه الآب السماوى موهبة شفاء الأمراض حتى عن بعد . فقد حدث مرة أن أحد موظفى محافظة الأقصر — واسمه صادق خليل عطاالله — كان يشكو من ألم شديد فى ظهره . ومع أن أبا اعترافه كان القمص عبد المسيح مرقس ( راعى كنيسة السيدة العذراء ) إلا أنه ككل أهل المنطقة كان يحب أبانا متى و يطلب شفاعته . ففى صباح أحد الأيام ذهب فى الموعد المحدد له للاعتراف ولكنه لم يستطع الذهاب الى أبينا متى إذ أحس بأن الآم ظهره قد تضاعفت . وهو فى الوقت عينه كان فى السنة النهائية وأمامه دبلوم القيادة . وفى تلك الليلة عينها رأى فى حلم أبانا داخلا الى غرفته مع اثنين من خدام مدارس الأحد . ولما وصل الى جانب سريره قال له : « ياصادق .. ياولدى ورينى ضهرك » . ثم أخرج موسى من جيبه وشرط ظهره عند موضع الألم ، ومسح الدم بقطعة من القطن . وبعدها وضع لقمة قربانة فى فمه ، ثم وضع القطنة الملوثة بالدم على الشباك ، وخرج . و يقول صادق إنه شفى تماما من تلك اللحظة » .

ولقد سبق القول بأن أبانا متى قد اتسع قلبه ليحب الجميع : القبط والمسلمين . وبدت هذه المحبة فى استجابته لطلبات المسلمين بالضبط كاستجابته لطلبات القبط . وعلى سبيل المثال نورد القصة التالية : جاء حسين فراج وزوجته لزيارته ذات يوم . وكان حسين من أهالى المنطقة ولم يرزقه الله بأى طفل على الرغم من زواجه قبل زيارة أبينا بعدة سنوات . فطلب هو وزوجته اليه أن يصلى لكى يرزقهما الله ولداً . وللوقت رفع أكف الضراعة الى الآب السماوى راجيا إياه أن يفرح قلب الزوجين بولد . وخلال سنة من الزمان وضعت زوجة حسين ولداً أسمياه « بدر » . وبعد عدة أسابيع من ولادته حمله أبواه الى أبينا متى ، ثم قدما عجلا للدير وفاءً للنذر الذى كانا قد نذراه .

بل إن أبانا لم يكن يكتفى بتلبية طلب من يأتى اليه ، وإنما كان يذهب اليهم حين يبعثون فى طلبه . ومما حدث أن رجلاً اسمه أحمد حسين من كبار موظفى محافظة قنا ، مرض ابنه ولازم الفراش شهوراً طويلة . واستحضر له أبواه أمهر من يعرفون من الأطباء كما استشارا كبار العرافين . ومع ذلك ظل الولد مريضا . فلما ضاقت السبل أمام أحمد حسين أرسل الى القمص متى يرجوه أن يأتى اليهم . فلبى الطلب فوراً وذهب الى قنا مستصحباً معه ابنه القمص عازر . وذهب معهما داود يسى مدير بنك الاسكندرية بالأقصر . وحالما دخلوا غرفة المريض وقف الكاهنان يصليان . وما إن انتهيا من صلاتهما وقالا « آمين » حتى قام الولد من فراشه معافى وكأن شيئا لم يكن به . وامتلأ كل الذين كانوا داخل الغرفة دهشة وفرحا . ولفرحتهم أقاموا حفلة تكريم لأبينا متى تقديراً له على سرعة استجابته ولمحبته الحارة التى تجلت فى صلواته .

وغنى عن القول إن قلب أبينا متى الذى وسع القريب والغريب كان به ركن خاص

للكهنة المنتمين الى عائلته والمنوط بهم الخدمة فى الكنائس عينها التى كان عليه الخدمة فيها . وهؤلاء الكهنة هم : القمص متياس ، القمص داود ، القمص عازر ، القس بسادة ، القس مرقس ، القس تاوضروس ــ أى أن هذه العائلة المباركة قد قدمت للكنيسة سبعة من الرعاة فى فترة وجيزة (١) . وكان أبونا متى أكبرهم سنا ، لذلك كان يقول لهم : « ليتخير كل واحد منكم الكنيسة التى يريد الصلاة فيها هذا الأسبوع ، والتى تبقى أصلى فيها أنا » . ولقد بادلوه محبة بمحبة واحتراماً باحترام . فكان إذا ما تلقى أحدهم أى مبلغ من المال يسلمه بأكمله الى أبينا متى ، وهو يوزعه عليهم كما يتراءى له . فيقبلون توزيعه برضى (٢) . وهذا كله يوضح لنا أن أبانا متى كان على وعى روحى عميق بمعنى الأبوة : الأبوة الحانية الساهرة الباذلة . والأب الذى يكون على هذه الدرجة من الأبوة سيجد ــ من غير شك ــ الاستجابة الراضية الفرحة من أبنائه . فسيدنا له المجد حين قال : « من له يُعطى و يزاد » (٣) أعطانا المبدأ الشامل لكل مجالات الحياة : فالذى يعطى المحبة ينال المحبة ، وهو يعطيها من قلبه الفياض فتفيض عليه من قلوب كثيرة . هذه هى القاعدة العامة . ولكن لكل قاعدة شواذ فى حياة هذا العالم . فالعدد الوفير أحب أبانا متى إلا أنه كان هناك بعض ممن عكر الحسد صفو نفوسهم ودفعهم الى محاولة النيل من كرامته . فمثلا أراد أحد كبار الأشقياء أن يزعجه ، فتربص له ذات ليلة وهو عائد من قرية المريس الى بيته . وقطع عليه الطريق وهو يزعق بأعلا صوته : « وقف عندك » . فأجابه رجل الله بهدوء تام : « انت اللى توقف عندك » . وبهذه الكلمات أصيب الشقى بالجمود التام ولم يستطع حراكا . وسار أبونا فى طريقه بسلام . أما الذى زعم أن يخيفه فقد ظل واقفاً مكانه الى أن طلعت الشمس . ورآه الناس وهم ذاهبون الى حقولهم ، وعرفوا منه ما حدث . وعندها انفك من رباطه وتمكن من الحركة . فصحبه البعض الى بيت القمص متى الذى سامحه فى الحال وأوصاه بالتوبة .

وهناك حادثة أخرى شاهدتها حينما كنت فى الأقصر ( كما سبق ذكره ) ، وتتلخص فى أنه كان ذاهباً بعد ظهر يوم من أيام الأربعاء للسؤال عن بعض أولاده . وكان يريد أن يعبر الشارع . فنزل من على الرصيف . ثم وقف مكانه إذ رأى سائق عربة حنطور يرجع الى الخلف ليتمكن من الدوران فى الشارع والسير فى الاتجاه المغاير . ورآه سائق العربة واقفا ملاصقا للرصيف . فتعمد أن يعود بعربته الى حيث كان واقفاً ويخبطه و يوقعه على الأرض . وفى اللحظة عينها مر طبيب بسيارته ــ وكان من أحباء أبينا ــ فتوقف على الفور ورفعه من على الأرض وأجلسه داخل سيارته . ثم قال لأبينا لابد أن آخذ العربجى الى القسم ــ لأنه رآك واقفاً ثابتا فى

(١) مازالت هذه العائلة المباركة تقدم خداماً للمذبح المقدس الى الآن

(٢) قارن بين هذا التصرف و بين مسلك الرسل من المؤمنين فى أعمال ٤ : ٣٤

(٣) مت ٢٥ : ٢٩



مكانك وتعمد أذيتك . « أجابه رجل الله بهدوئه المعتاد » . لا . سيبه منه لربنا . فأطاع الطبيب وأخذ أبانا الى عيادته ، وفحصه بدقة ، فتبين له أنه لم يصب إلا ببعض الرضوض اضطرته الى الاعتكاف فى بيته من الأربعاء الى الأحد .

وعند موعد خروج الكنيسة يوم ذلك الأحد ذهب العربجى ( الذى تركه أبونا لربنا ) الى باب الكنيسة لعله يجد ركابا بين الخارجين منها . وكان محافظ الأقصر يومذاك قد أمر باقامة الزينات و بواكى النصر ابتهاجاً بأحد الأعياد القومية (١) . فكان يمر فى تلك الساعة لورى يحمل ما تتطلبه تلك الزينات . وفى مروره اشتبك عامود من أعمدة الزينة بسلك من أسلاك أنوار الشارع . فقال بعض المارة لسائق اللورى : « وقف . وقف » . ففرمل بقوة ومفاجئة حتى أن السلك المشتبك انقطع ونزل طرفه المقطوع على ظهر حصان العربة المنتظرة الزبائن فصعقه فى الحال ! وعندها ذهب العربجى الى أبينا ( الذى كان مازال فى بيت أحد أحبائه بالأقصر ) وقال له : « لماذا لم تشتكينى للشرطة ؟ لماذا تركتنى لربنا ؟ » أجابه : « أنا ياولدى ماليش غيره فلا أشتكى لإنسان » . وهنا سرد العربجى قصته ، فانهالت الدموع من عينى أبينا وقال : « روح يابنى . الله يسامحك و يبارك لك فى الحصان اللى باقى لك » . ثم وضع فى يده مبلغا من المال تعزية لقلبه .

ومما يجب تسجيله اهتمام القمص متى ببناء الكنائس أو بترميمها . فهو حين تسلم مسئولية الرعاية كان حجم كنيسة دير المحارب صغيراً . فوسع المبنى الأصلى المهيأ للصلاة . ثم أضاف حوله عدداً غير قليل من الغرف لمبيت الزوار الآتين من أماكن بعيدة . كذلك وسع الأرض المحيطة بالكنيسة و بالمبانى التى شيدها ، و بنى حول الأرض سوراً عاليا غطى الكنيسة وما حولها عن الأنظار . فلم يعد المتجه نحوها يرى غير قباب الكنيسة . وبما أنها أقيمت أصلاً فيما يعرف بالعصر القبطى (٢) فإنها مشيدة على شكل صليب وتعلوها سبع قباب . وقد أقام أبونا للسور بوابة حديدية ضخمة . ولقد فرح أولاده حينما رأوا جهوده الإنشائية هذه « فوضعوا عند قدميه » (٣) كل ما أمكنهم من العطايا . وخلال العمل كان كلما وجد لديه شيئا من الوقت يبنى مع البنائين ، كما كان يشجعهم بصلواته العلنية و بتقديمه لهم الطعام اللازم والهدايا فى مختلف المناسبات .

وما إن انتهى من العمل فى دير المحارب حتى جاهد لتجديد بناء كنيسة السيدة العذراء

(١) يؤسفنى أنى لا أذكر المناسبة بالضبط

(٢) هو العصر الواقع ما بين الحكم الرومانى والى ما بعد دخول العرب بقرن من الزمان ــ أى ما بين أواخر القرن الرابع الى أواخر القرن الثامن .

(٣) هذا هو التعبير الوارد فى أعمال ٤ : ٣٥

بالمريس . وقد منحه الله النعمة لتجديدها تماما . ولم يتعاون معه شعب المريس وحده بل تعاون معه أيضا أهالى القرى المجاورة . ولما أكمل هذا التجديد رأى أن يبنى كنيسة فى أرمنت . وللمرة الثالثة عرف مؤازرة النعمة الالهية وتهافت الشعب على الإسهام معه فى هذا العمل الجليل . وللمرة الثالثة أيضا فرح بأن يرى مشروعه قد تحقق الى التمام .

وفى أيام الصوم الأربعينى المقدس لسنة ١٩٦٨ أصابه مرض الشيخوخة إذ قد منحه الله أن يناهز القرن واضطره المرض الى ملازمة الفراش فى بيت له بمدينة الأقصر . وكان الناس — فى تشوقهم اليه والى نوال بركته — يتوافدون عليه باستمرار بالمئات . فكان يقابلهم بصدر رحب وبشاشة حلوة ، ويصلى من أجلهم ويمنحهم البركة . ويجب القول بأن المتهافتين عليه كانوا قبطا ومسلمين لأنهم ذاقوا جميعا حلاوة محبته . ومن أبدع الأدلة على محبة الناس له أن كل أطباء الأقصر تجمعوا حوله ذات يوم وأعلنوا صراحة طلبتهم الى الآب السماوى بأن يأخذ من أعمارهم ويضيفها الى عمره .

وفى الأسبوع الأخير من حياته كانت ابنته وزوجة ابنه القمص عازر تسهران لخدمته ليلاً . وكانت معهما فى البيت شابة اسمها اعتماد حكيم رباها أبونا متى فعاشت كواحدة من بناته اللواتى أنجبهن . وذات ليلة تغلب النوم على كل من ابنته وزوجة ابنه ، بينما كانت اعتماد تغالب النعاس . وطلب أبونا آنذاك كوباً من الماء فلم تستطع اعتماد أن تقوم لثقل جفنيها . وخلال نصف اليقظة التى هى فيها رأت طفلاً يشع بالنور جاءه وقدم له كوب الماء — بل سقاه بيده . واستمر هذا الطفل النورانى ساهراً الى جانبه . وفى الصباح بينما السيدتان تعتذران وتتأسفان على أن النوم غلبهما ، قصت اعتماد عليهما وعلى كل الذين جاءوا يومذاك مارأته .

وبعد ذلك بليلتين كان أبونا نائما نوماً عميقا ، وفى عمق نومه أخذ يصلى القداس الإلهى بصوت واضح ثابت كأنه صوت شاب قوى . وقد استمتع بهذه الصلوات الرائعة أهل بيته والجيران المحيطون بهم .

وفى السبت الأخير من عمره قال لابنه القمص عازر وزوجته ولكل الجالسين حوله : « استعدوا وحضّروا انفسكم . لأنى مروّح يوم الأربعاء . خلاص » . وفى يوم الأثنين الذى يليه جاءه الدردير على عليان غفير دير المحارب ليستفهم عن صحته . فابتدره رجل الله بالسؤال عن المدفن الذى تبرع ببنائه له العالم الأثرى لبيب حبشى ، وأشرف على التنفيذ المهندس ويصا عبد النور الذى ساهم أيضا بجزء من التكاليف . ثم قال له : « عملتو ايه يادردیرى فى الفسقية اللى قدام المدفن ؟ » أجابه « خلصت يابونا وبقت حلوة . وان شاء الله تبقى كويس وتيجى تشوفها بنفسك » . فقال له عند ذاك : « يادر ديرى . ياولدى . أنا جاى أسكن فيها يوم الأربع » .



ثم حدث أن دخل فى غيبوبة بعد ظهر الثلاثاء ٣ أبريل سنة ١٩٦٨ ، فظنت إحدى السيدات أنه انتقل فعلا وصرخت بصوت عال فصرخت بقية الحاضرات . وأفاق رجل الله من غيبوبته وقال لهن : « ليه بتعملو كده ؟ بكره أنا ماشى . واياك تصرخو » .

وبأزاء هذا التكرار أرسل القمص عازر الى كل أولاده ومحبيه ليحضروا كى يودعوه . فتوافد الجميع الى البيت . وسمع الجيران والأصدقاء فجاءواهم أيضا حتى ضاق بهم البيت . وفى صباح الأربعاء منح بركته الأبوية لهذا الجمع الحاشد ، ثم رقد فى الرب فى الساعة التاسعة تماماً من ذلك الصباح — فى ٤ أبريل سنة ١٩٦٨ . وكان يومذاك موافقا ليوم « أربعاء أيوب » (١) .

ومن هذه الصورة نرى أن أبانا القمص متى باسيلى أحب الناس الى آخر نسمة من حياته ، فأعطاهم البركة الروحية وهو على وشك الانطلاق من أسر الجسد .

ولما كان رسول الأمم قد علّمنا أن المحبة لا تسقط أبداً ، ولما كانت قوة باذلة بناءة ، فقد منحت النعمة الإلهية القمص متى — لمحبته — إجراء العجائب حتى بعد انتقاله من هذا العالم . ومن أعماله الحادثة التالية التى يروبها ابراهيم حكيم الموظف بضرائب أرمنت — وهو ابن أخى القمص متى — قال : « كنت مجنداً سنة ١٩٧٤ . وكنت أدير كانتين الفرقة بالإضافة الى عملى فى فرع الماليات . وحدث أنى قمت بالإجازة . فلما عدت بعدها الى الوحدة وأخذت أراجع الأوراق والماليات لم أجد المبلغ الخاص برأس مال الكانتين ، وهو تسعمائه وخمسون جنيها . وأحسست كأن صاعقة قد انقضت على ، وبخاصة وأنا مجند فى القوات المسلحة . ولكنى رأيت أن أول واجب على هو إبلاغ رئيس الشئون المالية بالأمر . ولما استمع الى قال لى : « أنا واثق إنك برىء . ولكن لازم الميرى يأخذ مجراه . « وقام لفوره فأبلغ قائد الوحدة الذى أمر بالبدء فى اتخاذ إجراءات المحاكمة العسكرية . والتهمة طبعا هى الاختلاس . ثم قال لى القائد : « احضر غداً . وتحت الحراسة » .

وقضيت الليل كله فى الصلاة وفى الاستشفاع بالقديسين ، وطلبت بإلحاح من عمى أن يشفع فىّ . وفى الساعة المحددة من الصباح التالى ذهبت تحت الحراسة الى مكتب القائد . فكان أول سؤال ابتدأنى به سؤالاً أدهشنى للغاية إذ سأل : « من هو العقيد متى ؟ وكيف وصلت

---

(١) من الجدير بالملاحظة أن تجلى السيدة العذراء فى الكنيسة التى تحملها اسمها المبارك كان مساء اثنين البسخة (٢ ابريل) سنة ١٩٦٨ — فالقمص متى لم ينتقل يوم « أربعاء أيوب » فقط بل انتقل فى ذلك اليوم المبارك عند بداية تجلى السيدة العذراء لشعب مصر — ومن خلاله لكل من أتوا للتبرك برؤيتها من مختلف الشعوب .

اليه ؟ » أجبته : « أنا لا أعرف عقيداً بهذا الاسم . » قال لى : « إن هذا العقيد الذى اسمه متى ظل طول الليل على اتصال مستمر بى ، وهو يسأل عنك و يقول إنك برىء » . ولما أبديت دهشتى قال : « يكفى هذا اليوم » . وصرفنى من أمامه .

وبينما كنت أنا عند القائد ، وفى اجتماع الطابور الصباحى ، وجدوا شخصا اسمه سالم كان قد تجند وأتا فى الإجازة . ولاحظ مدير الشئون غياب هذا الشخص يومذاك . فأرسل ضابط الأمن واثنين من جنوده للبحث عن سالم هذا . فلما وصل الضابط وزميلاه الى الكيلو اه ، عند نقطة الشرطة العسكرية ، وجدوا سالم مقبوضا عليه . وكان السبب فى القبض عليه هو مخالفته التعليمات الميرى فيما يتعلق بالزى العسكرى . فرأى ضابط الأمن أن يقوم بتفتيشه . وهنا حدثت المعجزة إذ قد وجدوا المبلغ المفقود كله معه ! وعند التحقيق اعترف بأنه هو الذى اختلس المبلغ ، وعلى ذلك حوكم عسكريا . أما أنا فبالطبع أدركت من البداية من هو العقيد متى الذى لم يهدأ طول الليل ، والذى بتدخله أرجأ محاكمتى الى أن يظهر السارق » .

كذلك وضحت محبة أبينا متى لسيدة كانت توالى الذهاب اليه ( فى حياته ) لأخذ بركته ، اسمها الهاربة أحمد . وكانت تتعيّش من بيع الخضروات . وحدث أن أصيبت بتضخم فى الغدة الدرقية . فلما ذهبت الى الطبيب أفهمها أنه لابد من إجراء عملية جراحية لها لأن هذا المرض ليس له علاج آخر . و بدافع خوفها من العملية وثقتها الأكيدة فى عطف أبينا متى باسيلى ذهبت الى قبره وأخذت من التراب الذى فوق القبر حفنة وضعتها على مكان الغدة ، فنالت الشفاء . ولشدة فرحها أذاعت الخبر بين جميع معارفها .

هذان مثلان من الكثير مما أظهرته النعمة الالهية بشفاعة قديسه القمص متى باسيلى . وسيرة هذا القديس المعاصر وعجائبه التى يجريها الله الى الآن هى لتذكيرنا بأن الله هو هو أمس واليوم والى الأبد ، وأنه يعلن آياته فى قديسيه . بل إن له تعالى حتى فى عصرنا المليء بالبلبلات ــ قديسيه العائشين به وفيه ومعه . إنهم بركته التى يغدقها على الناس فى كل عصر .

**جـ ــ القمص متياس تاوضروس ــ** هو العضو الثالث من أعضاء هذه العائلة المباركة الذى منحه الله نعمة الكهنوت ، وقد سبق القول بأنه رسم فى الوقت عينه مع ابن عمه القمص متى .

ولد الطفل متياس بقرية البعيرات القريبة من دير المحارب سنة ١٩٠٠ ، وهو ابن القس تاوضروس سادة الذى كان الباكورة التى قدمتها عائلة باسيلى لخدمة المذبح . ولما كان أبوه على جانب كبير من المحبة والبساطة والتواضع ، ولما كانت أمه ممن ملأت محبة الله قلوبهن ، فقد نشأ



متياس متشبعا بالروح المسيحية حتى لكأنها كانت طبيعته الفطرية . و بدأ تعليمه فى الكتاب تبعاً للعادة الشائعة آنذاك . فأتقن معرفة التعاليم والطقوس والممارسات المسيحية . الكنسية . وكان ولوعاً بالتسبحة والألحان . ومن نعمة الله عليه أن منحه صوتاً عذبا حنونا ، فكان يتلذذ هو شخصيا بترديد التسابيح كما كان يتهلل سامعوه بها . و بدأ خدمته الكنسية كشماس ، فأفرحه الله بالتفاف الشعب حوله حتى وهو فى شبابه وفى شماسيته . ولأنه كان يؤدى عمله الشماسى بقلب خالص ورغبه أكيدة فقد بارك الآب السماوى خدمته كما بارك عمل يديه ــ إذ أنه كان يشتغل بالزراعة لكسب الرزق . فكانت المحاصيل تأتى فائضة سنو يا .

والى جانب البركة السماو ية نال متياس أيضا بركة أبيه بالجسد ، فكانت علاقتهما وثيقة متينة حتى أن أباه تنبأ له بأنه سيكون كاهناً وطلب له القوة والمؤازرة من الفادى الحبيب للقيام بمهامه الراعو ية قبل أن يحصل فعلاً على كرامة الكهنوت .

وعندما أصيب والده القس تاوضروس بوعكة أحس أنها وسيلة انتقاله على الرغم من خفتها قال لابنه : « يامتياس إننى مسافر » فاقترح عليه استدعاء الطبيب . أجابه : « لا ياولدى ، لست فى حاجة اليه لأنى سأستر يح من أتعابى بإذن الله » . وكرر له الدعاء بالبركة . ولقد قال القمص متياس فيما بعد إن أباه كان يرتل جزءً من التسبحة الفرايحى وقد شع وجهه بنور سماوى ساعة أن حضرته الوفاة . ولقد وضح الايمان الوثيق الذى كان يملأ قلب متياس لأنه مع شدة تعلقه بأبيه ، ومع وعيه بالمسئولية العائلية التى آلت اليه لكونه أكبر إخوته ، فقد واجه حزنه بهدوء و بسالة وأصبح كالشمعة التى تذوب لتنير الطر يق أمام الآخر ين . وهكذا حمل النير منذ صباه (١) فتدرب بالاختبار على تأدية واجباته . فلما رسم كاهنا كانت العناية الالهية قد هيأته لأن يؤدى مسئوليات الراعى بدقة وحنان .

ولكونه متعلقا بالكنيسة و بكل ما يختص بها لم يكتف بالترنم بألحانها وتسابيحها بل جمع أيضا كل ما يمكنه من الكتب عنها فكون لنفسه مكتبة خاصة ليزداد معرفة بالموضوعات الكنسية . وبهذه المزايا اكتسب القلوب فأعلن الشعب عن رغبته فى أن يكون متياس كاهناً لهم . وقد كرروا هذه الرغبة أمام مطرانهم الجليل ولكن متياس كان يرفض لتواضعه الجم ولوعيه بعظم المسئولية التى يتطلبها الكهنوت . إلا أنه كان مستسلما للإرادة الإلهية واضعاً حياته بجملتها فى يدى الآب السماوى .

وكان الأنبا مرقس لا يقبل وساطة من انسان مهما بلغت مكانته الاجتماعية مؤكداً

---

(١) مراثى أرميا ٣ : ٢٧ .

للجميع أن الكهنوت ليس كرامة فحسب بل إنه ــ فوق هذه الكرامة ــ مسئولية كبرى سيؤدى الحاصل عليها حساباً عنها أمام رب الكنيسة . لذلك كان لا يضع يده على أحد إلا بعد أن يعلن له الله بوسيلة أو بأخرى استحقاق المرشح للرتبة الكهنوتية . ولقد شاء الفادى الحبيب أن يعلن فى رؤيا لهذا الخبر الجليل جدارة فاخورى ومتياس بالرسامة . فأرسل لهما وحدد معهما موعد الرسامة التى نالاها فى ساعة واحدة ــ وكان ذلك فى ٧ مارس سنة ١٩٣٠ . وهكذا أصبح الشماس المزارع القمص متياس .

ولقد أقيمت الشعائر المقدسة فى كنيسة السيدة العذراء بالأقصر ، فتسارعت الجماهير لحضورها . وكان متياس خاشعاً يسطع وجهه بنور سماوى حتى لكأنه ملاك . ومن نعمة الفادى الحبيب أن منح هذا الكاهن البسيط الممتلىء محبة أن يخدم المذبح المقدس على مدى خمسين عاما . ولم ينضب اهتمامه ( خلال النصف قرن ) على العناية بالشعب وحده بل امتدت عنايته لتشمل الكتب والأوانى والملابس والستور وكل مستلزمات الخدمة . ولقد خدم فى كنيسة دير المحارب وكنائس السيدة العذراء بالمريس وبأرمنت ، ويوحنا الحبيب بالضبعية ، والملاك ميخائيل بالأقالته . كما كان ينتدب أحيانا للصلاة فى كنائس الأقصر . وكان قلبه الفسيح يتسع لمحبة الجميع من القبط والمسلمين سواء بسواء .

ومن نعمة الله علىّ أن منحنى أن أعرف عمق محبة أبينا القمص متياس . فمنذ أن تعرفت به فى الأقصر ظل يكاتبنى ــ لا فى مواسم الأعياد فحسب ــ بل أيضا كلما قرأ فى الجرائد شيئا عن أسرتى وكلما ظهر لى كتاب جديد . وهنا أيضا ازددت اختباراً بأن المحبة لا تسقط أبداً فتمتد من جيل الى جيل . ذلك أن الله لم يرزق القمص متياس غير ابنة وحيدة اسمها مارى تزوجت من ابن عمها ( الذى صار القس بسادة ) . ومازال هذا الكاهن الأمين يكاتبنى الى الآن ، وهو الذى أعطانى معظم المعلومات عن عمه الذى هو والد زوجته .

وغنى عن القول إن الذى يفيض قلبه بمثل هذه المحبة الغامرة يشعر بأحاسيس الغير حتى من غير أن يكاشفوه بها ، بل حتى وهم بعيدون عنه . فقد حدث أن القس بسادة كان يتفقد أهل قرية من القرى التابعة لرعايتهم . وأمسى عليه المساء وهو مازال فى زياراته مما اضطره الى المبيت فى استراحة الكنيسة . على أن أهل القرية نسوا أن يحضروا له غطاء بالمرة . فلما عاد الى بلدته قال له القمص متياس : « أنت نمت هناك ولكنك لم تسترح » . فاستفهم منه القس بسادة عن السبب فى هذه الكلمات فأخبره بما حدث له بالضبط كما لو كان معه .

وكان القس بسادة ــ قبل رسامته ــ يشتغل بالزراعة . وذات صباح كان على وشك الذهاب مع بعض زملائه من المزارعين لجمع الملح كى يسمدوا به الأرض . فقال له القمص



متياس : « لا تذهبوا اليوم الى الجبل ياولدى » . وأطاعوه دون السؤال عن السبب . وعند الظهيرة جاءهم الخبر بأن قطعة من الصخر سقطت من أعلى الجبل فتسبب سقوطها فى قتل ثلاثة أشخاص .

وثمة مثل آخر على أن الله منحه معرفة الأمور قبل حدوثها يتلخص فى أن الأنبا أغاثون أسقف الاسماعيلية كان منتدبا لرعاية شعب الأقصر عقب نياحة أسقفها الأنبا ابرآم . وكان بصحبته الراهب أنجيليوس . وفى ذات صباح بينما كان الكهنة مجتمعين معه بناء على دعوته إياهم قال لهم : « صلوا لكى يمنحكم الله راعيا صالحاً ساهراً » . أجابه أبونا متياس ببساطة وتلقائية ، مشيراً الى الراهب المرافق له ، « ها هو أسقفنا المبارك فى وسطنا . إنه هو الذى سيحمل عبء الرياسة الكهنوتية » . ولقد تحققت كلمته إذ أن الراهب أنجيليوس وقع عليه الاختيار بعد ذلك فأصبح الأنبا أمونيوس .

وكان القمص متياس أكبر الكهنة سنا بعد انتقال القمص متى باسيلى الى الأخدار السماوية ، فكان يعاملهم بمحبة وتواضع فائقين . فلقد كانوا كلهم مسئولين معا عن رعاية الكنائس عينها ولم يكن واحد منهم منفرداً بكنيسة . فكان يقول لهم باستمرار : « أنا أخوكم الأصغر فيكم ، فكل منكم يختار الكنيسة التى يريد إقامة الشعائر المقدسة فيها . وبعد ذلك أصلى أنا على المذبح المتبقى » . ولفرط تواضعه ومحبته فى معاملتهم كانوا ملتهبين حباً فيه يعتبرونه أباهم بالحق .

كذلك وضح حنانه الأبوى فى مدى عنايته بمن يمرض منهم . فقد حدث أن كان ابن القس أنطونيوس ( أحد كهنة الأقصر ) مريضا ومع أن القمص متياس كان يخدم على مذبح دير المحارب فى ذلك الأسبوع فقد علم بالروح بمرض هذا الشاب . فلما انتهى من شعائر القداس الإلهى يوم الأحد قال لأهل بيته : « أنا ذاهب الى الأقصر للسؤال عن برنابا ابن ابينا أنطونيوس » . وبالفعل قصد الى منزل ذلك الكاهن . ولما دخل غرفة الشاب المريض وقف يصلى من أجله بكل حرارة . وما إن انتهى الأسبوع حتى جاء برنابا الى دير المحارب ليحضر الصلوات فيه وليقدم الشكر لله ولخادمه الأمين القمص متياس .

كذلك أصيب القس بسادة ( الذى سبق ذكره ) بشلل حاد من نوع ميئوس من شفائه . ولكن الايمان الوثيق الغامر قلب أبينا متياس لم يترك فيه قيد شعرة من اليأس . فظل يصلى بدموع ليلا ونهاراً ليتراءف الله على ابن أخيه ويقيمه معافى . وبانسكاب دموعه كان يكرر : « يارب خذ منى واشف أبانا » واستمع الآب الرحيم لصلوات خادمه الأمين ، فظهرت السيدة العذراء للقس بسادة ومسحته بيدها الطاهرة . وتمت المعجزة ونال المريض العافية التامة ، ومازال للآن

يخدم الشعب بصلواته وحسن رعايته . وتهلل الناس لهذا الشفاء فتناقلوا أخباره وأوصلوها خارج الأقصر . وقد شهد دكتور فايز نخلة ( أحد الأطباء بأسوان ) أن المعجزات مازالت تتم للآن لأن صانعها هو هو أمس واليوم والى الأبد .

ولقد علم القمص متياس بالروح بموعد انتقاله الى الفردوس . وكان قد أصيب بمرض البروستاتا فأراد القس بسادة أن يصحبه الى الأقصر لاستشارة بعض الأطباء هناك . فأجابه الإجابة عينها التى قالها له أبوه من قبل وهى : « ياولدى . لا تتعب نفسك لأنى مسافر الى السماء » . ثم حدث بعد ذلك بأيام أنه كان ذاهباً فعلاً الى الأقصر مع أحد أحفاده ــ لا طلباً للأطباء ولكن لافتقاد مريض هناك ! وحينما كانا فى المعدية ردد على مسمع من حفيده الآية القائلة : « عجيبة هى أهوال البحر » ( ١ ) ، وصمت . ثم قال : « دى آخر مرة أركب فيها وأعدى للأقصر » .

ثم لما اشتد عليه المرض ازداد فرحه الى حد جعله يقول : « أنا فرحان لقرب الانتقال ! » وكان يتلذذ آنذاك بالترنم بترنيمة الأحد الثالث من الصوم الكبير . وقبل نياحته بأسبوع ظهرت له السيدة العذراء وبصحبتها مار جرجس وقالت له : « يا متياس ــ سوف أريحك من تعب هذا العالم » . واستكمل الشهيد العظيم قائلا : « سنأتيك يوم الخميس لاستصحابك معنا » . ففرح وتهلل لهذا الخبر . وأخذ يحدث أسرته حديث التعزية والتطمين .

وفى صباح يوم الخميس الموافق ٢٧ يوليو سنة ١٩٨٠ انتقل فى هدوء المغيب الرائق الى الأحضار السماوية . ومع كونه قد خدم الكنائس فى القرى الواقعة على الضفة الغربية من النيل إلا أن جثمانه الطاهر نقل الى الأقصر حيث أقيمت الشعائر الجنائزية الخاصة بالكهنة فى كنيسة السيدة العذراء . وقد تزاحم الشعب القاطن على ضفتى النهر الخالد لحضور الصلوات وإلقاء آخر نظرة على أبيهم الذى سهر على رعايتهم نصف قرن ونوال البركة من جثمانة الطاهر . ورأى الجميع وجهه كوجه ملاك للنور المشع منه . ثم ساروا خلفه من الأقصر الى دير المحارب حيث أودعوه الى جانب أبيه القس تاوضروس وابن عمه القمص متى باسيلى ، حتى لقد أصبح مدفنهم مزاراً يحج اليه الجميع : القبط والمسلمون معا .

ومما حدث قبل نياحته بيوم واحد أنه استدعى كل أفراد الأسرة وباركهم واحداً واحداً . وكان بينهم القمص عازر والقس تاوضروس فقال لهما : « أرجوكم الاهتمام بالكتب بصفة

( ١ ) من مزمور ٩٢ أحد جزاير الساعة السادسة .

خاصة . ولى ثلاث توانى ( ١ ) فى الدير وهبتهم لك يا محارب لأنى سآتى غدا اليك لأعيش عندك . وفى المساء نفسه جاءه القس بسادة الذى لم يتمكن من الحضور مع بقية أفراد العائلة ، فقال له : « تشدد وتشجع وربنا يقويك على تحمل المسئولية ( ٢ ) والآن اذهب واسترح لأنك ستتعب غدا . وأرجوك أن لا تحزن لأنه الى هنا أعاننى الرب » .

أما بعد نياحته بأسبوع فقد طلب أحد أهالى البعيرات ــ واسمه لبيب أندراوس ــ من القس بسادة أن يحضر عنده ليصلى له « صلاة مسحة المرضى » إذ كان يشكو من المرض . وفى زحمة الحزن والأعمال الراعوية الوفيرة نسى الكاهن هذا الطلب . فامتلأت نفس لبيب ضيقا . وفى تلك الليلة رأى القمص متياس فى حلم وسمعه يقول له : « لا تتضايق ياولدى فأنا سأصلى لك صلاة مسحة المرضى ، وبإذن الله ستنال الشفاء » وبالفعل عوفى لبيب ونال الشفاء فازداد ايمانه قوة .

وبعد عدة أيام من ظهوره للبيب أندراوس ظهر لنسيم زخارى الذى كان موظفا بالتأمينات وقال له : « اذهب الى بيتى وقل لأهله « لا تحزنوا لأن أبانا مستريح جداً فى صحبة القديسين » .

ولقد قدره الآباء وعبروا عن تقديرهم اياه : كلٌ بأسلوبه فكان نيافة الأنبا مرقس الذى رسمه لا يتحدث معه وعنه إلا بقوله « الغالى » . بينما كان الأنبا باسيليوس ( ٣ ) يناديه بكلمة « يا أخى » . أما الأنبا أمونيوس الأسقف الحالى ( أطال الله حياته ) فقد قال : « على الرغم من أن أبانا متياس لم يقرأ عن البساطة ولا عن الحكمة إلا أن الناظر إليه كان يجد فيه كل البساطة وعظمة الحكمة » . فى حين أن الأنبا بيموا الخوربيسكوبوس المساعد للأنبا أمونيوس قد جهر بأن القمص متياس قديس معاصر ، لا يتعامل معه إنسان إلا ويجد فيه روحانية القديسين وقداستهم وعبيرهم الذكى .

وشارك الكهنة أساقفتهم فى هذا التعبير معلنين أبوته الحانية لهم . فقال عنه القمص عازر متى باسيلى إنه كلما كان فى حضرة أبينا متياس كان يحس بيقينية أنه مع والد رؤوف . وحينما

( ١ ) توانى جمع تونية ، وهى الثوب الذى يرتديه الكاهن والشماس ساعة تأدية الشعائر الإلهية

( ٢ ) نرى من تصرف هؤلاء الكهنة ومن أحاديثهم مدى إدراكهم للكهنوت ، فهم مع بساطتهم وتواضعهم لا يتحدثون عنه إلا بوصفه مسئولية . وجدير بنا أن نتمعن هذا الإدراك لنستعيد قوة إيماننا بفاعلية الروح القدس داخل النفس الإنسانية ! هذه الفاعلية التى تشتعل لاستجابة روح الانسان الى روح الله القدوس بغض النظر عن أية مكانة اجتماعية أو أية شهادة علمية ــ أنها نداء العمق الإلهى يتجاوب معه العمق الإنسانى .

( ٣ ) راجع ما جاء عنه فى ف ٧٢ أ و ب و جـ من هذا الكتاب

وقف القمص جرجس مكاريوس (وكيل مطرانية الأقصر) يرثيه عقب الصلوات الجنائزية قال ــ وقد تساقطت دموعه على خديه : «إننا نشعر جميعا فى هذا اليوم بلوعة اليتم إذ قد فقدنا أباً حنونا عرف أن يتعاطف معنا كلنا ... لقد خسرته الكنيسة المجاهدة لتربح السماء قديسا تضمه الى صفوف سكانها الأبرار» (١)

١٢٩ــ وبعد هذه الفرحة الروحية بالتلاقى مع الكهنة الأقصريين ، نترك الصعيد لنتجه نحو منطقة شبين القناطر ــ وهى منطقة «القناطر الخيرية» (٢) التى أحيطت بالحدائق الفسيحة الجميلة . على أن النيل بقناطره وحدائقه ليس بالجمال الوحيد الذى أزدانت به هذه المنطقة ، إذ قد شاء الآب السماوى أن يزيدها رواءً بالجمال الروحى ، فأبرز قرية من قراها لتكمل قوته لا فى ضعف الأفراد فحسب بل فى ضآلة القرى أيضا . والقرية التى برزت بين مثيلاتها هنا هى قرية «منية شبين» .

ففى خلال سنة ١٨٨٨ منح الله يوسف ميخائيل وزوجته ابنا سمّياه «ناشد» وكان كلاهما باريين تقيين فأهتما بتربيه ناشد وإخوته على العقيدة الأرثوذكسية فى صميمها . فما إن بلغ ابنهما ناشد الخامسة من عمره حتى أرسلاه الى الكتّاب ليتلقّى عن العريف الصلوات والمدائح والتسابيح الكنسية . فلما استوعب هذه التعاليم الأساسية ألحقاه بالمدرسة الابتدائية الانجليزية التى كانت آنذاك فى شبين القناطر ، فنال شهادتها سنة ١٩٠٠ . واستكمل دراسته الى أن حصل على «شهادة المعادلة» التى تعتبر بمثابة الثانوية العامة سنة ١٩٠٤ . ولما كان ناشد مولعاً بالدراسة فقد دأب من نفسه على إتقان العلوم واللغتين العربية والانجليزية .

وعلى أثر تخرجه عُين مدرسا بمدرسة الأقباط بالبتانون حيث ظل من سنة ١٩٠٥ ــ سنة ١٩١٢ . ثم اختاره المسئولون عن المدارس الإسرائيلية الكبرى بطنطا ليكون ناظراً على هذه

---

(١) والواقع أنى أحس غاية الإحساس بأن كل ما قيل لا يفى القمص تاوضروس حقه ، لأن شخصية القديس أعمق من أن تصفها الكلمات . فالقديس ومضة من الومضات الإلهية التى ينير بها الخالق طريق مخلوقيه . إذن فأين هو اللسان الذى يستطيع أن يرسم هذا النور الذى يعكس إشعاع الله ؟ ولقد ذكرت بأن الآب السماوى منحنى نعمة التعرف بكل من القمص متى والقمص متياس . فعرفت بالاختبار مدى روحانيتها ومحبتها الشاملة . ولكنى ــ بالأضافة ــ رجوت الأهل والأحبة ممن عاشوا تحت رعايتها أن يمدونى بتفصيلات عن حياتها . فلبوا رجائى . لذلك منى لهم كل الشكر ، ولهم من الله النصيب الصالح ببركة صلوات القديسين المعاصرين والسابقين . راجع أيضا كتاب «كاهن قديس : القمص متى باسيلى» لسامح كمال نشرته كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بالظاهر (القاهرة) فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٢

(٢) وصفت هذه القناطر بكلمة «خيرية» لأن مياه النيل التى كانت تحتجز فى خزاناتها لتنساب فى فترة هبوط المياه السيلية فكانت تؤدى الى زيادة خيرات الإنتاج الزراعى . وكانت أول خزانات بنيت فى العصر الحديث إذ قد أقامها محمد على باشا .



المدارس ، فترك عمله بالبتانون فى آخر سنة ١٩١٢ الدراسية وانتقل الى طنطا . وظل يدير هذه المدارس الى سنة ١٩١٦ .

وقرب أواخر هذه السنة ، وفى شهر أبريل على وجه التحديد ، تزوج ناشد . وبعد شهر واحد من زواجه رسم قساً باسم شنودة على كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بمنية شبين التى هى مسقط رأسه . وهكذا انتقل من صفوف العاملين تحت حكم السلطة الزمنية الى صفوف خدام الملك السماوى .

وحينما تسلّم أبونا شنودة رعاية أهل قريته كانت الكنيسة اسماً على غير مسمى إذ لم تزد على الجدران الأربعة . فلم يكن لها سقف بينما كانت أرضيتها من التراب ، وكان حجابها منكسراً . فبدأ عمله الراعوى بترميم الكنيسة وتجديدها . وبهذا الهدف فى نفسه أخذ يتجول فى مختلف القرى . ومع أن زياراته كانت لجمع المال للمشروع الحيوى الذى يحلم به ، إلا أنها كانت إفتقاداً فى الوقت عينه لأنه تعرف بأهالى القرى المجاورة كلها . وليس من شك فى أن اللقاء الشخصى بين الكاهن والشعب من أقوى الوسائل لتدعيم الألفة والتفاهم . وهكذا نجح القس شنودة فى اكتساب مودة الناس وفى تحقيق مشروعه فى آن واحد . فشيدت الكنيسة ، وأقيم لهيكلها حجاب جميل بالأيقونات التى زينته . وتم تنظيف فنائها وإحاطته بسور عال كى يستطيع الناس الاجتماع فيه لمختلف المناسبات وتحقق هذا كله فى حوالى خمس سنوات إذ قد أصبحت الكنيسة تحفة جميلة سنة ١٩٢٢ .

ولما اطمأن أبونا شنودة على بناء الكنيسة أراد أن يهىء لها أسباب الاستمرار ، فأسس جمعية تكون مسئولة عن جمع المال اللازم سنويا إذ لم يكن للكنيسة وقف . وقد بارك الله فى هذا العمل بركات وفيرة لأن الجمعية بدأت برأس مال قدره عشرة جنيهات فوصلت الى أن يكون الدخل مائة جنيه شهريا .

وبأزاء هذا النجاح لجأ هذا الكاهن اليقظ الى وسيلة أخرى لجمع المال بل بالحرى لتجميع الناس فى الكنيسة . فبدأ بالاحتفال بمولد الشهيد العظيم مار جرجس لمدة أسبوع : من ٢٠ ــ ٢٧ يوليو . وكلنا يعرف تزاحم الجماهير على هذه الموالد الخاصة بالشهداء والقديسين . فجاء الناس من مختلف البلاد استشفاعاً بالبطل وتبركا به . وقد شاء الله العجيب فى قديسيه أن تتحقق آيات وعجائب كثيرة وفيرة . فازداد ترابط الناس لتشاركهم معاً فى الصلوات والتسابيح ولابتهاجهم بالعجائب . وتعبيراً عن هذا الترابط وهذا الابتهاج قدموا كل ما يستطيعون من الهبات الى الكنيسة .

وبعد أن اطمأن أبونا شنودة الى سير الكنيسة واستمراره بدأ يجمع المال لشراء قطعة من الأرض تقام عليها مدافن للأقباط . لأن المدافن القديمة كانت على بعد كيلومترين من القرية مما كان يرهق المشيعين صيفا وشتاء . وليس ذلك فحسب بل إن الكوبرى الذى كان يربط بين ضفتى الترعة الفاصلة بين القرية وبين المدافن لم يكن سوى قطعتين عريضتين من الخشب مما يجعل مرور عدد من الناس فوقه معاً خطراً عليهم . فكانت غالبية المشيعين تصل الى الكوبرى ثم تستأذن فى العودة . فلما نجح القس شنودة فى شراء الأرض سعى سعيا حثيثاً لدى مصلحة الطرق والكبارى لإقامة كوبرى جديد . ولقد منحته النعمة الإلهية النجاح أيضا فى هذا السعى ، فأقيم كوبرى متين بالاسمنت المسلح أعطى الأهالى الشعور بالطمأنينة كلما أرادوا تعدية الترعة .

وفى سنة ١٩٢٦ نال القس شنودة رتبة القمصية من يد نيافة الأنبا متاؤس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا . وكان هذا الحبر الجليل أول مطران يرسم على هذه الإيبارشية المستجدة إذ كانت القليوبية قبل ذلك تابعة للكرسى الأورشليمى ، كما كانت الجيزة تحت رعاية مطران الفيوم .

وكأنما زادته القمصية نشاطاً إذ وجه اهتمامه الى إتاحة الفرصة أمام الشعب ليحضر الى الكنيسة . فقد كان السوق الأسبوعى للقرية هو يوم الأحد . والسوق بالنسبة للقرويين له أهمية كبرى ، مما اضطر عدداً غير قليل الى عدم الذهاب للكنيسة لانشغالهم بالبيع والشراء . لذلك بذل جهداً جهيداً لإقامة السوق يوم الاثنين حتى لا يجد المتهاونون عذراً يتذرعون به للتغيب عن الكنيسة . وهنا أيضا آزرته النعمة الإلهية فنجحت مساعيه .

وبعد أن مهّد السبيل للكبار أن يحضروا الى الكنيسة أنشأ فرعاً لمدارس الأحد بقريته لتتجمع العائلة كلها تحت ظل الكنيسة . وكان يقوم بنفسه بتدريس الدين وتوضيح العقيدة الأرثوذكسية والطقوس الكنسية . ودعّم تدريسه بإصدار مجلة جعلها لسان حال مدارس الأحد وأطلق عليها عنوان « الاستقامة » — وكان ذلك فى أوائل الأربعينات من هذا القرن . ولقد انتشرت هذه المجلة انتشاراً واسعا إذ قد وصلت الى أقاصى الصعيد . وظلت تصدر حتى منتصف الخمسينات .

ولأن القمص شنودة كان على وعى صحيح بمعنى القومية الوطنية فقد دأب طوال حياته على تشبيت الألفة والتفاهم بين القبط والمسلمين . وكان هو فى شخصه رمزاً لهذا الوعى الذى سعى الى تعميمه . ولولا مودته مع مواطنيه لما نفذوا له كل مساعيه ولما أيدوه فى تحقيق أهدافه .

وبعد هذا الجهاد فى مثابرة رأى الآب السماوى أن يريحه من أتعابه فنقله من صفوف



الكنيسة المجاهدة الى صفوف الكنيسة المنتصرة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١ . وكانت مدة رعايته خمسة وثلاثين عاماً وستة شهور (١) .

والسير المقدمة ليست سوى أمثلة قليلة — أو هى عينات — نرى فيها عمل النعمة الإلهية فى كنيستنا المحبوبة . لأن الله له المجد قد وعد بأن يحل بروحه القدوس داخل كل روح إنسانية متفتحة نحوه . فكما ساند الرسل هكذا ساند المتطلعين نحوه العاملين مشيئته مذاك والى اليوم ، ومن اليوم الى انقضاء الدهر .

وإنه لجدير بكل من يعرف قديسا أن يعمل على تسجيل سيرته تعليماً للأجيال القادمة وتثبيتا للقلوب فى صدق مواعيد الله ، وفى قول الفادى الحبيب ها أنا معكم الى الانقضاء .

١٣٠ — وبعد أن تأملنا السير العطرة التى للآباء يجدر بنا أن نتأمل سير الأبناء . فالآب السماوى « يعطى الجميع بسخاء ... » (٢) ، ولا يشترط فيمن يغدق عليه مواهبه الا القلب المتطلع نحوه المتلهف على عشرته . وهذا السخاء الإلهى المنساب انسياب أشعة الشمس الساطعة نراه واضحاً فى تاريخنا كل الوضوح . ولو أننا دققنا فى تسجيل حياة كل الأمناء على ما استودعهم الله من مواهب لأعوزنا الوقت كما أعوزتنا الطاقة . على أن الأمثلة الباهرة المعطاة فيها الكفاية على فاعلية الروح القدس خلال الآباء والأبناء .

وأبرز شخصية من العلمانيين فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والأول من العشرين عملاق من الصعب قياس قامته : وهذا العملاق هو **حبيب جرجس** . ولقد منحه الفادى الحبيب أن يخدم طيلة خمسة وخمسين عاما . وكانت خدمته واسعة شاملة لمختلف المجالات — عمل فيها وعلّم (٣) فحقق شرط العظمة الذى وضعه لنا السيد المسيح .

ومع أن حبيب جرجس وُلد فى القاهرة سنة ١٨٧٦ إلا أن أباه كان من طما (البياضية) ، فهو والحالة هذه يرجع بأصوله الى محافظة جرجا . ولقد علّمنا الكتاب المقدس بعهديه أن الأولاد يشبون على ما يعلمهم إياه والدوهم . وبما أن حبيب جرجس عاش فى الكنيسة وبها ولها فهو من غير شك قد رضع حبها مع اللبن الذى أرضعته إياه أمه . ولولا هذه الرضاعة من

---

(١) تفضّل المستشار يوسف القمص شنودة — مشكوراً — فأعطانى هذه المعلومات الخاصة بوالده لنرى فى سيرة هذا الكاهن صورة من عمل النعمة داخل القلب حتى فى عصرنا الحالى الذى يزعم الكثيرون أن المادة طغت عليه .

(٢) يعقوب ١ : ٥

(٣) متى ٥ : ١٩

بدء حياته لما التهب قلبه حباً ولما جاهد كل هذا الجهاد و بذل كل هذا البذل . ثم إنه نال رتبة الشماسية وهو بعد تلميذ فى مدرسة الأقباط الكبرى(١) .

. ولما اعتلى البابا كيرلس الخامس السدة المرقسية ، و بعد أن هدأت العاصفة التى هبت على الكنيسة فى السنوات الأولى من ر ياسته ، رأى أن حجر الزاو ية للنهضة الكنسية هو الكهنوت المتيقظ . فاستقر رأى قداسته على ضرورة إنشاء اكليريكية يتسلح بتعاليمها خدام المذبح العتيدون . ولما كان مثل هذا الإنشاء يحتاج الى المال فقد وقع اختيار الخليفة المرقسى على حبيب جرجس ليقوم برحلة يستحث فيها ذوى النفوس المتعلقة بالكنيسة الى تقديم ما يستطيعون كى يتم افتتاح الاكليريكية . فكان للشماس اليافع من حماسه ومحبته ما يعوّض طول السنين ، فسافر وتجول وعاد يحمل الى باباه الوقور إحدى عشر ألفاً من الجنيهات نصفها من المطارنة ورؤساء الأديرة والنصف الثانى من الشعب . وبهذا المبلغ ( الذى كان وفيراً آنذاك ) افتتح الأنبا كيرلس الخامس الاكليريكية فى ٢٩ نوفبر سنة ١٨٩٣ ، وأسند ر ياستها الى يوسف منقر يوس(٢) . وعند ذاك وقف حنابك باخوم ( مدير حسابات البطر يركية ) وسط تلاميذ المدرسة المذكورة آنفا لينتقى اثنى عشر منهم يكونون نواة الاكليريكية الوليدة . فلم ينتظر حبيب جرجس بل قدم نفسه فوراً ليبدأ الدراسة بها . ولم يكن ليدرى آنذاك طول الطر يق التصاعدى الشاق الذى وضع قدميه عند أوله .

وتخرّج من الاكليريكية فى ١٧ مارس سنة ١٨٩٨ وعين مدرسا للدين بها فور تخرجه . ولمحبة البابا كيرلس الخامس إياه عينه واعظاً أيضا . فبدأ من تلك السنة يعلم عن طر يقين : إلقاء الدروس فى المدرسة والوعظ فى مختلف الأماكن وكانت عظته الأولى فى قاعة من قاعات مدرسة الأقباط عن « الديانة المسيحية » . وكان تادرس شنودة المنقبادى صاحب جر يدة مصر ضمن المستمعين ، فرجا من حبيب جرجس السماح له بطبعها على نفقته الخاصة . ثم وزع الآلاف من أعدادها على الشعب . أما عظته الثانية فكانت فى كنيسة الملاك غبر يال بحارة السقايين و يقول لنا يوسف منقر يوس إن البابا الوقور كان حاضراً يومذاك ، ولفرط إعجابه بشماسه استمع اليه

(١) هى المدرسة التى أنشأها الأنبا كيرلس الرابع داخل ساحة الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية ــ راجع سيرته فى حـ ٤ ، الفصل العشرين « إحدى القمم الشاهقة » من هذا الكتاب . ومما يؤسف له أن المسئولين فى الكنيسة وجدوا بناءها متصدعاً سنة ١٩٨١ فأمروا بهدمها .

(٢) راجع سيرة هذا البابا الوقور فى حـ ٥ من هذا الكتاب ، ولم يكتف يوسف منقر يوس بالتعليم بل وضع أيضا كتابين عن تاريخ الحقبة التى عاشها ( راجع ف ٨٥ من حـ ٥ )



وهو واقف طوال العظة ، واستمر يبارك المتكلم والمستمعين بالصليب الذى كان فى يده (١) . وليس من شك فى أن القيمة العظمى لعظات حبيب جرجس أساسها أنه هو نفسه كان العظة الحية المقروءة من الجميع إذ رأى فيه السامعون حقيقة الكلام الذى يتحدث به إليهم .

ومن عجيب ما حدث أن أحمد المنشاوى باشا كان قد ألقى الانجليز القبض عليه بتهمة تأييده لعرابى ثم أفرجوا عنه (٢) . فذهب حبيب جرجس الى عز بته بالقرشية ليهنئه على نجاته ، وإذ وجد جمعا عنده جاء للغرض عينه وقف بينهم خطيبا . وكان لصوته الرنان المتخشع معاً أثر السحر فى النفوس . وقد عبّر له المنشاوى عن سروره وتقديره بأن قدم له شيكا بمبلغ مائتى وخمسين جنيها ، فتسلمه حبيب جرجس الوطنى الغيور بالشكر والامتنان ، وقدمه بدوره الى خز ينة البطر يركية ليضاف الى ما كان يجمعه آنذاك كى يصلح مبانى الاكليريكية .

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذا المعلم الكبير أدرك بوعيه المرهف وجوب التجول فى القرى دون الاكتفاء بالمدن : فالقرى محرومة تماماً بينما تنعم المدن بالكنائس وكهنتها و وعاظها . وفى هذا المجال يعتبر حبيب جرجس أول واعظ مصرى متجول فى عصرنا الحديث . و بأزاء مجهوداته المتواصلة رسمه البابا الوقور أرشيديا كون . ثم رأى أن يضيف الى هذه المنحة الروحية منحة مادية . وكان الى جوار مبنى الاكليريكية منزل كان قد اشتراه بخمسمائة وخمسين جنيها . فقال لحبيب جرجس : « قد وهبتك هذا المنزل يا حبيب جزاء أتعابك وتضحياتك » . فتقبل العطية البابا و ية بشكر ورضى . و بعد أيام قليلة تقدم الى باباه بعقد البيع محرراً ومسجلاً باسم قداسته . فتهلل قلب الأنبا كيرلس الخامس للسخاء التلقائى الذى تميز به ابنه .

و بعد سنتين فقط من عمله الكرازى أدرك حبيب جرجس أن الأساس يجب أن يوضع أولاً ــ أى أنه يجب البداية بتعليم الأطفال وهم بعد صغار لتتشرّب المبادىء المسيحية الى أعماقهم . فأسس سنة ١٩٠٠ مدارس الأحد بصورتها المعروفة الآن . و بدأ بتجميع الأطفال فى بعض كنائس القاهرة ، وفى بعض قاعات المدارس القبطية . ثم امتد منها الى الاسكندر ية . وفرح إذ رأى العدد يتزايد ، و بالتالى استعان بمن يعرف فيهم الغيرة على الكنيسة والمحبة لتعاليمها . و بارك الله كل هذه الجهود الى حد جعل حبيب جرجس يؤلف سنة ١٩١٨ « اللجنة العامة المركز ية لمدارس الأحد » .

(١) يقول لنا فؤاد باسيلى ( القمص بولس باسيلى الآن ) إنه يخيل له بأن حبيب جرجس ولد من بطن أمه بعظ لأن الواعظ الموهوب المطبوع غير الواعظ المتكلف المصنوع ــ راجع مقاله « حبيب جرجس الواعظ والمؤلف » فى مجلة مدارس الأحد ( التربية الكنسية الآن ) عدد نوفبر ــ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ص ٥١ ــ ٥٧ ، والعدد كله خاص بحبيب جرجس .

(٢) راجع ما جاء عنه بعد هزيمة عرابى فى حـ ٥ ف ١١٦ من هذا الكتاب .

كذلك دعم إلقاء الدروس بتوزيع الصور الملونه الموضحة للتعاليم ، و بتقديم الجوائز فى مختلف المناسبات على المواطنين وعلى المتفوقين . وامتد توزيع الصور الى السودان ، والى طبع صور باللغة الاثيوبية لتوزيعها على أولاد ذلك القطر الشقيق . وكان يوم الجمعة محدداً لتلاميذ المدارس الحكومية ، بينما كان يوم الأحد لتلاميذ المدارس المسيحية . وفى الحالتين كانت الدروس تعطى عقب الانتهاء من القداس الإلهى . ولكى ينتفع الجميع عمد حبيب جرجس الى طبع دروس للكبار توزع عليهم أسبوعيا فى نشرة من أربع صفحات تحتوى على درس من الكتاب المقدس ودرس من عقائد الكنيسة وطقوسها وتاريخها . ومثل هذه النشرات متى دخلت البيت يقرأوها الكهول والعجائز أيضا .

ولأن حبيب جرجس كان صميم العقيدة الأرثوذكسية استهدف توحيد الصفوف وإيجاد التآلف ليحتفظ الجميع بوحدة التعليم الرسولى الذى تسلمته كنيستنا وحرصت عليه كل الحرص . ولبلوغ هذا الهدف كان يقوم بزيارات لكثير من الفروع ، و يعقد اجتماعات يدعو إليها العاملين فى مدارس الأحد ليتبادل الجميع الرأى . وفى مختلف المناسبات كان يعقد المؤتمرات العامة فى القاهرة والاسكندرية وعواصم الإيبارشيات . وبهذه الوسائل كلها سعى الى إيقاظ الوعى وتنوير الأذهان . و يقول وهيب عطاالله ( الأنبا غريغوريوس الآن ) إنه حضر مؤتمراً صيف سنة ١٩٥١ فى بنى سويف تحت رياسة مطرانها الأنبا أثناسيوس الذى استمع الى كل الخطابات التى ألقيت خلال اليومين من الصباح الى الواحدة بعد الظهر ، ومن الرابعة الى الثامنة مساءاً . ثم علق على ذلك بقوله : « وهى ظاهرة عجيبة لمطران يزيد عمره على السبعين يقوى صبره على الاستماع كل هذه الساعات الطوال ، ثم يقف بعد هذا كله و يلقى كلمة تشجيع كان لها أعمق الأثر... » (١)

ومما يجدر ذكره أنه حين شاءت العناية الإلهية أن تمنح شعب المنوفية الأنبا بنيامين راعياً له فى نوفمبر سنة ١٩٥١ ، وجه ضمن رسالته الراعوية الأولى نداء خاصا بمدارس الأحد قال فيه : « أريد أن أرسم أمامكم صورة رب المجد وحوله الأولاد يباركهم لنتعلم منه كيف نربى صغارنا فى خوف الله وطاعته ، ونملأهم من محبة الكنيسة واحترام تعاليمها . وإنى أرى ضمن الوسائل للبلوغ الى هذه الأمنية الشريفة احتضان خدام مدارس الأحد وتقديم كل رعاية روحية ومعاونة مادية لهم و يسرنى أن يعلم أبنائى خدام مدارس الأحد أنى أحبهم من كل قلبى وأرجو لكل منهم حياة مباركة . على أننى أحب أيضا أن يهتموا بحياتهم الخاصة — فكونوا عالمين ثم معلمين » (٢)

(١) مجلة مدارس الأحد سابقة الذكر ص ٢٨ — ٢٩

(٢) مجلة الايمان ، كيهك سنة ١٦٦٨ = ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ص ١٥١

وفى السنة نفسها التى كوّن فيها حبيب جرجس اللجنة العامة لمدارس الأحد عين هو ناظراً للإكليريكية عقب انتقال يوسف منقريوس الى الفردوس . فتولى مهام الرياسة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٨ ، وظل يقود دفتها الى أن دعاه ربه ليسكن فى دياره فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٥١ . ولقد بعث اليه قداسة البابا كيرلس الخامس بخطاب قال فيه : « جناب الابن المبارك الأرشيدياكون حبيب جرجس مدرس علم اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية باركه الله تعالى — بعد منحكم البركات وصالح الدعوات . إنه نظراً لوفاة المرحوم الطيب الذكر يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الإكليريكية ، ولما نعهده فى بنوتكم من حسن السلوك والهمة والنشاط والكفاءة التامة ، ولشقتنا الأكيدة فى غيرتكم الدينية وإخلاصكم لخير كنيستنا المحبوبة ، وخدمتكم المدة الطويلة أستاذاً بالمدرسة المذكورة ، فلهذا قلدناكم نظارة هذه المدرسة مع تأدية الدروس اللاهوتية التى كنتم قائمين بها .

ونسأل الله تعالى أن يباركم و يؤيدكم بنعمته ، و يشملكم بعنايته ، و ينجح أعمالكم . وسلام الرب يشملكم . وله الشكر دائما .

١٤ سبتمبر سنة ١٩١٨ م — كيرلس

٤ توت سنة ١٦٣٤ ش — بطريرك الكرازة المرقسية

و بعد ذلك بعشر سنوات جاءه الخطاب التالى — على أثر رفضه تعين كاهن انجليزى بالمدرسة —

حضرة الفاضل الابن المبارك الأرشيدياكون حبيب جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية باركه الرب .

بعد منحكم البركات وإمدادكم بصالح الدعوات . بنعمته تعالى تكونون بخير .

بما لنا ولجميع حضرات أصحاب النيافة إخوتنا المطارنة والأساقفة من الثقة التامة فيكم ، وفى غيرتكم على الكنيسة ، وما عرفتم به من المحافظة على عقائدها وطقوسها ، خصوصا ميولكم لتقدم المدرسة الإكليريكية وجهودكم فيها ، نرى أن تظلوا محافظين على هذه الثقة ، وأن لا تتساهلوا فى أى تدخل أجنبى من الذين يخالفون عقائدنا الأرثوذكسية ، فى تدريس التعاليم الدينية بالمدرسة .

وثقوا أنه يهمنا جداً أن تعملوا كل ما فى وسعكم للنهوض بالمدرسة ورفع مستواها العلمى حتى تضارع الكليات اللاهوتية . واعلموا أننا نعضدكم فى هذا السبيل بكل قوانا .

٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م — يؤانس

٢٥ بابة سنة ١٦٤٤ ش — مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية قائمقام البطريرك الأرثوذكسى

وهنا يجدر بنا أن نرجع الى الوراء بضع سنوات لنتذكر أنه فى سنة ١٩٠٤ حينما أراد البابا الوقور كيرلس الخامس أن يزيد علاقته بشعبه وثوقا ويزيد قلب الشعب حرصا على العقيدة الأرثوذكسية ، قام برحلة راعوية استصحب فيها ثلاثة من الآباء المطارنة وسكرتيره الخاص واثنين من الأراخنة أحدهما حبيب جرجس . فهذا الراعى الساهر كان قد تتبع النمو الروحى للأرخن الغيور الذى جعل منه أرشيدياكوناً . فأخذه معه فى هذه الرحلة وجعل منه المتحدث باسمه فى كل بلد نزلوا فيها ، وعلى الأخص فى أسيوط التى كان دعاة التبشير من الأمريكيين قد اتخذوها المقر الأول لنشاطهم . ولكى يدرك القراء مدى تعلق الأسيوطيين بالبابا المرقسى على الرغم من كل المحاولات الدخيلة نذكرهم بما قاله طارق البشرى : « كان موكبه ( البابا ) من الباخرة الى المدينة . على نمط دخول المسيح الى أورشليم ، إذ ركب على حمار ، وتقدمه القسس وحاملوا الصلبان والأعلام وفروع النخيل والشموع وضاربو الدفوف والمرنمون بالقبطية ، وسار ببطء من النهر الى المدينة ، والناس يزداد عددهم وازدحامهم كل دقيقة . وكان محاطاً بالجنود أمامه وخلفه بأمر الحكومة (١) ... » وخلال الأسبوع الذى قضاه الركب الباباوى فى أسيوط ألقى حبيب جرجس عظه يومية موضحا العقيدة ، ومبينا تهليل الآباء بما كابدوه فى سبيلها . فكانت لعظاته التعليمية أبعد الأثر مما أبهج قلوب الأوفياء .

كذلك رافق حبيب البابا الوقور فى رحلته الراعوية الثانية التى جاءت تدعيما للأولى وبعدها بخمس سنوات .

ولأن حياة الإنسان مترابطة متشابكة ، فالأحداث التى تجوزها تتداخل معا على الرغم مما قد يفصل بينها من الزمن ، لهذا نربط هنا بأن حبيب جرجس قد رافق أيضا قداسة الأنبا يؤنس فى رحلته الراعوية الى اثيوبيا فى يناير سنة ١٩٣٠ (٢) .

(١) طارق البشرى مستشار بقسم الرأى فى مجلس الدولة ، وقد وضع كتابا ضخما بعنوان « المسلمون والأقباط » وأورد الوصف المقتبس هنا على ص ٣٧ ، راجع ف ٥٣ ــ ٥٥ من ص ٥ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ف ١٩ و ٢٠ من هذا الكتاب



وقبل أن يسند البابا الوقور كيرلس الخامس رياسة الإكليريكية الى حبيب جرجس ــ وفى سنة ١٩٠٧ على وجه التحديد ــ تقدم القبط بمطالبة وزارة المعارف ( التربية والتعليم ) بتعليم الدين المسيحى لأولادهم الذين يتلقون العلم فى المدارس التابعة للوزارة وبعد جهد غير قليل وافقت على مطلبهم بشرط عدم التزامها بأية التزامات مالية . وأوضحت هذا الشرط بتصريحها أنها لن تصرف أى مرتب لتعيين مدرسين إخصائيين ، كما أنها لن تصرف أية مكافأة للمنتدبين لهذا العمل . فتفاهم البابا الوقور مع شماسه المحبوب حبيب جرجس لينتقى من يصلح لهذا العمل الحيوى . وتم الاختيار ، وتكفل قداسة البابا بصرف مكافآتهم من جيبه الخاص (١) . وإذ رأت الوزارة هذه السرعة الفورية فى التنفيذ تراجعت عن موافقتها ، وأعلنت أنها ستوكل هذا التعليم الى المدرسين القبط العاملين فى مدارسها . وكان حبيب جرجس يرقب كل خطوة فى هذا الموضوع فاتصل لتوه بالمدرسين الأقباط ووالى اجتماعاته بهم فملأهم حماسة . وكانت الوزارة تأمل رفضهم لأن حصص الدين كانت ستضاف الى مجموعة حصصهم الأصلية فيزيد تعبهم من غير مكافأة . ولكن الأثر الذى أحدثته كلمات حبيب جرجس فى نفوسهم جعلتهم يقبلون على الفور . وبالطبع لم ينالوا الأجر من رب الكنيسة فقط بل نالوه أيضا من الخليفه المرقسى .

وما إن تذللت العقبة الأولى حتى بدت أخرى هى الكتب وبرامج التعليم . وكرس المعلم المستميت فى حب الكنيسة جهده لإزالتها . فأخرج فى أوائل سنة ١٩٠٩ كتاباً ومنهاجا فى ثلاثة أجزاء عنوانه : « خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لسنى الدراسة الابتدائية . فانتشر انتشاراً واسعا حتى أنه بلغ طبعته الخامسة سنة ١٩١٣ . لأن واضع الكتاب نظمه تنظيما تربوياً ، فمثلاً يبدأ بآية مبسطة أو بعقيدة موجزة ميسرة ، يتبعها الشرح بعبارات سهلة فى متناول المبتدىء ، ثم يضيف اليها مراجعها من الكتاب المقدس . وينتهى كل درس بمجموعة من الأسئلة . وأمام هذا الرواج الجارف قررت وزارة المعارف جعله كتاب التدريس فى مدارسها رسميا .

وبأزاء هذا النجاح الكبير بدأ القبط يلحون فى تعيين حبيب جرجس ليدرس الدين للمدرسين الأقباط ولطلبة مدرسة المعلمين العليا . وتحت ضغط إلحاحهم قبلت الوزارة مبدأ تعليم الدين لهاتين الفئتين ، ولكنها عينت لتعليمه قوسة بك جرجس أولاً ثم أحلت محله كامل جرجس ــ وكلاهما كان يتمتع بسمعة طيبه فى الوزارة ( إذ كانا معلمين بها ) كما يتمتع برضى قداسة البابا وباطمئنانه الى أرثوذكسيتهما .

(١) هنا أيضا نعود الى تذكير القارىء بمدى اهتمام قداسة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس بالتعليم وبالقائمين به ، ولو كان رجعيا جاهلاً كما أشاع عنه خصومه ما أولى التعليم أى انتباه ــ إذ كيف يشجع الجاهل العلم ؟

ثم امتد التعليم الدينى فى مدارس الوزارة الى سنى الدراسة الثانوية . وهنا أيضا عكف حبيب جرجس على تأليف كتب جديدة للمدارس الابتدائية وألحقها بكتب للمدارس الثانوية . فما إن وافت سنة ١٩٢٧ حتى كان قد أخرج ثمانية كتب : أربعة للمرحلة الابتدائية وأربعة للمرحلة الثانوية . وتقدم بهذه الكتب ( قبل طبعها ) الى قداسة الأنبا يؤنس الذى اجتمع بالمجمع الاكليريكى وفحصوا الكتب وأقروها و باركوا طبعها . وعندها أرسلتها البطريركية بخطاب رسمى الى الوزارة التى أقرت تدريسها فى مدارسها . ولو أن قرارها كان صوريا . فظل حبيب جرجس يصارع فى هذا السبيل ، وسانده قداسة البابا والمجلس الملى العام فى هذا الصراع الى أن تحقق نهائيا فى عهد البابا الجليل الأنبا يوساب .

وكانت سنة ١٩٠٧ سنة إنتاج عجيب . فقد أستهلها ، حبيب جرجس بإصدار مجلة شهرية دعاها « الكرمة » ووالى إصدارها على مدى سنين طويلة . ولقد منحه الآب السماوى نخبة من الكتاب عاونوه فى هذا العمل الكبير ، منهم : كامل جرجس الاجتماعى العظيم وأحد المدرسين بالاكليريكية ، وجبرائيل بك الطوخى القانونى الكبير ، وقوسة بك جرجس الواعظ البليغ ، وسمعان سليدس اللاهوتى الضليع ، وعزيز بك مرقس الكاتب النابه ، وتكلا رزق الأرخن الكنسى والمربى الأمين ، وداود بك غالى الأديب الكبير ، ونصيف بك الطوخى القاضى البارع ، ويسى عبد المسيح الباحث المطلع .

ومنذ أن أمسك بالقلم لم يدعه يهدأ لحظة بل ظل يستخدمه طيلة حياته . وبهذه الوسيلة الشفاذه امتد ببصره الى أرشاد الأجيال المتتابعة وتعليمهم العقيدة الأرثوذكسية وما تستتبعه من طقوس وممارسات وتقاليد . واستكمالاً لهدفه الأمثل نقدم للقراء سجلا بالكتب التى سهر الليالى لتوصيلها الى أيدى الشعب :

١ ــ سر التقوى ،
٢ ــ سلم السماء ودرجات الفضائل ،
٣ ــ نظرات روحية فى الحياة المسيحية ،
٤ ــ أسرار الكنيسة السبعة ،
٥ ــ ١٢ ــ كتب المبادىء المسيحية الأرثوذكسية ،
١٣ ــ ١٥ ــ خلاصة الأصول الايمانية ،
١٦ ــ ١٩ ــ الكنز الأنفس فى التاريخ الأقدس ،
٢٠ ــ مار مرقس الانجيلى ( بالاشتراك مع كامل جرجس ) ،
٢١ ــ عزاء المؤمنين ،
٢٢ ــ أناشيد أرثوذكسية وترانيم عقائدية ،
٢٣ ــ ترانيم وأناشيد روحية ،
٢٤ ــ إنعاش الضمير فى ترانيم الصغير ،
٢٥ ــ المدرسة الإكليريكية بين الماضى والحاضر ،
٢٦ ــ الصخرة الأرثوذكسية ،
٢٧ ــ روح التضرعات والخولاجى المقدس ،
٢٨ ــ الوسائل العملية للإصلاحات القبطية ،
٢٩ ــ حياة القديسين أنطونيوس و بولا ،
٣٠ ــ برلام و يواصف .

والى جانب التعليم باللسان و بالقلم فقد ساهم فى مختلف الأنشطة الكنسية : كان ضمن من أنشأوا جامعة المحبة لتعليم البنات فى مدرستها الكائنة بشارع حمدى بالظاهر . ثم تقدم للترشيحات الملية سنة ١٩١٣ بناءً على إلحاح محبى الإكليريكية وتلاميذه ومريديه ، فنجح وظل فى عضوية المجلس الملى العام الى آخر حياته . وكان وجوده بالمجلس بركة كبيرة إذ قد دافع عن تعميم الدين المسيحى كما سبق القول ــ فدعمت عضويته رياسته للإكليريكية . ثم جاهد الجهاد المستميت فى منع تعيين كاهن انجليزى كمدرس فى الاكليريكية .

وكان حبه الجارف لكنيسة الآباء يشمل حبه للاكليروس وتقديره لكرامتهم . كما كان دافعاً له الى التفاهم والتعاطف مع أعضاء جمعية السيدات لتربية الطفولة . وقد سانده داخل المجلس حبيب المصرى وخارج المجلس حبيب جورجى . وبجهود الأراخنة الثلاثة الذين يحملون اسم « حبيب » اقتنع أعضاء المجلس بوجوب إنشاء قسم خاص بالمعلمين ضمن الإكليريكية وتحت إدارة ناظرها .

وخلال كل هذه الجهود الجبارة فى سبيل تدعيم الوعى بأهمية العقيدة الأرثوذكسية ، و بضرورة الزعاة المدركين لقيمتها ، كانت الأحاديث تدور بين حبيب جرجس ومساندية حول إنشاء قسم ليلى للاكليريكية يدخله الراغبون فيه بعد انتهائهم من دراستهم الجامعية . وقد أثارت هذه الأحاديث شعور الخدام الأمناء بمدارس الأحد بحاجتهم الملحة الى ثقافة دينية واسعة . فلقد ازداد حماسهم نتيجة لتذوقهم جمال الخدمة وشرفها الجزيل ، ولإحساسهم بحصاد الكنيسة المتكاثر . فرغبوا فى الاستزادة ليكونوا أهلاً لشرف التكريس التام لخدمة الله بتنشئة أولاده على محبته .

ولقد تجاوب حبيب جرجس مع رغبتهم ، وكان يبتغى أن ينشىء مدرسة خاصة يتلقى فيها خدام مدارس الأحد العلوم الضرورية لخدمتهم . ولكن العراقيل التى قامت فى سبيل هذه المدرسة أدت الى تحقيق فكرة أعظم وأوسع : هى إنشاء القسم الليلى لحملة الليسانس والبكالوريوس بل والدكتوراه أيضا . وقد تم ذلك فى عهد الأنبا يوساب الثانى الذى فرح به كل الفرح ، وسرى فرحه الى كل الآباء المطارنة والأساقفة ، والأعجب أنه سرى أيضا الى رجال المجلس الملى . فأثمرت جهود حبيب جرجس إذ قد تألفت من أعضاء المجلس لجنة خاصة درست الموضوع ووضعت عنه تقريراً شاملاً ثم اقترحت فى نهايته تخصيص ميزانية لائقة به . و بالفعل أنشىء هذا القسم ، و بلغ تحمس الآباء المطارنة له أنهم كانوا يختارون خريجيه للخدمة الكهنوتية فى إيبارشياتهم . بل لقد كان قيام هذا القسم عاملاً قويا فى إقناع رجال وزارة المعارف باعتبار الاكليريكية كلية عليا (١) .

والواقع أن شخصيةً فى قامة حبيب جرجس الذى بذل حياته كلها فى خدمة الكنيسة الى حد أنه آثر البتولية على الزواج : شخصية كهذه متعددة النواحى والأنشطة ــ من الصعب إيفاؤها حقها ضمن تاريخ عام . فحبيب جرجس يحتاج الى مجلد خاص به ــ أو الى مجلدات . وخير تلخيص لسيرته ذلك الوصف الذى كتبه عنه وهيب عطالله ( نيافة الأنبا غريغوريوس ) فى رثائه أصيل انتقاله وهو : « ... و بعد فماذا أتكلم وماذا أقول ؟ لقد اعتدنا أن لا نمدح الأحياء ، ولكن آن لنا اليوم أن نتكلم فللصمت وقت وللكلام وقت ... (٢) فماذا نقول ؟ .... لست أشاء أن أعظ فى حضرة الواعظ الأول ، وأخجل أن أردد حتى كلماتك التى علمتنا إياها . لأننى أخشى أن تضعف الكلمات فى فمى إذ هى قوية من فمك وفى فمك ! ومع ذلك فإنى مضطر لأن أعبر عما يختزنه شعورى نحوك من معانى التجلة والإكبار والإعزاز ... »

« فأنت صاحب القلب الكبير الذى أحب الكل ، ووسع الكل ، واحتمل الكل ، وخدم الكل . أحببت الأصدقاء والأعداء .... احتملت الناقدين كأعظم ما يكون الاحتمال ، وغفرت للمسيئين كأصفى ما يكون الغفران . أنت رجل عجيب فى الحب وعجيب فى الصفح ... ياصاحب القلب الطاهر والضمير النقى ، يامن كرس مواهبه لله وأبى إلا أن يكون صاحب القلم العف النزيه الذى لا يهاجم أحداً ولا يهزم أحداً .... فى قلبك حب وفى قلبك ايمان وفى قلبك رجاء ... ولو لم تكن رجل الله حقا لدخل اليأس حتما الى قلبك لكثرة ما اعترض حياتك من عقبات ... وأنت صاحب العقل الكبير ، وسع عقلك شئون الدين والدنيا ... ثم أنت المجاهد

(١) مجلة مدارس الأحد عدد نوفمبر ــ ديسمبر سنة ١٩٥١ ص ٦ ــ ٨

(٢) جامعة ٣ : ٧



الكبير الذى جاهد الشهوات عن نفسه ، وجاهد الشيطان عن فكره ، ونفى حب المال والشهرة عن قلبه .... والآن ياحبيب الله و ياحبيب المسيح ، لقد أكملت سعيك وأنهيت جهادك ، وشاء الله لروحك أن تصعد الى الأعالى فى ليلة عيد إصعاد جسد العذراء الى السماء . ... لك أن تهتف وتقول : احكم لى يارب فإنى بكمالى سلكت وعلى الرب توكلت . رجلاى واقفة فى الاستقامة . فى الجماعات أباركك . هلليلو ياه » (١) .

١٣١ ــ فى الحديث عن إنشاء جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة قيل إن مستشارها القانونى كان حبيب المصرى ، وإن حبيب جورجى كان رئيس لجنتها التعليمية ، وإن كليهما تفاهما مع حبيب جرجس لافتتاح قسم التربية بكليّته الإكليريكية ، و بالفعل تم إنشاء هذا القسم الذى ظل يعمل الى سنة ١٩٤٨ . وهكذا وجدت هذه الجمعية ثلاثة « أحبة » عاونوها على السير والنمو والامتداد . والواقع أن كلاً منهم كان « حبيبا » بالفعل فيما أداه من الخدمة الباذلة للجمعية . و يبدو أن الاسم تغلغل فى أعماقهم ونما معهم فصاروا اسماً على مسمى . ولقد عرف كل المتعاملين معهم هذا الواقع العجيب ....

انفتحت **عينا حبيب المصرى** على نور هذا العالم يوم ٦ مايو سنة ١٨٨٥ فى مدينة سوهاج ولو أن أسيوط كانت منشأ عائلته . ولم يلبث أبوه أن عاد الى مدينته الأصلية لأنه كان موظفا بالمديرية ( المحافظة ) فشملته حركة النقل حين كان حبيب فى السابعة من عمره . وكان بيتهم فى مواجهة الدار المطرانية بأسيوط ، ومن هنا نشأت المحبة الوثيقة التى ربطت بينه و بين الأنبا مكاريوس . ولقد بدأ تعليمه فى الكتّاب تبعاً للعادة التى كانت شائعة آنذاك . ولما استوعب تعاليمه التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية . وكانت عادة المدرسين فى ذلك الوقت أن يطلق معلم الفصل على كل تلميذ الاسم الذى يروق له بدلاً من اسم أبيه . فأطلق بسيونى أفندى عليه اسم حبيب فهمى بدلاً من اسم حبيب حنين . ولكن لما بدأ حبيب خدمته فى الحكومة لم يرقه أن يتناسى اسم أبيه فسجل فى الدوسيه الرسمى الخاص به اسمه على حقيقته .

وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٧ . وأراد أبوه أن يزهو بأنه أصبح « رجلا » فألحقه بوظيفة فى المديرية كانت تعرف آنذاك « بوظيفة تلميذ » من دون مرتب . وفى سنة ١٩٠٠ بدأ يتقاضى مرتباً قدره أربعة جنيهات شهريا . فلما وجد نفسه صاحب مرتب سعى مع

(١) عن مقال « كلمة مدارس الأحد فى يوم الجنّاز » للأناغنوستس وهيب عطالله ، فى العدد الخاص من مجلة مدارس الأحد ، المذكور أعلاه ، ص ٢٢ ــ ٢٥

زميلين له الى افتتاح ناد للشباب فى أسيوط (١) . وقد نجحوا فى مسعاهم واستأجروا شقة وضعوا على شرفتها لافتة مكتوباً عليها « نادى الشباب القبطى » . ووقف حبيب على الرصيف المقابل يرقب تعليقها ، حتى إذا ما تثبتت فى مكانها استند الى الحائط خلفه و بكى من الفرح . وكان للنادى نشاط ثقافى واسع إذ كان يتضمن المحاضرات والمناظرات ، بل إن بعض المحاضرين كانوا يحضرون اليهم خصيصا من القاهرة تلبية لدعوتهم . وظل هذا النادى مفتوحاً خمس عشرة سنة .

على أن الوظيفة ، مع ما كانت تضفيه من المكانة فى تلك الأيام ، لم تكن لترضى نفسه المتوثبة . فاستقال منها وقصد الى القاهرة حيث التحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا .

وكان مدرس اللغة العربية بتلك المدرسة الشيخ محمد شلبى أحد مريدى الإمام محمد عبده . وكان إعجاب هذا المدرس بما يكتبه حبيب من إنشاء ( تعبير ) بالغاً الى حد أنه كان يكتب ملحوظاته عنها بالشعر الى جانب الدرجة التى يضعها له . فكتب له مرة يقول :

« ما كنت أعلم قبل مرأى طرسه  أن الطروس مصارع الأكباد » .

بل لقد أخذ كراريسه مرة الى الإمام محمد عبده الذى قال له بعد قراءتها : « هذا التلميذ سيكون له شأن كبير فى غد » . ومثل هذه العناية من الشيخ محمد شلبى تبين لنا الى أى مدى كان المعلم يهتم بتلاميذه . كما إنه يتضح من اهتمام الإمام محمد عبده بقراءة كراريس تلميذ لا يعرفه مدى عناية هذا الرئيس الدينى بالنشء (٢) .

ولقد نال حبيب المصرى البكالوريا ( الثانوية العامة ) سنة ١٩٠٢ (٣) ، وجاء ترتيبه الثالث بين مئة وخمسين ناجح .

وفى هذا السن المبكر بالانفعالات المتضاربة ، كانت وجدانات حبيب وأحاسيسه منصبة على مصر . وتبدو عاطفته الملتهبة فى سطور شعرية لا تزال باقية بخط يده قال فيها :

---

(١) تجدر الإشارة هنا الى أنه لم يتتلمذ على أمريكيين ولا على أوربيين ، بل إن المدارس الأجنبية كانت فى مهدها آنذاك فلم يكن لها أثر بعد ، ومع ذلك فكر فى افتتاح ناد . وهذه الإشارة ضرورية لإثبات تيقظ الوعى المصرى يقظة صدرت عن أبنائه .

(٢) ليس من شك فى أن العناية الأبوية التى كان يبديها المعلمون بتلاميذهم كانت الأساس الذى انبنت عليه شخصياتهم العاملة المكافحة الحرة بانتمائها الى مصر .

(٣) التواريخ الواردة هنا مأخوذة من واقع دوسيه خدمته .



« ستذوب عظامنا وتتحلل : ولكنها ستمتزج بالتربة المصرية .. ستخصب أرض مصر .. ستغنى فى مصر . سنبقى الى الأبد فى مصر .. ذرات حية أو ميتة . سنسمع دائما نشيد مصر .. ونغمها المرح والحزين . وتسطع على قبورنا وأجداثنا .. شمس مصر . ماذا نبغى ؟ ومما نشكو ؟ خلقنا من مصر وفى مصر ومن أجل مصر » .

والتحق بوظيفة حكومية بعد أن نال البكالوريا . ثم تزوج . ومع كونه موظفا ومتزوجا لم يقنع بما نال من علم . فدخل مدرسة الحقوق الفرنسية . وكان يسافر فى الصيف لتأدية الامتحان فى باريس . وحصل على الليسانس بدرجة امتياز . ثم دخل امتحان المعادلة — أى الامتحان فى الشريعة الإسلامية — بكلية الحقوق فى القاهرة . وقد امتحنه شفويا الشيخ أبو زيد الإبيانى صاحب المؤلفات العديدة فى هذا الموضوع ، فمنحه فيها ٢٠/٢٠

وتدرج فى مختلف الوظائف الحكومية فوجد الظلم أحيانا والتقدير أحيانا أخرى . وخلال هذه السنوات سارت حياته العائلية سيرها الطبيعى فأصبح أبا لستة أولاد : أربع بنات وولدين .

وفى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ صدر قرار من رياسة الوزراء بتعيينه سكرتيراً عاما لمجلس الشيوخ ( الشورى ) . و بعد ذلك بشهور ، وعلى وجه التحديد فى ٢١ يولية سنة ١٩٢٤ ، صدر قرار بايفاده الى فرنسا و بلجيكا لدراسة الأنظمة والأساليب البرلمانية . فلما سافر فعلاً قصد الى انجلترا أيضا استكمالاً للدراسة عينها . وعند عودته الى الوطن العزيز انصرف الى وضع تنظيم لمجلسى الشيوخ والنواب ( الشورى والشعب ) تنظيماً يكفل الحرية لأعضائهما والاستقرار للموظفين الذين سيناط بهم العمل فيهما . وقد ظل التنظيم الذى وضعه معمولاً به من سنة ١٩٢٤ — سنة ١٩٥٢ حينما رأى قادة ثورتنا ضرورة وضع دستور جديد .

وفى سنة ١٩٢٧ وصلت مصر دعوة لحضور المؤتمر البرلمانى الذى كان سينعقد فى باريس فى أغسطس من تلك السنة فلبّت الدعوة ، واختير حسين رشدى باشا رئيس مجلس الشيوخ إذ ذاك ليرأس الوفد المسافر . ولما كان حبيب المصرى سكرتيراً للمجلس وليس عضواً فيه ، لم يكن فى إمكانه الذهاب إلا بوصفه مستشاراً للوفد المصرى . فقرر حسين رشدى استصحابه على هذا الأساس . إلا أن حق التكلم فى المؤتمر كان قاصراً على الأعضاء فلم يكن فى استطاعة مستشار هؤلاء الأعضاء أن يقف خطيبا فى جلسات المؤتمر . ولكنه فى الوقت عينه لم يرد أن يضيع هذه الفرصة المواتية التى يمكنه فيها أن يعلن صوت مصر وسط الشعوب المختلفة . فوضع مذكرة باللغة

الفرنسية عما يتضمنه نظام الامتيازات الأجنبية (١) من الجور، وعن وجوب إلغائه تحقيقا للعدالة، كما ضمنه وصفاً للكفاح المستميت الذى تقوم به بلادنا ضد المخدرات والمتجرين بها. وطبع هذه المذكرة فى شكل كتاب يقع فى ثمان وستين صفحة وزعه على وفود الدول الممثلة فى المؤتمر.

وحدث فى أواخر سنة ١٩٣١ أن تولى إسماعيل صدقى باشا رياسة الوزراء بعد سقوط وزارة الوفد. وكان يحيى باشا ابراهيم رئيسا لمجلس الشيوخ فى ذلك الوقت. وأراد أن يتزلف للحكومة، فجمع أعضاء هيئة مكتب الشيوخ، وبعد التداول معهم قرروا رفت خمسة عشر موظفا ممن يعملون فى سكرتارية المجلس. ثم أرسلوا قرارهم الى حبيب المصرى لتنفيذه فوراً بوصفه رئيساً لهؤلاء الموظفين. وما إن قرأ هذا القرار حتى ثارت ثائرته، وذهب فواجه هؤلاء الأعضاء وسألهم عن السبب فى هذا التصرف. فقيل له بأن لهم نشاطا سياسياً وفديا. قال: «ولو فرضنا أن هذا صحيح — فما شأن نشاطهم السياسى فى عملهم ماداموا يؤدونه بأمانة؟ وكيف تستحلون رفت خمسة عشر موظفا من غير أن تعرفوا إن كانوا أكفاء أم لا؟ وكيف لا تسألوننى أولاً مع أنى أنا المسئول عنهم؟ بل كيف تستريح ضمائركم الى رفت موظفين يؤدون عملهم على أحسن حال وهم فى الوقت عينه لامورد رزق لهم غير عملهم؟ أيرضيكم أن يتشرد وتتضور عائلاتهم جوعا مع كونهم أمناء؟ إننى أرفض تنفيذ القرار رفضا باتا. فإن كنتم مصممين عليه فما عليكم إلا أن تبدأوا برفتى أولاً»

وتحير يحى ابراهيم وزملاؤه فى الأمر فرفعوا مذكرة بما جرى الى إسماعيل صدقى الذى أوصلها بدوره الى الملك فؤاد. وبعد ذلك بأيام قليلة جاءه الأمر بالتوجه فوراً الى قصر عابدين. ومن العجيب أن الملك هنأه يومذاك على شجاعته بدلاً من الأمر برفته! على أنه لما كان من المحرج ليحى ابراهيم وزملائه أن يظل حبيب فى عمله بعد انتصاره فى معارضته لهم، فقد صدر الأمر بنقله الى وزارة المالية ليكون مراقباً لإدارة مراجعة ايرادات ومصروفات الحكومة. ولقد كانت هذه الإدارة المنفى لكبار الموظفين المرغوب فى تنحيتهم عن مجرى الخدمة العمومية. ولكن حبيب المصرى كان يؤمن إيماناً راسخا بأنه لا يوجد عمل حقير فى حد ذاته أو عظيم فى حد ذاته، بل إن المشتغل به هو الذى يجعله عظيما أو حقيراً تبعاً لما يبذله فيه من جهد وتبعاً لتقديره الخاص للعمل.

(١) كانت هذه الامتيازات نتيجة لمعاهدة أبرمها السلاطين العثمانيون مع فرنسا أولاً ثم امتدت لتشمل جميع دول أوروبا والولايات المتحدة. ومعناها أن أى أجنبى يمكنه أن يجمع ثروة طائلة فى مصر دون أى التزام من جانبه نحو مصر وحكومتها، كذلك يستطيع أن يقترف أية جريمة ولا يحاكم عليها فى المحاكم المصرية بل الذى يفصل فى أمره هو قنصل دولته. وقد ظلت الامتيازات معمولاً بها لغاية سنة ١٩٣٦. راجع قصة حبيب المصرى ص ٨٨ — ٩١، وهـ ٤ ف ١٢٣ والهامش على ص ١٢٤ من هذا الكتاب، دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة هـ ٤ ص ٨١٢

وبهذا الايمان حوّل المنفى الى إدارة كبرى أصبحت بعد عمله فيها «ديوان المحاسبات» الذى يراقب جميع ايرادات الوزارات المختلفة ومصروفاتها. ولقد ظل الموظفون الذين دافع عنهم فى وظائفهم نتيجة لدفاعه.

ثم نجحت مصر فى إبرام معاهدة مع انجلترا سنة ١٩٣٦ كانت تمهيداً لإبرام معاهدة مونترو سنة ١٩٣٧ التى ألغيت بمقتضاها الامتيازات والمحاكم المختلطة (١)، وأصبح التشريع كله فى أيدى المصريين. فرأى المصريون وجوب تنظيم القوانين المالية لمواجهة الموقف الجديد. وعلى ذلك صدر قرار بتشكيل لجنة لتصحيح النظام المالى تعرف باسم «لجنة الضرائب» فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٣٧ برياسة حبيب المصرى. وبعد اشتغاله بما يقرب من سنة فى هذه اللجنة صدر مرسوم ملكى بتعيينه مستشاراً ملكيا (٢) ويُعهد اليه بإدارة قسم قضايا وزارة المواصلات بالإضافة الى استمراره فى وضع القوانين الضريبية.

ثم رأى المسئولون أن عمل اللجنة — مع كونه مستمراً ومثمراً — لا يكفى للوصول الى الهدف المرغوب فيه. فتقرر إنشاء مصلحة للضرائب وانتداب حبيب المصرى لإنشائها. وعلى أثر هذا الانتداب تقرر ايفاده الى فرنسا وانجلترا وبلجيكا لدراسة النظم الضريبية وكيفية العمل بالمصالح الخاصة بها. فقام بتلك الدراسة صيف ١٩٣٨. وحالما عاد الى مصره الحبيبة انصرف الى وضع الأنظمة الضريبية. وكان إذا ما وضع عليه واجب لا يهدأ له بال الى أن يؤديه بأكمله. فمثلا كان يسهر الليالى فى وضع النظام الضريبى ثم فى تنظيم مصلحة الضرائب التى سيناط بها تنفيذ هذا النظام بالضبط كما سهر من قبل على وضع العمل الإدارى لمجلس الشيوخ والنواب. وحينما كان يسهر فى أى عمل كانت زوجته تظل ساهرة الى جانبه، وتشغل نفسها غالباً بقراءة الأسفار الإلهية وأحياناً بمطالعة الأشعار — إذ كانت مولعة بالشعر العربى للغاية. ولذلك خصصت كشكولاً لتسجل فيه الأبيات التى تعجبها بصفة خاصة. فتكتب البيت فى المكان المخصص له تبعاً للحرف الذى يبدأ به. ولم تعثر خلال مطالعاتها إلا على بيت واحد يبدأ بحرف الثاء استهواها جداً فسجلته فى كشكولها — وهو:

ثبتت على حفظ العهود قلوبنا  إن الوفاء سجية الأحرار

ولقد أحس أحمد ماهر باشا وزير المالية آنذاك بأن الجهود التى بذلها حبيب المصرى ومازال يبذلها تستحق تقديراً أوسع، فرفع مذكرة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ تتبّع فيها جهاد صديقه

(١) تسمّت بهذا الاسم لأن قضاتها كانوا من مختلف الدول الأوربية والأمريكية.

(٢) كان لكل وزارة مستشار قضائى، وبما أن نظام الحكم كان ملكيا فقد كان هؤلاء المستشارون يؤلفون «هيئة المستشارين الملكيين».

فى مختلف المناصب الحكومية التى تولاها واختتمها بقوله : « .... فما تقدم يتبين ما لحق بحبيب المصرى من الغبن والتأخر ببقائه اثنتى عشرة سنة بدون تحسين فى ماهيته أو فى درجته بالرغم مما هو مشهود له من كفاءة ممتازة ومعلومات واسعة وحسن تصريف للأمور حتى كان دائما موضع تقدير خاص بأن يعهد اليه بتأدية المهمات لما له من الخبرة وصائب الرأى فى مختلف الشئون الإدارية والاقتصادية (١) . لذلك أقترح برفع مرتبه الى ألف وسبعمائة وخمسين جنيها سنويا » . فوافق مجلس الوزراء على هذا الاقتراح فى جلسته المنعقدة يوم ٢٩ من الشهر عينه .

كذلك وضع كتاباً عن الضرائب ضمنه خلاصة دراساته ، وقد قسمه الى جزئين : يتناول جزؤه الأول البحث فى « ضرائب الدخل فى مصر » ، بينما يتعلق جزؤه الثانى بدراسة « الضرائب المباشرة فى مصر » .

وتقديراً لجهوده المتواصلة التى واتت ثمارها نال رتبة الباشاوية (٢) .

ولقد كانت مصر رائدة العروبة باستمرار والمدافع الأول عن حقوق الفلسطينيين . لذلك اعتادت السيدة هدى شعراوى أن تعقد مؤتمرات لنساء الشرق الأوسط : فتدعوهن الى الحضور لمصر وتقيم المؤتمر فى قصرها (٣) . وقد أقامت أحد هذه المؤتمرات فى آخر سنة ١٩٤٤ ، استهلته بحفلة استقبال فى السابعة والنصف من مساء ١٢ ديسمبر . وبعد تناول المرطبات تناولت السيدات المندوبات عن مختلف بلاد الشرق الأوسط الحديث . وعلى أثر ذلك ارتجل حبيب المصرى كلمة اختتمها بقوله : « ونحن هنا فى الشرق نريد أن يكون الإخاء هو القائم بين الجميع مسلمين وغير مسلمين . فلنعبد الله جميعا — كل على دينه — على أن نعمل بآداب الدين . فإن الأديان كلها تحض على الفضائل . وهى فى حقيقتها ليست إلا الإخاء والصداقة » .

وهذا الايمان بالتآخى لم يجعله يتراخى يوماً فى إحقاق العدالة لمستحقيها ، حتى لقد شهد بانصافه الذين عاملوه من مواطنيه . وكانت رسائلهم اليه تعبّر عن تقديرهم ومودتهم له .

---

(١) لعل الشاب يجد درسا فى هذا التصرف فيؤدى الواجب بدقة على الرغم مما قد يصيبه من الغبن . ويتركن على الله الذى يرى فى الخفاء ويجازى علانية — حتى ولو بعد حين .

(٢) كانت الرتب — ابتداء من العصر التركى والى سقوط الملكية — على ثلاث درجات : افندى وبك وباشا . وكانت تمنح عادة تقديرا لخدمة معينة أو للشخص نفسه . وقد ألغت ثورة سنة ١٩٥٢ كل هذه الرتب التى تتنافى مع نظام الحكم الجمهورى .

(٣) هى من رائدات الحركة النسوية فى مصر — راجع ما جاء عنها فى حـ ٥ ف ٩٤ من هذا الكتاب ثم ما جاء عنها فى ف ٩٣ من الجزء الحالى . أما قصرها فكان على الطراز الشرقى البديع ، وكان قائما عند ملتقى شارع قصر النيل بميدان التحرير . ومما يؤسف له بكل الأسف أنه هدم بعد ثورة سنة ١٩٥٢ .

ومن بين الرسائل العديدة الرسالة التالية :

« حضرة صاحب السعادة حبيب باشا المصرى »

أهنىء سعادتكم بعيد الميلاد المجيد أعاده الله عليكم موفورى الخير والصحة .

ويعنينى أن أنتهز هذه الفرصة لأبعث اليك بمقارنة تجيش بخاطرى باستمرار بين عهدين — لمست فيك العدل الحاسم الرائع لما كانت السلطة فى يديك حتى رقيتنى الى الدرجة السابعة رغم أنك عاقبتنى قبل الترقية بشهر . فكنت رئيساً نظيفا شريفا تُقتدَى .

ثم لمست فى وزير المالية ( ... ) الظلم والتحكم فى سبيل إرضاء شهواته حين حرمنى من مجرد الانتقال الى الكادر الفنى رغم ترشيح المصلحة .

ثم دعنى أظهر تقديرى القلبى من مرؤوس لك أخفى إعجابه خوفاً من فهمه كنوع من الزلفى ، وأعبّر عن أسفى على حرمان مصلحتنا الناشئة من رئاستك العادلة .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام ، محمد خيرى ( مصلحة الضرائب )

وكانت آخر وظيفة شغلها هى مستشار ملكى لوزارة العدل . على أنه لم ينتظر بلوغ السن القانونية للمعاش بل استقال فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ليشتغل بالمحاماة . وقد جاءته موافقة مجلس الوزراء على الاستقالة وأبلغ صورة من قراره الى وزارة المالية بعد سنة بالضبط من تقديمها — أى فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ . وعندها تقدم بطلب الى كل من محكمتى الاستئناف المختلط (١) والاستئناف الوطنى لتأذنا له بالمرافعة أمامهما . فردت عليه المحكمتان بالقبول . وحالما وصلته الإجابتان فتح مكتبا بشارع محمد فريد ١١٨ بالقاهرة حيث ظل يعمل كمحام مذاك الى أن لبى نداء ربه بعد ذلك بعشر سنوات .

ومما يجدر ذكره فى صدد الحديث عن دقته فى عمله الحر أننى كنت عائدة من الزقازيق الى القاهرة مساء ٢١ مارس سنة ١٩٥٩ بعد الاشتراك فى عيد الأم هناك بناءً على دعوة جاءتنى من جمعية السيدات القبطية . وكانت قد انقضت ست سنوات تقريبا على انتقاله الى الدار الباقية . وفى ديوان السيدات ركبت ثلاث غيرى . وحين وجدننى بمفردى أخذن يتحدثن معى . فبعد أن تعارفنا تساءلت إحداهن : « تبقى انت بنت حبيب باشا المصرى ؟ » أجبتها « نعم » . قالت : « ألف رحمة عليه . ده أبو يا الحج عبد الموجود عامر دايما يذكره ويقول انه ماشافش حد تهمه قضايا الناس زيه . لأنه كان يعتبرها قضيته الخاصة » .

---

(١) التسمية ترجع هذه المرة الى أن المتقاضين هم من جنسيات مختلفة .

ولما قرر رجال ثورتنا التى أطاحت بالملك فاروق أن يجعلوا من مصر جمهورية رأوا وجوب وضع دستور جديد يتلاءم وأسلوب الحكم الجمهورى . فاختاروا لجنة من خمسين عضواً أحدهم حبيب المصرى (١) ــ فجاءه الخطاب التالى :

حضرة حبيب المصرى

أتشرف بأن أنهى الى حضرتكم ، أنه تحقيقا لما سبق أن أعلناه باسم الشعب . بصفتنا قائداً عاماً للقوات المسلحة ورئيساً لحركة الجيش . من سقوط دستور سنة ١٩٢٣ ، وإنجازاً لما وعدت به الحكومة من الأخذ فى تأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد . قد استصدرت الحكومة مرسوما بتاريخ ١٣ يناير الحالى بتأليف هذه اللجنة . وقد تضمن المرسوم تعيين حضرتكم عضواً بها .

وانى لأرجو أن يجىء مشروع الدستور الجديد منزها عن عيوب الدستور الزائل ، متفقا مع أهداف الثورة التى قادها الجيش ومحققا لأغراضها ، مقراً لسلطان الأمة وحكمها حكما نيابيا سليما .

سدد الله خطاكم ووفقكم لما فيه صلاح هذا البلد الأمين وعزه ورفعة شأنه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٢

رئيس مجلس الوزراء

محمد نجيب

لواء ( أ . ح )

(١) كان بين الخمسين ستة أقباط آخرين معه ، وهم : نيافة الأنبا يؤنس مطران الجيزة ، الدكتور الجراح ابراهيم المنياوى ، أطلق عليه العامى ، مكرم عبيد ، يوسف غربال القاضى .



وعلى أثر هذا التعيين وصلته البرقية التالية :

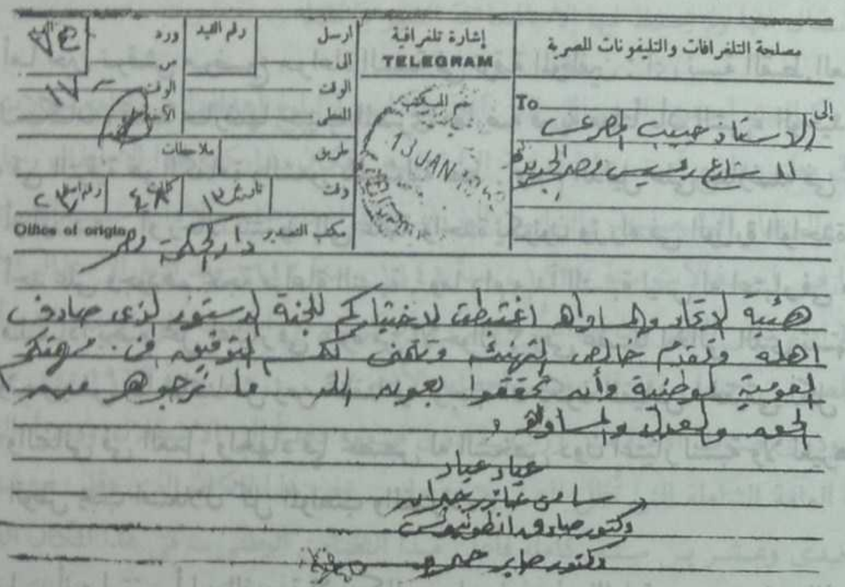


وفى الجلسة الأولى للجنة الدستور التى انعقدت فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم السبت الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ بقاعة مجلس النواب ( الشعب ) ، اختار الأعضاء على ماهر (١) رئيساً . ثم قسموا أنفسهم الى ست لجان اختار حبيب المصرى من بينها « لجنة الحريات والحقوق والواجبات العامة المدنية والسياسية » . وقد كان لهذه اللجنة الفضل فى إعطاء المرأة الحق فى ممارسة واجبها السياسى . وخلال المناقشات التى جرت فى الشهور الأربعة الأولى لعمل اللجنة نجح فى أن يجعلها تتخذ ضمن قراراتها القرار التالى :

**ثامنا ــ حرية العقيدة مطلقة**

قررت اللجنة هذا المبدأ بجلسة ١٦ يونيو سنة ١٩٥٣ وعادت اللجنة الى مناقشته بجلسة ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٣ وانتهت من مناقشتها إلى اعادة إقراره فى ضوء القرار الآتى : « على أن يكون مفهوماً أن الأديان بما فيها الدين الأسلامى لا تلزم الزوجة المسيحية بمعاشرة زوجها المسيحى إذا أسلم وأن لها الحق فى أن ترفع دعوى التفرقة للضرر وعلى الشارع أن يضع نصاً فى القانون يجيز التفريق للضرر فى مثل هذه الحالة » ....

(١) هو أخو أحمد ماهر ( الذى ذكر سابقا ) ، وكان وزيراً عدة مرات ورئيسا للوزارة مرة . كذلك كان وصيا على الملك فاروق منة يوم عقب وفاة والده مباشرة إذ لم يكن قد بلغ سن الرشد .

كذلك دأب على تجميع دساتير الدول المختلفة وشراء الكتب المتضمنة لها ثم أهداها بعد ذلك إلى المكتبة التى أصبحت فيما بعد مكتبة مجلس الأمة ( الآن مجلس الشعب ) .

أما حين نوقش موضوع مراعاة النسبة فى ترقية الموظفين : أى نسبة القبط العددية إلى مجموع السكان ، فقد عارضها حبيب المصرى معارضة قوية معلناً بأن الشىء الوحيد الواجب مراعاته فى الترقية هو الكفاءة والشعور بالمسئولية فقط . وقدم الدليل على معارضته فى أن هناك أخوين أو أولاد عم أو رجالا ينتمون إلى عائلة واحدة يكونون وزراء فى الوزارة الواحدة دون أن يعترض أحد على وجودهم بحجة مراعاة النسبة . وما دام مبدأ النسبة ليس له اعتبار فى مثل هذه الأحوال فلماذا يوضع محل اعتبار فى غيره من الأحوال ؟ وفى عصرنا الحالى الذى تستهدف فيه التقدم وتعويض ما فاتنا من زمن تخلفنا فيه وجب أن يكون المقياس الحقيقى لكل ترقية هو الكفاية والتفانى فى العمل والجهاد فيما تخصص له الشخص دون اعتبار لنسبة ولا لغيرها . ففى سبيل بناء الوطن يجب استغلال كل المواهب والمقدرات .

على أنه لم تتهيأ له الفرصة لاستكمال جهاده فى هذه اللجنة بسبب مرضه الذى قضى عليه .

ولقد قال عنه محمد على علوبة ( [1] ) رئيس لجنة الحريات فى رثائه : « .... وإذا بحثنا فى حبيب المصرى نعتقد أن العناية الإلهية قد جعلت اسمه متفقا مع صفاته ومبادئه . فهو حبيب لأنه حبيب الناس جميعا ، وهو المصرى لأنه المصرى الوطنى الصادق الأمين .... وكان كلامه موسيقى . وكان نشاطاً وكان همة ... كان يعمل و ينقش على صدره وفؤاده تلك الحكمة الذهبية الذى قالها السيد المسيح « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ــ تلك هى القاعدة التى سار عليها حبيب من يوم أن نشأ .... »

وإن حياة حبيب المصرى يمكن تلخيصها فى كلمتين هما « المحبة الدائبة » . فهو قد تعلم أن يحمل النير منذ صباه ، وأن يحمله برضى وتهليل . لذلك فإنه كما جاهد فى مختلف الأعمال الحكومية ، وجمع بين أكثر من عمل واحد فى بعض الأحيان ، هكذا جاهد فى مختلف الأنشطة الكنسية الهادفة نحو أغراض متشعبة . لأن العقيدة الحقة التى تطغى على النفس فى أعماقها لابد أن تدفع الى العمل الدائب . ولأن المحبة الصافية لا تستطيع أن تقف عند حد الكلام .

وأول جمعية اشترك فيها كانت جمعية التوفيق التى ظل عضواً بها من سنة ١٩١٦ ــ سنة

( ١ ) كان هو أيضا وزيراً عدة مرات كما كان من كبار المشرعين .



١٩٣٥ . ثم اختير وكيلاها ، واستمر فى وكالتها الى سنة ١٩٤٧ انتخب بعدها رئيسا . وفى سنة ١٩٥٠ استقال منها ولم يحتفظ فيها إلا بالمساهمة الشهرية فقط

وكانت إحدى الوسائل التى اتخذتها الجمعية لبلوغ أهدافها هى إقامة حفلات النيروز على نطاق وطنى واسع تحت رعاية قداسة البابا نفسه . فكان يشاركها هذا الاحتفال رجال القصر الملكى والزعماء الشعبيون والساسة والوزراء . وقد اختار مجلس الإدارة حبيب المصرى ليكون خطيبا فى احتفالات سنة ١٩٣٧ ، سنة ١٩٤١ ، سنة ١٩٤٢ وقد أذيع الاحتفال الأخير على الإذاعة ( إذ لم يكن التلفزيون قد اختُرع بعد ) . وتركزت كل الخطب على الوحدة التى ألفت بين قلوب المصريين جميعا . وقد قال ضمن خطابه الأخير : « .... وفى سنة ١٩١٩ دوى صوت سعد العظيم ودوى صوت الأمة من ورائه ــ دوى صوته داعياً الى الاستقلال وداعياً الى الوحدة المصرية العامة الشاملة التى تُظل المصريين جميعا ... وفى هذا المكان الذى وقف فيه سعد العظيم منذ إحدى وعشرين سنة كاملة فأعلن مبدأ التضامن الوطنى ــ فى هذا المكان الذى يشرفه بحضوره اليوم خليفة سعد وأقطاب الأمة المصرية ــ لنقف لحظة كى نجدد عهودنا القديمة ونستعيد ذكرياتنا الماضية ونستمد الأمل والقوة والعبرة من تلك الذكريات . لنحى ساعة من ساعات الثورة المصرية الحكيمة الجامحة التى تعانق فيها الصليب والهلال . لنذكر أن مصر الخالدة هى فوقنا جميعا وأن مصلحتها فوق كل مصلحة » .

كذلك كان للجمعية الخيرية الكبرى نصيب وافر من جهاده إذ اختير فى أول يناير سنة ١٩٣٣ عضواً بمركز عام الجمعية واستمر فى هذه العضوية الى سنة ١٩٣٥ انتخب بعدها عضواً بمجلس الإدارة حيث ظل يعمل تسع سنوات متوالية . ثم اختير وكيلاً للجمعية فبقى فيها الى سنة ١٩٤٩ ( [1] ) .

وقد شاءت العناية الإلهية أن يزور حبيب المصرى وزوجته الأراضى المقدسة لأول مرة فى موسم القيامة المجيدة لسنة ١٩٤٢ ، وتوالت زياراته سنويا الى سنة ١٩٤٨ . وفى كل تقديسة كان يستصحب اثنين من أعضاء أسرته ليتيح الفرصة للتبرك بهذه الزيارة لهم جميعا ــ حتى أن البعض منهم قدس مرتين وثلاثا . وفى خميس العهد ١٣ أبريل سنة ١٩٤٤ اجتمع عدد من الغيورين فى القدس واتفقوا ــ بعد التداول ــ على تأسيس « رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس » . وهى مازالت تنمو وتمتد بنعمة الله . واختاروا يومذاك نيافة الأنبا تيئوفيلس

( ١ ) هذه الجمعية أنشأت المستشفى القبطى ، ويدخل ضمنه عيادة خارجية وعدد من الأسرة لعلاج الفقراء مجانا ومكتب للخدمة الاجتماعية وصيدلية . كذلك أنشأت المشغل البطرسى للبنات ملحقاً به مدرسة ابتدائية .

مطران الكرسى الأورشليمى رئيس الشرف وحبيب المصرى الرئيس الفعلى . و بعد الا تفاق على تأسيسها ونظام سيرها ألقى الرئيس المنتخب كلمة تحدث فيها عن الحنين الذى يملأ كل قلب الى القدس وغيرها من البلاد المقدسة ، وكيف أن الأجيال المتعاقبة سعت الى ز يارتها رغم المشقات والمخاطر التى كانت تحيق بالأسفار خصوصا فى العصور الوسطى ، واستكمل حديثه بقوله : « كان من الواجب إنشاء هذه الرابطة من زمن للتشجيع على ز يارة البلاد المقدسة التى مشى السيد المسيح فوق أرضها واستنشق طيب هوائها » . ثم أكد الواجب الموضوع على الجميع بمضاعفة العناية والاهتمام بما ورثه الأقباط عن آبائهم فى الأراضى المقدسة . وأشار إلى أن يقظة الرهبان كانت السياج الذى حمى التقاليد والنظم الممنوحة للقبط داخل المدينة المقدسة وما يتبعها من مقدسات فى مختلف الأماكن .

وعقب العودة من التقديس اجتمع رئيس الرابطة وأعضاؤها ( فى ٩ يونيو سنة ١٩٤٤ ) ، و بعد الصلاة تداولوا فى مختلف المسائل أهمها :

١ ــ تسجيل ز يارة رئيس الرابطة وأعضائها عقب الجلسة للأنبا مكار يوس البابا الاسكندرى ــ وقد زاروه بالفعل وأطلعوه على محضر الجلسة التأسيسية وعلى الغرض الذى تأسست من أجله الرابطة فمنحهم بركته الرسولية ،

٢ ــ إرسال خطاب دورى لجميع الآباء المطارنة لإبلاغهم بتأسيس الرابطة وأغراضها ،

٣ ــ الموافقة على إلقاء المحاضرات وكتابة المقالات للدعاية والإرشاد فى القاهرة والأقاليم .

واتسع مجال عمل الرابطة بسرعة فامتد إلى إقامة المعارض والحفلات السينمائية وتسجيل الألحان الكنسية . وقد أقيم أول معرض من ٢٧ ــ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ــ أى بعد سبعة شهور من تأسيسها فقط . كذلك تم الاتفاق مع مصلحة الإذاعة الفلسطينية على إذاعة صلوات موسم عيد القيامة من القدس فى ١٣ أبر يل سنة ١٩٤٥ . و بذلك أذيعت الصلوات فى نفس اليوم الذى تأسست فيه الرابطة بعد دورة واحدة من دورات الفلك . على أن رئيس الرابطة وأعضاءها لم يكتفوا بهذا الاتساع بل دأبوا على المز يد فكتب حبيب المصرى خطاباً إلى الإذاعة البر يطانية من « صوت العرب » يطلب فيه اذاعة الألحان التى تسجلها الرابطة . وقد وصلته الموافقة من هذه الإذاعة على تسجيل الألحان بواسطة عملائها ثم إرسال التسجيلات إليها لإذاعتها فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥١ .

---

ومن التقليد البديع أنه فى عصر يوم الجمعة العظيمة تقام دورات يسير فيها المطران وكهنته



وشمامسته وشعبه فى موكب شامل فيطوفون بمراحل الصلبوت وعند كل مرحلة يقفون ليترنموا بالصلوات الكنسية المناسبة . وخلالها يلقى أحد الحاضر ين كلمة تتعلق بصلب المسيح الرب . ومما يؤثر عن حبيب المصرى أنه فى كل سنة من السنوات السبع التى انتعشت روحه فيها بز يارة القدس كان يتحدث عند المرحلة المعروفة بالجلجثة حتى لقد دعاه أحباؤه « بخطيب الجلجثة » .

أما كلمته التى ألقاها بمناسبة افتتاح صلوات الإذاعة فقد قال فيها : « لثلاث سنين خلت جئت إلى الأراضى المقدسة لكى أشرب من النبع الذى لا ينضب والذى لا منبع غيره . كل نبع يظمأ شاربه إلا هذا النبع . وفى كل مرة من المرات كان يسعدنى حضرة صاحب النيافة الأنبا ثيئوفيلس فيدعونى إلى إلقاء كلمة . فأدركت أن الأقدار قد جعلت منى رجلا سعيداً موفقاً . لأن الرجل الذى يقف ليتكلم حيث صلب المسيح وسفك دمه الزكى فى سبيل خلاص العالم يكون رجلا خصته الأقدار بالسعد .

على أننى فى هذا العام كنت أنوى فى بادىء الأمر أن أبقى فى مصر بين أولادى ، ولكن صوتاً نادانى وهتف بى هاتف أن أجىء . ثم أن العهد الذى قطعته على نفسى عند إنشاء رابطة القدس وهى التى تدعو الناس إلى ز يارة الأراضى المقدسة يقضى علىّ بالمجىء . لأنه لا يجمل بمن يحثّ الناس على ز يارة الأراضى المقدسة أن يتخلف هو عن ز يارتها . وقد أدركت مرة أخرى أن رباطا مقدساً عميقاً ربط بينى و بين قبر المسيح فلم أعد أستطيع التخلف عنه أبداً . وهذا عهد بينى و بينه و بينى و بين نفسى أن أجىء دائماً ما بقيت لى فى الحياة بقية وما لم تقف قوة قاهرة دون مجيىء .

ولست أنوى فى هذه اللحظة أن ألقى خطاباً ففى هذا المكان ينطق الله وتصمت الناس ، لست فى حاجة الى كلام لأننا هنا نمشى على التار يخ : كل حجر فى أورشليم يتكلم ، وكل ذرة من تراب أرضها تتكلم ، وكل نسمة من هوائها تتكلم . فكلما خطونا خطوة نتساءل : ترى ألم يمش المسيح على هذه البقعة ؟ ألم ير هذا المنظر ؟ ألم يستنشق هذا الهواء ؟ من كل بقعة ومن كل حجر ينبعث نشيد . ومن مجموعة هذه الأناشيد يتكوّن نشيد سماوى ــ ليت كل الناس الذين يحضرون الى هنا يسعدهم الحظ بأن يسمعوا هذا النشيد و بأن تتردد فى أسماعهم نغمات هذا النشيد .... » ( ١ )

والى جانب هذا الاشتراك الفعلى فى هذه الهيئات كان مساهما بالاشتراك الشهرى والتبرع و بالكتابة والخطابة فى جمعيات الايمان والسلام والرحمة وأبناء الكنيسة . ومن أروع

---

( ١ ) عن كتاب قصة حبيب المصرى ص ١٨١ ــ ١٨٤

المناسبات التى تهيأت له مع الجمعية الأخيرة تلك التى شاء أعضاؤها الاحتفاء بذكرى المعلم ابراهيم الجوهرى (١) . فذهبوا يومذاك للصلاة فى كنيسة مار جرجس بمصر القديمة (٢) . و بعد القداس الإلهى طلبوا اليه إلقاء كلمة ، فقال : « .... لقد قالت لنا كنيستنا فى تعليمها إن الأحياء هم الكنيسة المجاهدة والأموات هم الكنيسة المنتصرة . فنحن متى جاء دورنا وثمنا الى جانب إخوتنا نصير ضمن الكنيسة المنتصرة ... كل جهاد له ثمنه ... وكل جهاد له انتصاره ... فنحن نحصد ثمرات الأجيال .... هل انقطعت صلتنا بالأجيال الماضية ؟ من أنا ؟ ألست من دم أبى الذى كان من دم من سبقه ؟ إن الحياة العالية هى تفكير فى الماضى وإعداد للمستقبل ، والصلة هى الحاضر ــ هى أنا وأنتم . أيستطيع أن ينسى الماضى رجل بنيت كنيسته على دماء الشهداء ؟ دخلت هذه الكنائس القديمة . غلبنى التفكير والخيال . فتساءلت كم ألوف دخلوا هذه الكنائس وابتهلوا وصلوا وسكبوا الدموع فيها ! يكفى أن يكون بينهم واحد صلى للغير لا لنفسه لكى لا يذهب هذا الجهاد عبثا .... هذه الذكرى نقيمها للمثل الأعلى الذى يمثله الجوهرى . ليس هو فى حاجة الى ذكرى وإنما نحن فى حاجة إليها لنستمد منها القوة . إنما الرجل يخدم أمته لأنه يبث فيها الروح القوية والإيمان بالمستقبل . وحين يغلبنا اليأس يقف أمامنا شبح يقول : لا تيأسوا . طالما تعبت . وطالما اضطُهدت . ولكنى لم أقع . ومادام هناك رجال جاهدوا وتعبوا وصلوا وابتهلوا وصمموا على أن يبقى العلم مرفوعا ، ومادام أنهم أحياء فينا فلن يمكننا أن نتخلى ولا أن نضعف ... »

على أن قمة التهابه فى النضال الكنسى كان داخل المجلس الملى الذى فاز بعضويته لأول مرة سنة ١٩٢٨ وظل يفوز بها حتى آخر حياته . ولقد عرف القراء من تتبع انتخابات الأنبا مكاريوس والأنبا يوساب مدى تحمسه لحصر الترشيح للباباوية فى الرهبان الذين لا تزيد رتبتهم الكهنوتية عن القمص .

والى جانب تمسكه بهذا القانون الكنسى الأصيل فقد ركز صراعه بصفة خاصة على ترابط العائلة وحماية الزوجة والأولاد ضد العابثين بالدين . فناضل نضالاً متواصلاً ضد الطلاق وضد بيت الطاعة . وفى سبيل هذا الهدف كان يعمل باندفاع عجيب لمصالحة الأزواج المتخاصمين . وكان يسعى دائما لدى وزارة العدل وفى المحاكم ليقنعهم بالعمل بموجب شريعة العقد التى انعقد بها الزواج ، و بخاصة فى حالة إشهار أحد الطرفين إسلامه . و يعلق دكتور إيهاب حسن اسماعيل على موقف القبط بأزاء مشاكل الأحوال الشخصية بقوله : « وتُعتبر شريعة

(١) راجع ما جاء عنه فى جـ ٤ ف ١٨٣ ص ٢٣٢ ــ ٢٤٥

(٢) هى إحدى الكنائس القائمة داخل حصن بابلون ، وهى تضم رفات المعلم ابراهيم الجوهرى وأخيه جرجس



الأقباط الأرثوذكس فى نظرنا مثالاً نموذجيا للشرائع الطائفية التى تركها المشرع المصرى بعد توحيد القضاء تسرى على الطوائف غير الإسلامية ... » (١)

ومما يجدر تسجيله ما بذله من جهد فى سبيل الاحتفاظ بأرض الأنبا رويس . وكان اسمها قبلا « دير الخندق » وتقوم عليها ثلاث كنائس تحيط بها المقابر . فلما اتسعت القاهرة قرر وزير الصحة وجوب نقل الأجداث المدفونة بها الى أرض الجبل الأحمر . و بالفعل تم نقلها . فرأت الوزارة أن تستولى عليها بحجة أنها كانت مرفقا عاما . فعارض البابا يؤنس وعهد الى حبيب المصرى مهمة الدفاع عن حق القبط فى ملكية هذه الأرض . فكتب ثلاث مذكرات على دفعات مختلفة . وأخيراً ــ وفى سنة ١٩٤٦ ــ فى باباوية الأنبا يوساب أقرت الوزارة هذا الحق بشرط أن تقيم البطريركية على هذه الأرض منشآت عامة لا تعود بالنفع المادى . لهذا نرى الآن الأرض وقد قامت عليها الكاتدرائية المرقسية الضخمة ، وتحت مذبحها المزار الذى يضم رفات مار مرقس كاروزنا الحبيب . وحول هذه الكاتدرائية يقوم المقر الباباوى الجديد والكلية الإكليريكية والمعهد العالى للدراسات القبطية وغيرها من المنشآت العامة .

ولقد صلى حبيب المصرى الى الله ليجعل حياته شعاعاً من نور أو شعلة من نار فاستجيب الى هذه الصلاة لأنه ظل يعمل الى آخر يوم من حياته . فخير ما نختتم به هذه الحياة الحافلة الدافقة تلك الكلمات التى قالها أسقف لأبنائه وهو يودعهم : « مادمتم تحبوننى كما أحبكم أنا فلن نفترق أبداً ، لأننا سنتلاقى حتما فى ذاك الذى هو المحبة الكاملة . » (٢)

**ب ــ السيدة سليمة مينا ــ** إن من عرف حبيب المصرى يدرك تماماً أنه لا يمكن الحديث عنه من غير الحديث عن زوجته ، لأنهما عرفا معنى الزوجية المسيحية وعاشاها . ولقد كانت السيدة سليمة المرأة المثلى له : كان هو سريع الانفعال سريع التعبير عن انفعالاته ، بينما كانت هى شديدة التحكم فى انفعلاتها مهما بلغت من الحدة ــ فتظل رابطة الجأش ثابتة الجنان . فلم يكن من الممكن لإنسان أن ينتابه الفزع فى حضرتها . بل إن الخائف متى آنس إليها تبدد خوفه . فكانت بهذا التحكم النفسى الميناء الهادىء الأمين لبحره الصاخب المتلاطم . ولهذا فقد

(١) فى كتابه : « اخلال الزواج فى شريعة الأقباط الأرثوذكس » وهى الرسالة التى حصل بها على الدكتوراه فى العلوم القانونية لسنة ١٩٥٩ ، ص ٣٦١ . أما الأحوال الشخصية فهى كل ما يتعلق بالحياة العائلية من زواج وحقوق كل من الزوجين والأطفال والميراث . وقد ضم إليها حبيب المصرى حق المسيحى فى الوصية ــ أى أن يوصى بماله وممتلكاته لأشخاص معينين . وذلك حرصاً منه على حق البنت التى ليس لها أخ إذ تبيح الشريعة الإسلامية للعم أو لأولاد العم أن يشاركوها فى ميراثها .

(٢) كتاب « قصة حبيب المصرى » طبعته مكتبة مدارس الأحد بكنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج ( الاسكندرية ) سنة ١٩٧٧

اتحدت روحاهما اتحاداً عميقاً متينا ازداد عمقا ومتانة على مر الأيام . وفى ليلة إكليلهما ، حين انفض سامر عرسهما وانفردا ببعضهما البعض ، كان أول ما عملاه أن ركعا جنباً الى جنب وصليا معاً طالبين الى الآب السماوى الذى باركهما بالاتحاد المقدس أن يجعل زواجهما نعمة لهما ولكل من له صلة بهما ، وأن يمنحهما ثمرة مباركة ، وأن يرعاهما فى سيرهما معاً مدى الحياة . وهكذا قامت الزوجية بينهما منذ اللحظة الأولى على اتصال روحى وثيق وعلى إدراك تام لقدسية الزواج .

ومن أروع الأمثلة على هدوئها وما توحيه من الهدوء الى الآخرين القصة التالية : كان حبيب موظفا بالحكومة ( كما سبق القول ) . وكان الوزراء ينتقلون صيفا الى رمل الاسكندرية ويأخذون معهم الموظفين اللازمين للعمل فى تلك الفترة ــ وكان هو ضمنهم . فكان يستأجر لنا شقة للإقامة فيها . واتفق أن استأجر إحدى الصيفيات بيتا فى محطة باكوس من تلك البيوت القديمة التى تتألف من حديقة واسعة مهملة ومبنى صغير فى أحد أركانها . وكان البيت يتألف من طابقين أجر لنا أصحابه الطابق الثانى واحتفظوا بالأول لأنفسهم . وبعد انتقالنا لهذا البيت بيومين تضاءلت فرحتنا بالحديقة الواسعة أمام اكتشاف بدا مخيفاً لنا : هو أن لصاحب البيت أختاً مجنونة ولو أنها غير مؤذية . وحين كانت تنتابها نوبة الجنون كانت تهيم فى أرجاء الحديقة التى لم يكن لها شكل ولا تنسيق . وقد أعجبتنا نحن الإخوة الستة هذه الفوضى السائدة على الحديقة لما تحويه من أركان وزوايا يمكن الاختباء فيها ، ولإمكاننا من أن نبنى فيها ما نشاء من بيوت وجسور وحصون ولخوفنا من المجنونة كان أحدنا يقف حارساً ليعلن لنا ظهورها على الفور فنسرع جميعا بالصعود الى فوق . وذات يوم تتبعتنا . فلما وصلت الى شقتنا واجهتها أمنا بوقارها وهدوئها واستقبلتها كضيفة وتلفتنا من خلف الأبواب ودهشنا إذ وجدنا المجنونة قد هدأت ثائرتها ، واستكانت الى أمنا ، وجلست الى جوارها نقص عليها ما جرى لها من مآس . فتسللنا على أطراف أصابعنا ونزلنا الى الحديقة لنعاود لعبنا ونحن مطمئنين الى أن المجنونة جالسة فى أمن مع أمنا . وأحست المسكينة بالهدوء المشع من نفس أمنا يسرى الى داخلها . فاعتادت مذاك أن تصعد كل يومين أو ثلاثة لتجلس بجانبها وتأتنس بها . وكنا كلنا نشعر بإعجاب عميق داخل قلوبنا لهذا الأثر الذى لأمنا على السيدة المجنونة . فلم نلبث أن اعتدناها ولم نعد نخشاها حتى فى ساعات هياجها . فقد وجدنا أمامنا القدوة المثلى : وجدنا أن أمنا بشجاعتها ورصانتها تسيطر على ثورة الجنون التى تنتاب هذه النفس البائسة . كما أن أمنا قد أوضحت لنا ــ عمليا ــ أن العطف والهدوء خير ما يستعين به الإنسان لمواجهة ما فى أخيه الانسان من ضعف واضطراب .

كذلك كانت على وعى عميق بالأمومة فى حد ذاتها فلم تقصرها على أولادها الستة بل امتدت بها الى غيرهم . فكانت كثيراً ما تدعو أطفال ملجأ ما الى الغداء أو الشاى ، وتهيء لهم ما ستقدمه بالضبط كما لو كانوا من أهلها وصديقاتها . وبعد أن تجلسهم الى المائدة تطالبنا نحن أولادها بخدمتهم ساعة الأكل ولا نأكل إلا بعد أن يشبعوا وحينما كانت تريد إرسال هدية عينية الى أى ملجأ أو عائلة من المستورين تكلف أحدنا بتوصيلها لنعرف مكانهم ونعرف وجوب العناية بهم .

والى جانب أعبائها الخاصة وجّهت اهتماماً كبيراً الى الخدمات العامة . فكانت الرئيسة الفخرية لسيدات جمعية السلام بشبرا . ولا يتبادر الى الذهن بأن هذه الرياسة كانت مجرد حلية تتزين بها ، بل كانت عملاً دقيقا إذ كانت تحرص على حضور الاجتماعات والاشتراك فى المناقشات مع الأعضاء . وكانت أيضا رئيسةً لجمعية السيدات القبطية بالزيتون . وحين أراد هؤلاء السيّدات دعوة قداسة الأنبا يوساب ليرسى لهن الحجر الأساسى للملجأ الذى كن يرغبن فى بنائه ، ذهبت لمقابلته تلبية لرجائهن وقد لبى الدعوة ورأس الاحتفال الذى أقيم فى سرادق ضخم على الأرض التى شيد فوقها الملجأ مساء الجمعة ١ أبريل سنة ١٩٥١ . وحين تقدّم قداسته لإرساء الحجر وقفت خلفه ــ لأنها حتى فى الرياسة الفخرية لم تكن لتدفع بنفسها الى الأمام إذ كانت تؤثر الصمت دائما .

وهذا الصمت كان من أقوى الوسائل التى تعلمنا من خلالها أن نبادءها نحن بكل ما فى داخلنا . ومتى تأخر أحدنا فى مشوار ، أو متى سافر أحدنا ، فعند عودته يروى لها تلقائيا وعلى الفور كل ما حدث له . فتصغى اليه بصمتها المعهود الى أن ينتهى ، ثم تنصح أو توجه أو توبخ تبعا لما يستلزمه الموقف ــ ولكن فى هدوء . لأنه من أعظم النعم الإلهية علينا ــ إن لم تكن أعظمها ــ أن أمى وأبى كانا يؤمنان بوجوب احترام شخصيات أولادهم فلا يشتمونهم ولا يتلفظون بأية كلمة مهينة حتى فى التوبيخ . ولهذا السبب عينه عودتنا أمنا على أن نخدمنا فى صمت وتحبنا فى وقار . فلم تقل فى يوم ما لأحدنا : « أنا سهرت عليك وتعبت من أجلك » ــ بل على العكس من ذلك لأنه حينما كان يهم أحدنا بشكرها تقول : « إن شكر الأم جرح لحنانها ! »

ولأنها كانت ذات صلة وثيقة بالله كانت تداوم على قراءة الكتاب المقدس يوميا . وفى كل ليلة بعد العشاء تجمعنا حولها لكى يقرأ كل منا ــ ولو بضع آيات مقدسة ، ثم نصلى معا . وكان ولعها بهذه المطالعة الليلية قويا الى حد أنه بعد أن تزوجت أخواتى الثلاث وتعيّن أخى أمين طبيبا بالاسكندرية بينما كان أخى سامى مازال طالبا بجامعة أوكسفورد ( بانجلترا ) ، واضطره المرض الى الإقلال من القراءة ، وكنت فى ذلك الوقت قد بدأت بكتابة « قصة الكنيسة القبطية » مما كان يضطرنى الى السهر الى ساعة متأخرة من الليل ، فتكتفى هى بصلاتها الصامتة . وفى الصباح تسألنى : « هل قرأت الانجيل قبل النوم ؟ » أجيبها بالايجاب . فتسأل : « هل قرأته بصوت عالٍ ؟ » فأرد عليها : « ياماما ــ أنا كنت وحدى ــ فلمن أقرأ بصوت عالٍ ؟ » وتقول لى : « لكى تفرح الملائكة بسماعك ! »

ولقد قضت الشهور الأخيرة من حياتها ملازمة الفراش لمرض أصاب كبدها . وحينما كان يأتى الطبيب للسؤال عنها كانت تجيبه ببيت من الشعر يتناسب مع سؤاله لولعها بالشعر وحفظها الكثير منه . فمثلا ــ بعد أن يفحصها تقول له :

يا آسى الحى هل فتشت فى كبدى ... وهل تبينت داءً فى زواياها
أواه من قرح أودت بمعظمها ... ولم تزل تتمشى فى بقاياها

وعلى الرغم من « القرح » التى عبّر عنها بيت الشعر المذكور إلا أنها ظلت محتفظة بصمتها ووقارها المعتادين ، فلم يسمعها أحدناتئن ولو مرة !

وقد ألحّت علينا فى الأسبوع الأخير بأن نطلب الى أبينا القمص يوحنا حنا راعى كنيسة أبى سيفين بحدائق القبة (١) أن يأتى اليها بالأسرار المقدسة . ودهشنا لأننا لم نعهدها لحوحة فلم نفطن الى السبب الاساعة انتقالها . وبالفعل نالت هذه البركة التى اشتهتها . وبعد نوالها بأربع وعشرين ساعة انتقلت الى الفردوس . وكان انتقالها فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٢ المغيب الرائق لنفسها الوادعة المؤمنة . وحينما جلسنا فى الكنيسة ساعة تجنيزها وأصغينا الى الانجيل المقدس المنتخب فى هذه الصلوات (٢) ، تردد فى داخلى أنها لم تقدم لربها طيباً خالصا فقط بل قدمت له أيضا حياتها كلها واستودعته زوجها وأولادها وكل تطلعاتها فى ايمان راسخ وثيق (٣) .

وغنى عن القول أن عدداً غير قليل من المجلات القبطية قد أورد نعيها على صفحاته ، ولكننا نكتفى هنا بالمقال التالى :

انتقلت إلى رحمة الله سيدة جليلة بارة
هى المرحومة سليمه مينا منقريوس قرينة المرحوم
حبيب المصرى «باشا»

(١) هى الكنيسة التى فك حصارها نيافة الأنبا يؤنس مطران الجيزة كما وردت فى سيرته .
(٢) متى ٢٦ : ٦ ــ ٣٠
(٣) قصة حبيب المصرى ص ٢٦ ، ٣١ ، ٥٣ ــ ٥٦ ، وقد يجدر بنا القول بأن كلمة «آسى» معناها طبيب

عاشت الفقيدة الكريمة حياتها مثالا للزوجة الوفية والام الرؤوم . شاركت زوجها الراحل كفاحه ووقفت إلى جواره وهو يصعد المدارج حتى وصل إلى الذروة فى مكانه بين قومه . وكانت هى ملهمته بصبرها وايمانها ، يؤوب إلى بيته بعد يوم شاق ملىء بالكفاح والنضال ، وبالمعارك والملاحم فى كثير من الاحيان ، فقد كان حبيب المصرى شعلة منقدة مضطرمة لا يخبو لها أوار ، فلا يحس بالهدوء والسكينة إلا فى بيته وهو يرى البسمة الصافية ترتسم على محيا زوجته الوفية ، ولا تزايلها مهما اشتدت النكروب والمتاعب

ورحل الرجل فى الوقت الذى كان ينتظر أن يبرأ من العلة التى ألمت به ، وكان رحيله المفاجىء صدمة عنيفة لها ، ولكنها واجهتها بايمان واحتملتها بصبر و يقين ، تحاملت على نفسها ، وجالدت أحزانها ولم تشأ أن تكشف عنى الجرح الغائر فى أعماق صدرها ، إحتملته وحدها وهى منطوية على نفسها ، احتملته لتهيىء العزاء لكريماتها وأبنائها .

وناءت بها الاحزان وأحاطت بها العلل ، ولم يقو جسمها الرقيق على الاحتمال ، وكانت هى ترقب الرحيل ، ورحلت فى هدوء كما عاشت حياتها فى هدوء .

والفقيدة العزيزة والدة الدكتور أمين حبيب المصرى والاستاذ سامى حبيب المصرى والانسة ايريس حبيب المصرى وحرم كل من الدكتور مرقس جونجورى والاستاذ يوسف سيدهم المحامى والدكتور عزيز المصرى

رحمها الله رحمة واسعة وأجزل لها المثوبة وجعل فيها العزاء (١)

**جـ ــ أمين حبيب المصرى ــ** وثمة شخص ثالث يجب ذكره مع حبيب المصرى وزوجته ــ هو ابنهما الأكبر أمين التى كانت حياته المعدودة بالسنين ومضة خاطفة ولكنها كانت عند واهب الحياة عهداً من الوفاء .

نشأ أمين كإخوته على الثقة المتبادلة والصراحة التلقائية التى لا يشوبها خوف وقد تعوّد الجميع الألفة مع والديهم و بالتالى الصدق التام نحوهما . فمثلا حدث ذات صباح أن صحبهم أبوهم الى حديقة الأسماك ( بالجزيرة ) . وكانوا آنذاك يركبون الترام إذ لم يكونوا يمتلكون سيارة ، ولا حتى عربة يجرها الخيل . واستمتع الكل بالفسحة فى مرح وسرور . وفى طريق العودة وقفوا على ناصية شارع فؤاد (٢٦ يوليو) وحسن صبرى . ورأى أمين تراماً مقبلاً ، فلم يتريث بل جرى

(١) جريدة « الفداء » فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٢ ٧ كيهك سنة ١٦٧٨

نحو محطته خوفاً من عدم اللحاق به . وكانت سيارة مقبلة فى تلك اللحظة ، فقفز أبوه خلفه قفزة تلقائية وأمسك به وجره الى الرصيف . وفى اندفاع تلقائى صفعه صفعة واحدة . ولكن هذه الصفعة جعلت أمين يبكى إذ لم يكن أحدنا معتاداً الضرب من أبينا ، بل لم نكن نتوقع أنه فى الإمكان أن يضربنا ! وفى تلك الأثناء مرت السيارات ، فمشينا نحو رصيف الترام ولحقنا به وركبناه . وما كدنا نأخذ أماكننا والترام يتحرك حتى التفت حبيب الى ابنه أمين وسأله : « تفتكر أنا مبسوط علشان ضربتك ؟ » وهز أمين رأسه بالنفى لأنه كان مازال يبكى . فعاد يسأله : « لو كنت تركتك كان جرى ايه ؟ » وبلع أمين ريقه وهدأ قليلا وأجاب : « كان الأوتوموبيل داسنى » . وعندها قال أبوه : « لو كنت أنا ابنك وعملت اللى انت عملته كنت ضربتنى ولا لأ ؟ » أجابه فوراً وفى حدة : « دانا كنت ضربتك عشرة اقلام مش واحدا » فابتسم أبوه لهذه الصراحه التلقائية وأخذ نفسا طويلا ثم قال : « أمال بتعييط ليه ؟ » أجابه : « أنا باعيط علشان كان معايا وردة وقعت منى لما ضربتنى » . ثم جفف أمين دموعه ولم يلبث أن استعاد مرحه . ومرت شهور سافر بعدها حبيب المصرى الى باريس فبعث الى أمين بصورة لإحدى حدائقها العامة ملأى بالورود وكتب له عليها يقول : « نحن قوم يابنى نبكى إذا سقطت من أيدينا الورود .... » (١)

ولما انتهى أمين من دراسته الثانوية اقترحت امه عليه أن يدخل كلية الهندسة ، أجابها : « الحق انى عايز أبقى دكتور » . ووافقته لتوها احتراماً لرغبته . ولما كانت هى وزوجها يدأبان على تشجيع أولادها على خوض معترك الحياة العامة ، فقد كان لهذا التشجيع أثره فى دفع أمين الى ترشيح نفسه لعضوية مجلس الطلبة وهو بعد فى السنة الأولى من كلية الطب . وبالفعل نجح فى الانتخابات .

كذلك كانت الألفة القائمة بين رب الأسرة وأفرادها حافزاً لهم على أن يطلعوه على كل ما يصادفهم بصراحة ودالة . فحالما انتهى أمين من امتحان بكالوريوس الطب لم ينتظر ظهور النتيجة بل بعث برسالة موجزة إلى أبيه الذى كان فى الاسكندرية إذ ذاك يقول له فيها : « والدى العزيز — اتممت امتحانى على ما يرام وقد أكون الآن طبيباً بعد هذه السنين الطوال . فليوفقنى الله وليرشدنى فى طريقى حتى أكون موضع فخاركم وحتى أكون جديراً بأن أكون أبناً لكم » .

أمين (٢) .

١٩٤٢/١/٢٠

(١) قصة حبيب المصرى ص ٢٩ — ٣٠

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ — ٤٨



ولقد استجاب الله لدعائه هذا فمنحه المقدرة والمثابرة على مصارعة العلل الجسمية حتى أنه نجح فى إنقاذ العدد الكبير ممن عالجهم . ولما كان عرفان الجميل شهادة يعتز بها فإن اعتراف عائلة الطالب أحمد فؤاد عبد الله بفضله مما يجب تسجيله . فلقد نشرت ما ناله ابنها من عناية على يدى امين فى جريدة أخبار اليوم فى الوقت الذى كان هو ذاته يتعالج فى إحدى مستشفيات جوتبرج بالسويد .

جريدة أخبار اليوم (عدد ٩٩٢) الصادر فى ٩ نوفبر سنة ١٩٦٣

## تحركت الساق المشلولة بعد استبدالها بساق احد الموتى

نجحت أول عملية من نوعها فى الاسكندرية . نزع الأطباء ساق طالب كانت مصابة بالسرطان . . ووضعوا مكانها ساق شاب ميت .

الطالب اسمه احمد فؤاد عبد الله . كان قد أصيب منذ ٧ سنوات بسرطان فى عظام ساقه اليمنى تسببت فى شلل الساق كلها . أجريت له ٨ عمليات جراحية ولكنها فشلت جميعها فى اعادة الحياة الى الساق المشلولة . أصبحت حياة الشاب مهددة بالخطر . نصح الأطباء والده ببتر الساق حتى تكتب له الحياة . ولكن الأب رفض . واستسلم الطالب المريض للقدر . وفجأة انفتح أمامه باب الأمل . عندما استدعاه الدكتور أمين المصرى الجراح بمستشفى الطلبة . دخل الطالب غرفة العمليات ومكث فيها ٤ ساعات قام خلالها الجراح بنزع العظام المتسوسة وركب مكانها ساقا أخرى لشاب مجهول مات حديثا .

وتنطبق عليها أوصاف الساق المريضة . وبعد ٢٤ يوما قضاها الشاب فى المستشفى غادره وهو يرقص فرحا بعد أن ظل طريح الفراش ٧ سنوات . وعاد الطالب احمد فؤاد لأول مرة يمارس هوايته المحببة فى لعبة كرة القدم مع زملائه كما كان يفعل منذ ٧ سنوات . (١)

ومن نعمة الله على أمين أنه منحه قلباً مليئاً بالعطف والحنو على الآخرين — وهذا ما جعله يفضل الاشتغال بالطب . وكان يسارع كلما ناداه صوت قلبه . فحينما تفشت الكوليرا فى بلادنا سنة ١٩٤٧ (٢) كان هو يعمل فى كلية الطب بالاسكندرية . فرأى لفوره أن واجبه الإنسانى كطبيب يحتم عليه المسارعة الى نجدة المصابين . وبدافع إدراكه لهذا الواجب تطوع للعمل

(١) المرجع السابق ص ٤٩ ، ومما تجدر الإشارة اليه هنا أن زرع ساق سنة ١٩٦٣ كان سابقا على ما أجراه الأوربيون والأمريكيون من زرع أعضاء جسمية فى السنوات الأخيرة .

(٢) راجع ف ٩٣

فى المستشفى المخصص للحالات المستعجلة (١). وحينما كان ذاهباً ليقدم نفسه الى مدير المستشفى قال له صديق: «إن فى هذا التطوع خطراً عليك». أجابه فى توكيد: «إننا لم نتعلم سبع سنين إلا لكى يجدنا الوطن فى وقت الشدة. فإن لم نتقدم للخدمة فى مثل هذه الأزمات كان تعليمنا عبثا وتساو ينا مع من لم يتعلم». وبهذه الروح الباذلة قدم خدمته وقضى فترة الوباء كلها فى ذلك المستشفى إذ كان يبيت فيه أيضا.

ثم عندما اندلعت نار الحرب فى فلسطين ضد اسرائيل سنة ١٩٤٨ قامت رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس بواجب مقدس نحو الفلسطينيين المنعزلين والمحاصرين والمنكوبين إذ تمكنت بمعاونة الصليب الأحمر من توصيل المأكولات والملابس إليهم. وفى تلك الأثناء تطوع أمين مرة أخرى لأنه أصبح جراحاً للعظام. فذهب فى بادىء الأمر إلى غزة حيث قضى بضعة أيام. ثم طلب أولو الأمر إلى الأطباء أن يتطوع منهم من يشاء للذهاب إلى المجدل التى كانت الهدف الأول للإسرائيليين لكونها مقراً للقيادة العليا. فتطوع أمين ضمن من تطوعوا. ومرت الفترة التى كان مقرراً أن يقضيها فى الأراضى المقدسة ولم يعد. ولم تصلنا منه أية إشارة أو مكالمة تليفونية وكنا نجهل ذهابه إلى المجدل. وأحسسنا كأننا وسط بحر صاخب من غير بوصلة. وبدأ يظهر الإضطراب على أبى بينما استمرت أمى تهدىء من روعه كعادتها وتؤكد له أن الحارس هو الله. وفى صباح الجمعة ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ذهبنا جميعاً إلى كنيسة مارمينا بفلمنج (برمل الاسكندرية) حيث ارتفعت ابتهالاتنا فى صمت. وظللنا بالكنيسة بضع دقائق بعد انصراف المصلين خرجنا بعدها ولسان حالنا يردد كلمات أمير الشعراء التى أجراها على لسان كليوباترة وهى:

أبى دخلت ونفسى ... حيرى الزمام حزينة
ثم تركت المصلى ... وملء نفسى سكينة
إن الصهلاة على شدّ ... ة الزمان معينة

وفى الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه رن جرس التليفون الرنين الخاص بالمكالمات البعيدة: ولم يجد أبى ــ ولا أمى ــ المقدرة على الرد. فهتف أبى: «ردى يا ايريس. شوفى يمكن أمين اللى بيتكلم» وبالفعل كان يتكلم من محطة القنطرة وهو ينتظر القطار الآتى من بور سعيد قاصداً إلى القاهرة. ولا يستطيع لسان أن يعبر عما جاشت به نفوسنا من انفعالات فى تلك اللحظات: فمثل هذه الانفعالات لا يتصورها إلا من اختبرها بنفسه إذ هى مجموعة من الفرح

(١) يجدر أن نلحظ أن أبو به وافقا بطل رضى على هذا التطوع.



والشكر والاطمئنان والرهبة ومن يدرى ماذا أيضاً؟ فالأنفعالات النفسية بحر خضم من الصعب تحليل جزئياته.

وحينما وصل أمين والتقينا به عرفنا منه أنه قضى تسعة أيام فى المجدل: قضاها هو ومن معه فى خنادق مفتوحة. ذلك لأن الاسرائيليين كانوا يشنون عليهم غارة كل نصف ساعة نهاراً وليلا. وبين الغارة والأخرى يسرع الأطباء إلى التفتيش عن الجرحى وفصلهم عن القتلى ويحاولون إسعافهم بأقصى ما يستطيعون من سرعة. وبعد هذه الأيام التسعة كانت المجدل خرائب وأطلالا ولم يبق بها غير سبعة أشخاص أصحاء لأن الباقين جميعاً كانوا قتلى أو جرحى. وكان أمين واحداً من السبعة الأصحاء. وعلى ذلك أرسلوا إشارة لاسلكية إلى غزة تضمنت هذه الحقيقة المؤلمة. فأرسل أولو الأمر بارجة حربية لنقل الجرحى. وكان الأطباء يحملون هؤلاء الجرحى على أكتافهم ليوصلوهم الى البارجة بسبب انعدام كل وسيلة للنقل. وبعدما أراحوا الجرحى فى أماكنهم بالبارجة نزلوا إذ لم يكن لهم مكان فيها. ولم يكن لدى السبعة غير سيارة «جيب» واحدة ركبها خمسة منهم. أما أمين فمشى على الشاطىء هو وزميل له من المجدل إلى غزة. وقد فضلا المشى على الشاطىء كى يناما فى الرمل ساعة الغارات وبخاصة لأن الشواطىء فى تلك الأنحاء يزينها النخيل. والمسافة بين المجدل وغزة عشرون كيلو متراً ــ قطعاها مشياً على الأقدام من غير أكل ولا شرب. ومن غزة ركبا القطار إلى القنطرة فالقاهرة. وحينما وصل إلى البيت بمصر الجديدة اضطر إلى وضع قدميه فى الماء الساخن الممزوج بالملح لأن الجورب قد لصق بجلده. ولم يكن فى البيت إذ ذاك غير سامى لأننا كنا فى الاسكندرية. وفى اليوم التالى جاءنا كلاهما. وبعد أيام عدنا إلى القاهرة بالطريق الصحراوى. وفى وقت ما أوقف أمين السيارة ربع ساعة ليستمتع بالهدوء الشامل السائد فى تلك الأرجاء وقال: «من الصعب أن أتصور نفسى وسط هذا الهدوء المترامى بعدما جزته من ضجيج الغارات وأهوالها» (١)

ثم شاء الآب السماوى أن تتم بركة اكليل أمين فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢. ومنحه أن يقضى اثنتى عشرة سنة من العيشة الزوجية رزقه أثناءها بثلاث بنات وولد واحد.

وخلال جهاده فى سبيل إعادة التوازن الصحى للأجسام العليلة أجرى مرة عملية جراحية لطيار سقطت به طيارته فتهشم رأسه. واستأذن أمين والد الطيار يومذاك فى إجراء ما يستطيعه لإعادة القطع العظمية المتفككة الى مكانها فى الجمجمة. ولما كان الأطباء قد أعلنوا أن التكسير مما لا يمكن جبره، كتب الوالد بخط يده إقراراً يفوض به أمين بعمل ما يراه لازماً. وأرقد

(١) قصة حبيب المصرى ص ٥٠ ــ ٥٢

أمين الشاب الفاقد الوعى على نقالة ، وأدخله الى غرفة العمليات يصحبه اثنان من زملاء التلمذة . ومكث ثلاث ساعات يعمل بقدر ما يستطيع من الصبر والدقة والتروى . ولما ارتاح الى وضع القطع المنكسرة فى مكانها ، لف الرأس بما يشبه الطاقية .... ومن نعمة الله أن منح الطبيب الصبور جزاء جهاده ، فعوفى الطيار الشاب وعاد الى الحياة يعمل بهمة ونشاط .

ولكن ــ سبحان الله فى حكمته اللامدركة . فالطبيب الذى أنقذ الطيار بجنية ومهارة دخل ليستام بعد عمل يوم شاق : فى ٣ مارس سنة ١٩٦٤ ، كان قد قضى الصباح فى مستشفى الطلبة بالاسكندرية ، وذهب بعد الظهر الى عيادته فى شارع النبى دانيال . ولما انتهى من عمله بها قصد الى بيت زميل ليعود زوجته المريضة . فلم يرجع الى بيته إلا الساعة الحادية عشرة ليلاً . واستلقى على السرير ونام . ولكنه نام النومة التى لاصحوة بعدها ! واستيقظت زوجته فى الصباح وألبست بنتيها اللتين تكبران الولد والطفلة الأخيرة استعداد للذهاب الى المدرسة ودهش الكل أن أمين لم يستيقظ . فلما نزلت البنتان لتركبا أوتوبيس المدرسة ودخلت زوجته لتراه وجدته قد ترك هذا العالم الفانى لينعم بالفردوس .

وهكذا لم يشأ واهب الحياة أن يدعه يمرض و يتألم ، بل نقله أثناء نومه وفى سكون الليل وهدوئه .

ولما هدأ العصف النفسى وأمكننا محاولة تعمق ما حدث أدركنا أن الحياة لا تقاس بالأيام والليالى بل إنها فى واقعها تقاس بالإنسانية والمحبة الباذلة . صحيح أن شمسه غربت إذ بعد نهار ولكنها كانت شمساً ساطعة دافقة الضياء (١) .

١٣٢ ــ كانت « جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة » (٢) تضم نخبة من السيدات اللواتى ينطبق عليهن قول القديس لوقا البشير « الشريفات المتعبدات » (٣) فهؤلاء النسوة كانت قلوبهن ممتلئة غيرة ومحبة للكنيسة فتجمعن ليخدمن الأطفال المحرومين لكى يكون تعاونهن تكميلا لبعضهن البعض فتأتى الخدمة بالثمار الكثيرة . وإحدى هاته العاملات فى وفاء ومثابرة كانت السيدة **فوتنى حنا** مسيحة زوجة عزيز مشرقى المحامى الثرى الذى كان عضواً بالمجلس الملى لفترات وعضواً مستمراً ثم رئيساً للجمعية القبطية الخيرية الكبرى . واليكم ما سجلته عنها مجلة الحق (٤) :

(١) حينما انتقل لعين الى الفردوس كانت ياسمين فى العاشرة والنصف من عمرها ، ومجيدة فى التاسعة ، وحبيب فى الخامسة ، بينما كان عمر سليمة ثلاثة وثلاثين يوماً فقط . وبعد مرور السنين وعمل النعمة فى عمق القلوب الكسيرة أدركنا من خلال هذا الفقد القاصف المعنى الواقعى لقول الله : « أنا أبو اليتامى .... » ( مزمور ٦٨ : ٥ )

(٢) راجع ف ٩٥

(٣) أعمال ١٣ : ٥٠

(٤) فى عددها الثانى للسنة السابعة بابة سنة ١٦٧٠ ( أكتوبر سنة ١٩٥٣ ) ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .



مشهد رهيب ذاك الذى انتظم جنازة السيدة المبرورة المأسوف عليها مدام الأستاذ الكبير عزيز مشرقى . فلقد رأينا الألوف من عيون الأمة وعظمائها وأعضاء الجمعيات وأراخنة الشعب ، وقد خيم الحزن على الجميع . ولا غرابة فى ذلك فإنهم فى طريقهم إلى تشييع سيدة عظيمة هى زوجة رجل عظيم . والحقيقة التى لا مرية فيها أنها لم تكتسب عظمتها بسبب ثراء أو علم أو جاه ــ وإن كانت هذه كلها قد اجتمعت لدى أسرتها الكريمة ودانت لرجلها الكبير ــ ولكنها عظمة انعكست عليها من مصدر آخر . مبعثه الدين والتقوى والتضحية وإنكار الذات . فلقد كانت رحمها الله رحمة واسعة مثالا رائعا للمرأة الفاضلة التى قيل عنها من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلىء . أوقفت كل جهدها وسخرت كل مواهبها للخير المطلق . فلا يراها الإنسان إلا فى الكنيسة أو فى مجتمع دينى أو فى سبيل عمل إنسانى ــ تقضى ليلها متفكرة فيما ينبغى أن تعمل فى سبيل الإنسانية . بارة بكنيستها إلى أبعد حدود البر . حدوبة على الفقراء عطوفة بعزم القلب على المساكين يسرها و يفرح قلبها أن تقدم بيديها لهم الكساء والغذاء والعطاء . تحادث هذا فى تواضع وتتبسط مع ذاك فى روية ووداعة . لها فى كل ميدان مجهود وفى كل محيط السهم الأوفر ــ وها هو نيافة المطران الجليل الأنبا يؤانس مطران الجيزة يتحدث عنها فى تأثر بالغ إذ فقدت الجيزة بصفة خاصة بفقدها ابنة من أبر السيدات البارات بكنيستهن إذ أنها ساهمت بمالها وصحتها فى بناء كاتدرائية الجيزة الجديدة .

ولن ينسى صاحب هذه المجلة كيف كانت تقف على قدميها الساعات الطوال فى ساحة البناء فى فرحة ظاهرة وفى بهجة قلبية مشجعة عمال البناء ومساعدة إياهم عملياً .

وإن الكنيسة المجاهدة التى شيعتها إلى السماء لتنضم إلى الكنيسة المنتصرة مع زمرة القديسين ولسان حالها يقول جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت السعى ، حفظت الايمان وأخيراً وضع لى اكليل البر لترى فيما خلدت من أعمال صالحة وسجلته لها يد العناية فى الكنيسة المقدسة بالجيزة وفى سائر الكنائس وفى جمعية السيدات لتربية الطفولة وفى كل مؤسسة عملت فيها عمل الخير ولسان حالها : طوبى لمن اخترته وقبلته ليسكن فى ديارك يارب إلى الأبد .

ولما كان الوفاء من المميزات الإنسانية الحقة ، تحتم أن نذكر السيدة فوتنى مسيحة وفاءها لصديقاتها الى جانب وفائها فى خدمة الكنيسة . ومن الأمثلة على هذا الوفاء أنها حينما كانت عضواً بجمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة لاحظت فى وقت ما أن المؤلفة تغيبت عن الحضور جلستين متواليتين على غير عادتها . فخاطبتها تلفونيا وحددت لها موعداً لمقابلتها . وفى أثناء الحديث تساءلت السيدة فوتنى عن سبب الغياب ، وعلمت منى أن ذلك راجع الى أن إحدى السيدات قد وضعتنى فى موقف حرج أمام الباقيات إذ أفهمتهن أننى وعدت بتأدية عمل معين

ولكننى حنثت بوعدى . ولم يرق هذا الموقف فى عينيها . وفى الجلسة التالية ( وكنت حاضرة ) أعادت الموضوع الذى كان سبباً فى تغيبى وتولت بنفسها إعلان الواقع . ونتج عن دفاعها أن اعتذرت السيدة التى أحرجتنى وتصافينا جميعا وحل التصالح محل الجفاء . ولولا وفاء فوتنى مسيحة ودفاعها عن الحق الذى اقتنعت به لظل التجافى ــ والله وحده يعلم الى ماذا كان ينتهى .

١٣٣ ــ إننا ــ إذا ما تتبعنا تاريخ مصر المعاصر ــ لنجد أن وعى المرأة بكيانها فى حد ذاته كعضو فى مجتمعها و بالتالى بمسئولياتها العامة قد أخذ يتزايد على مر الأيام . فبعد أن كان عدد المشتغلات بالعمل العام لا يزيد على أصابع اليد الواحدة ، أصبحن الآن يعملن فى كافة الميادين (١) . وكانت طلائع المشتغلات يعملن فى وزارة المعارف ( التربية والتعليم ) (٢) . وليس هذا بغريب لأن المرأة أم بسليقتها والمعلمة أم .

على أنه من المؤسف أن سير الرعيل الأول من المشتغلات بالحياة العامة مجهولة لا يعرفها غير علام الغيوب . لذلك فالضرورة موضوعة على لأن أسجل السيرة التالية إذ قد عرفت صاحبتها شخصيا ــ بل إنها ارتبطت مع عائلتنا برابطة الصداقة المتينة . وهذه السيدة هى المربية الفضلى **املى عبد المسيح**

نشأت املى فى قرية من قرى المنوفية اسمها « كفر حبشى » ، وكانت وحيدة لأبويها . توفى أبوها وهى فى طفولتها الأولى فتولى خالها عوض الله ابراهيم أمر تربيتها . ولما كان هذا الخال من كبار رجال الأعمال الذين اضطرتهم أعمالهم الى الأسفار المتوالية ، فقد أدرك وجوب تعليم بنت أخته تعليماً عاليا . فلما انتهت من المرحلة الابتدائية استحضرها الى القاهرة وألحقها بالمدرسة السنية (٣) .

وكانت املى من المتفوقات فى كل سنة من سنى دراستها بتلك المدرسة . ولما كانت وزارة المعارف آنذاك تستهدف نشر تعليم البنات ، فقد وجدت أن إحدى الوسائل الموصلة الى هذا الهدف هى إرسال المتفوقات منهن لاستكمال دراستهن فى انجلترا على نفقتها ــ أى أنها توسعت فى

---

(١) مما يذكر فى هذا الصدد أن مريم بنت أخى سامى رأت صورة لجدتها سليمة يوم تخرجها من مدرسة الأمريكان بالأزبكية مع زميلتين لها ، فسألتنى : « هم الباقين سقطوا ولا أيه ؟ » وذهلت حين علمت أنه لم يتخرج غيرهن سنة ١٩٠٨

(٢) اشتهرت فى أوائل العشرينات سيدة من طنطا بكونها أكبر تاجرة للقطن واسمها « الست هيلانة » . والعجيب فى هذه التاجرة التى نجحت فى الوصول الى قمة المشتغلين بتجارة القطن أنها كانت أمية لا تعرف من القراءة والكتابة غير توقيع اسمها . ومما يجدر ذكره أن سوق القطن ظل من أيام محمد على الى ما بعد جلاء الانجليز عن مصر أهم أسواق التجارة المصرية .

(٣) كانت أول مدرسة لإعداد المعلمات فى مصر ، وتقع فى حى السيدة زينب ، وهى الآن مدرسة ثانوية . وترجع تسميتها الى أن محمد على بانيها هو الذى افتتحها .



إرسال البعثات التعليمية . وكانت تشترط على من ترسلها أن تعلم فى المدارس الحكومية عند عودتها لمدة ثلاث سنوات . ولها بعد ذلك أن تستمر إن شاءت أو تترك العمل . وتنفيذاً لهذه الخطة أرسلت املى ضمن من أرسلتهن فدرست أصول التربية وعلم النفس وكيفية تدريس المواد الخاصة لصغار الأطفال . لأن الوزارة وضعت ضمن خطتها إنشاء « حضانات » يبدأ فيها الطفل الدراسة وهو فى الرابعة من عمره .

وأتمت املى دراستها وعادت الى مصر الحبيبة سنة ١٩٢٢ . واشتغلت فور عودتها مدرسة باحدى المدارس الثانوية التى تزايد عددها . و بعد الخدمة لمدة السنوات الثلاث المطلوبة استمرت تعمل فى الوزارة التى أوكلت اليها هى وزميلة لها اسمها زكية عبد الحميد مهمة افتتاح حضانة فى الغباسية بالقاهرة ــ تبعتها غيرها وغيرها لما لاقته هذه المدارس من رواج . و يرجع سبب نجاحها الى أنها كانت تتبع الأناشيد والقصص والرقص الايقاعى كوسائل للتعليم .

وما إن استقرت الدراسة فى الحضانات حتى عينت الوزارة املى مدرسة فى مدرسة معلمات كى تلقن الشابات كيفية تعليم الطفل فى سن الحضانة وطرق هذا التعليم و وسائله . فظلت تعمل فى تهيئة هاته المعلمات اثنتى عشرة سنة . ثم رقتها الوزارة الى مفتشة على مدارس المعلمات . فخدمت فى هذه الوظيفة عشر سنوات أخر .

على أن اشتغالها بالتعليم هذه السنوات الطويلة لم ينسها ولاءها لكنيستها . فساهمت فى مختلف المشروعات فى قريتها أولا إذ كانت تذهب لزيارة أمها هناك بانتظام . فكان وفاؤها لأمها الأساس الذى قام عليه وفاؤها للكنيسة : فتزور أمها ، وخلال الزيارة تسأل عما استجد من النشاط الكنسى وتساهم فى هذه الأنشطة بلا فتور . أما فى القاهرة فقد انضمت الى جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة سنة ١٩٤٨ حيث جاهدت مع أعضائها مدة ست سنوات ــ عملت كسكرتيرة للجمعية لخمس سنوات من هذه المدة .

وخلال الفترة التى اشتعلت بالدعايات للكرسى الباباوى والتى انتهت بفوز الأنبا يوساب ، كانت أملى من أنشط المروجين لانتخاب الراهب داود المقارى . فقد كانت مشتركة فى جمعية أبناء الكنيسة بالعمل لا بالمال فقط وساهمت قدر طاقتها فى مشروعى بناء كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج ومجلة « الأنوار » التى يرجع الفضل فى إصدارها الى الراهب داود المقارى ( كما سبق ذكره ) . ثم تعاونت مع أبينا وصحبه فى افتتاح « بيت النعمة ليعيش فيه تحت ظل الكنيسة ثلاثون ولداً . وحالما استقرت الحياة فى هذا البيت تعاون العاملون ــ ومعهم املى ــ على إنشاء مدرسة ابتدائية للبنين ملاصقة لبيت النعمة كانت تضم آنذاك مئة وثمان وسبعين تلميذاً .

وحينما أصدر الراهب داود المقارى مجلة « الأنوار » بالانجليزية ساهمت بمقالاتها فيها .

وخلال كل هذه المشروعات التى تحققت بالنعمة التى أسبغها الله على الراهب داود المقارى ظلت املى على وفائها فى الخدمة : فتارة تستحضر الموسوعات الخاصة بالآباء النيقيين ومن قبلهم ومن بعدهم من الخارج لتضعها فى مكتبة الكنيسة . وطوراً تهىء الكتب والأدوات المدرسية لتلاميذ المدرسة ، والملابس والأطعمة لأولاد « بيت النعمة » .

ولقد كان تقديرها لأبينا الراهب داود بالغاً الى حد أنها حلمت الليلة السابقة على نياحته بأنه سينتقل الى الفردوس إذ رأته بين زمرة من الملائكة صاعدين به الى العلا .

واستمرت تؤدى خدماتها للكنيسة الى آخر يوم من حياتها . بل إن محبتها لكنيسة الآباء والأجداد غمرتها فجعلت إحدى صديقاتها المسلمات تقول عنها : « إن وجهها على الدوام كان وجه إنسان خارج لفوره من الصلوات الكنسية » .

وتقديراً لها ، ومحبة فيها ، أنشأ خالها عوض الله ابراهيم فى قرية « كفر حبشى » مدرسة ابتدائية للبنات أطلق عليها اسم « املى عبد المسيح » .

## ١٣٤ ــ جمعية السلام

هى إحدى جمعياتنا الخيرية الكبرى قامت بمؤسساتها العلمية والدينية والخيرية لخدمة الانسانية من كل نواحيها . فكافحت المرض ، وعالجت الفقر ، وحاربت التيتم ، وهذبت الأخلاق ، ونشرت العلم والدين ، وبعثت روح المحبة والتضامن والإخلاص فى الصدور

بدأت حياتها الأولى فى حى القللى . وقد نشأت فيه فقيرة وبين فقرائه : فلم يكن فى صندوقها يوم أن تأسست فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٨ غير جنيه واحد . ولكنها تمكنت من أن تشق طريقها فى ميدان الخير الواسع . وكان المستوصف الطبى أول مؤسساتها وهو ثانى مستوصف قبطى أسس فى القاهرة : ثم افتتحت بعده بأربعة أشهر ملجأ لليتيمات ، وهو أول ملجأ قبطى أنشىء من نوعه . وبعده بشهر افتتحت مدارس لتعليم البنين والبنات تعليما مجانيا راقيا .

وهذه المؤسسات المتعددة أفاضت فى أول أمرها الرحمة والخير على فقراء أحياء القللى والسيدة وبولاق ، ثم انتقلت الى شبرا فتضاعفت فيها الحياة والنشاط وأدت لسكانها أجل خدمة كانوا يفتقدونها منذ زمان طويل وهنا يتجلى أمامنا عمل من أجل الأعمال الخيرية وهو كيف استطاعت هذه الجمعية أن تقيم تلك المنشآت فى خلال خمسة شهور وهى لم تكن تملك غير اشتراكات أعضائها وبعض مبرات المحسنين القليلة ؟ ولكن تاريخ الجمعية الصامت يحدثنا عن سر إقامة هذه المنشآت الكبيرة وهو بسط أمامنا اليد الكريمة يد الاستاذ الكبير متى ساويرس رئيسها . وقد أنفق عليها منذ تأسيسها حوالى الالفين جنيه من ماله الخاص ، وهى مساعدة جزيلة لا نظير لها فى سائر الجمعيات وتعتبر الينبوع الذى استقت منه الجمعية ، وأعانها على الحياة والثبات وعلى تشييد معاهدها النافعة ، وعلى تمكينها من تنظيم أعمالها الإدارية والحسابية تنظيما دقيقا .

ولم يقتصر الأستاذ متى على ذلك المجهود الكبير الذى أداه بل قام على أثر توليه رياسة الجمعية سنة ١٩٢٩ بنهضة جبارة رفعت مستوى مدارسها وملجائها الى الدرجة الأولى ، وجعل مستوصفها أشبه بمستشفى ، كما حوّل مشغلها الى معهد نسوى عال .

ثم فاجأ جمعيته وشعبه بتشييد كنيسة عظمى ــ تلبية لطلب البابا يؤنس الـ ١٩ ــ فى شارع الجيوشى باسم مارجرجس . ولقد أصبحت هذه الكنيسة مركز إشعاع روحى كبير .

ومن نعمة الله أن نشاط جمعية السلام مازال مستمراً فى جميع هذه المجالات المذكورة تحت رعاية القمص صليب حفيد متى ساويرس . بل إنها مازالت تمتد وتنمو بإقامة منشآت جديدة .

ولم يكتف متى ساويرس بالخدمات الكنسية المحض بل سعى الى توثيق الروابط بين القبط والمسلمين فأقام مهرجانا شعبيا كبيراً فى أول يناير سنة ١٩٤٤ . فكان هذا المهرجان ملتقى الآباء المطارنة والأراخنة وكبار رجال الدولة المسلمين . وقد تبادل الجميع التحدث عن الوحدة المتينة التى ربطت المصريين جميعا وبخاصة خلال الثورة العارمة التى رفع سعد زغلول لواءها : هذا اللواء الذى كان هلالا يحتضن صليباً رمزاً الى أن شهداء المسلمين والأقباط قد سالت دماؤهم واختلطت معاً وهى تروى تربة الوطن الواحد الذى يجمعهم (١) .

## ماذا تعرف
## عن جمعية الايمان القبطية ..

نشأت فكرة تكوين جمعية باسم « الايمان » أول ما نشأت فى أذهان بعض القبط بحارة السقايين ــ وهو حى له تاريخه وتتوسطه كنيسة الملاك غبريال التى بناها البابا كيرلس الرابع . وبالفعل نفذوا فكرتهم سنة ١٨٩٩ . وبعد مرور خمس عشرة سنة من تأسيسها نبت لها فرع فى

(١) طارق البشرى : « المسلمون والأقباط » ص ٥٨٩ ، الجمعيات القبطية ومدى اتساعها لرمزى تادرس ص ٥ ــ ٢١

جزيرة بدران ــ ولكنه فرع مستقل . فأصبحت الجمعية الأصلية تحمل اسم « الايمان المركزية » ( ١ )

إنها الجمعية التى بدأت ميزانيتها بمبلغ ١٢ جنيهاً وتصل الأن إلى حوالى مليون جنيه سنوياً وذلك فى فترة اربعين سنة .

إذا سرت مرة فى شارع جزيرة بدران ولفت نظرك تكرار اسم ( الايمان ) وأنت تمر على اجزاخانة الأيمان ، مستشفى الأيمان ، مدارس الأيمان المتعددة للبنين والبنات ، فهل تعلم

أن وراء هذه العناوين جمعية جاءت نتيجة حتمية لحاجة أهل حى جزيرة بدران بشبرا إلى التعليم والعلاج .

● لذلك قامت الجمعية بإنشاء كنيسة الشهيد مار جرجس بهذا الحى والاشراف عليها .

● وقامت بإنشاء مستشفيين أحدهما بشارع شبرا رقم ٦٣ والثانى بشارع جزيرة بدران رقم ٥٤ ويلحق بكل مستشفى عيادة خارجية ، أجريت عمليات جراحية بالعيادات الداخلية لحوالى ٥٥٧٠ مريضاً كما تم الكشف الطبى على ١٧٨٠٠٠ مريض عولج عدد كبير منهم وصرفت لهم الأدوية من أجزاخانة الجمعية بالمجان وذلك فى العشر السنوات الأخيرة .

● تقوم الجمعية بصرف إعانات شهرية ثابتة لـ ٢٠٠ أسرة فقيرة وذلك عدا الأعانات الوقتية التى تصرف يومياً لمناسبات مختلفة كالاشتراك فى تجهيز العرائس وترحيل الغرباء ، وإغاثة الملهوف ودفن الموتى وغير ذلك من المساعدات الاجتماعية وتبلغ قيمة ما تنفقه الجمعية فى هذا الباب مئات من الجنيهات ، كما تقوم الجمعية فى الأعياد بكساء حوالى ١٥٠ تلميذاً وتلميذة من الفقراء وصرف معاينات لأكثر من ١٠٠ أسرة ، بالاضافة الى صرف الأدوية المجانية من أجزخانة الجمعية بما يوازى ٣٠٠ جنيه .

● للجمعية مطبعة تقوم بأعمال الطباعة الخاصة بالجمعية ومعاهدها المختلفة كما تقوم بأعمال الطباعة للجمهور بأثمان معتدلة إذا وجد الفراغ .

● تملك الجمعية ٦ مدارس مختلفة بنين وبنات لجميع مراحل التعليم وأن مدرسة البنات الثانوية فى هذه الجمعية من كبريات مدارس البنات الثانوية بمصر ، وللجمعية مدرسة تجارة

( ١ ) « الجمعيات القبطية ومدى اتساعها » لرمزى تادرس ص ١٤ ــ ١٥



ثانوية وهى المدرسة التجارية الحرة الوحيدة فى الجمهورية المصرية .

وتضم مدارس الجمعية بين جوانبها ما يزيد على سبعة آلاف طالب وطالبة ، وقد أنشئت هذه المدارس لتعليم أبناء وبنات الفقراء على اختلاف أديانهم بالمجان وبمصروفات مخفضة وذلك قبل تعميم مجانية التعليم وتعتبر وزارة التربية والتعليم مدارس جمعية الأيمان نموذجاً للمدارس الثانوية الأميرية والحرة لما تتمتع به هذه المدارس من إدارة حسنة مستنيرة ، ويوجد بها مركز للخدمة الأجتماعية ، وتعتبر مدارس الايمان مركز إشعاع للحى كله .

● تصدر الجمعية « مجلة الأيمان » شهريا ويشترك فى تحريرها رئيس الجمعية والأستاذ غطاس بشاره وتوزع ١٥٠٠٠ نسخة وتعالج مشاكل دينية واجتماعية وثقافية وهى بعيدة عن المهاترات . ( ١ )

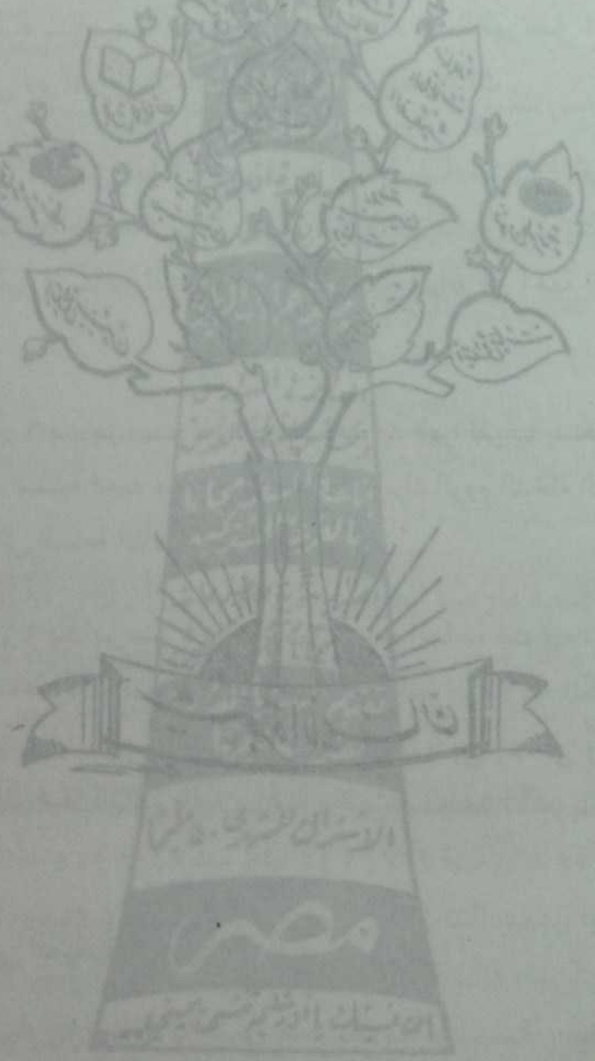


( ١ ) مجلة الايمان عدد طوبة سنة ١٦٧٢ = يناير سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥

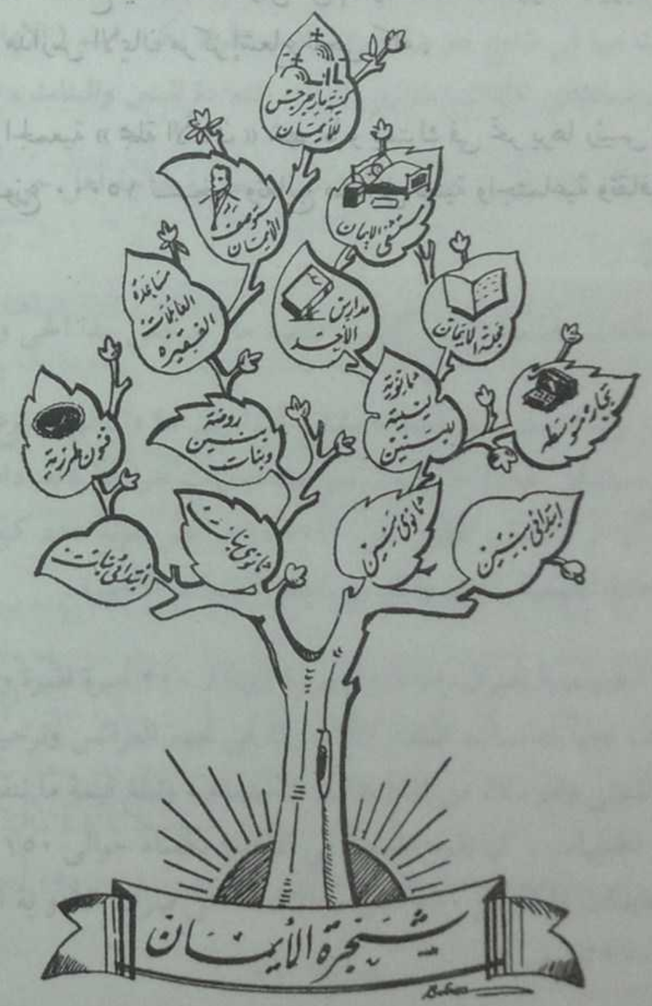
شجرة الأيمان

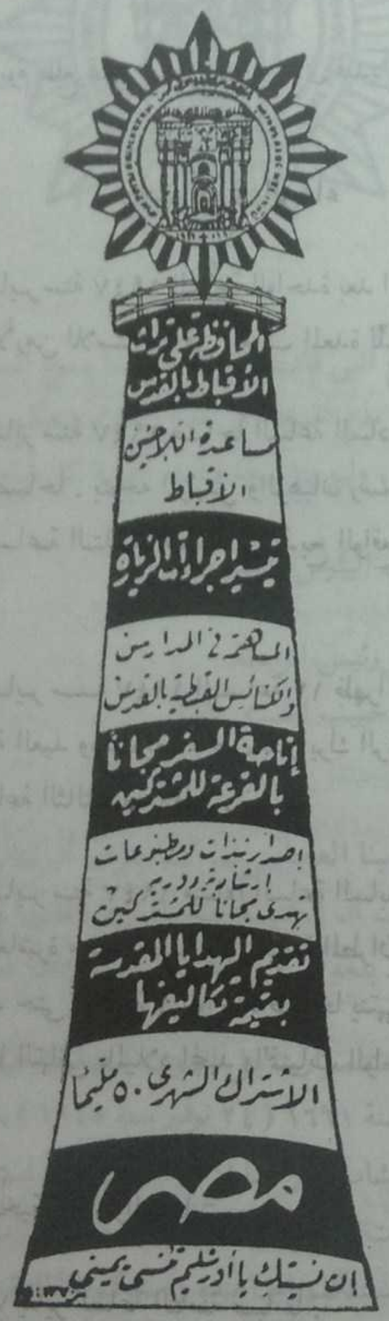
المحافظة على زيارة
الأقباط بالقدس
مساعدة المحتاجين
الأقباط
تيسير اجراءات الزيارة
الحجرة في المدارس
والكنائس القبطية بالقدس
إتاحة السفر مجانا
بالقرعة للمشتركين
إصدار نشرات ومطبوعات
إرشادية وردية
تهدى مجانا للمشتركين
تقديم الهدايا المقدسة
بقيمة تكاليفها
الاشتراك الشهري ٥٠ مليما
مصر
إن نسيك يا أورشليم تنسى يميني

واليكم مثلاً، من الإرشادات التى كان يوزعها أعضاء الرّابطة على المقدّسين :

**المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة**

فأزد هى الكون بالوليد وضاءت　　بسناه من الثرى الأرجاء

هذا ميلاد المسيح يوم طلع على الناس نوراً وهدى فبدد ظلمات اليأس

**وحرر أسرى الرجاء**

يوم الأحد ٥ يناير سنة ١٩٤٧ الساعة الواحدة بعد الظهر نصل الساعة الواحدة والربع نزور المهد ونصعد الى دير الأرمن للاستراحة فى الغرف المعدة لذلك .

يوم الأثنين ٦ يناير سنة ١٩٤٧ صباحاً الساعة السادسة نبتدى فى التسبحة ورفع بخور باكر لغاية الساعة السابعة صباحا . يتوجه الرئيس والرهبان رسميا حيث يبتدئون فى صلاة قداس برمون الميلاد لغاية الساعة التاسعة صباحا ( المذبح الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية لمغارة المهد ) .

يوم الأثنين ٦ يناير سنة ١٩٤٧ الساعة ١٢ ظهرا تقريبا يستعد الأقباط للنزول الى الدورة ورفع بخور عشية العيد وذلك بعد دخول بطريرك الروم الدخلة الرسمية . تنتهى الدورة ورفع بخور عشية حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر .

يوم الأثنين ٦ يناير سنة ١٩٤٧ مساءا الساعة السابعة نبتدىء تسبحة ليلة العيد ورفع بخور باكر الى الساعة العاشرة مساءاً حيث ينزل نيافة المطران والآباء الكهنة والشماسة رسميا لإتمام قداس العيد المجيد حتى الساعة ١ الواحدة صباحا ينتهى القداس و يصعد الجميع لغرف راحتهم حيث يتبادلون جميعا التهانى بالميلاد المجيد والتمنيات الواحد للآخر بالحياة السعيدة المقرونة بالعمر الطويل .

أعاده الله على المسيحية بالخير والبركات

الرجوع للقدس يوم الثلاثاء ٧ يناير الساعة الثامنة صباحاً .



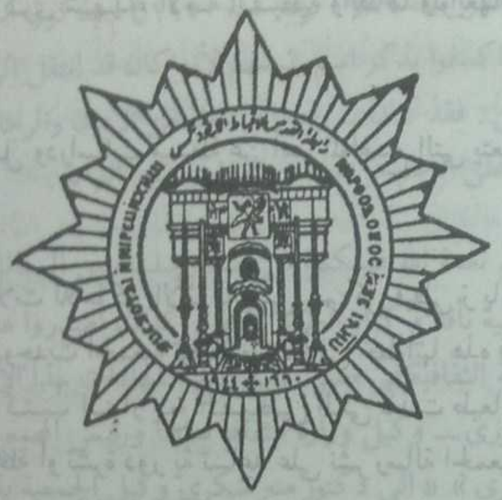

رابطة القدس تضرع الى فادينا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح فى عيد قيامته المجيدة أن يرجع الى اورشليم بالمراحم و يديم السلام فى مهد السلام ويحكم بين الأمم والشعوب فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ، وليرينا بهجة قيامته المحيية كل أيام حياتنا ونحن هاتفين :

خريستوس آنستى .... اليثوس آنستى ،

برمهات ١٦٦٤　　رئيس الرابطة

ابريل ١٩٤٨　　حبيب المصرى باشا

**١٣٤ د ــ جمعية مارمينا العجايبى ــ** كلنا يعرف أن تتالى الأيام لا يتوقف مهما بلغت فداحة الأحداث . وكلنا يعرف أن الكنيسة حية باقية بقوة فاديها ومحبته لها . وهذه نعمة أسبغها الله على كنيسته التى اشتراها ــ بدمه الزكى الكريم ليبقيها شاهداً أمينا من جيل الى جيل .

ومن أمثال هذا الاستمرار ــ بل النمو ــ جمعية مارمينا العجايبى التى تأسست فى الاسكندرية فى ١٥ هاتور سنة ١٦٦١ ( ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥ ) ، وبدأت عملها مباشرة بإصدار نشرة عن شفيعها الشهيد الشاب مارمينا إذ قد اختارت يوم استشهاده لتعلن تأسيسها وبداية عملها . كذلك نشرت نداء قالت فيه : « أيها الإخوة الأحباء ــ تأسست جمعية مارمينا العجايبى بنعمة الرب لتخدم كنيستكم المجاهدة وأمتكم الخالدة عن طريق نشر الثقافة الدينية والتاريخية .... فمن حق الأمة علينا إذن أن نكشف للأحفاد عن مآثر الاجداد .... لذلك تتقدم الجمعية وفق البرنامج الموجز الآتى :

١ ــ إحياء ذكرى شهداء الأمة القبطية وأبطالها ونوابغها فى كافة العصور بالكتابة والخطابة ،

٢ ــ نشر رسائل ودراسات مبسطة عن أهم المواضيع التى يتعين على كل قبطى الإلمام بها ،

٣ ــ إعداد رحلات للأماكن الأثرية التى يهم كل قبطى زيارتها و يتولى هذه الأعمال جميعا إخصائيون فإذا وجدت الجمعية توفيقا وتأييداً فى خطواتها هذه فستوسع أفق نشاطها حتى يشمل : إعادة طبع كتب التاريخ القبطى التى نفذت طبعاتها ، تأسيس مكتبة قبطية بالاسكندرية ، إصدار مجلة أو نشرة دورية تساعد على نشر رسالة الجمعية ، كما ستحاول الجمعية إحياء اللغة القبطية بتدريسها بطرق عملية .

وفى أبريل سنة ١٩٤٧ ، وبمناسبة عيد القيامة المجيدة ، أصدرت الجمعية أولى رسالاتها . وقد كتب مقدمتها الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية قال فيها : « وشعلة اليوم هى تلك الجماعة الصغيرة المتواضعة التى التفت حول اسم مارمينا العجايبى معتصمة بأساليب المحبة وتكران الذات والتضحية التى مات هو من أجلها منذ قرابة سبعة عشر قرنا .... لقد درست نشاط هذه الجماعة فوجدته نشاطا هادئا مضطرداً ... تزينه ثقة العلم ورجحانه جنباً الى جنب مع حرارة الايمان وحلاوته .... وهاهم اليوم يساهمون بلا هوادة فى الدعوة الى ابتناء معبد سيكون من أجل معابد القبط فى العصر الحديث ــ ذلك هو كنيسة مارمينا التى أراها بعين التصور تحفة جمعت بين ما استقر له عين الأثرى الباحث وقلب المؤمن المتدين (١) . وهاهم قد بدأوا نشرات فى صفحات معدودات عن تاريخ آباء القبط وإحياء معالمهم وعلومهم الدارسة ، فإذا بهذه الصفحات تنمو الى كتيبات فكتب حافلة بالتاريخ والفلسفة والأدب المسيحى القديم .... وهم بذلك يقومون بتأدية أمانة مقدسة نحو طائفتهم بل نحو مواطنيهم أجمعين . أليس تاريخ القبط صفحة من تاريخ هذا الوطن المعزز على النفوس ؟ أليس تراث القبط جزءً من تراث مصر جمعاء ؟ وإنى لا أرى واجبنا نحو هذه الدراسات إلا جزءً لا يتجزأ من واجبنا القومى نحو الوطن ونحو العلم والتاريخ .

ومن أوضح الأدلة على نكرانهم ذواتهم أنهم حتى فى الكتاب الذى نشروه احتفاء

(١) لقد شاءت النعمة الإلهية أن تحقق أمنية الساعين الى هذا البناء ، فجاءت كنيسة مارمينا بفلمنج ( برمل الاسكندرية ) تحفة فنية ذات روعة خاصة . و بالتالى أقيم الى جانبها مبنى يشمل غرفاً للخدمة الاجتماعية والتأهيل المهنى الى جانب مكتبة قبطية ــ مدنية . فقد جمع المسئولون ــ ومازالوا يجمعون ــ كل الكتب التى يرونها ضرورية لزيادة معلومات كل من يستهدف المعرفة .

بيوبيل جمعيتهم ( فى هاتور سنة ١٦٨٦ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ) لم يذكروا أسماء المجموعة الأولى التى أسست الجمعية بل اكتفوا بذكر اسم رئيسهم لأنه كان قد انتقل الى الفردوس ــ وهو العالم الأثرى بانوب حبشى : فقد كان ــ رحمه الله شعلةً من الايمان والرجاء والمحبة ، كما كان عالما ضليعا ، ظل على جهاده على الرغم من مرضه ، فصارع حتى النهاية .

ولقد ساندتهم نعمة الله فتمكنوا من إصدار سلسلة من الرسائل تحتوى كل رسالة على مجموعة غاية فى الأهمية بأقلام كبار العلماء القبط . كذلك أصدروا عدة مؤلفات كان لها أكبر الأثر على تاريخ الحركة الثقافية فى مصر . ومن أبلغ الشهادات بهذا الأثر ما جاء فى إهداء من الأستاذ الدكتور حسين فوزى ــ وكيل وزارة الثقافة سابقا ورئيس المجمع العلمى المصرى ــ لمؤلفه « كتاب سندباد مصرى » « الى دكتور منير شكرى وكيل الجمعية يذكر فيه فضل رسائل مار مينا على كتابه هذا .

كما أن العاملين فى هذه الجمعية قد نجحوا بمؤازرة العناية الإلهية فى تنظيم رحلات عديدة الى الأديرة والى الأماكن الأثرية . وزادهم نشاطاً ما رأوه من اهتمام البابا كيرلس السادس بإعادة بناء دير مارمينا بمريوط ، فكانوا يؤلفون اللجان فى مختلف أحياء الاسكندرية لعمل الترتيبات اللازمة تسهيلاً لجميع الراغبين فى الذهاب الى مريوط كلما اعتزم البابا الوقور أن يقصد الى هناك لإقامة القداس الإلهى . فينالون بركة مضاعفة : بركة زيارة المكان الذى تقدس بأنفاس الشهيد الشاب و بركة الاستمتاع بالشعائر القدسية يؤديها قديس من قديسى هذا العصر .

ومن نعم الله الوفيرة على كنيسته أن جمعية مارمينا العجايبى مازالت فى جهادها الحسن ، ومازالت تعمل فى مختلف المجالات التى عاهدت الشعب على العمل فيها .

وتحقيقا لوعدهم كون أعضاء الجمعية لجنة من قمة المهتمين باللغة القبطية للبحث والدراسة كى يخرجوا كتاباً جامعاً يساعد دارسى هذه اللغة على الاستزادة من المعرفة . وعلى الرغم من أن العمل كان شاقا مضنياً ــ و بخاصة لأن البعض منهم كان ضعيف الصحة ــ إلا أنهم واصلوا العمل الى النهاية .

و بعد أن تم هذا العمل التاريخى الجليل ، قابلتنا عقبة لم نستطع تذليلها لبعض الوقت ، ألا وهى المال اللازم لطبع هذا المرجع ، ونظراً لأن شبيه الذى قام بوضعه المرحوم الأستاذ الدكتور جورجى صبحى وطبعته وزارة المعارف فى عام ١٩٢٤ على نفقتها قد مضى عليه قرابة نصف قرن ، فليس من المنظور أن يعاد طبعه قبل قرن آخر ، ولذلك كان هدفنا أن نطبع منه ثلاثة آلاف نسخة على الأقل .

وعلم قداسة البابا كيرلس السادس ، نيح الله نفسه أثناء سؤاله عن نشاطنا بهذه العقبة المالية ، فطلب الاطلاع على أصول هذا المؤلف وكأنه أراد أن يكرم هذه اللغة التى جعلت من الكنيسة القبطية ملجأها الأخير ، لغة الآباء والأجداد ، والشهداء ، ولغة الكنيسة الرسمية ، فأمر نيحه الله بأن يطبع هذا الكتاب بالعدد الذى ارتأيناه على حسابه الخاص ، فأسدى بذلك لأجيال عديدة يداً سيذكرها له التاريخ وسيخلد اسمه فى ميدان العلم والثقافة ، وحل للجمعية مشكلة لم يكن فى إستطاعتها أن تتخطاها لولا أنه مد إليها يده الكريمة .

وبهذه المناسبة ندعو أبناء الأمة أن يبادروا باقتناء هذا الكتاب العلمى الذى تزيد قيمته مع مرور الزمن .

ولما كان من المهم أن يعرف القراء ما هى الأبحاث التى نشرتها جمعية مارمينا العجايبى لتكون مرجعاً لمن يرغب فى المزيد من الدراسة ، فإليكم البيان الذى أوردته فى « كتاب اليوبيل الفضى » الذى صدر عنها فى ١٥ هاتور سنة ١٦٨٧ ( ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ) ، وقدمته هدية لمشتركيها بمناسبة العيد :

**+ الرسالة الاولى : « رسالة مارمينا فى عيد القيامة » ابريل ١٩٤٧**

| | |
|---|---|
| العالم المؤرخ دكتور عزيز سوريال عطية | تصدير |
| الأستاذ بانوب حبشى | بداية النهاية |
| الأستاذ منير شكرى | مع يسوع إلى الجلجثة |
| الأستاذ أنيس جبران | الصليب |
| دكتور منير شكرى | نهاية و بداية |
| دكتور تادرس متقريوس تادرس | كنيسة القيامة |
| دكتور فتحى الملاخ | على هامش القيامة |
| الأستاذ عزيز ابراهيم | المسيح قام |
| الأستاذ بانوب حبشى | من مذكراتى |
| العالم المستشرق القمص يعقوب مويزر | تسمير المسيح فى نظر الكنيسة القبطية |
| الأستاذ بديع عبد الملك | رسم وتصميم الغلاف |



**+ الرسالة الثانية : « رسالة مارمينا فى عيد النيروز ١٦٦٤ ش » .**

| | |
|---|---|
| الأستاذ الدكتور جورجى صبحى | كلمة عن اللغة القبطية |
| دكتور مراد كامل | صلة الأدب الحبشى بالأدب القبطى |
| الأستاذ بانوب حبشى | اللغة القبطية بين الكنائس والأديرة |
| الأستاذ لبيب حبشى | المخطوطات القبطية |
| دكتور منير شكرى | اللغة القبطية ونصيبها من الحركة الاصلاحية |
| دكتور تادرس م . تادرس | مقتطفات من الأدب القبطى |
| القمص يعقوب مويزر | اثار اللغة القبطية فى أسماء أولادنا فى خطر |
| الأستاذ يسى عبد المسيح | المقدمات والسلالم |
| الأستاذ بديع عبد الملك | تصميم ورسم الغلاف |

**+ الرسالة الثالثة : « الرهبنة القبطية » ٢٢ مايو ١٩٤٨ ، بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشر للقديس انبا باخوميوس**

| | |
|---|---|
| القمص صموئيل تاوضروس السريانى | الرهبنة بين العالم ومصر |
| دكتور جورجى بك صبحى | من تراث الكنيسة القبطية |
| دكتور منير شكرى | آباء البرية |
| الأستاذ الدكتور مراد كامل | الرهبنة فى الحبشة |
| الأستاذ لبيب حبشى | الأديرة الشرقية ودير المحرق |
| الأستاذ موريس مكرم | الأديرة الغربية |
| الأستاذ يسى عبد المسيح | نظام الرهبنة على مر الزمن |
| الأستاذ موريس يوسف حنا | الراهبات وأديرتهن |
| القمص يعقوب مويزر | تاريخ مجيد انطوى وآثار رهبنة انمحت |
| الأستاذ ملاك ميخائيل | من آداب الرهبنة |
| الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية | نشأة الرهبنة المسيحية فى مصر |
| الأستاذ بانوب حبشى | حول تكوين الحياة الرهبانية فى مصر |
| الأستاذ بديع عبد الملك | الرسوم والصور |

+ **الرسالة الرابعة :** « صور من تاريخ القبط » سنة ١٩٥٠

| | |
|---|---|
| دكتور راغب عبد النور | أوريجانوس |
| الأستاذ ملاك ميخائيل | باخوميوس |
| دكتور منير شكرى | اثناسيوس الرسولى |
| الأستاذ فايق ميخائيل | كيرلس الكبير |
| الأستاذ بانوب حبشى | شنودة |
| الأستاذ الدكتور مراد كامل | يوحنا النقيوسى |
| الأستاذ يسى عبد المسيح | ساويرس بن المقفع |
| المستشرق القمص يعقوب مويزر | بولس البوشى |
| الأستاذ موريس مكرم | ابن كبر |
| الأستاذ كامل المصرى | إبراهيم الجوهرى |
| الأستاذ رؤوف حبيب | يعقوب حنا |
| دكتور فتحى يونان الملاح | كيرلس الرابع |

+ **الرسالة الخامسة :** « صفحة من تاريخ القبط » سنة ١٩٥٤ .

| | |
|---|---|
| الأستاذ الدكتور مراد كامل | القبط فى ركب الحضارة العالمية |
| الأستاذ يسى عبد المسيح | اللهجات القبطية وآثارها الأدبية |
| دكتور منير شكرى | المسيحية وما تدين به للقبط |
| دكتور صابر جبره | نصيب القبط فى تقدم العلوم |
| دكتور باهور لبيب | الآثار القبطية |
| دكتور وليم وورل | موجز تاريخ القبط |

+ **الرسالة السادسة :** « أديرة وادى النطرون » سنة ١٩٦٢ دكتور منير شكرى

+ **الرسالة السابعة :** « الصوم والقيامة »

مجموعة مقالات من نشرات سابقة



+ **الرسالة الثامنة :** « المرجع فى قواعد اللغة القبطية » سنة ١٩٧٠ تولى الترجمة :

الأستاذ ملاك ميخائيل ، الأستاذ حبيب الشارونى

تولى تحقيق النصوص القبطية :

الأستاذ معوض دواد عبد النور

الأستاذ بسنتى رزق الله

الأستاذ مرقس بطرس

تصميم الغلاف : الأستاذ بديع عبد الملك (١)

ولما كانت الجمعية قد أنشئت فى الفترة التى احتدمت فيها الدعايات الانتخابية حول المرشحين للكرسى المرقسى ، ولما كانت قد قضت الفترة الأولى من جهادها وسط التيارات المتعارضة ، فإنها حرصت على أن تتجه نحو العمل البناء فى سلام وسكون لتستطيع تحقيق رسالتها التى تعاهدت على تنفيذها . والبناء الصميم لا يستقيم إلا فى تجنب المصادمات التحزبيه . واننا لنرى فى الخطة التى انتهجتها جمعية مارمينا العجايبى صورة من ذلك التوازن العجيب الذى يوجده الآب السماوى بين أبنائه رعاية منه لهم ومحبة للكنيسة .

## ١٣٥ ــ مخطوطات نجع حمادى

من الآثار ما يبحث عنها المنقبون السنوات الطويلة قبل أن يفوزوا بالعثور عليها ، ومنها ما يجده غير الباحثين بل غير العارفين فجأة وعن غير قصد . وسواء وصل اليها العلماء أم عثر عليها الجهلاء فجزء غير قليل منها يضيع على مصر . لأن العلماء يحتجزون منها ما يروقهم ( فى خفية ) لأنفسهم أو لمتاحف بلادهم ، والجهلاء يبددون بعضا منها و يبيعون البعض الآخر . وهذا التبديد ثم الرغبة فى البيع أصاب مخطوطات نجع حمادى . فقد عثر على المجموعة الأولى منها شقيقان فلاحان كانا يحفران بحثاً عن سماد فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ . بينما عثر على المجموعة الثانية فلاح لا صلة له بالأولين كان يبحث عن عنزة له ضالة فى إحدى المغارات المنقورة فى الجبل . وقد بدد الشقيقان بعض المخطوطات باستعمالها وقوداً ثم فطنا الى إمكانية المكسب منها فحاولا بيعها الى تاجر عاديات فى نجع حمادى فى الوقت الذى كان يحاول صاحب المجموعة الثانية بيعها للتاجر عينه . ولإدراك المشترى بقيمتها ذهب الى القاهرة و باعها الى تاجر سويسرى . ولكن الشرطة بدأوا يتعقبونه حينما أراد إخراجها من مصر . وأقيمت حينذاك قضية بين وزارة التربية والتعليم

(١) « كتاب اليوبيل الفضى » أصدرته جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية فى ١٥ هاتور سنة ١٦٨٧ = ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ( بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على إنشائها ، ص ٢٤ ــ ٢٩

( وكان طه حسين وزيرها آنذاك ) وبين التاجر السويسرى . وكسبت الوزارة القضية بأن دفعت له أربعة آلاف جنيه ــ وهو المبلغ الذى كان قد دفعه فى شرائها . ولما عرف الدكتور الوزير أنها مخطوطات بالقبطية واليونانية أمر بتسليمها للمتحف القبطى . فأستلمها أمين مكتبة المتحف وسجل تاريخ استلامها ــ وهو ٤ اكتوبر سنة ١٩٤٦ .

وفى بداية سنة ١٩٤٧ دعت المكتبة ستة عشر عالماً من مختلف البلاد الى مؤتمر عقدته فى مقرها فلبوا الدعوة و بتدارسهم هذه المخطوطات وجدوا أنها تتألف من اثنين وخمسين بحثا . ووجدوا البعض منها مقطعا والبعض ناقصا ولكن المدهش أن غلبيتها كاملة سهلة القراءة . وظلت ــ بعد هذه الدراسة الأولى ــ لغاية سنة ١٩٧٠ حينما تعاونت هيئة اليونسكو مع الحكومة المصرية لنشرها . فتقابل العلماء من سنة ١٩٧٠ ــ سنة ١٩٧٣ أسبوعين من كل منها ثم اشترك معهم علماء من معهد سميث سونيان بواشنطن فى سنتى سنة ١٩٧٤ ــ سنة ١٩٧٥ . ومن ثم نشرت تبذتان : إحداهما بالانجليزية والأخرى بالفرنسية . وقد تبين أن المخطوطات تتراوح موضوعاتها ما بين أجزاء من سفر التكوين وتعاليم غنوسية (١) ورسائل شخصية ، ومعظمها مكتوب على رقوق . وقد دهش العلماء عند فكهم للغلاف إذ وجدوه طبقات من المخطوطات ملصقة ببعضها ! ومازال البحث مستمراً فى دراسة هذه المخطوطات ، كما أن عدداً من الدارسين عاودوا التنقيب فى منطقة نجع حمادى لعلهم يعثرون على المزيد (٢) .

## ١٣٦ ــ المشروع التعليمى الكبير بمعصرة سمالوط

مدرسة ابتدائية وثانوية للبنات وقاعة للحفلات والسينما

### ومكتبه للسيدات والطفل

يقوم الدكتور فهمى القطشة مدير مدرسة البنات القبطية بمعصرة سمالوط بتنفيذ هذا المشروع التعليمى الثقافى منذ عام وهو من تصميم الدكتور عوض كامل استاذ فن العمارة بمدرسة الفنون الجميلة العليا وقدرت تكاليفه بنحو ١٥ الف جنيها ومقامه على فدانين من الأرض وتم بناء

(١) اعتبرت الكنيسة الغنوسية بدعة وقضت عليها . لأن الغنوسيين ــ مع إيمانهم بالسيد المسيح ــ زعموا أن العقل الإنسانى يستطيع إدراك المعرفة الروحية والعقلية بمجهوده وحده . ولكن كنيستنا تؤكد بأن العقل مهما بلغ ذكاؤه فلابد له من الارتكان على النعمة الالهية التى تكشف له حقائق الروح التى لن يدركها عقله بمفرده .

(2) The nag Hammadi Codices (agenerallintroduction) by games Robinson. pubbs the Institute for antiquity and Christianity. Claremont. California 1977



الدور الأول من مبنى الادارة والمكتبة وقاعة الحفلات و بلغت تكاليفه حتى الآن ٣٠٠٠ جنيها ويهيب مدير المدرسة بأهل الجود والغيرة بأن يساهموا فى هذا المشروع العظيم و يعضدوا العاملين و يشدوا ازرهم حتى يتم هذا المشروع فى أقصر وقت .

لقد شاهدت فى كل مكان أزوره أو أجلس فيه ألسنة شكر ومديح وثناء على همة الطبيب البارع الدكتور فهمى بك القطشة هذا الرجل الذى لولا همته ونشاطه وتضحيته بماله و وقته لما كانت هناك كنيسة ولا مدرسة ولا أى مشروع خيرى ولذا فهو يستحق كل شكر وتقدير من عموم شعب مركز سمالوط

وكذا السيدة حرمه التى يرجع اليها الفضل فى نمو المدرسة ونجاحها لأنها تركت بيتها ومصالحها وجعلت من المدرسة كل شىء فى حياتها ــ وهى السيدة مارى اسكندر الجرجاوى التى جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعى .

ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجزيها عن أعمالها و يساعدها على إتمام مشروعاتها للنهاية (١)

## الاحتفال الرائع
## بتدشين كنيسة القديس مرقس
## بمعصرة سمالوط

حددت الجمعية الخيرية القبطية بمعصرة سمالوط يوم الأحد ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٧ لتدشين كنيسة القديس مرقص الجديدة بمعصرة سمالوط وما وافت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم السبت ٢٦ ــ ٤ ــ ١٩٤٧ حتى اكتظ منزل حضرة الدكتور فهمى القطشه بك بمعصرة سمالوط بجماعات الشمامسة والاكليروس بملابسهم الرسمية وأعلامهم وصلبانهم ونواقيسهم قادمين من دفش وقلوصنا والقطوشه وسمالوط والمعصرة والمنيا والطيبة وقد وزعت على الحاضرين أكواب الشراب والحلويات وكان الجمع فى بشر وايناس يهنئون بعضهم بعضا بهذا العمل الجليل المبارك وأقبلت الجماهير على صاحب العزة الغيور الدكتور فهمى القطشه مهنئين مباركين وكأن المنزل فى عرس قانا الجليل .

وفى تمام الساعة الرابعة أقبل صاحب النيافة مطران المنيا الأنبا ساويروس يحف به

(١) مجلة الأنوار فى ٢١ برمهات سنة ١٦٦٣ ، ٣٠ مارس سنة ١٩٤٧ ــ ص ١٨

رجال الاكليروس وكبار الأعيان والموظفين فقوبل بالترانيم الدينية والحفاوة البالغة ثم سار الموكب فى شوارع مزدانة أحسن زينة بروعة وجلال إلى دار الكنيسة التى كانت تلبس حلة قشيبة من الزينات ، ادتها بهجة ورعة وجمالا . ثم بدأت المراسيم الدينية لتدشينها ، وفى تمام الساعة الثامنة وصل حضرة الحبر الجليل نيافة مطران بنى سويف فقوبل بالتجلة والاحترام وكانت الأجراس تقرع منذ بدء سير الموكب من دار الدكتور فهمى وتناوب حضرتا المطرانين الصلاة حتى الصباح .

وفى صباح الأحد بكرت الجماهير فى الحضور الى دار الكنيسة للصلاة وحضور رسامة الشاب وديع افندى القمص قساً فضاقت الكنيسة بمارحبت وكان قد أقيم سرادق فخم فى فناء الكنيسة ضاق أيضا بالحاضرين من جميع أنحاء المديرية و بعض مديريات الصعيد الأخرى من المسلمين والأقباط وقد وضعت مكبرات الصوت وعند انتهاء القداس القى حضرة الدكتور فهمى القطشة رئيس الجمعية خطابا رائعا عن الخطوات التى سارت فيها مشروعاتها الكنسية حتى تمت وتلا اسماء كبار المتبرعين وقوبل خطابه بالاستحسان التام . ثم رسم الراعى الجديد وسمى القس سمعان بين السرور والحبور وقد القى حضرته خطاباً تعهد فيه بالمحافظة على الأمانة التي وضعها السيد المسيح فى عنقه فقوبل بالارتياح . وانتهت الحفلة فانصرف الحضور مهنئين بعضهم بعضا يعلو وجوهم البشر و يكررون التهانى لحضرة رئيس الجمعية والسيدة الفاضلة حرمه صاحبى اليد الطولى فى إقامة هذه الكنيسه وما يقام مستقبلا من صروح العلم والعرفان . وكان يحافظ على النظام حضرة عبد السلام بك مخلص مأمور المركز ورجاله بهمة حازت شكر الجميع . مراسكم

١٨ سنة فى ابروشية المنيا .

وجاءناء من حضرة الاستاذ جندى ميخائيل سكرتير مدارس الاقباط بالمنيا بيان تفصيلى عن الكنائس التى شيدت فى ابروشية المنيا فى عهد نيافة مطرانها الحالى جاء فيه بيان الكنائس التى انشئت فى ابروشية المنيا فى عهد نيافة الانبا ساويرس أى من سنة ١٩٢٩ للان هى كالآتى

| | | | |
|---|---|---|---|
| كنيسة ملوى سنة | ١٩٣٠ | كنيسة العذراء | ١٩٤٠ |
| » قلندول | ١٩٣٢ | » الفكرية | ١٩٤٠ |
| » المطرانية | ١٩٣٤ | » المحرص | ١٩٤٥ |
| » قلوصنا | ١٩٣٥ | » اسمنت | ١٩٤٧ |
| » بنى محمد | ١٩٣٩ | » معصرة سمالوط | ١٩٤٧ |

والكاهن الذى رسم على كنيسة معصرة سمالوط هو جناب القس سمعان وهو الخامس

مشر بين الآباء الكهنة الذين قام نيافة المطران برسامتهم قسوسا لا و برشيته وجميعهم من خريجى المدرسة الاكليريكية فقد قطع على نفسه عهداً ألا يرسم كاهنا إلا من خريجى هذه المدرسة ونذكر بهذه المناسبة ان عدد الكنائس بابروشية المنيا ٦٥ كنيسة بها ٨٠ كاهنا منهم ( ٦٠ ) من خريجى الكلية الاكليريكية (١)

**ملحق رقم ( ١ )**

صورة النداء الذى أرسلته هدى شعراوى على أثر تفشى الكوليرا فى مصر فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ وقد وردت ترجمته فى ف ٩٣

**APPEL DES FEMMES D'EGYPTE A L'OPINION PUBLIQUE OCCIDENTALE**

Malgré les démentis de l'AMBASSADE BRITANNIQUE au Caire et des milieux officiels de Londres qui essayent de se disculper, les Femmes Egyptiennes persistent à tenir responsables les armées d'occupation Britannique en Egypte de la NAISSANCE et de la PROPAGATION du CHOLERA dans leur PAYS.

Des preuves flagrantes appuient cette accusation :

1 Les premiers cas de CHOLERA se sont révélés parmi des ouvriers travaillant dans les CAMPS ANGLAIS DE TEL-KEBIR.

2 Dès que la maladie a fait son apparition sur l'ouvrier HASSAN KHAIRALLAH et son fils le 20 Septembre, les AUTORITES MILITAIRES ont immediatement licencié tous les OUVRIERS EGYPTIENS au nombre de 4.800, sans se préoccuper de leur santé ou de leur sort.

3 Non seulement ces AUTORITES les ont comdannés a une mort certaine en les abandonnant sans secours et sans ressources, mais elles ne se sont pas même donné la peine d'avertir les AUTORITES LOCALES à temps, de la présence du CHOLERA dans leur CAMP afin que celles-ci prennent les mesures necessaires pour empêcher la PROPAGATION DU FLEAU.

les AUTORITES ANGLAISES ont ainsi commis non seulement une action inhumaine vis-à-vis de simples particuliers, mais elles ont assumé une très grave responsabilité morale envers la Population Egyptienne dont le nombre des victimes du CHOLERA va tous les jours grandissant, et vis-à-vis du Monde Entier qui ne manquera pas d'en ressentir bientôt les terribles repercussions.

4 . — Les FORCES D'OCCUPATION BRITANNIQUES échappent a tout CONTROLE SANITAIRE et ADMINISTRATIF en ne se soumettant pas aux REGLEMENTS INTERNATIONAUX exigeant l'inspection des voyageurs de la part des AUTORITES LOCALES. Par ce traitement exceptionnel la Contrebande des Stupéfiants s'est trouvée, aussi, maintes fois facilitée.

5 . Les PXPERTS MEDICAUX des ORGANISATIONS SANITAIRES du MONDE ENTIER réunis à GENEVE sont arrives à la CONCLUSION que l'Epidemie de Cholera a été déclenchée en Egypte «Fort probablement par une source de contamination importée des Indes», où cette maladie existe a l'état endémique.

(١) مجلة الأنوار فى ١٩ برمودة سنة ١٦٦٣ ، ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٧ — ص ١٢

De ce qui précède, il nous reste à conclure que la présence des troupes Britanniques en Egypte n'est pas SEULEMENT une atteinte à la dignité Nationale, mais un danger permanent pour la vie et al securité dans la Vallée du Nil.

Aussi les Femmes d'Egypte font-elles appel à l'Opinion Publique Mondiale et spécialement à l'«O.N.U.», qui a déjà spontanément offert a notre PAYS tous les secours matériels et moreaux dans la dure épreuve qu'il traverse, pour que les Nations Unies l'aident à se libérer de l'occupation Britannique qui non seulement entrave son essor politique, économique et social, mais est une cause perpetuelle de trouble et de menace pour l'avenir.

Le vingt-six octobre mil-neuf-cent-quarant-sept.
Le Caire, le 26-X-1947.

**Hada Chaaraaui**
**Présidente de l'Union Feministe Egyptienne.**

## ملحق رقم (٢)

## الاحتفال بعيد الام فى مصر

كانت الفكرة الرائدة للاحتفال بعيد الأم فى مصر نابعة من المرحوم الاستاذ يعقوب فام سكرتير نادى قسم الصبيان بجمعية الشبان المسيحية والذى تخرج على يديه أجيال ، من نخبة الرجال حافظوا على انتمائهم لوطنهم مصر بغض النظر عن عقيدتهم الدينية .

كان يحتفل « أنكل يعقوب » : ( وهكذا كان يلقبه أولاد ناديه ) بعيد الأم فى ناديه محلياً ، إلا أنه أراد أن يعمم هذه الفكرة على مستوى الوطن بالكامل . فعرض فكرة الاحتفال بعيد الأم على السيدة حرم المرحوم اللواء كامل غبر يال التى قامت بتكو ين لجنة من كرام السيدات المصر يات لنشر فكرة الاحتفال بعيد الأم رغبةً فى إحلال الحب فى العائلة وعملا على إشاعة روح الإيثار بين أفراد الأسرة ورفع مقام المرأة لتشعر أنها تؤدى عملا مقدراً مذكورا فى إنشاء الأسره وانشاء المجتمع وخلق أبناء أقو ياء للوطن ــ خلقا ، و بدنا ، وثقافة .

تألفت لجنة الاحتفال بعيد الأم برئاسة السيدة حرم اللواء كامل غبر يال وعضو ية كل من حرم الأستاذ حنا فام ، حرم الدكتور صبرى جرجس ، حرم الدكتور أمين موسى جاد ، و يعاونهم فى هذه اللجنة الأستاذ يعقوب فام سكرتير قسم الصبيان فى جميعة الشبان المسيحية .

مهدت لجنة الاحتفال بعيد الأم فعقدت مؤتمراً صحيفا حضره مندو بون عن عدة صحف ومجلات وطالبت فيه السيدة حرم المرحوم اللواء كامل غبر يال بنشر الفكرة على صفحات الجرائد . وانعقد هذا المؤتمر بجمعيه الشبان المسيحية يوم ١٢ / ٢ / ١٩٥١ . وقد حضره كل من الأساتذة

| | |
|---|---|
| أمينه السعيد | عن دار الهلال |
| فرج جبران | عن آخر ساعة |
| وديع فلسطين | عن « الصحيفة » |
| مسعد صادق | عن مصر |
| صبرى عارف | عن المقطم |
| عونى | عن الأساس |
| الجنيدى خلف الله | عن الزمان |
| الدكتور صموئيل تادرس | عن حواء |

قاموا هؤلاء جميعاً بالدعاية للاحتفال بعيد الأم ، ولا ننسى أيضا الدور الكبير الذى قام به المرحوم على أمين بما كتبه فى جر يدة الأخبار من مقالات مسلسلة .

وكتب الأستاذ وديع فلسطين فى مجلة الصحيفة عدد فبراير / مارس سنة ١٩٥١ يتساءل « أفلا ينبغى للمصر يين جميعا أن يحتفلوا بعيد الأم وهم الذين يحتفلون بعيد للطبيعة وعيد للنيل » وقال إن السيدة الجليلة قر ينة المرحوم كامل غبر يال تتصدر حركة مباركة يسعدنا أن نؤ يدها كل التأييد و يسعد مصر أن تتبنى هذه الحركة وتجعل منها جزء من حياتها العامة فى الر يف وفى الحضر وفى الصعيد وفى الدلتا . فما أجدر مثل هذه الحركة بالتشجيع والترحيب لأنها تمس شغاف كل قلب وتؤثر فى بنيان المجتمع تأثيراً نافعاً قو يا .

عميد دكتور
أمون هوتب كامل غبر يال .

تحر يراً فى يوم عيد الأم الثالث والثلاثين
٨٤/٣/٢١

---

(١) يجب أن نذكر أن المصر يين أول من عبدوا الأمومة فى شخصية الأم إيز يس التى أقاموا لها تماثيل تصورها وهى ترضع ابنها هورس أحيانا ، وأحيانا أخرى تجلسه على ركبتيها .

## المؤتمر الصحفى للتمهيد للاحتفال بعيد الأم
## ١٢ فبراير سنة ١٩٥١

## جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة
## لجنة يوم الأمهات

سيداتى سادتى

باسم لجنة الأمهات أرحب بكم وأحييكم وأعدها فاتحة ميمونة الطالع أن يتفضل حملة المشاعل لتلبية دعوتنا وإضاءة السبل أمامنا ونحن على يقين من أن فكرتنا ستلقى صدى واستجابة من الجميع ما دامت لقيت الصدى والاستجابة فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة .

ولهذا رأينا أن نبدأ بدعوتكم . قبل أن نبدأ حفلنا الذى حددنا له يوم ٢٢ فبراير الحالى وهو حفل جديد على مصر فى فكرته وفى مغزاه ولعلكم تؤيدون الفكرة السامية التى اجتمعنا من اجلها وهذا هو ما نرجوه ونأمله ليتحقق الغرض الذى ننشده للنهوض بالمستوى الاجتماعى فى وطننا .

كلنا نعلم أن ما تبتغيه الامهات فى الحياة ان يؤدين رسالتهن ولا شك فى ان الام لا تتمنى فى حياتها شيئا بقدر ما تتمنى ان تقر عينا بولدها وان تنشئه نشاة صالحة وان تراه وقد غدا شابا ورجلا نافعا فى المجتمع بر بوطنه و بوالديه . وهذا هو ما تنشده الام فى كل مكان ولا توجد هناك ام يصح ان تحمل فخرا لامومه دون ان تشترك مع سائر الامهات فى هذا الشعور .

فما الذى انحرف بالكثيرين من هؤلاء الامهات ثم ما الذى يصرف الولد عن محبة والديه و يدفعه الى العقوق والانحدار ويحمل الام على التنكر لرسالتها وقتل احاسيسها نحو ابنها — انها اسئلة لا شك فى انها خطرت على اذهانكم وراودت افكار المصلحين الاجتماعين وهى نفسها التى دفعت لفيفا من الامهات الى التفكير ثم الى ان يقتطعوا من وقتكم شطرا يلتمسون فيه العون لما يبغونه من اصلاح . فماذا نصنع لنقوى الرابطة بين الولد وامه حتى يحس برغبات والدته ويجعل نصب عينيه ان يهدف الى ما تنشده له من تقدم ورفعه .

انا نسعى هنا الى خلق هذه التجارب بين الامهات والابناء حتى يظفر المجتمع بجيل جديد قوم وسط اشتات هذا الجيل الذى كاد يتحلل من اقدس الروابط وهى روابط الاسرة والوطن والانسانية . وكاد ينحدر بالقيم الاخلاقيه الى هوة عميقة تنال من انسانيتنا . وهذا المجتمع الذى نعمل فيه لقد غدا مجموعه متنافرة من التقاليد الرجعية والطبائع المستهجنه والعادات المبتذله واصبح زاخرا بنقائص المجتمعات . فهل هذه النقائص هى كل ما فى المجتمعات . اليست هناك تقاليد حميدة .

لقد اجتمع الامهات اليوم ليبسطن لكم سبيلا جديدا لخلق التجاوب المرغوب بين الامهات والابناء وآن لنا ان نتبين اهميته واثره وخصوصا فى مجتمعنا المصرى وهو احوج المجتمعات اليه واشدها افتقارا الى تدعيم روابط الاسرة .

### سيداتى سادتى

هذا هو يوم الامهات يوم يتقدم فيه الابناء الى امهاتهم بهديته ليعبر لها عما يكنه قلبه من حب ومودة وتقدير وعرفان بالجميل وتتقبل كل ام هديتها قرير ة العين فرحة القلب حتى تشعر تلك الام انها ربت فوجدت زرعت فحصدت وان الهديه مهما ضؤلت لترتفع فى قيمتها الى اثمن ما تحرص عليه وتعتز . انها ليست مجرد هدية عادية تقوم بقيمتها المادية . انها ميثاق الامومة المفتدية وعهد البنوة البارة ثم هى رمز رفيع لوحدتها فى الروح والجسد .

فلنربط بين الام وابنها و بين الابن وامه بهذا العهد والميثاق ولنجدده فى كل عام ولنعممه فى كل بلد وفى كل بيت . وسيقام حفل هذا العام فى القاهرة والاسكندرية واسيوط والمنيا فى يوم واحد هو يوم ٢٢ فبراير وسيتقدم ابناء قسم الصبيان الى امهاتهم بهدية من نوع واحد اعددناها لهم ولم نذكر لون هذه الهدية لكى تكون مفاجأة للامهات لكن الذى نرجوه هو ان تتطور الفكرة وتمتد فتشمل كل ابن يعد من تلقاء نفسه هديه ليقدمها لامه فى هذا اليوم

هذه هى الام الكريمه هى التى دعوناكم لاجلها لتملأوا قلبها باقدس معانى الامومه ولتغرسوا فى قلب ابنها روح الاستقامة ولتخلقوا من قلبيهما قلبا واحدا و يوم يوفقنا الله واياكم الى تحقيق ما نبغى والى اشاعة روح مثالية جديدة فى مجتمعنا يدرك الجميع اى جهد بذل واى شر دفع واى خير عم وفاض .

ولا يفوتنى ان نشكر المربى الفاضل الاستاذ يعقوب فام صاحب هذه الفكرة وعلى سديد ارائه وعظيم توجيهاته والسلام . ،،

مدام كامل باشا غبريال
رئيسة لجنة يوم الامهات

**ملحق رقم (٣)**

بعض صفحات من محضر جلسة لجنة الحريات المنعقدة يوم الخميس ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٣ تبين يقظة الأنبا يؤنس مطران الجيزة

**الاستاذ محمد عبد الله الملوم :** يجب أن نعترف بكل رأى ، وأن تناقش الحجة بالحجة ، وبهذا يكشف المرض ويمكن معالجته ، لأننا لا نشرع لأنفسنا وانما نشرع للأجيال المقبلة ، واننى أعتقد أن البقاء للأصلح .

**الرئيس :** لا يمكن أن يقال فى بلدنا أن البقاء للأصلح ، بل بالعكس فاننا ليست لدينا المناعة الكافية للوقاية من الفساد ، لأن الفساد سريع الانتشار اذا لم يقاوم أو يعالج .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** ان مجال هذا بالتفصيل سيأتى عند مناقشة المادة الخاصة بحماية النظام الاجتماعى .

**الرئيس :** هل توافقون سيادتكم على ارجاء البحث فى مقتضيات النظام الاجتماعى الى ما بعد الانتهاء من تقرير مشروع المبادىء الخاصة بالحرية والمساواة ؟

( موافقة )

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** لقد اقترحت اللجنة الفرعية النص الاتى : « كرامة الفرد مصونة لا تمس وتكفل السلطات العامة احترامها وحمايتها ... »

**الأنبا يؤنس :** اننا لم ننته بعد من نظر المبدأ المقرر فى المادة ١٢ من دستور سنة ١٩٢٣ ، ولقد قدمت اقتراحا فى الجلسة الماضية من مقتضاه الا يجبر شخص على الخضوع لغير أحكام شريعته ، وقد وافق عليه الأستاذ عبد القادر عودة بقوله « لا إكراه فى الدين » وبما أن حرية الاعتقاد مطلقة ولا إكراه فى الدين ، فلا يجوز أن يجبر شخص على الخضوع لغير أحكام شريعته .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** لقد ثبت فى محضر الجلسة الماضية أن هذا الاقتراح عرض ولم يؤخذ به ، وقد ذكرت أنه فى بعض الحالات قد حكمت محاكم بما لا يتفق والديانة المسيحية فى مسائل الاحوال الشخصية ، استنادا الى مجرد تغيير الزوج دينه . وأذكر فى هذا الصدد ، أن قال السيد الرئيس أن هذا الموضوع ليس من الموضوعات التى يتناولها الدستور ، بل هو موضوع متصل بنظام المحاكم الشرعية ومن اختصاص التشريع العادى ، وأود أن أوضح أننى الآن لست بصدد الكلام فى الموضوع ، وانما أذكر فقط ما انتهينا اليه فى الجلسة الماضية .

**الاستاذ حبيب المصرى :** الواقع أن السيد الزميل المحترم الدكتور عثمان خليل يتكلم فى الموضوع ، على أن كل ما يعنينا فيما يتعلق بنظام العائلة ، الا تكره المرأة المسيحية التى اعتنق زوجها الاسلام على اعتناق دين زوجها الجديد .

**الرئيس :** ان هذا الكلام يتعلق بنظام الاسرة ، وبما أننا لسنا بصدد مناقشة هذا الموضوع ، فيحسن ارجاء الكلام فيه الان .

**الاستاذ حبيب المصرى :** أود أن أذكر كذلك أننى لست متفقا مع السيد الزميل المحترم الدكتور عثمان خليل فيما أشار اليه فى حديثه .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** الواقع اننى لم أتكلم الآن فى الموضوع ، وانما أعرض فقط ما حدث فى الجلسة الماضية ، وكما هو ثابت فى محضر الجلسة ، وهو أن الرأى قد انتهى أخيرا الى اعتبار هذا الموضوع من اختصاص التشريع العادى لا الدستور .

**الاستاذ حبيب المصرى :** أرجو أن يثبت فى محضر الجلسة اننى أرى أن يكون هذا الموضوع من اختصاص الدستور .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** على أية حال ، فقد عنيت أن أذكر لسيادتكم ما انتهى اليه الرأى فى الجلسة السابقة . وقد قلت رأيى فيها وهو أن النص العام فى الدستور على ألا يخضع شخص لغير أحكام شريعته معناه انتفاء وحدة الدولة ووحدة التشريع والقضاء على الدولة المدنية لاقامة مجموعة دول دينية .

**الرئيس :** الواقع أننا اذا نظرنا الى نظام الاسرة ، فلا يسعنا الا أن نقول ان النظام المتبع الان ناقص وانه يجب أن تصان الاسرة كل الصيانة .

**الانبا يؤنس :** وما هو رأى سيادتكم اذا علمتم أن الدولة فيما مضى كانت تخالف أحكام الدستور ونصوصه وتطبق أحكاما لا تتفق الا مع شريعة جهة معينة أو فريق معين من المصريين وتطبقها على الفريق الآخر ؟

**الرئيس :** الواقع أننا جميعا متفقون على وجوب صيانة الاسرة وحمايتها ، أما كيف السبيل الى هذا : أيكون ذلك فى الدستور ، أم أن يكون مجاله القانون العادى فهذا ما أراه سابقا لأوانه ، لأننا لسنا بصدد مناقشة هذا الموضوع الان . من أجل هذا أرجو أن نتمهل قليلا حتى يأتى دور هذا الموضوع ، فلا شك أنه سيكون محل عنايتنا الدقيقة وحينئذ ستتاح الفرصة لكل منا ليبدى رأيه فيه .

**الانبا يؤنس :** لقد ناقشت اللجنة فى جلستها الماضية المادة الخاصة بحرية الاعتقاد وكونها مطلقة ، ومن أجل ذلك أرغب فى استجلاء بعض النقط . فلنفرض أن شخصا مسلما اعتنق المسيحية ، فماذا يكون الحكم ؟

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** أحب أن أطمئن السيد الزميل المحترم الأنبا يؤنس أن القانون يحمى مثل هذا الشخص .

**الاستاذ عبد القادر عودة :** لا . بل إن القانون لا يحميه ، كما أن الإسلام لا يحميه لأنه يعتبره مهدر الدم .

**الانبا يؤنس :** أعود فأقول : لو فرض أن شخصا مسلما اعتنق المسيحية ، و بعد مضى مدة رجع الى ضميره وعاد الى الاسلام ، فما هو حكمه ؟

**الاستاذ حبيب المصرى :** يعتبر هذا الشخص مسلما بالطبع .

**الانبا يؤنس :** ولنفرض أن شخصا مسيحيا ، ولأسباب ما اعتنق الاسلام ، و بعد مدة رجع الى ضميره وعاد مسيحيا كما كان ، فما هو حكمه ؟

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** يعتبر فى هذه الحالة مرتدا فى نظر الشريعة الاسلامية ، ولكنه مصرى يتمتع بجميع حقوق المصريين .

**الاستاذ عبد القادر عوده :** هل يسأل السيد الزميل المحترم الأنبا يؤنس عن حكم الاسلام فى هذه المسألة ، أو عن حكم الدستور ؟

**الأنبا يؤنس :** اننى أسأل عن حكم الدستور .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** يعتبر هذا الشخص مسيحيا طبقا لحكم الدستور ، واننا اذا نظرنا للامور هنا من الناحية الدينية لتعبنا .

**الانبا يؤنس :** لو أننا رأينا أن الدستور هو الذى يعطى هذه الحرية لما كان لنا أى اعتراض ، ولكن المشاهد أن الدولة تحكم بعكس ذلك .

**الاستاذ عبد القادر عوده :** ان السيد الزميل المحترم يتكلم عن المسائل المتعلقة بالناحية الشخصية . وأود أن أقول فى هذا الصدد أننا لو نظرنا الى مسائل الدستورية من الناحية الدينية ، لوصلنا الى أحسن الحلول .



**الاستاذ فريد أنطون :** ومن الذى يقول بهذا الرأى ؟

**الاستاذ عبد القادر عوده :** اننى أردت بكلامى هذا أن أقول ان الاسلام للمسلمين والمسيحية للمسيحيين من الناحية الدينية .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** أقترح على سيادتكم — ونحن الان بصدد مناقشة باب الحقوق والحريات العامة — أن نقتصر فى دراسة النصوص على مدلولها المتعلق بهذه الحريات ، أما ما يتعدى هذا الباب بل و يتعدى نطاق الدستور من مسائل جزئية كتنظيم الاحوال الشخصية وما الى ذلك ، فأرى أن النصوص الواردة فى هذا الباب ، لا تفصل فيها بحال من الاحوال ، وان مجالها هو التشريع العادى .

**الانبا يؤنس :** الواقع أنه يعنينى كثيراً أن أبدى رأيى فيما يتعلق بحرية الاعتقاد المطلقة ، إذ أننا الآن بصدد وضع مشروع الدستور ، ومن المعروف بل ومن الأسس المقررة أن الدستور الجديد سيوضع لجميع المصريين على السواء ، والا يكون هناك فرق بين دين وآخر — ولكن الذى كان متبعا ومشاهدا فى الماضى كان غير ذلك ، فلقد لمسنا أن بعض الهيئات تتدخل وتطبق الشريعة الاسلامية بصور مختلفة على المسيحيين وكان هذا مخالفا لمبادىء الدستور ولنص المادة ١٢ منه التى تنص على أن حرية الاعتقاد مطلقة — ولذلك فانه يجب أن نتكلم بشىء من الصراحة .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** اذا كانت هذه الصور متعلقة بناحية دستورية ، يكون هنا نطاق بحثها ، أما اذا كانت تتعلق بنظام الاحوال الشخصية ، فيكون نطاق بحثها فى قانون الاحوال الشخصية .

**الانبا يؤنس :** عندما تقدمت باقتراحى الخاص باضافة ( ولا يجبر أى شخص على الخضوع لغير أحكام شريعته ) لم أكن أقصد أن يعرض على الاقتراع فيؤخذ عليه الرأى بالموافقة أو بالرفض ، كلا بل قصدت أن ينظر اليه بعين الاهتمام والاعتبار فتكمل المادة بهذا النص خصوصا وقد أيدنى السيد الزميل المحترم الاستاذ عبد القادر عودة بقوله لا إكراه فى الدين . ولذلك فأنا أقترح أن تكون المادة ١٢ كالاتى : « حرية الاعتقاد مطلقة » وحيث لا إكراه فى الدين فلا يجبر انسان على الخضوع لغير أحكام شريعته .

الواقع يا أيها الزملاء المحترمين اننى أتكلم فى هذا الموضوع لا كعضو فى لجنة الدستور فحسب ولا كرجل دين فقط ، ولكن كمصرى قبل كل شىء يرغب مخلصا أن تنعدم أسباب الشكوى التى لمسناها فى العهد الماضى والتى دلت على فساد ذلك العهد ومساوئه ، ولهذا فيهمنى

جدا كما يهمكم بالطبع أن يكون العهد الجديد عهد خير و بركة ، عهد عدل ومساواة بين جميع المصريين على السواء ، فنحن الان نبنى ــ ويجب أن يكون البناء على أساس من الصخر لا من الرمل ــ والدستور أساس الدولة ونحن قد وضعت فى أعناقنا أمانة فيجب أن نؤديها باخلاص . وانى أعلم أنكم مخلصون فيما ستفعلون وتبحثون وتدونون ولا أريد أن أقول لسيادتكم عن اخلاص الاقباط ووطنيتهم وتضحياتهم الكثيرة التى قدموها لوطنهم وجهادهم الكبير فى المحافظة على وحدة عنصرى الأمة فهذه أعمال تعلمونها جيدا ولمستموها فى جهادكم معهم وتاريخهم معروف لسيادتكم جميعا ولولا هذا الجهاد وهذه الوحدة لما كانت مصر على ما هى عليه الان .

وعلى هذا فأنا لا أرغب فى أن أتحدث عن الماضى ولا أن أتعرض له ، فالماضى بما فيه قد ذهب الى غير رجعة ــ وأرجو الله ألا يعود . ولكنى أريد أن أضمن المستقبل بالنسبة للمصريين فى دستورهم .

اننى أرجو منكم أن تكون حرية الاعتقاد حقيقة نصا وروحا وتنفيذا ، بمعنى أنه إذا كان مسيحى اعتنق الاسلام لسبب ما . ثم عاد الى دينه وعقيدته فلا تعتبرونه مرتدا بل يجب أن يكون مسيحيا ولا تطبق عليه الشريعة الاسلامية ، وكذلك المسلم اذا ترك دينه ثم عاد اليه فهو مسلم ــ وبهذا تكون المساواة وحرية الاعتقاد كما أرجو من سيادتكم الا تجبر الزوجة المسيحية على معاشرة زوجها الذى أسلم فإن الحكم الذى يفرض على الزوجة البقاء فى عصمته هو فى الحقيقة حكم عليها بالاعدام ظلما وعدوانا والدستور يضمن لكل انسان حريته .

اننى أعلم أن السيد الزميل المحترم الاستاذ فريد أنطون سيثير هذا الموضوع وغيره فى الحديث عن نظام الاسرة حينما يأتى الكلام عنه ــ وعلى هذا فأنا اكتفى بهذا آملا أن تنظروا الى هذا الموضوع بعين الاعتبار خصوصا وقد لمست من سيادتكم بل لمست فى جميع أعضاء لجنة الدستور الوطنية الحقة والاخلاص الكامل لمصر والمصريين . وانهم يعملون بروح العدل والمساواة دون تحيز أو تعصب وهذا ما يجعلنا نشعر بأن كل مصرى لابد أن يأخذ حقه كاملا ــ واننى وان كنت أشعر بأن هذا الموضوع سينال من سيادتكم حقه من البحث والتمحيص ــ وكذلك الموضوعات الاخرى . ولابد أن يوضع لكل هذه الامور حد يريح الجميع . الا اننى من باب الاحتياط احتفظ لنفسى بالحق فى الرجوع لبحث هذه المادة اذا لم أصل الى ما يمنع الشكوى والالم عند الحديث فى نظام الاسرة .

**الرئيس :** لعل سيادتكم تلاحظون مدى الخلاف فى مثل هذه المسائل ، ولذلك أريد بقدر الامكان ، أن يكون هناك قانون عام يسرى على جميع المواطنين ككتلة واحدة وروح الدستور



المصرى يجب أن توفق بين المذاهب والعقائد والاديان المختلفة حتى يظهر للناس عقيدة أخرى فى المعاملات ، اسمها العقيدة الوطنية . هذا هو ما يلوح لى من فكرة وضع الدستور ، ان هذا الدستور باعتباره دستورا وضعيا يجب أن يوفق بين عقائد الناس وأن يريحهم جميعا ، بأن يرضى جميع العقائد المصرية . فلقد نص الدستور على حرية العقيدة كما نص على المساواة ... الخ .... ولو شد قانون وطغى على حرية من هذه الحريات فهناك مجلس الدولة . وكذلك الحال اذا جاءت الادارة ، وأساءت استعمال سلطتها ، وأضرت بعقائد مسيحى أو مسلم أو يهودى خلافا لما نص عليه الدستور من احترام العقائد ، ولهذا فلست أرى مطلقا أن للدستور أى ذنب فى ذلك !

**الانبا يؤنس :** لا يخفى على سيادتكم أنه ليس فى مقدور كل انسان أن يلجأ الى مجلس الدولة .

**الرئيس :** وماذا يفعل الدستور فى مثل هذه الحالة ؟

**الانبا يؤنس :** يجب أن يوضع نص فى الدستور يحقق ما ناديت به . وأذكر لسيادتكم فى هذه الصدد ، أنه وصلت الى مسامع السيد الرئيس محمد نجيب أنباء عن حدوث خلاف فى الصعيد بسبب اختلاف الرأى فى العقيدة والدين بين بعض المسلمين و بعض الاقباط ، فقال يومها ، انه لو رأى اثنين يختلفان من أجل العقيدة أو الدين ، فهو مستعد لكى يطبق عليهما تهمة الخيانة العظمى ، وأن ينفذ فيهما عقوبتها . فلو أننا سرنا على هذا النهج لصلح الحال .

**الرئيس :** الواقع أننا لو سرنا على هذا المنهج من التفصيل ، فمعنى ذلك أن يوضع الدستور فى مئات من المجلدات .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** ومهما وضعنا من نصوص فلن نضمن عدم مخالفتها فى التطبيق .

**الرئيس :** لم ينص دستور فى العالم على أن حرية العقيدة مطلقة وحرية تغيير العقيدة مطلقة .

**الاستاذ محمد عبد الله الملوم :** ان هذا الموضوع بحث فى الجلسة السابقة وانتهت اللجنة فيه الى رأى ، فأرجو اذا سمحتم أن نقرأ المحضر توفيرا للوقت ، ومع ذلك فأنا أعتقد أن هذه المسألة لا تدخل فى نطاق بحثنا الآن .

**الاستاذ فريد أنطون :** ملاحظتى الان خاصة بنظام المناقشة ، اذ لا يجوز أن نعود الى

مناقشة هذه المسألة مادمنا قد تعرضنا لها فى الجلسة الماضية وانتهينا فيها الى أنها تنظم عن طريق القانون العادى وان كان الدستور سيتعرض لها عن طريق غير مباشر فذلك سيكون عند دراستنا لنظام الاسرة .

والامر الذى نتألم منه جميعا مسلمون ومسيحيون هو مضار تغير الدين الذى يأتى لا عن عقيدة وانما لارضاء شهوة أو لتحقيق مصلحة مادية . فان غير المسيحى ديانته عن عقيدة صادقة فيكون له منا كل تقدير واحترام ، أما أن غيرها من أجل الخلاص من زوجة أو من حكم نفقة . فهنا يكون الاستهزاء بالاديان و بالمسلمين و بالمسيحيين على حد سواء .

**الرئيس :** وكثيرا ما رأيت وأنا أشتغل بالمحاماة مثل هذه الحالات التى يلجأ فيها المتنازعون الى تغيير دينهم .

**الاستاذ فريد أنطون :** ناديت منذ سنة ١٩٣٩ بتوحيد قضاء الاحوال الشخصية فكان أول من ثار على ذلك رجال المجالس الملية والمحامون الشرعيون على حد سواء وهذه المسألة ليست مسألة حرية العقيدة ، اذ تترتب عليها آثار مادية خطيرة من بينها ما يتصل بحقوق الاسرة وحق الارث ، وقد وجدت فى الماضى لجنة تنازع الاختصاص وكانت تقضى فى هذه الخلافات قضاء يتفق مع المنطق السليم والمبادىء الحديثة ، فقد كانت المحاكم الشرعية تحكم بالطلاق بين مسيحيين ثم تأتى لجنة تنازع الاختصاص فلا تعتد بالحكم الشرعى . وقد ألغيت هذه اللجنة ولم يفكر فى انشاء غيرها . ومنذ مدة وجيزة كنت أول من لجأ الى مجلس الدولة فى مثل الحالات التى يذكرها السيد الانبا يؤنس وذلك فى سنة ١٩٥١ وقد صدر منه قرار بمنع الادارة من تنفيذ حكم شرعى بالطاعة بين مسيحية ومسيحى اعتنق الاسلام ليعرقل تنفيذ حكم طلاق صدر بينهما من المجلس الملى ، فالمسألة اذن لها علاج قانونى . وانما العقبة الوحيدة هى — كما يقول السيد الانبا يؤنس ضرورة رفع دعوى وضرورة الالتجاء الى محام ، ولا شك أنه من مصلحة المجتمع أن يتخلص من الآثام التى ترتكب تحت ستار العقيدة الدينية فالشخص الذى لا يتورع عن استخدام الدين لقضاء شهوة أو تحقيق مصلحة مادية لا شك أنه يهزأ بالمسلمين و بالمسيحيين على حد سواء .

وما دامت هذه المسألة وثيقة الاتصال بالزواج فهى ستعرض علينا قريبا باعتبارها متصلة بنظام الأسرة ، وسيكون لنا عندئذ أن نثير هذا الموضوع ، لأن الأسرة هى فى الواقع حجر الأساس فى نظامنا الاجتماعى ولابد أن ينظر فى تنظيمها على أساس واقعى علمى . وفى الجلسة الماضية قاطعنى زميلى الأستاذ عبد القادر عودة وقال عنى إنى أريد أن أتحلل من الدين ، ولكى أطمئنه وكما أطمئن الانبا يؤنس أقول لهما انى لن أتعرض لاحكام الدين الاسلامى ولا لأحكام الدين



المسيحى وسأنظر الى الاسرة نظرة اجتماعية بحتة ، فالاسرة هى حياة المجتمع رغم أنف الجميع فلابد أن يكون للمجتمع دخل فى تنظيم هذه الاسرة فلابد أن يطمئن المجتمع الى أن من يريد الزواج صالح للزواج ، وان هذا الزواج سيعيش أو يجب أن أضمن الاستقرار لنظام الاسرة .

فالمجتمع قبل غيره له المصلحة الاولى فى كل هذا ومن حقه أن يتدخل ، واذا لم يتدخل فسيكون حجر الاساس فيه غير ثابت . واذا ما حددت حقوق المجتمع على الاسرة لجأت الى الدين ليعاونني على استيفاء هذه الحقوق منها وعلى بث الاخلاق الفاضلة فيها وعلى شريعة ألا تأتى أحكام الدين على ما يبغيه المجتمع من نظم ومنافع .

كذلك فيما يتعلق بالمراسم الدينية ، فان رجال الدين يقولون كيف يتزوج مسيحى دون أن يذهب الى الكنيسة ، وأنا أقول بأننى كمجتمع من حقى أن أشرف على هذا الزواج وأقيده عندى ، والزوجان وشأنهما فى احترام عقيدتهما الدينية بل أستطيع أن أجبرهما بوسيلة أو أخرى على احترامها مع احتفاظى بحق المجتمع على الزواج والاسرة كاملا .

**الانبا يؤنس :** يجب ألا يكون هذا على حساب الدين .

**الاستاذ فريد أنطون :** أنا لا أتعرض الى الدين ، وانما أساس تفكيرى هو الامر الواقع فمجتمعنا يجمع بين القبطى والمسلم والاسرائيلى . فيجب أن أضع القواعد التى يخضع لها الجميع من الناحية الاجتماعية والتى تحقق الفائدة الاجتماعية المنشودة ، فالمطلوب الان هو وضع قواعد موحدة يخضع لها الجميع ، وكلمتى للسيد الانبا يؤنس وللسيد الزميل عبد القادر عوده هى ألا نجعل الدين هو الذى يملى علينا القواعد الوضعية التى تنطبق على جميع المواطنين .

**الانبا يؤنس :** يجب أولا أن نحافظ على الدين .

**الاستاذ فريد أنطون :** هناك فرق بين أن نحافظ على الدين و بين أن نضع تشريعا أساسه الدين ، وفى الدستور تكفينا الاشارة الى حرية العقيدة .

**الأنبا يؤنس :** ينص الدستور على أن حرية العقيدة مطلقة ، ومع ذلك فأنا كمسيحى حريتى غير مطلقة لأنى أكره الخضوع لعقيدة أخرى . وأنا أتفق معك فى وجوب وضع نصوص عامة لحماية المجتمع ولكنى أشترط عدم مخالفتها للأديان الثلاثة .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** تبدو لى فكرة الأستاذ فريد أنطون سليمة جداً ، فهو

يريد ألا يكون الدستور مقيداً بدين من الأديان لأنه للجميع وألا يكون ــ فى نفس الوقت ــ ضد الأديان بقدر الإمكان بحيث يرضى الجميع الى أقصى حد مستطاع .

**الأنبا يؤنس :** وأنا أيضا متفق معكما على ذلك ، ولكنى لا أريد أن يكون فى إحدى مواد الدستور ما يفيد اعتداء على دين من الأديان .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** ليس فى أى مادة من المواد التى وضعت أو اقترحت حتى الآن ما يفيد الاعتداء على دين من الأديان .

**الأنبا يؤنس :** لقد نص الدستور على أن حرية العقيدة مطلقة ، فهل حرية تغيير العقيدة مطلقة ؟

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** نعم ، وليس فى ذلك أى اعتداء على الأديان ، ولقد فسر الشراح لفظ حرية العقيدة على إطلاقه بحيث يكون لكل شخص كامل الحرية فى اعتناق أى عقيدة أو فى هجر العقائد الدينية المعروفة كافة فيكون بلا دين .

**الأنبا يؤنس :** أريد أن يبقى الشخص على عقيدته التى ولد عليها ويمنع من أن يغيرها فى المستقبل لغرض فى نفسه .

**الدكتور عثمان خليل عثمان :** كلا فالأديان فى أصلها صلة بين العبد وربه فاذا لم يكن بين الشخص ونفسه إيمان بدين معين فلا فائدة من عقيدة يفرضها عليه الدستور .

**الاستاذ عبد القادر عوده :** سمعت من السيد الزميل الأنبا يؤنس شكوى من لغة بعض الأحكام ، وهذه الشكوى لا علاقة لها بالدين وانما علاقتها بمن أصدرها . فإذا كان من أصدرها قد خرج على قواعد الأدب فهذا خروج عن قواعد الدين الاسلامى . فالإسلام يكره السب والقذف وفى الشريعة يعاقب المسلم إذا سب الذمى أو قذفه فهذه جرائم فردية ، الشريعة الإسلامية أول من يعاقب عليها وهى تقع كل يوم ووقوعها لا يطعن فى قوة القانون ولا فى كفايته لحماية الدين .

**الاستاذ محمد عبد الله للموم :** إن هذا الموضوع يتعلق بحقوق الأسرة ، والكلام فيه سابق لأوانه .

**الانبا يؤنس :** إننى احتفظ بحقى فى الكلام عند مناقشة موضوع تنظيم الأسرة ، وبالرد على ما جاء فى اقوال السيد الزميل المحترم الأستاذ فريد أنطون .



أوصت لجنة الحريات بأن يعطى الدستور الجديد للمرأة المصرية حقوقها السياسية .

وفى هذا الصدد يقول حبيب المصرى : « من النساء كثيرات يشغلن وظيفة مدرسة أو ناظرة أو طبيبة أو محامية . ولا شك فى أن كل وظيفة من هذه الوظائف تشغل المرأة أكثر بكثير مما يشغلها تأديتها لوظيفتها السياسية ، ذلك لأن وظيفتها السياسية تنحصر فى أن تذهب ــ إن هى أرادت هذا . لتعطى صوتها فى الانتخابات مرة كل خمس سنوات ، وهذه الوظيفة لا تحول بينها وبين ممارستها لواجبها المنزلى كما أنى لا أرى مطلقاً أن انتخاب ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، أو ٥٠ أو حتى ١٠٠ سيعطل النساء عن ممارسة واجب الأمومة فى مصر وقد أصبح تعليم المرأة ضرورة أولية ، لا أن تقبع فى عقر دارها تنتظر الرجل لينفق عليها . وإذا ما كان قد ورد فى الدستور أن الأمة مصدر السلطات فليس الرجال وحدهم هم مصدر السلطات بل هى الأمة والأمة نصفها من الرجال والنصف الآخر من النساء .

حقاً ان المرأة تختلف واجباتها أحياناً من الناحية الواقعية عن واجبات الرجل فهى لا تشتغل فى الجندية المباشرة ولكنها إزاء هذا تعمل ممرضة فهى لا تقل أهمية فى عملها من أهمية عمل الجندى . هذا إلى جانب أنها تخضع لكل النظم التى يخضع لها الرجال كضريبة الأطيان مثلاً وبما أنها شاركت فى الواجبات العامة فلا يمكن أن تحرم من الحقوق الممنوحة للرجل واعترافنا لها بهذا الحق قد نتج عن كونها قد نشأت انسانا لا حيواناً .

ولى أن أقول لأزيل مخاوف البعض أن تحرر المرأة جعلها أكثر عفة من ذى قبل بل وأكثر تقديراً للكرامة من قبل وأنه لم يكن هناك أكثر اذلالا للمرأة من حبسها وعدم الاعتراف بحريتها . أما الآن فإن المرأة فى السياسة وفى العلم وفى النواحى المختلفة من الحياة العامة .

وأما القول بأن البعض يخشى على النساء من الخوض بأنفسهن فى خضم الانتخابات فهذا لا يعنى على الاطلاق فهى إن أرادت فلها ما أرادت وإن لم ترد فهى حرة ولا يعنى مطلقا أن يقيد الزوج زوجته أو حتى يربطها فى البيت لمنعها من مزاولة هذا الحق الممنوح (١) .

(١) عن مجلة آخر ساعة فى عدد الصادر فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣

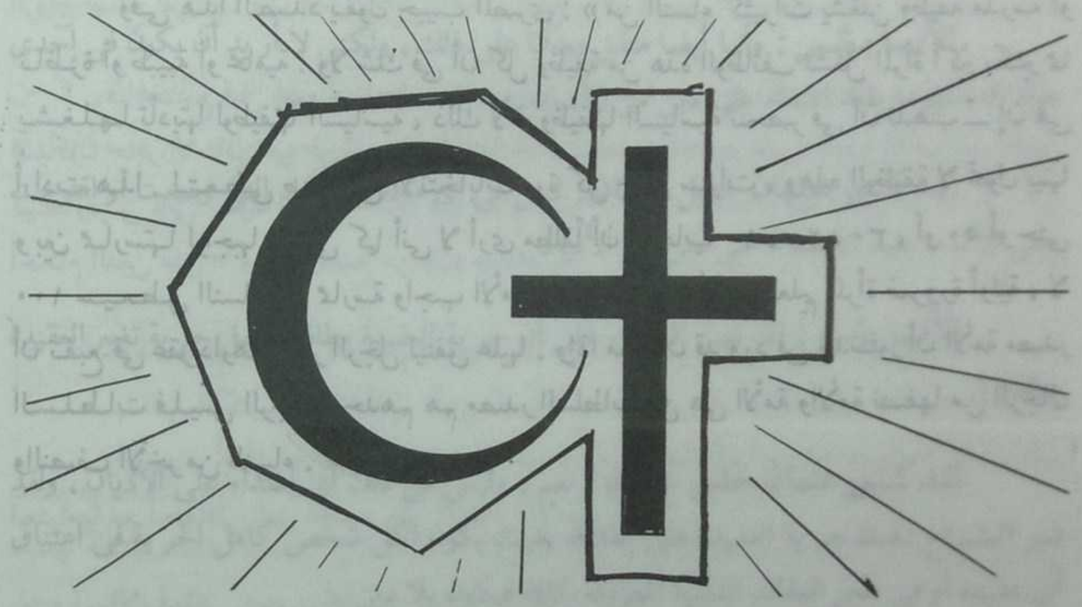

## قرارات المؤتمر القبطى الشعبى
## المؤتمر يبلغ مجلس الأمن وهيئة الأمم

اصدر المؤتمر القبطى الشعبى مساء الأربعاء ٣ اكتوبر الماضى سنة ١٩٥٦ الذى عقد بالقاعة اليوسابية الكبرى ، القرارات الوطنية التالية :

• مصر كلها تقف وراء الرئيس جمال عبد الناصر فى سياسته الوطنية فى تأميم قناة السويس التى هى جزء لا يتجزأ من أرض الوطن .

• يستنكر المؤتمر السياسة التى تتبعها بعض الدول لمحاولة الحد من سيادة مصر وممارستها لحقوقها الطبيعية واستكمال حريتها .

• يعلن المؤتمر من شباب وشيب عزمه الأكيد على الأستمرار فى الكفاح بالدماء عن الوطن ضد أى تدخل أو عدوان أجنبى .

• إبلاغ مجلس الأمن فوراً بالقرار الآتى :

« المؤتمر الشعبى المصرى المنعقد بالقاهرة والممثل لجميع المصريين يستنكر كافة

الأساليب التى تتخذ للاعتداء على سيادة مصر ، و يؤكد تأييده لسياسه الرئيس جمال عبد الناصر الوطنية للذود عن حقوق البلاد ودفع كل شر يراد بها . و يطالب مجلس الأمن بأن تسود العدالة قراراته بأن يقر حقوق مصر المشروعة فى تأميم القناة وإدارتها تدعيما للسلام العالمى » :

• إبلاغ جميع ممثلى الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة بهذه القرارات .

## الألوف يشهدون المؤتمر

فقد أجتمع فى الساعة الخامسة آلاف المواطنين من مسلمين ومسيحيين فى مؤتمر شعبى ضخم حضره فضيلة الاستاذ أحمد حسن الباقورى ومندوب عن فضيلة شيخ الأزهر .. كما حضره كبار الأقباط يتقدمهم نيافة الأنبا بنيامين عضو المجلس البطريركى والسيد الأستاذ اسكندر حنا دميان وكيل المجلس الملى العام .

وفى الساعة الخامسة والربع افتتح نيافة الأنبا بنيامين المؤتمر بالصلاة والدعاء الى الله لمصر بمواصلة انتصاراتها . ثم ألقى الأستاذ أنطون سيدهم كلمة الافتتاح .

وألقى السيد اسكندر حنا وكيل المجلس الملى العام كلمة قال فيها : لقد أقيم هذا المؤتمر لتأييد الرئيس جمال عبد الناصر وحكومته الساهرة .. وأن المصريين يد واحدة وقلب واحد عامر بالتضحية من أجل الوطن .

## كلمة الأزهر

ثم ألقى فضيلة الشيخ محمد الطنيخى مدير الوعظ كلمة الأزهر نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر .. فقال :

يا أبناء النيل .. أحييكم بأسم الأزهر .. وأشكر لكم وطنيتكم الصادقة واخلاصكم الأكيد لبلدكم الذى دعاكم لعقد هذا المؤتمر الذى تواكب فيه الشيخ مع القسيس والعالم مع الراهب والشباب الى الشباب .. كلنا مصريون .. نعمل من أجل مصر .. ونضحى لمجد مصر ..

وبعد أن أوضح ممثل الأزهر معركة مصر مع الأستعمار فى قضية القناة ، قال أن المسيحية تدعو الى المحبة والسلام والامن والعدل .

## أبلغ رد ..

ثم ألقى السيد أحمد عبد الله طعيمة كلمة استهلها بتحية الحاضرين نيابة عن الرئيس ..

ثم قال : ان هذا المؤتمر هو أبلغ رد على الاشاعات التى يذيعها الأستعمار وأعوانه من ان هناك فرقة بين المسلمين والمسيحيين .. انه يلطم كل واش بالحقيقة الناصعة .. نحن مصريون .. ومصريون فقط .

## دعوة عالمية

وشرح السيد طعيمة الدور المشترك الذى سجله تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاحتلال .. والتضحيات التى بذلها المسلمون والأقباط من أجل حرية مصر . ثم قال :

ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يعرف فى مصر الا المصريين فحسب .. وأن جمال الذى قام بثورة ٢٣ يوليو لم يقم الا للحرية والمساواة والعدالة لكل مواطن على أرض مصر .. بل أن هذه الثورة قد أصبحت دعوة عالمية لتحرير كل الشعوب .

وانى اذكر فى هذه الليلة ان رحلات التحرير عامى ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ كانت التعليمات من الرئيس جمال عبد الناصر لا تزور مسجداً الا بعد زيارة الكنيسة وأستطيع أن أوكد أن الرئيس يؤمن ايماناً قاطعاً .. أن الخيانة كل الخيانة من يحاول التفرقة بين الأقباط والمسلمين ..

وبهذا الأيمان المطلق يمكننا أن نعلن فى هذه الليلة أمام دول العالم أن أقباط مصر صف واحد سيتقدمون الصفوف من أجل حرية مصر فى الصفوف الاولى .

فلتعلم انجلترا وغيرها أن ٢٣ مليون مصرى سيقفون بقوة فى وجه أى عدو .. لتعلم انجلترا وأذنابها أن جميع مؤامرات التفرقة بين عنصرى الأمة قد باءت بالفشل .. والفشل الى الأبد .

ثم القى الاستاذ فكرى مكرم عبيد المحامى كلمة قال فيها : منذ الازل لم تجمع امة على تأييد زعيم ... كما أجمعت مصر على تأييد الرئيس جمال عبد الناصر .. على أن هذا التأييد ليس مرجعه حبنا لجمال فحسب ، وانما حبنا لمصر فى شخصه .. لقد أحببنا فيه ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وعزتنا وكرامتنا .

وتعاقب السادة الدكتور القس ابراهيم سعيد والآب عيروط والقمص ابراهيم عطية ، بكلمات وطنية الهبت حماسة المواطنين .



## كلمة الباقورى

واختتم الأستاذ احمد حسن الباقورى هذا المؤتمر الشعبى المصرى بكلمة جامعة استهلها بالصلاة والسلام على رسل الله وانبيائه .. ثم قال :

حينما دعيت الى حضور هذا المؤتمر الوطنى ، بدا لى ان ارفض الدعوة .. فقد قال الداعى انه مؤتمر قبطى لتأييد الرئيس جمال عبد الناصر . ، وقفزت الى ذهنى وحدات ثلاث : وحدة السلوك ووحدة التاريخ ووحدة المصالح .

والأمة أية أمة لا تعرف لحقيقة وجودها شيئاً وراء هذه الوحدات الثلاث .. فليس هناك خلاف على ان يقام مؤتمر يقال فيه مؤتمر قبطى وآخر مؤتمر اسلامى وأن كان لابد ان تقوم هذه المؤتمرات باسم المؤتمر المصرى فلهذا دائماً احدثكم حديثاً هادئاً ، اننا جميعاً فى مصر وقد شربنا ماءها وأستظللنا بسمائها فنحن جميعاً أقباط وهؤلاء الأقباط قسمان قسم اعتنق الاسلام وقسم اعتنق المسيحية فجميع المسلمين والمسيحيين أقباط ..

وقلت لنفسى ان كلمة قبطى تعنى مصرى فالمؤتمر القبطى يعنى المؤتمر المصرى وأؤكد لكم يا أخوانى وأنا أقول هذا الحديث لا أقوله بعاطفة مشاعر .. أقوله مؤمناً به أشد الأيمان مصدقاً له ، وأؤكد أيضا على ضوء ما رأيته أن أشد ما فى الدنيا هو جمع وحدة السلوك والتاريخ والمصالح المشتركة التى تجمع المسلمين والمسيحيين فى هذا البلد الأمين .. وضرب مثلا الصين والهند ، وقال أن مصر بحمد الله لم تذكر ثورة قامت باسم الدين .

إننا فى بلادنا نشترك اشتراكا كاملا فى وحدة السلوك فلا توجد فضيلة هى فى رأى الآخر رذيلة . أديانا نفسها حين ننظر اليها فى الأطار العام فاننى كمسلم لا أجد منفذاً الى باب يدخل بى الى الإسلام إذا نلت عيسى بن مريم البتول بشىء .

اقرأ قول الله : يامريم إن الله اصطفاك وطهرك وأصطفاك على نساء العالمين .

وأقرأ عن عيسى وأقرأ عن الرهبان الذين وضع الله فى قلوبهم الرحمة وجنبهم القسوة — فنحن من وجهة النظر لا يوحد بيننا الفوارق التى تجعل بعضنا أعداء بعض — وحدة السلوك العلمية والنظرية لا نستطيع أن ننكرها بحال من الأحوال .

إن هؤلاء المستعمرين يزعمون أنهم مسيحيون ومع ذلك لا يعلمون أننا على قدم

المساواة .. إن القضية ليست دينا فحسب بل قضية الشعور والحق فنحن فى وحدة التاريخ لا ينكر أحد علينا أن القضية للمصريين لا للمسلمين أو للمسيحيين .

والمصلحة المشتركة سواء ما قامت به الثورة من الإصلاح الداخلى وما قامت أو تقوم به من الأصلاح الخارجى لا تجد الا المصريين . فحين تطأطأ هذه الأعناق كان يطأطأ عنق المسلم كما تطأطأ المسيحى أيضاً . كلاهما يستظل براية ملك فاسد وأسرة طاغية ونظام من الحكم لا يعرفه التاريخ .

هذه المعانى حينما قفزت الى ذهنى أول ما سمعت من الأخ الذى دعانى الى حضور هذا المؤتمر رفضت أن أستجيب لهذه الدعوة وأن أحضره بوصفه مؤتمراً قبطيا .

إن الخير ينتظر بلادنا نحن المصريين وإذا كان لأى شعب فى الدنيا أن يسارع الى ميدان الحرية كان الشعب المصرى بذاته اخلص الشعوب بالمسارعة الى هذا الميدان .

إن الانجليز والفرنسيين ودعاة الاستعمار يهددوننا لكننا أصحاب حق ، فأرضنا لنا وخير أرضنا ينبغى أن يكون لنا وحريتنا ونحن نعلم عن أجدادنا الفراعنة وآبائنا العرب حقيقة لا سبيل الى الشك فيها ، أن الحياة مع الذل أيسر منها قبولا الموت مع العزة والشرف .

هذه المصالح جميعها تهتف بنا أن نثور فاذا صحنا أننا أصحاب حق صدق عند اللقاء فلابد للصادق أن ينتصر وشكراً لله ، (١)

(١) من مجلة الايمان ــ العدد الثانى للسنة السادسة والعشرين ــ بابة سنة ١٦٧٣ ( أكتوبر سنة ١٩٥٦ ) ص ٦٠ ــ ٦٤



مجلة الطليعة
( عدد خاص ــ يناير سنة ١٩٧٧ )

« جمود المتعصبين سيضر بالاسلام والمسلمين »
جمال الدين الافغانى

# الاخوان المسلمون (١)
# والوحدة الوطنية

وحيد محمد عبد المجيد *
بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

.... والفرضية التى تسعى هذه الدراسة الموجزة لعرضها أن الاتجاه السياسى الذى مثله ودعا اليه الاخوان المسلمون . وتركز حول فكرة الدولة « الديموقراطية » الطائفية ، وسيطرة الهياكل الدينية على المؤسسات السياسية ، والخلط المتعمد بين الحقيقة المدنية والحقيقة الدينية .. أن هذا الاتجاه يشكل تهديدا للوحدة الوطنية فى مستويها الرئيسيين :

**المستوى الدينى** ، بمعنى التحدى الذى بات يواجه وحدة عنصرى الأمة ــ المسلمين والأقباط ــ تلك الوحدة التى استقرت فى الوجدان المصرى لفترة طويلة من الزمان وصمدت أمام كل محاولات التفرقة كأحسن ما يكون الصمود .

**والمستوى السياسى** ، بمعنى تقويض وحدة القوى السياسية الوطنية وتحالف قوى الشعب فى مصر من أجل تحرير الأرض المحتلة وتحقيق مهام التنمية والتقدم .

والواقع أن دراسة تاريخ العلاقة بين الاديان المختلفة فى مصر تقودنا الى حقيقة مفادها أن الوحدة والتآلف بين هذه الاديان يمثل جزءا أصيلا من مكونات تراثنا القومى . تماما كما أن محاولات تحطيم هذه الوحدة كانت اداة من ادوات المستعمر لاحكام قبضته على بلادنا من خلال

(١) نشأت الجماعة سنة ١٩٢٧ ، وصدر قرار حلها فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٤ ، وكانت قبل ذلك قد حلت فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ .
والمقال بأكمله ورد فى العدد المذكور من ص ١١٨ ــ ١٢٩ ، و يؤسفنى الاضطرار الى مجرد اقتباس بعض فقراته لأنه مقال منطقى ممتع .

اضعاف جبهة القوى الوطنية بتفجير تناقضات طائفية مصطنعة بينها ، ثم استخدام هذه التناقضات نفسها لتبرير الاحتلال بحجة وحماية الاقليات ، وقد حاول المستعمر البريطانى استخدام هذه الاداة فى مصر مرارا ، فكانت السياسة الانجليزية تتعمد تجاهل الانتماء المصرى لدى الشعب ، وان تفتت وحدته بتصويره طوائف منعزلة . والتفكير منطقى ، فاذا أراد الاجنبى أن يحكم بلدا حكما دائما ، فعليه أن يحول هذا البلد الى أجانب ، أى الى تجمعات أجنبية عن بعضها ، يذوب هو فيها و يطمس اغترابه عنها و يستطيع بذلك أن يمسك بزمام الامور بضرب الشعب بعضه فى بعض .

والملاحظة المؤلمة بحق ، أنه منذ بداية الربع الثانى من هذا القرن ، لم يبذل الانجليز محاولات ذات شأن فى نفس الاتجاه ــ ربما لتعدد اخفاقاتهم ــ وآثروا أن يتركوا هذا الدور لاداة محلية ــ ربما لادراكهم أن دعوتها عندما تعزف على النغمة الدينية بشدة تكون أكثر تأثيرا ــ ، وهكذا قدر لجماعة الاخوان المسلمين منذ نشأتها ، أن تمثل ــ فى أحد أبعادها ــ امتدادا محليا لدعوة وثيقة الارتباط بالمصالح الاستعمارية فى مصر .

على أن المهمة لم تكن ميسورة .... فقد تآخى الجميع بعد أن الف بينهم الدم المسفوح برصاص الانجليز واتخذوا لهم علما فى وسطه هلال ابدلت نجومه بصلبان وأخذ القساوسة من الاقباط يخطبون على منابر المساجد حتى الجامع الازهر ، وأخذ مشايخ المسلمين يخطبون أمام مذابح الكنائس حتى الكنيسة المرقسية « ٧ » . ولم تقتصر السيدات المسيحيات أيضا دخلن المساجد وألقين الخطب كما حدث عندما استقبلت لجنة من الخطابة فى المساجد على القسس فقط ، بل ان السيدات المسلمات بمسجد السيدة زينب وفدا من السيدات القبطيات اللاتى أتين لشكرهن على التهنئة بعيد الفصح ، فقد ألقيت الخطب هناك على المسلمات والمسيحيات مما لم يسبق له نظير « ٨ » وخطت النهضة المصرية فى ظل هذه الثورة خطوات واسعة نحو القومية ، وترجم الشعب ذلك فى كل تصرفاته التى واجه بها سلطات الاحتلال ، و باركتها الدماء التى سالت على الارض الطيبة فامتزج دم المسلمين والاقباط ليمحو باطل الاستعمار وتعلله بحماية الاقليات ، فقد كانت مصر فى تاريخها الطويل أرض الوطنية لا أرض العنصرية ، وعبرت الثورة عن ذلك بهتافها الداوى « الحرية ديننا والاستقلال حياتنا » .

..... ومن سخرية القدر أنه بينما تناضل البشرية اليوم فى كل مكان من اجل تحقيق المساواة القانونية والسياسية وتجاوزها الى نوع من المساواة الاجتماعية ، يريد الاخوان أن يعودوا بمصر القهقرى الى عصر ما قبل المساواة القانونية غير مدركين أى فارق بين القرن السابع والقرن العشرين !!

وواضح من هذا الاسلوب ان دعوة الاخوان المتطرفة الى طائفية الحكم كانت تثير



مخاوف الاقباط وتعكس أثارا سلبية على وحدة الأمة ، وهو أمر معروف حتى من قبل إثارة الإخوان للقضية ، فالتيار العنصرى المتطرف الذى مهد لظهور الاخوان كان يتجمع منذ أوائل هذا القرن حول زعامة الشيخ « عبد العزيز جاويش » فى الحزب الوطنى ، وترتب على اتجاهه هذا ــ وخاصة بعد توليه رئاسة تحرير اللواء ــ انسحاب مجموعة من الأقباط من الحزب الوطنى ، وتأليف « الحزب المصرى » **برئاسة اخنوخ فانوس** فى سبتمبر ١٩٠٨ ، فى وقت كانت البلاد فى أمس الحاجة الى وحدة قواها الوطنية ، وأكد برنامج الحزب الجديد على الطابع المصرى والعلمانى « فصل الدين عن السياسة فصلا تاما والمساواة فى الحقوق العمومية بين سكان مصر بلا تمييز مطلقا بسبب الجنس أو الدين » .

خلاصة القول أن دعوة الاخوان الطائفية مثلت تحديا واضحا للوحدة الوطنية وأثرت عليها ، وظهرت مؤشرات لذلك عديدة ، بالرغم من عدم مواتاة البيئة المصرية وضعف استجابتها ــ فى هذه الفترة ــ لدعوة من هذا النوع .

واليوم ، وقد عادت نفس النغمة بايقاع جديد ، ينبغى ان نلاحظ أن الاوضاع الموضوعية فى مصر ليست كما كانت بالامس ، ومؤدى ذلك أن الجو اليوم اكثر مواتاة لا ثمار هذه الدعوة ، وهو الامر الذى قد يهدد الوحدة الوطنية ، وذلك لعوامل متعددة من أهمها الاختلاف فى نوعية الحياة السياسية ، فمصر لم تشهد منذ ما يقرب من ربع قرن حياة سياسية وممارسة ديمقراطية فعلية ، بعد الغاء حق الوجود المستقل للاتجاهات المختلفة ، فنقصت المشاركة السياسية وانخفض الوعى السياسى ، وتعمقت قيم السلبية واللامبالاة ، واذ لم يعد الانتماء السياسى هو ما يميز بين الافراد ، برزت بدائل غير صحيحة مثل الانتماء الدينى المتعصب والمتطرف .

ورغم أن حظر الاحزاب السياسية امتد ليشمل الاخوان أيضا ، الا أن اسلوب ثورة يوليو فى مواجهة خطر دعوة الاخوان على الوحدة الوطنية اعتمد على اجراءات ادارية و بوليسية ولم يعتمد على المواجهة الموضوعية السياسية ، و بديهى ان الاسلوب الادارى يواجه افرادا ولا يواجه افكارا ، والاخوان المسلمون كتنظيم ذى سمات عقائدية ــ حتى لو كانت سلبية ــ لا يمكن التصدى له بفاعلية الا من خلال الحوار وكشف ما تحمله تلك الدعوة من ضرر بمسيرة المجتمع و بنقاء الدين فى آن واحد . وكان من نتيجة ذلك أن اتجاهات التخلف والتعصب الدينى ظلت كامنة فى مؤسسات الدولة تبث سمومها و يزداد سعارها مع كل خطوة متقدمة تقدم عليها الثورة ، وعبر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله « المتعصبين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين بيخلقوا مشاكل ، وكلنا بنعرف الخناقات اللى بتحصل فى بعض القرى » ، و يستطرد « اللى بنتكلم عليه حوادث فردية صغيرة ، ولكن نرى ما ينقول : احنا عايزين الكمال ، **وعاوزين الوحدة**

الوطنية التى بنيت بالدم سنة ١٩ ، وقبل سنة ١٩١٩ تتدعم وتقوى. الدولة لا تنظر الى الدين ، والمجتمع لا ينظر الى الدين ، ولا ينظر الى الاب ، ولا ينظر الى الاصل ، ولكنه ينظر الى العمل والى الجهد والى الانتاج والى الاخلاق » .

ورغم ذلك لم يحدث اهتمام جدى بهذه القضية ، وكلما كان التنظيم السياسى الواحد يزداد ترهلا واهتراء وعزلة عن الجماهير ، كلما استفادت الرجعية الاخوانية من ذلك ، فظلت مؤثرات العصبية الدينية تتراكم حتى شهدنا أحداث ١٩٧٢ التى بلغت خطورتها درجة جعل الهدف الرئيسى للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الذى انعقد من ٢٤ ــ ٢٦ يوليو ١٩٧٢ ــ هو موضوع الوحدة الوطنية وصيانتها ، كما طلب الرئيس السادات من مجلس الشعب فى نوفمبر ١٩٧٢ تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق فى بعض المحاولات التى جرت لافتعال فتنة طائفية ، ثم عاد ليؤكد انه « لا حرب بغير الوحدة الوطنية ، ولا سلام بدونها » .

وهكذا ظلت الجماعة تلعب دورا رجعيا ضاراً بمقتضيات الحركة الوطنية ، وكان فى تأكيدها على الدين وحده ما يفرق بين طوائف الشعب الدينية فى قضايا تتعلق بصميم مشاكلهم الوطنية والاجتماعية ، وما يقضى على تراث جهاد الشعب المصرى تحت راية الدين للديان والوطن للجميع ،

وفى هذا المعنى قال أحمد شوقى أمير الشعراء :

الدين للديان جلّ جلاله  لو شاء ربك وحّد الأديانا

.... وفى كتاب « مصير مصر » الذى نشره محمد نجيب أورد عناصر خلاف الضباط الاحرار مع الاخوان بعد فترة الوئام الاولى بقوله « كانت دعوة الاخوان تختلف مع رغبتها الاجتماعية فى جعل مصر جمهورية مدنية . والذى أراده معظم الاخوان المسلمين هو العودة للوراء ، الى أيام السلطان صلاح الدين عندما كانت مصر دولة ثيوقراطية . وكنا جميعا ــ باستثناء رشاد مهنا ــ مقتنعين بأننا ان فعلنا ذلك فستواجه البلاد كارثة . ان مولد مصر من جديد ، فى رؤيتنا ، يعتمد على عملية التجديد المستمرة فى نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية « ٤٥ » وكان نجيب دقيقا عندما قال « معظم » ، لأنه كان هناك اتجاه مستنير بالفعل مثله الشيخ « الباقورى » الذى اختلف مع مكتب الارشاد عندما أرادوا اصدار بيان يطالبون فيه الجيش بأن يكون القرآن دستور الدولة ، وتحريم فوائد البنوك ، ومنع سفور المرأة . وكان رأى « الباقورى » كما ينقله « ضياء الدين بيبرس » عن « كامل الشناوى » فى اخبار اليوم سبتمبر ١٩٥٢ ، أن من عوامل انجاح حركة الجيش الا يدعى الاخوان صلتهم بها ، حتى لا يقال ان جيش مصر فى ظل حكم تعصبى أعمى يدبر لاضطهاد الاقليات الدينية وقسرهم على ما لا يحبون « ٤٦ » .



ويذكر د. عبد العظيم رمضان « ٤٧ » ضمن أسباب الصدام بين الثورة والاخوان ، اتصال الانجليز بالاخوان لمفاوضات حول مشكلة الجلاء ، فى وقت كانت المفاوضات مع مجلس الثورة تسير فى طريق غير مذلل ، ونفهم من ذلك أن الانجليز أرادوا ايجاد بديل أقرب الى قبول الشروط البريطانية لاضعاف جبهة القوى الوطنية وفرض حل وسط ،

..... وثمة صراعا آخر دار داخل صفوف القوى الوطنية ــ فيما عرف بأزمة مارس ــ وكان طرفاه الجيش من جانب والاتجاهات الديمقراطية بقيادة الوفد ويؤيدها بعض العسكريين اليساريين فى مجلس قيادة الثورة ، وكان موضوعه مستقبل نظام الحكم وهل يتجه نحو الشمول أم نحو الديمقراطية البرلمانية ، أما صدام الاخوان مع الثورة فكان يتعلق بالقضية الوطنية ، فى أهم أبعاده ، واتجاه الاخوان الى الاتصال بالانجليز مما يضعف من مركز المفاوض المصرى ، فضلا عن الخلاف حول الموقف من طائفية الحكم . ومنذ تلك اللحظة انعزل الاخوان كلية عن التيار الوطنى فى مصر وانتقلوا من « المساومة السياسية » مع الثورة الى « الانقلابية » ضدها ، خاصة وأن التحولات الاجتماعية المتقدمة ، والفكرية « نسبيا التى أحدثتها الثورة أدت الى انحسار الارضية الاجتماعية التى استندت اليها حركة الاخوان ، كما دخلت الثورة الوطنية فى مصر مرحلة جديدة تتجاوز نطاق الاثارة الدينية العاطفية الموجهة ضد المستعمر .. وغدت الامور المطروحة هى قضايا جادة تتعلق بالتطور والبناء والتنمية والتغير .

..... وفى الوقت الذى كان الاعداد يجرى فى دوائر الصهيونية والامبريالية العالمية لاقتطاع مزيد من الارض العربية ، كان الاخوان فى الداخل يتآمرون للانقضاض على السلطة عام ١٩٦٥ ، وفى الوقت الذى يسدد فيه العرب أول ضربة عسكرية لاسرائيل فى اكتوبر ١٩٧٣ ، تدبر احدى الفصائل ــ ذات الصلة بالإخوان فكريا على الأقل ــ مؤامرة الفنية العسكرية التى كانت تشمل اعدادا أوسع نطاقا يتضمن قلب الحكم واستبداله بحكومة طائفية ارهابية .

وهكذا أصبحت جماعة الاخوان نافذة لاى دور متميز او مستقل ، وبات الاخوان جزءا من اليمين المتخلف غير المستنير وغير الليبرالى ، لحرث الارض من أجل ردة رجعية جاهلية شاملة ، مع محاولات دائبة لشق التحالف الوطنى فى مصر .. وغيرها من التحركات التى لا تفيد سوى اعداء شعبنا . ( ١ )

( ١ ) راجع أيضا : عبد العزيز رفاعى : الوحدة الوطنية فى مصر عبر التاريخ ، سعيد اسماعيل على : الأزهر على مسرح السياسة المصرية ، عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ــ ١٩٣٦ ، سيد قنديل : ثورة ١٩١٩ ، على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ، ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، اسحق الحسينى : الاخوان المسلمون ، طارق البشرى : ١ ــ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ٢ ــ أ ــ عام ١٩٤٦ فى التاريخ المصرى : مقال بمجلة الطليعة فبراير سنة ١٩٦٥ ، ب ــ سعد زغلول وفكره السياسى ــ الطليعة مارس سنة ١٩٦٩ ، جـ ــ مصر الحديثة بين أحمد والمسيح ــ مجلة الكاتب فبراير سنة ١٩٧٠ وابريل سنة ١٩٧٠ . خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بإرساء الحجر الأساسى للكاتدرائية المرقسية فى ٢ يوليو سنة ١٩٦٥ . خطاب الرئيس أنور السادات أمام مجلس الشعب فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٢

**ثورة مصر ١٩٥٢ :** من الكتّاب المعاصرين كاتب انجليزى اسمه هارى هو يكنز، وضع كتاباً عن الثورة المصرية التى قادها جيشنا الباسل فى يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعنوان الكتاب : « مصر البوتقة » . والواقع أن الكتاب قيم وكم كان بودى ترجمته كله ! ولكن لضيق المقام يرى القارى . ملخصا موجزاً للغاية فيما يلى :

إن الإنجازات العجيبة التى حققتها الثورة المصرية قد مرت أمام المنظار الغربى كالطيف : فهنا تطور تاريخى جذرى هو بزوغ نوع جديد من المجتمع فى الشرق الأوسط . و يتحقق هذا المجتمع مقابل تلك السخرية التى فاه بها لورد كرومر . « لقد وهن الشرق من إعوازه الى ثورة » . ومرت سنوات على هذه الكلمة الساخرة ، و بزغت ثورة عجيبة عبر عنها جمال عبد الناصر بقوله : « لست أدرى ما السبب فى أننى كنت أتخيل أنه فى هذه المنطقة التى نقطنها دور حائر يطلب من يمثله . ولست أدرى كذلك ما السبب فى أن هذا الدور بعد أن تعب من تجواله فى هذه المنطقة الواسعة استقر أخيراً ــ وهو يلهث ــ على حدودنا ، وأخذ يشير الينا بأن نقوم ونلبس ونؤديه مادام لا يوجد غيرنا يستطيع تأديته » ...

وهذا الشعب المصرى الذى يبدو مرحاً يرسل النكات اللاذعة حتى ضد نفسه ، لديه مقدرة عجيبة على العمل فى صبر ومثابرة وتخطيط حتى لكأنه « جرمانى » . إنه شعب فريد فيما جمع من متناقضات ! وأبدع صورة لفرديته تلك الثورة التى لم يشهد العالم لها مثيلا : فهى ثورة لم تسفك فيها نقطة دم واحدة ! وفى ثلاثة أيام فقط أسقطت الأسرة التى حكمت مصر مدة قرن ونصف ! وكان عرابى قد قال ــ وهو فى المنفى ــ إن مصر لن تستريح إلا بسقوط أسرة محمد على ...

ومع أن الانجليز قد برروا احتلالهم لمصر بأنه لحماية الخديوى توفيق من المصريين ، إلا أنهم كانوا فى النهاية سبباً فى مضاعفة احتقار المصريين لهذه الأسرة . ففى سنة ١٩٤٢ أمر السفير البريطانى الدبابات البريطانية بمحاصرة قصر عابدين . و بعد أن ضربوا حصارهم حوله بالفعل ، تقدم الى الملك ببلاغ نهائى مؤداه وجوب إقالة على ماهر باشا لأنه كان مناهضاً للانجليز ميالاً الى حفظ حياد مصر تماماً ، واحلال مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد محله كرئيس لوزارة جديدة . وقد أرفق السفير هذا البلاغ بتهديد الملك بأنه إن رفض فسيخلعونه عن عرشه . ولم يقبل الملك هذا البلاغ فقط ، بل إن النحاس نفسه رضى بأن يرأس الوزارة نزولاً على أمر السفير البريطانى ! وهكذا سقطت مكانة الملك والوفد معاً فى لحظة واحدة .

.... وفى سنة ١٩٤٨ أمر الملك ــ بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ــ الجيش بأن



يحارب لإنقاذ الفلسطينيين دون استشارة البرلمان ، بل دون التداول مع رئيس وزرائه الذى كان النقراشى باشا آنذاك . وكان الهدف الدفين الذى دفع بفاروق الى إصدار هذا الأمر هو رغبته فى التخلص من أكبر عدد من رجال الجيش المصرى . لأنه كان يستشعر بأن هذا الجيش سينقلب عليه كما سبق له أن انقلب بقيادة عرابى على عمه توفيق ، وأن النصر سيكون حليفاً لهذا الانقلاب بخلاف سابقه . لذلك أرسل الجنود المصريين ليحاربوا بأسلحة بالية فاسدة كان قد اشتراها مستبدلاً بها الأسلحة الجديدة ، وكسب من وراء هذه الصفقة أموالاً وفيرة . فوصل فاروق الى ما استهدفه إذ قد راح ضحية غدره أعداد بالغة من الجيش المصرى الذى انهزم هزيمة نكراء .

ولقد أدى هذا كله الى سلسلة من الاغتيالات راح ضحيتها اثنان من رؤساء الوزارة : الواحد تلو الآخر ، وقاض فى المحكمة العليا ، ومحافظ للقاهرة . كذلك لقى عدد من كبار رجال الشرطة الموت بوسائل العنف . وظل الاضطراب وعدم الاستقرار سائدين الى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ حينما أشعلت النيران فى عدد غير قليل من أحياء القاهرة حتى لقد بدت المدينة فى اليوم التالى كأنها قد منيت بغارات جوية عنيفة . ومن العجب بمكان أن أحداً لم يحاول إيقاف المخربين ! و بعدما أتموا فعلتهم الشنعاء لم يحاول أحد أن يخمد النيران !

وأدرك المصريون بسليقتهم أن كل هذا العنف مصدره الملك المتواطىء مع الانجليز : إنه غادر كعمه ، يتآمر مع الخصوم ضد شعبه . وهكذا تضاعف غضب الشعب عليه . ونتيجة لهذا الغضب المتصاعد قام رجال أحرار من الجيش بثورتهم العظيمة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وأحاطوا بدورهم قصر رأس التين ( عند مدخل ميناء الاسكندرية ) بدباباتهم وأسلحتهم ، ودخل قادتهم الى الداخل فأعلنوا فاروق بوجوب التنازل عن العرش . وأشاروا عليه بأن يطل من الشرفة . وعندها أدرك أنهم حاصروه تماما . ولم يقم من بين رجاله الذين تنعموا بهداياه الوفيرة والذين نافقوه وسهلوا له سبل الفساد ــ لم يقم واحد منهم ليدافع عنه ! ومن ثم اضطر الى التنازل عن العرش وركب يخته « المحروسة » وذهب الى ايطاليا غير مأسوفٍ عليه ....

وهكذا تحقق ذلك النداء الذى دوى فى الوادى منذ ثورة عرابى فلتقّته مياه النيل فى انسيابها ، وقدمته لكل من أحب هذا الوطن الغالى : هذا النداء هو « مصر للمصريين » . وهنا العجب أيضا ــ فالمصريون على الرغم من الاحتلال الانجليزى قد احتفظوا فى أعماقهم بالجذوة التى أشعلها عرابى ، فظلت تختفى تارة وتندلع أخرى من سنة ١٨٨٢ ــ سنة ١٩٥٢ ، إلى أن صارت لهبا متأججة ! و بعد سبعين سنة من هذا الكفاح الذى فشلت كل القوى المعادية فى التغلب عليه تحقق النصر وأصبحت مصر للمصريين حقيقة راهنة . وقد عبر لورد بالمرستون وزير

خارجية بريطانيا عن هذه الحقيقة ــ فى شىء من الأسى ــ بقوله : « إن المبادىء أقوى عملاً من الجيوش » (١) .

وخير ما نختتم به هذه الفترة التى ازدحمت بالأحداث المتباينة صلاة من تلك الصلوات التى تناقلتها الأجيال أماً عن جدة ، وهى :

إصطبحت بك يارب ما اصطبحت بحد غيرك
أطعمتنى من كرمك وجودك وخيرك .
جعان ؟ غذينى
عطشان ؟ إروينى
اجعل البركة تحت شمالى ويمينى

• • •

أمام هيكلك اللى فتحته
وبخورك اللى طلقته
وانجيلك اللى سطحته
ويمينك اللى رفعته
خدنى تحته . واغفر لى كل ذنب عملته . آمين

وثمة صلاة أخرى لها جاذبيتها :

من بيت لحم ولادتك
والناصرة بشارتك ،
مصلوب على عود الصليب
بقوتك وارادتك
مجلى بالنور والنور عادتك
ياسلطان السلاطين
من أبد الآبدين ،
يا قاضى الحاجات
من غير طلبات ،
اقضى لى حاجتى

(١) من كتاب « مصر البوتقة » : القمة ، ص ٥٨ ــ ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ١١٥ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٦١
Harry Hapkins: «Egypt the Crucibles, pub. by seeker & Warburg, london 1969

وابرى لى ذمتى
واغفر لى خطيتى
آمين كير ياليسون .

ومن الشيق أن نعرف أن قدماء المصريين كانت لهم أيضا صلوات خاصة يسرنا أن نسجل إحداها ، وهى : أيها الواحد الأوحد الساكن فى داخلى الجاعلنى أفزع من أن أكذب ، أعلن ذاتك فىّ كالنور حين أفكر وكالرحمة حين أعمل وكالحق حين أتكلم ، بل أعطنى أن أسلك دائما بالحق (١) .

## المراجع


١ــ بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة الأنبا ابرآم المتنيح القمص ميخائيل البحيرى كوكب برية جبل قسقام ــ للقمص عبد المسيح واصف المحرقى ( أنبا لوكاس مطران منفلوط وأبنوب فيما بعد ) مطبعة رعمسيس بالفجالة سنة ١٩٥٠
٢ــ المسلمون والأقباط ــ لطارق البشرى ، طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠
٣ــ تاريخ البطاركة ( مخطوط مجلد فى جزئين ) للقمص شنودة الصوامعى البرموسى
٤ــ تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا
٥ــ الخطاب الذى ألقاه حبيب المصرى فى دار نادى الشباب الجامعى للإصلاح القبطى بشبرا مساء الاثنين ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، طبع للمرة الثالثة فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ .
٦ــ الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة ليوحنا ابن زكريا السباع ، مطبعة عين شمس سنة ١٩٠٢
٧ــ زيارة الأنبا يؤنس الـ ١٩ لاثيوبيا ــ ليوسف جرجس ، القاهرة سنة ١٩٣٠
٨ــ سقوط الجبابرة أو شهوة البطريركية ــ لبشارة بسطوروس ، الطبعة الثانية ، ومصر سنة ١٩٤٧
٩ــ الاكليريكية بين الماضى والحاضر ــ لحبيب جرجس ، القاهرة سنة ١٩٣٨
١٠ــ البابا مكاريوس الثالث ــ نشرته لجنة تلاميذ المسيح بمدارس الأحد بكنيسة مارمينا بشبرا .
١١ــ الكنيسة القبطية تواجه الاستعمار والصهيونية ــ لوليم سليمان ، صدر عن وزارة الثقافة
١٢ــ كنيسة الاسكندرية فى افريقيا ،
١٣ــ السياسة الفاشية فى اثيوبيا ــ لزاهر رياض


(١) ترجمها عن الهيروغليفية المستشرق الألمانى جورج إيبرز

١٤ــ ترجمة حياة الأرشيديا كون راغب ساويرس ــ لنجيب يونان حنا

١٥ــ الأنبا كيرلس رئيس أساقفة الكنيسة الاثيوبية ، لمكتبة مدارس الأحد بالاكليريكية بالمهمشة سنة ١٩٥١

١٦ــ مدرستنا فى أربعة أعوام ، أصدرته بطريركية الكرسى الأورشليمى للأقباط الأرثوذكس

١٧ــ كاهن قديس : القمص متى باسيلى ــ لسامح كمال ، نشرته كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بالظاهر سنة ١٩٨٢

١٨ــ الوحدة الوطنية فى مصر عبر التاريخ ــ لعبد العزيز رفاعى

١٩ــ الأزهر على مسرح السياسة المصرية ــ لسعيد اسماعيل على

٢٠ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٨ ــ سنة ١٩٣٦ ، لعبد العظيم رمضان

٢١ــ السياسة والحكم فى مصر ــ لعلى الدين هلال

٢٢ــ تطور الصحافة المصرية ــ لابراهيم عبده

٢٣ــ الإخوان المسلمون ــ لاسحق الحسينى

٢٤ــ قصة الكنيسة القبطية : الأجزاء الأربعة الأولى نشرتها مدارس الأحد بكنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بسبورتنج برمل الاسكندرية

٢٥ــ قصة حبيب المصرى أو المحبة أساس كل البنيان ــ للناشر عينه الكتاب المقدس بعهديه ، الأجنبية ، الخولاجى

٢٦ــ الدليل العام للأقباط المسيحيين فى الشرق ــ لعادل سامى ، مصر سنة ١٩٥٠

٢٧ــ الجمعيات القبطية ومدى اتساعها ــ لرمزى تادرس

المجلات والجرائد : جمعية الآثار القبطية : العدد الأول ( سنة ١٩٣٥ ) ، العدد الرابع عشر ، القاهرة ( سنة ١٩٥٠ ــ سنة ١٩٥٧ ) ، رسالة مارمينا ( منذ إنشائها سنة ١٩٤٦ ) ، الاسكندرية ، النهضة المرقسية بالقدس الصادرة عن البطريركية القبطية ، مدارس الأحد ، التوفيق ، الأنوار ، الوطنية ، نهضة الكنائس ، مار جرجس ، الحق ، الايمان ، المحبة ، تعاليم الكنيسة ، الحكمة ، الشعوب ، صهيون ، رسالة جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ، رسالة مار مرقس ( كان يصدرها القس مرقس شنودة بطهطا ) ، رابطة القدس ، الكرازة ، الصخرة ، المجلة الجديدة ، الطالبة ، مصر ، وطنى ، التيمس المصرى ، الإنذار ، الأخبار ، أخبار اليوم ، المصرى ، الأهرام ، المقطم ، الجمهورية ، الطليعة ، المصرية ( كانت تصدرها السيدة هدى شعراوى بالعربية و بالفرنسية : كلاً على حدة ) .


## المراجع الأجنبية


1- W. Blackmen: The Fellahin of upper Egypt, London 1927
2- Guettée : Histoire del' Eglise, vol. II (Paris 1888)
3- Hefele, Histoire des Conciles vol. I, (Paris 1869)
4- H. Hopkins Egypt the Crucible, London 1969
5- H. young : The Independent Arab, London 1933
6- Ency. Brit. XV ed. Helen Hemingway Benton, pub. vols. 6 & 12

# الفهـــرس


| | صفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٩ |
| ٨١ــ التوجّع على البابا الراحل | ٩ |
| ٨٢ــ القائمقام البطريركى . | ١٠ |
| ٨٣ــ « ولا إن قام واحد من الاموات يصدقون » | ١١ |
| ٨٤ــ موقف شاذ | ١٣ |
| ٨٥ــ الصراع يتصاعد | ١٥ |
| ٨٦ــ تساؤل محيّر | ١٦ |
| ٨٧ــ من هو البابا الجديد ؟ | ١٧ |
| ٨٨ــ رسامته مطرانا | ١٧ |
| ٨٩ــ بعض أعماله خارج إيبارشيّته | ١٨ |
| ٩٠ــ بداية المتاعب | ٢٢ |
| ٩١ــ القلق يعمّ مصر كلها | ٢٣ |
| ٩٢ــ مزيد من القلق | ٢٣ |
| ٩٣ــ الجهود البناءة | ٢٩ |
| ٩٤ــ يقظة الراعى | ٣٢ |
| ٩٥ــ جنوب افريقيا | ٣٧ |
| ٩٦ــ جو ملبّد بالغيوم | ٣٨ |
| ٩٧ــ وكيل عام جديد للبطريركيه | ٣٨ |
| ٩٨ــ تلاعب غاية فى الغرابة | ٣٩ |
| ٩٩ــ مدارس الأحد | ٤٣ |
| ١٠٠ــ رسالة أنين | ٤٥ |
| ١٠١ــ تدخل حكومى | ٥٠ |
| ١٠٢ــ مندوبان باباويان الى اثينا | ٥٠ |
| ١٠٣ــ تجديد الكاتدرائيه المرقسيه | ٥٢ |
| ١٠٤ــ المشكله الاثيوبيه المشكه | ٥٧ |
| ١٠٥ــ الإخاء الحلوفى النضال القومى | ٥٩ |
| ١٠٦ــ ماذا دار حول الاكليريكيه ؟ | |

| | صفحة |
|---|---|
| ١٠٧ ــ فى العجلة السلامة | ٦٢ |
| ١٠٨ ــ السير الى الامام على الرغم من المشاكل | ٦٣ |
| ١٠٩ ــ المعهد العالى للدراسات القبطية | ٦٩ |
| ١١٠ ــ شعار للكرازة المرقسيه | ٧٥ |
| ١١١ ــ أحداث سنة ١٩٥٤ : البناء . الهدم | ٧٦ |
| ١١٢ ــ عقد المجمع المقدس | ٨٣ |
| ١١٣ ــ التصالح بين الرعاة | ٨٨ |
| ١١٤ ــ النتيجة المحزنة للجفاء | ٨٩ |
| ١١٥ ــ الدير المحرق مقرّ للبابا | ٩١ |
| ١١٦ ــ الاجراءات الأولى | ٩١ |
| ١١٧ ــ دعوة الانبا تيموثيئوس لرؤساء الطوائف | ٩٤ |
| ١١٨ ــ موقف اثيوبيا من هذه الاحداث | ٩٥ |
| ١١٩ ــ عودة البابا الى القاهرة | ٩٦ |
| ١٢٠ ــ انتقاله الى بيعه الأبكار | ٩٧ |
| ١٢١ ــ أعضاء اللجنة البابا وية | ٩٩ |
| ١٢٢ ــ الراهب القس داود المقارى | ١٠٨ |
| ١٢٣ ــ ومضة باهرة | ١١٧ |
| ١٢٤ ــ جهاد على الرغم من الجحود | ١٤٦ |
| ١٢٥ ــ عمل مكثّف | ١٤٧ |
| ١٢٦ ــ تلقائيه وتواضع | ١٥٦ |
| ١٢٧ ــ شعبيه واسعة | ١٦٠ |
| ١٢٨ ــ عائلة القمامصة بالبعيرات . | ١٧١ |
| أ ــ القس تاوضروس ب ــ القس متى جـ ــ القس متياس | |
| ١٢٩ ــ القمص شنودة الشبينى | ١٨٨ |
| ١٣٠ ــ معلم لأجيال عديدة | ١٩١ |
| ١٣١ ــ أ ــ حبيب المصرى ب ــ سليمة مينا | ٢٠١ |
| أمين حبيب المصرى | |
| ١٣٢ ــ خادمة وفيه | ٢٢٤ |
| ١٣٣ ــ مربيه فضلى | ٢٢٦ |
| ١٣٤ ــ جمعيات : السلام . الايمان | ٢٢٨ |
| رابطة القدس . مارمينا | |
| ١٣٥ ــ مخطوطات نجع حمادى | ٢٤١ |
| ١٣٦ ــ كنيسه ومشروع ثقافى كبير فى معصرة سمالوط | ٢٤٢ |
| ملاحق : ــ ١ ــ نداء هدى شعراوى | ٢٤٥ |
| ٢ ــ عيد الام فى مصر | ٢٤٦ |
| ٣ ــ محضر جلسة لجنة الحريات والحقوق | ٢٥٠ |
| ٤ ــ المؤتمر القبطى الشعبى | ٢٦٠ |
| ٥ ــ الاخوان المسلمون | ٢٦٥ |
| ٦ ــ ثورة مصر سنة ١٩٥٢ | ٢٧٠ |

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٥٠ / ٨٥

الترقيم الدولى ١ - ٠٦٦ - ١٨٧ - ٩٧٧

طبع على مطابع شركة تريكرومى للطباعة
ت : ٩٣٥٧٥٦

دير المحرق

مكتبة المحبة

شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) - ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) - ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢)